تفسير
حدائق الروح والريحان
في
روابي علوم القرآن

تأليف الشيخ العلامة

محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي

المدرس بدار الحديث الخيرية في مكة المكرمة

إشراف ومراجعة

الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي

خبير الدراسات برابطة العالم الإسلامي

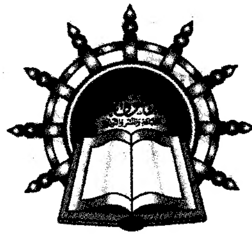
مكة المكرمة

المجلد السادس عشر

دار طوق النجاة

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م



دار طوق النجاة

بيروت - لبنان

تفسير
حدائق الروح والريحان
في
روابي علوم القرآن



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزلَ القرآن موعظةً وشفاءً لما في الصدور، وجَعَله مَنْهَلاً عَذْباً لِلْوُرُودِ والصدور، جمعَ فيه عُلُوم الأولين والآخرين، فلا رطب ولا يابسَ إلا في كتابٍ مبين، والصلاة والسلام على من أوحي إليه ذلك القرآن، من لوح الوجُوب والأمر والشأن، سيدنا محمد الذي فسر الآيات في الأنفس والآفاق، على مراد الله الملك الخلاق، وعلى آله وصحبه المقتبسينَ من مشكاة أنواره، المغترفين من بحار أَسْرَارِهِ، ومن تَبِعَهُم ممن تخلَّق بالقرآن في كل زمان، ما تطاولَ المدى وطَلَعَ المَرزمان.

أما بعد: فإني لما فرغت من تفسير الجزء الرابع عشر من القرآن بعون الله وتوفيقِهِ. . أردت الشُّرُوعَ في تفسير الجزءِ الخامسَ عشر منه، مُستمداً منه التيسيرَ والتوفيق؛ لأقوم الطريق فقلت.

سورة الإسراء

سورة الإسراء ـ وتسمى سورةَ بني إسرائيل، وسورة سبحان ـ: مكية، إلاَّ ثماني آيات، من قوله سبحانه: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ إلى قوله: ﴿سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ فتلك الآيات الثمانية مدنية. وهذا[1] قول قتادة. وقال مقاتل: فيها من المدني قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾، وقوله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾، وقوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ والتي تليها.

---

(١) الخازن.

وعدد آياتها: مئة وعشر آيات، وقيل: وإحدى عشْرَةَ آيةً وكلماتها ألف وخمس مئة وثلاثٌ وثلاثون كلمةً، وعدد حروفها ستة آلاف، وأربع مئة وستون حرفاً:

فضلها: ومما ورد في فضلها: ما روي[1] عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ قرأ سورةَ بَني إسرائيل فَرقَّ قلبه عند ذكر الوَالِدَين، كان له قنطار في الجنة» والقنطار: ألف أوقية، ومئتا أوقية.

وأخرج أحمد[2]، والترمذي، والنسائي، وغيرهم عن عائشة، أنَّ النبي ﷺ(كان يقرأ كل ليلة سورة بني إسرائيلَ والزمر).

وأخرج البخاري، وابن مردويه عن ابن مسعود أنه قال في هذه السورة، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، هن من العتاق الأول ِ، وهن من تلادي.

الناسخ والمنسوخ فيها: قال أبو عبد الله محمد بن حزم - رحمه الله تعالى - وجملة المنسوخ في سورة بني إسرائيلَ ثلاث آيات:

أولاهن: قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ إلى قوله: ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ الآية نسخ بعض حكمها، وبقي البعض على ظاهره، فهو في أهْلِ التوحيد محكمْ، وبعض حكمها في أهل الشرك منسوخٌ بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْۖ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ نسختا بآية السيف.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَۖ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ﴾، الآية نسخت بالآية التي في سورة الأعراف، وهي قوله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةًۚ...﴾ الآية.

---

(١) البيضاوي. (٢) المراغي.

المناسبة: ووجه[1] مناسبة هذه السورة لسورة النحل، وذكرها بَعْدَها في أمور:

١ ـ أنه سبحانه وتعالى ذكر في سورةِ النحل اختلافَ اليهود في السبت، وهنا ذكر شريعةَ أهل السبت التي شرعها لهم في التوراة، فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس أنه قال: (إن التوراةَ كلها في خمس عشرة آيةً من سورة بني إسرائيل).

٢ ـ أنه لما أمر نبيه ﷺ بالصبر، ونهاه عن الحزن، وضيق الصدر من مكرهم في السُّورة السالفة.. ذكر هنا شرفه، وعلوّ منزلته عند ربه.

٣ ـ أنه لما ذكر في السورة السالفة نِعَماً كثيرة حتى سميت لأجلها سورة النعم.. ذكر هنا أيضاً نِعَماً خاصةً وعامَّةً.

٤ ـ ذكر هناك أن النحلَ ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ وهنا ذكر ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٥ ـ أنه في تلك أمر بإيتاء ذي القربى، وكذلك هنا مع زيادة إيتاء المساكين، وابن السبيل.

والله أعلم

* * *

(١) المراغي.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾.

المناسبة

مناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها[1]: أنَّه تعالى لما أمر نبيَّه بالصبر، ونهاه عن الحزن عليهم، وأن يَضِيقَ صدره من مكرهم، وكان من مكرهم نسبته إلى الكذب، والسحر، والشعر، وغير ذلك مما رموه به.. أعقب تعالى ذلك بذكر شرفه، وفضله، وعلو منزلته عنده تعالى.

---

(١) البحر المحيط.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى . . .﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها[1]: أنَّ الله سبحانه وتعالى لما ذكر في الآية الأولى: أنه أكرم عبدَه، ورسولَه محمداً ﷺ بالإسراءِ من مكة إلى بيت المقدس. . أَرْدَفَ ذلك بذكر ما أكرم به موسى عليه السلام قَبْلَه من إعطائه التوراةَ، وجعله هدى لبني إسرائيلَ ليخرجَهم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور العلم والهدى، ثُمَّ قَفَّى على ذلك ببيان أَنَّهُم ما عَملوا بهديها بل أَفْسَدُوا في الأرض، فَسَلَّطَ الله عليهم البابليين، أَثْخَنُوا فيهم، وقصدوهم بالقتل، والنهب، والسلب، ثم أَزَالَ عنهم هذه المحنة، وأعادَ لهم الدولة، وأمدهم بالأموال، والبنين، وجَعَلَهم أكثر عدداً مما كانوا، ثم عادوا إلى عصيانهم، وقتلوا ذكريا، ويحيى ـ عليهما السلام ـ فَسَلَّطَ الله عليهم من أدال دولتهم مرة أخرَى، فأعمل فيهم السيفَ، وسَلَبَ، ونهَبَ، وجاسَ خِلال ديارهم، فدخل بيت المقدس مرَّةً أخرى بالقهر و الغلبة والإذلال، وأهلك ما أَهْلَكَ، مما قد جمعوه وكنزوه، ثم أوعدهم على عصيانهم بالعقاب في الآخرة بنار جهنمَ، وبئس السجن هي لمن عصى اللّهَ وخالفَ أوامرَ دينه تعالى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ . . .﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لَمَا ذكر ما أَكْرَمَ به من اصطفاه من النبيين والمرسلين، فَأَكْرَمَ محمداً ﷺ بالإسراء، وأكرم موسى بالتوراة، وجعلها هدًى لبني إسرائيل، ثم بيَّن أنهم لم يعملوا بها، فحل بهم عذاب الدنيا والآخرة. . قفَّى على ذلك بالثناء على القرآن الكريم، وبيان أنه يَهْدِي إلى الصراط المستقيم، ويُبشرُ المؤمنين بالأجر والثواب العظيم، وينذر الكافرين بالعذاب الأليم، ثم أَرْدَفَ ذلك بذكر طبيعة الإنسان، وأنه خُلق عجولاً قد يدعو على نفسه بالشر، أي: بالموت، والهلاك، والدمار، واللعنة كما يَدْعُو لنفسه بالخير.

وعبارة أبي حيان هنا: لما ذَكَرَ[2] تعالى من اختصه بالإسراءِ، وهو محمد ﷺ ومَنْ آتاه التوراةَ، وهو مُوسَى عليه السلام، وأنها هدًى لبني إسرائيل،

---

(١) المراغي. (٢) البحر المحيط.

وذكر ما قَضَى عليهم فيها من التسليط عليهم بذنوبهم، كَانَ ـ ذلك رادعاً لمن عقَلَ عن معاصي الله، فذكر ما شرف الله به رسولَه محمداً ﷺ من القرآن الناسخ لحكم التوراةِ، وكل كتابٍ إلهي، وأنه يهدي للطريقة أو الحالة التي هي أقومُ ـ.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنَّ الله سبحانه وتعالى لما ذكر الهداية، والإرشاد بالقرآن الكريم.. قفَّى على ذلك بالاستدلال بالآيات، والدلائل التي في الآفاق، وهي برهان نيِّر لا ريب فيه، وطريق بيِّن لا يضل مَنْ يَنْتَحيه.

قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها[1]: أَنَّ اللَّهَ سبحانه وتعالى لمَّا بين فيما سلف حال كتابه الذي يحوي النافعَ والضارَّ من الأعمال، مما يكون به سعادة الإنسان، وشقاؤه في دينه ودنياه.. قفى على ذلك بذكر حال كتاب المَرْءِ، وأنه لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً من أعماله إلاَّ أحصاها، وأن حسنها وقبحها تابع لأخذه بما في الكتاب الأول، أو تركه لذاك، فمن أخذ به اهتدى، ومنفعة ذلك عائدة إليه، ومن أعرض عنه ضل وغوى، ووبال ذلك راجع عليه، ثم أكد عنايَتَه بعباده، وأنه لا يعاقب أحداً منهم إلا إذا أرسل الرسل يبلِّغون رسالات ربهم رحمةً بهم، وَرَأْفَةً عليهم.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا...﴾ الآية، قال أبو القاسم سليمان الأنصاري[2]: لما وَصلَ محمد ﷺ إلى الدرجات العالية، والمراتب الرفيعة، في المعارج أوحى الله إليه يا محمد، بم شرفك الله سبحانه وتعالى؟ قال: «يا رب بنسبتي إليكَ بالعبودية» فأنزل الله فيه ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ...﴾ الآية انتهى.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ...﴾ الآية، سبب نزولها: ما

---

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

أخرجه[1] ابن عبد البر بسند ضعيف عن عائشة قَالَت: سأَلَتْ خَدِيجَةُ رَسُولَ الله ﷺ عن أولاد المشركين، فقال: «هم من آبائهم»، ثم سألته بعد ذلك فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين، ثُمَّ سألته بعدما استحكم الإسلامُ فنزلت: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وقال: هم على الفطرة، أو قال: في الجنة.

التفسير وأوجه القراءة

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾؛ أي: تبرأ عن الشريك والولد والصاحبة، الإله الذي سير بعبده محمد ﷺ ﴿لَيْلًا﴾؛ أي: في جزء قليل من الليل ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾؛ أي: من حَرَمِ مَكَّةَ منْ بيت أم هانىء بنت أبي طالب ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾؛ أي[2] إلى المسجد الأبعد من الأرض أي من أرض الحجاز وأقرب إلى السماء، وهو مسجد بيت المقدس، وَرَجَع من ليلته في نحو ثلاث ساعات، وسمي أَقْصَى؛ لأنه أبعد المساجد التي تزار ويطلب بها الأجر من المسجد الحرام؛ أي أبعد بالنظر إلى مَنْ بالحجاز.

قال النحويون[3]: ﴿سُبْحَٰنَ﴾ اسم علم للتسبيح، وانتصابه على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف، فالمقصود منه التنزيه والتبعيد له تعالى عن السوء في الذات والصفات، والأفعال والأسماء، والأحكام، فالتعجيب مقصود منه أيضاً؛ أي: تعجبوا أو اعْجَبُوا من قدرة الله تعالى على هذا الأمر الغريب، والمعنى: ما أبعد الإِلَهَ الذي له هذه القدرة عن جميع النقائص، ولذا لا يُستعمل إلاَّ فِيهِ تعالى، والإسراء سير الليل.

وفائدة ذكر الليل، مع أنه معلوم من ذكر الإسراء: الإشارة بتنكيره إلى تقليل مدَّتِهِ، وأنه أسري به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسافة أربعين ليلةً، ومعنى أسرى به: صيره سارياً في الليل، وقوله: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾؛ أي بروحه وجسده على المعتمد، وقال[4]: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾؛ دون نبيه، أو حبيبه؛ لئلا تضل به أمته، كما

---

(١) لباب لنقول.

(٢) المراح.

(٣) الفتوحات.

(٤) الفتوحات.

ضَلَّتْ أمة المسيح حيث ادَّعَتْهُ إلٰهاً، أو لأن وصفه بالعبودية المُضَافِ إلى الله تعالى أَشْرَفُ المقامات والأوصاف.

لاَ تَـدْعُـنِـيْ إلاَّ بِـيَـا عَـبْـدَهَـا ... فَـإِنَّـهُ أَشْـرَفُ أَسْـمَـائِـيَ

﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ (من) ابتدائية قال الحسن وقتادة: يعني المسجد نفسه، وهو ظاهر القرآن، وقال عامة المفسرين أُسري برسول الله ﷺ من دار أم هانىء، فحملوا المسجد الحرامَ على مكة، أو الحرَمَ لإحاطَةِ كل منهما بالمسجد الحرام، أو لأن الحَرَمَ كُلَّهُ مسجد، وكان[1] الإسراء به ببدنه في اليقظة بعد البعثة، وكان قَبْلَها في المنام كما أنه رَأَى فَتْحَ مكة سنةَ ستٍ وتحقق سَنَةَ ثمان اهـ كَرْخي، والحكمةُ في إسرائه إلى بيت المقدس دُونَ العروج به من مكة، لأنه مَحْشَرُ الخلائق، فَيَطَؤه بقدمه، ليسهل على أمته يومَ وقوفهم ببركة أثَرِ قدمه، أو لأنه مَجْمَعُ أرواح الأنبياء، فَأَرَادَ الله تعالى أن يشَرِفهم بزيارته ﷺ، وليخبر الناسَ بصفاته، فيصدّقوه في الباقي اهـ كرخي، وقيل[2]: الحكمة في إِسْرَائِهِ ﷺ إلى بيت المقدس، ليحصل له العروج إلى السماء مستوياً من غير تعريج، لما رُوِيَ عن كعب أنَّ بَابَ السماءِ الذي يقال له: مصعد الملائكة يُقابِلُ بيتَ المقدس، قال: وهو أقربُ الأرض إلى السماء بثمانيةَ عَشَرَ مِيلاً وقيل: الحكمة في ذلك، أنَّ الشامَ خيرة الله تعالى من أرضه كما في الحديث الصحيح، فهي أفضل الأرض بعد الحرمين، وأول إقليم ظهر فيه ملكه ﷺ، وقيل غَيْرُ ذلك.

ثُمَّ ذكر سبحانه الغاية التي أسري برسوله ﷺ إليها فقال: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾، أي القاصي، وهو بيت المقدس، وأول من بناه آدم بعد أن بنى الكعبة بأربعين سنة كما في «المواهب» فهو أول ما بني على الأرض بعدَ الكعبة، وسُمِّي الأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام، ولم يكن حينئذ وَرَاءَهُ مسجد، ثم وصَفَ المسجدَ الأقصى بقوله: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ ونواحيه بالثمار، والأنهار، والأنبياءِ، والصالحين، فقد بارك الله سبحانه وتعالى حولَ المسجد الأقصى

---

(١) الفتوحات. (٢) المراح.

ببركات الدنيا، فهي ليست إلا حول الأقصى، وأما في الداخل فالبركة في كل من المسجدين، بل هي في الحرم أتم، وهي كثرة الثواب بالعبادة فيهما اهـ شيخنا، أي الذي جعلنا حوله البركة لسكانه في معايشهم، وأقواتهم، وحروثهم، وغروسهم، وفي قوله: ﴿بَٰرَكْنَا﴾ بعد قوله: ﴿أَسْرَىٰ﴾ التفات من الغيبة إلى التكلم، ثم ذَكرَ العِلَّةَ التي أسرى به لأجلها فقال: ﴿لِنُرِيَهُۥ﴾، أي لكي نري عَبْدَنَا محمداً ﷺ ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾، أي من عبرنا[1] وأدلتنا ما فيه البرهان الساطع، والدليل القاطع على وحدانيَّتنا، وعظيم قُدْرَتِنا، والمراد بها، ما أراه الله تعالى في تلك الليلة من العجائب التي من جملتها قطع هذه المسافة الطويلة، في جزء قليل من الليل، وَقَرَأَ الجمهورُ ﴿لِنُرِيَهُۥ﴾ بالنون، وهو التفات من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم، وقرأ الحسن: ﴿ليريه﴾ بالياء، فيكون الالتفات في ﴿ءَايَٰتِنَآ﴾، ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي إنَّ الذي أسرى بعبده ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقول هؤلاء المشركون من أهل مكة في إسراء محمد ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، أو بكل مسموع، ومن جملة ذلك قول محمد ﷺ وقول أولئك المشركين ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بما يفعلون، لا تخفى عليه خافية من أمرهم، ولا يَعْزُبُ عنه شيءٌ في الأرض، ولا في السماءِ، فهو محيط به عِلْماً، ومحصيه عَدَداً، وهو لهم بالمرصاد، وسيجزيهم بما هم له أهل أو بكل مبصَر، ومن جملة ذَلِكَ ذَاتُ رسوله وأفعاله، وذاتهم وأفعالهم، ويقال[2]: معنى هذه الجملة ﴿إِنَّهُۥ﴾؛ أي: إنَّ هذا العبدَ الذي اختصصناه بالإسراء هو خاصةُ السميع لكلامنا، البصير لذاتنا، فهو السميع أذناً وقَلْباً بالإجابة لنا، والقبول لأوامرنا، البصير بصراً، وبصيرةً، وتوسيط ضمير الفصل للإشعار باختصاصه ﷺ وحدَه بهذه الكرامة، ولهذا عقب الله تعالى بقوله: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾.

تحقيق ما قيل في الإسراء والمعراج

اعلم[3]: أن هاهنا أمرين:

---

(١) المراغي.

(٢) المراح.

(٣) المراغي.

١ ـ إسراء النبي ﷺ من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، وهذا هو الذي ذكر في هذه السورة.

٢ ـ العروج به، والصعودُ إلى السماء الدنيا، ثم إلى مستوى سَمِعَ فيه صريفَ الأقلام بعد وصوله إلى بيت المقدس، ولم يذكر ذلك هنا، وسيأتي بيانه في سورة النجم، ونفصل القولَ فيه تفصيلاً إن شاء الله سبحانه وتعالى هناك.

آراء العلماء في الإسراء

وها هنا أمور: مكان الإسراء، زمانه، هل كان الإسراء بالروح والجسد، أو بالروح فحسب.

١ ـ يرى جمع من العلماء أن الإسراء كَانَ من المسجد الحرام، وقيل: أسْرِيَ به من دار أم هانىء بنت أبي طالب.

٢ ـ أما زمانه: فقد كان ليلة سبع عشرةَ من شهر ربيع الأول، قَبْلَ الهجرة بسنة، وعن أنس والحسن البصري أنه كَانَ قبل مبعثه ﷺ.

٣ ـ أكثر العلماء على أن الإسراء كَانَ بالروح والجسد، يقظة لاَ مَنَاماً، ولهم على ذلك أدلة:

أ ـ أن التسبيح والتعجب في قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ إنما يكون في الأمور العظام، ولو كان ذلك مناماً لم يكن فيه كبير شأن، ولم يكن مستعظماً.

ب ـ أنه لو كان مناماً ما كانت قريش تبادر إلى تكذيبه، ولَمَا ارتد جماعة ممن كانوا قد أسلموا، ولما قالت أم هانىء لا تحدث الناس فيكذبوك، ولما فُضّل أبو بكر بالتصديق، وجاء في الحديث عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتُني في الحِجْر، وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها ـ لم أعرفها حق المعرفة ـ فكربت كَرْباً مَّا كربت مِثْله قط، فرفعه الله لي أنظر إليه فما سألوني عن شيء إلاَّ أنبأتهم به» الحديث.

ج ـ أن قوله ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ يدل على مجموع الروح والجسد.

د ـ أن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ هي: رؤيا أريها رسول الله ﷺ ليلةَ أسري به، ويؤيده أن العرب قد تستعمل الرؤيا في المشاهدة الحسية.

ألا ترى إلى قول الراعي يصف صائداً:

وَكَبَّرَ لِلرُّؤْيَا وَهَشَّ فُؤَادُهُ   وَبَشَّرَ قَلْباً كَانَ جَمّاً بَلابِلُهُ

هـ ـ أن الحركة بِهَذِه السرعة ممكنة في نفسها، فَقَدْ جاء في القرآن الكريم أَنَّ الرِّياحَ كانت تسير بسليمان عليه السلام إلى المواضع البعيدة، في الأوقات القليلةِ، فقد قال تعالى في صفة سير سليمان عليه السلام: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾، وجاء فيه أن الذي عنده علم من الكتاب أحضر عَرْشَ بلقيس من أقصى اليمن إلى أقصى الشام، في مقدار لمح البصر، كما قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾، وإذا جاز هذا لدى طائفة من الناس، جازَ لدى جميعهم.

ويرى آخرون من الناس أن الإسراءَ كان بالروح فحسب، ولهم على ذلك حجج:

أ ـ أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال: كان رؤياً من الله صادقة، وقد ضُعّف هذا بأن معاوية يومئذٍ، كان من المشركين، فلا يقبل خبره في مثل هذا.

ب ـ أن بعض آل أبي بكر رضي الله عنه قال: كانت عائشة تَقُولُ: ما فقِد جَسد رسولِ الله ﷺ، ولكن أسري بروحه، ونقدوا هذا بأن عائشة يومئذٍ كانت صغيرةً، ولم تكن زوجاً لرسول الله ﷺ.

ج ـ أن الحَسَن قال في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا...﴾ الآية. إنها رُؤْيا منام رآها والرؤيا تختص بالنوم.

قال أبو جعفر الطبري: الصواب من القول في ذلك عندنا، أن يقال: إن الله أسرى بعبده محمد ﷺ من المسجد الحرامِ إِلَى المسجد الأَقْصَىٰ كما أخبر

الله عبادَه، وَكَمَا تَظَاهَرَتْ به الأخبار عن رسول الله ﷺ أَنَّ الله حمله على البراق، حتى أتاه به، وصلى هناك بمن صلى من الأنبياء والرسل فأراه من الآيات ما أراه، ولا معنى لقول مَن قال: أسري بروحه دون جسده؛ لأن ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَذَلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون دليلاً على نبوته، ولا حُجَّة له على رسالته، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك، كانوا يدفعون به عن صدقه فيه؛ إذ لم يكن منكراً عندهم، ولا عِندَ أحد من ذوي الفطرة الصحيحة، من بني آدم، أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سَنَةٍ، فكيف ما هو مسيرة شهر، أو أقلَّ.

وبعد: فإن الله إنَّما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده، وليس جائزاً لأحد أن يتعدى ما قال الله إلى غيره، إلا أن الأدلةَ الواضحةَ، والأخبارَ المتتابعة عن رسول الله ﷺ أن اللّهَ أسرَى به على دابة، يقال لها: البراق، ولو كَان الإسراء بروحه.. لم تكن الروح محمولة على البراقِ، إذ كانت الدواب لا تَحْمِل إلا الأجساد اهـ.

والخلاصة: أن الذي عليه المعول عند جمهرة المسلمين، أنه أسري به ﷺ يقظة لا مناماً، من مكة إلى بيت المقدس، راكباً البراق، فلما انتهى إلى باب المسجد، ربط الدابة عند الباب، ودخله يصلي في قبلته، تحية المسجد ركعتين، ثم رَكِبَ البُرَاقَ وَعَادَ إلى مكة بغلسٍ.

إلمامةٌ في المعراج

يرى بعض العلماء أن عُرُوجَ النبي ﷺ السموات السبع، كَانَ بجسده وَرُوحه يَقَظة لا مَناماً لدليلين:

أ ـ آية الإسراء إذ صرح فيها بأنه أسرى بعبده، والعبد مجموع الروح والجسد، فوجب أن يكونَ الإسراء حَاصلاً بهما.

ب ـ الحديث المروي في الكتب الصحاح كالبخاري ومسلم، وغيرهما، وهو يدل على أن الذهاب من مكة إلى بيت المقدس، ثم منه إلى السمٰوات العلا، ثُمَّ إلى مستوى سمع فيه صريفَ الأقلام.

وأنكره آخرون، وأثبتوا أنَّ المعراج كان بالروح فحسب لوجوهٍ:

١ ـ أنَّ الحركة البالغة في السرعة إلى هذا الحد غير معقولة.

٢ ـ أنه لو صح ذلك لَكان أَعْظَمَ المعجزات، وكان يجب أن يظهر حين اجتماع الناسِ حتى يستدل به على صدقه في ادّعاءِ النبوة، فأما أن يحصل ذَلِكَ في وقت لا يراه فيه أحد، ولا يشاهده فيه مشاهد، فَإِنَّ ذلك عبث لا يليق بحكمة الحكيم.

٣ ـ أن الصعود بالجسم إلى العالم العلوي فوق طبقات معينة، مستحيلٌ، لأن الهواءَ معدوم، فلا يمكن أن يعيش فيه الجسم الحي، أو يتنفس فيه.

٤ ـ أن حديثَ المعراج اشتمل على أشياءَ في غاية البعد:

أ ـ شق بطنه، وتطهيره بماء زمزم، والذي يغسل بالماءِ هو النجاسات العينية، ولا تأثير لذلك في تطهير القلب من العقائد الزائغة، والأخلاق المذمومة.

ب ـ ركوب البراق ولا حاجة لَهُ بذلك؛ لأن العالم العلوي في غنى عن ذلك.

ج ـ أنه تعالى أوجب خمسين صلاةً، ولم يزل محمد ﷺ يتردد بين الله وموسى عليه السلام إلى أن عادَ الخمسون إلى خمس بسبب شفقة موسى عليهِ السلام، وهذا غير جائز، كما قال القاضي أبو بكر الباقلاني؛ لأنه يقتضي نَسْخَ الحكم قبل العمل به، وهذا بداء محال على الله سبحانه وتعالى.

د ـ لم يقل أحد من المسلمين بأَنَّ الأنبياء أحياء بأجسادهم في العالم العلوي، وإنما الحياة هناك حياة روحية لا جسمانية، والتخاطب، والكلام معهم، والصلاة بهم من الأمور الروحية، لا الجسمية، إذ لا يعقل غير هذا، وبهذا يثبت المعراج الروحي لا الجسماني.

ويمكن أن يجيب الأولون عن الاستبعادات العَقْلية بأن هذه معجزة، والله

تعالى قادر على خرق سننه بسنة أخرى، ككل معجزات الأنبياء، من انقلاب العصا حية، ثم عودتها في مدة قصيرة عَصاً صغيرةً كما كانت.

عظة وذكرى

إنا لنقف قليلاً لدى هٰذين الحادثَين الجليلين لنستخلص منهما أموراً هي الغاية في العظة والاعتبَارِ:

١ ـ أنَّ هاتَيْن الرحلتَيْن: الرِحلةَ الأرضيةَ «الإسراء» وَالرّحلة السماويةَ «المعراجَ» حدثتا في ليلة واحدة، قبل الهجرة بسنة، ليمحصَ الله المؤمنين، ويبينَ منهم صادق الإيمان، ومن في قَلْبِهِ منهم مرضٌ فيكون الأولُ خليقاً بصحبة رسوله الأعظم إلى دار الهجرة، والإنضِواءِ تَحْتَ لوائه، وجديراً بما يحتمله من أعباءٍ عظام، وتكاليف شاقَّة من حروب دينية، وقيام بدعوة عظيمةٍ، تستتبع همة قعساء، وإنشاء دولة تبتلع المعمورَ في ذلك الحين شَرْقاً، وغَرْباً.

٢ ـ أنَّ اللَّهَ تَعَالَى أطلع رسولَهُ على ما في هذا الكون أرضيةً وسماويةً من العظمة والجلال ليكون درساً عملياً لتعليم رسوله بالمشاهدة، والنظر، فإن التعليمَ بالمشاهدة أجدى أَنْوَاعِ التَّعْليم، فهو وإن لم يذهب إلى مدرسة، أو يجلسْ إلى معلم، أو يَسِيح في أرجاء المعمورة، أَوْ يصعد بالآلات العلمية إلى السماء، فَقَدْ كفل له ربه ذلك بما أراه من آياته الكبرى، وما أطلعه عليه من مشاهدة تلك العوالم الَّتي لا تصل أذهاننا إلى إدراك كنهها، إلا بضَرْبٍ من التخيُّل والتوهم، فأنى لَنَا أن نَصِلَ إلى ذلك، وقد حبس عَنَّا الكثير من العلم، ولم نؤت إلا قليله ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

٣ ـ أن ما يجدُّ كل يوم من ضروب المخترعات والتوصل بها إلى طي المسافات بوسائل الطيارات، وقطع المحيطات في قليل الساعات من قارَّة إلى قارَّة، ومن قطر إلى قطر، لَيَجْعَلُنَا نعتقد أنَّ مَا جَاء في وصف هاتين الرحلتين من الأمور الميسورة التي لَيْسَتْ بالعزيزة الحصول أو الأمور المستحيلةِ.

٤ ـ أن روحانيةَ الأنبياء تتغلب على كَثافَة أجسامهم، فَمَا يخيل إلينا من

العَوَائِقِ العلمية من صعوبة الوصول إلى الملأ الأعلى، لتخلخل الهواءِ، واستحالةِ الوصول إلَى الطبقات العليا من السماءِ، فَهُوَ إِنَّمَا يكون بالنظر إلى الأجرام والأَجْسام المشاهدة في عالم الحس، وإن لروحانية الأنبياء والملائكة أحكاماً لم يَصِلْ العقل البشريُّ إلى تحديدها، وإبداءِ الرأي فيها، وإنها لَفَوْقَ مستوى إِدْرَاكِهِ فأجدر بنا أنْ لا نطيل البَحْثَ فِيهَا، ولا التعمقَ في استقصاءِ آثارها.

٥ ـ أن ما جاء في الحديث من أن الرَّسولَ ﷺ صَلَّى إمَاماً بالأنبياء في عالم السمٰوات ليرشد إلى أن محمداً ﷺ جاء بشريعة، ختمت الشرائع السالفة كلها، وأتمتها، ومن أُوتُوهَا ألقوا الزعامة إليه، وصاروا مؤتمِّين به.

٦ ـ أن في هذا مغزى جديراً بطول التأمل والتفكير، وهو أن جميعَ الأنبياءِ كانوا في وفاقٍ وَوئام في الملكوت الأعلى بالقربِ من ربهم، الذي أرسلَهم أَفَلا يَجْدُر بمتّبعيهم أن يقتفوا سنة رسلهم، وأن يَجْعلوا أمرهم بينهم سلماً لا حرباً، وأن يجعلوا الشريعة الأخيرةَ، والقانُون الذي جاءَتْ به، هو الشريعةَ التي يُقضَى بها بين الناس، كما هو المتبع في القوانين الوَضْعِيَّة، فإِنَّ الَذِي يَجِبُ العمل به هو القانون الأخير، وهو يلغي جميع ما سبقه.

ولما ذكر الله سبحانه وتعالى تشريف مُحَمَّدٍ ﷺ بالإسراءِ، ذكر عَقِبَهُ تشريف موسى عليه السلام، بإنزال التوراة عليه مع ما فيه من دعوته عليه السلام إلى الطور، وما وقع فيه من المناجَاةِ جَمْعاً بين الأمرين المتحدين في المعنى، فقال: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: وأعطينا موسى التوراةَ جملةً واحدة بعدما أسريناه إلى الطورِ. ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾؛ أي: وَجَعَلْنَا ذلك الكتاب ﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: هَادِياً[1] لأولاد يعقوب، يهتدون إلى الحق، والصواب بما فيه من الأحكام، وأنْ في قوله: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ﴾ زائدة على قراءة التاء الفوقانية، و(لا) ناهية، والفعل مجزوم بحذف النون، والجملة: مقول لقول محذوف، والتقدير: وقلنا لهم: لا تتخذوا ﴿مِن دُونِى﴾؛ أي: غيري، وهو أحد مفعولي ﴿تَتَّخِذُواْ﴾ و(من) زائدة؛

---

(١) روح البيان.

أي: وقلنَا لهم لا تَتَّخِذوا غيري ﴿وَكِيلًا﴾؛ أي: ولياً، ونصيراً تكلون إليه أُمُورَكم، وعلى قراءة التحتانية (أنْ) مصدرية، ولا نافية، ولام التعليل مقدرة، والمعنى: وجعلناه هدًى لبني إسرائيل لئلا يتّخِذوا من دوني وَكِيلاً يَكِلون إليه أُمورهم.

والمعنى: أي[1] وأعطينا موسى التوراةَ، وجعلنا فيها هداية لِبَنِي إسرائيل، وَقُلْنَا لهم: لا تتخدوا من دوني وكيلاً، ووليّاً ونصيراً تكلون إليه أموركم، وهذه مقالة أَوْحَى اللَّهَ بها إلى كل نَبِيٍّ أرسلَه، أمرهم جَمِيعاً أن يعبدوه وَحْدَه لا شريك له، وأن لا يعوِّلوا في أمرٍ إلا عليه.

وقرأ ابن عباس[2]، ومجاهد، وقتادة، وعيسى، وأبو رجاء، وأبو عَمرو من السبعة: ﴿يتخذوا﴾ بالياء على الغيبة وباقي السبعة بتاء الخطاب وقد جاءت هذه الآية عَقِبَ ذِكْر آية الإسراءِ بالنبي ﷺ من قِبَلِ أَنَّ موسى أوتي التوراةَ بمسيرهِ إلى الطورِ، كما أسريَ بمحمد إلى بيت المقدس.

ثم نبّه إلى عظيم شرف بني إسرائيل، وإتمام نعمته عليهم، ليكونَ في ذلك تهييجٌ لهم، وبَيان لعظيم المِنّةِ عليهم، فقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾؛ أي: يا ذرية مَنْ حَمَلْنَا مع نوح في السفينة، لا تتخدوا من دوني وكيلاً، والمرادُ: تأكيد الحمل على التوحيد، بتذكير إنعامه عليهم في ضمن إنجائِهِ آباءَهم من الغرق في سفينة نوحٍ، قال في «الكواشي»: هذا منة على جميع الناس، لأنَّهم كلَّهم من ذرية مَنْ أَنْجَي في السفينة من الغَرَق، والمعنى: كانوا مُؤمنِينَ فكونوا مثلَهم، واقْتَفوا بآثار آبائكم ﴿إِنَّهُ﴾؛ أي: إن[3] نوحاً عَلَيْهِ السلام ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾؛ أي: كثير الشكر في مجامع حالاته، وَكَانَ إذا أكل قال: الحمد لله الذي أطعمني، ولو شاءَ.. أجاعني، وإذَا شَرِبَ قالَ: الحمدُ لله الذي سقاني، ولو

---

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

(٣) روح البيان.

شاءَ.. أظمأني، وإذا اكتسى قال: الحمد لله الذي كساني، ولو شاءَ.. جرَّدني، وإذَا تغوَّط.. قال: الحمد لله الذي أخرج عني أذاه في عافية، ولو شاء.. حبسه.

والمعنى: أي يا سلالة ذلك النبي الكريم الذي شمله الله بجميل رعايته، وأنجاه مِنْ غَرَقِ الطوفان بما أَلْهَمَهُ من عمل السفينة التي حَمَلَ فيها من كل زوجين اثنين، أنتم من حفدة أبنائه، فَتَشَبَّهُوا بأبيكم، واقتدوا به، فإنه كَانَ عَبْدَاً شَكُوراً؛ أي: مبالغاً في الشكر بصرفه كلَّ ما أنْعَمَ الله به عليهِ فيما خلق لأجله، فاللّسَان لذكر الله، والعقل للفكر فيما خلَقَ الله والبصر للتأمل فيما صنع الله، وهكذا بقية الحواس، وَأعْضَاءَ الجسم.

أخرج ابن مردويه عن معاذ بن أنس الجهنيّ أن النبي ﷺ قال: «إنَّ نوحاً كَانَ إذا أمسى، وأصبح قال: سبحان الله حين تمسون، وحين تصبحون، وله الحمد في السموات والأرض، وعشياً وحين تظهرون».

وأخرج ابن جرير، والبيهقي، والحاكِمُ عن سلمانَ الفارسِي قال: «كان نوح إذا لَبِسَ ثوباً، أَوْ أطعم طَعَاماً حَمِدَ اللَّهَ تَعَالى، فسمي عبداً شَكُوراً»، وفي هذا إيماء إلى أن إنجاءَ من كان مَعه كَانَ بِبَرَكَةِ شُكْرِهِ، وفيه حثٌّ للذرية على الاقتداءِ بِهِ، وزجرٌ لهم عن الشرك الذي هو أفظع مراتب الكفر.

وقرأ زيد بن ثابت[1]، وأبان بن عثمان، وزيد بن علي، ومجاهد في رواية، بكسر ذال ﴿ذِرية﴾ وقرأ مجاهد أيضاً بفتحها، وعن زيد بن ثابت ﴿ذَرِيَّة﴾ بفتح الذال، وتخفيف الراء وتشديد الياء على وزن فعلية، كمطية، وقرىء ﴿ذُرِيَّةُ﴾ بالرفع شاذاً على تقديرهم ذرية، أو عَلَى البدل من الضمير في ﴿يتخذوا﴾ على القراءة بالياء لأنه غيب، ثمَّ بيَّن سبحانه أنه أَنْعَمَ على بني إسرائيل بالتوراة، وجعلها هُدىً لهم، لكنهم لَمْ يهتدوا بهَا فقال: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: أوحينا إليهم، وأعلمناهم، وأخبرناهم ﴿فِى﴾ ما آتيناهم من ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي:

---

(١) البحر المحيط.

التوراة، وكان إنزالها على نبيهم موسى، كإنزالها عليهم، لكونهم قَوْمَه وقيل: المراد بالكتاب: اللوح المحفوظ، والمعنى، وَقَضَيْنَا: أي: حكمنا على بني إسرائيل في اللوح المحفوظ، قضاء مبتوتاً، وحكماً مَقْطَوعاً، و(اللام) في قوله: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: موطئة لقسم محذوف؛ أي: وعزتي وجلالي لتفسدن في أرض الشام، وبيت المقدس، أو أرض مصر بالمعاصي والظلم ﴿مَرَّتَيْنِ﴾؛ أي: إفسادتين: أولاهما: مخالفة أحكام التوراة، وقَتْلُ شِعْيَاءَ، وحبس أرْمِياءَ، وثانيتهما: قتل زكريا، ويحيى، وقصد قَتْل عيسَى عليهم السلام؛ أي: لتفسدن فيهَا إفساداً بعد إفساد ﴿وَلَتَعْلُنَّ﴾؛ أي: ولتستكبرنَّ فيها عن طاعة الله تعالى أو لتظلِمُن الناس ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ أي اسْتِكْبَاراً مجاوِزاً الحد، أو ظُلماً فَاحشاً، وهذه (اللام) كاللام التي قبلها، والمعنى أي وأوحينا[١] إلى بني إسرائيل فيما أنزلناه في التوراة على موسى، فأعلمهم به، لتعصن اللّهَ، ولتخالفنَّ أمرَه مرتين، أولاَهما: تغيير التوراة، وقتل شعيا عليه السلام، وحبس أرميا حين أنذَرهم سخط اللّهِ، والثانية: قتل زكريَا، ويحيىٰ وقصدهم قتل عيسى عليهم السلام.

وقيل: سبب قتل زكريَا أنَّهُم اتهموه بِمَرْيَمَ، قيل: قالوا: حين حَمَلَتْ مَرْيَمُ ضيَّعَ بِنْتَ سَيِّدِنَا حتى زنت، فقطعوه بالمنشار في الشجرة. ولتستكبرن في الأرض عن طاعة الله تعالى، ولتبغن على الناس، ولتظلمنَّهم ظلماً شديداً تفرطون فيه، وتبلغون أقصَى الْغَايَةِ.

وقرأ الجمهور[٢]: ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ بالإفرادِ، والظاهر أن يرادَ به التوراة، وقَرأَ أبو العالية، وسعيد بن جبير ﴿في الكتب﴾ على الجمع، فاحتملَ أن يرادَ به الجنس، وقرَأ الجمهور: ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ بضم التاء، وكسر السين من أفسد الرباعي، وقرأ ابن عباس، ونصر بن علي، وجابر بن زيد: ﴿لَتُفْسَدَن﴾ بضم التاء، وفتح السين مبنياً للمفعول؛ أي يفسدكم غيركم، فقيل: من الإضلال، وقيل: من

---

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

الغلبة، وقرأ عِيسَى: ﴿لَتَفْسُدُنَّ﴾ بفتح التاء، وضم السين، أي فسدتم بأنفسكم بارتكاب المعاصي، وقرأ الجمهور: ﴿عُلُوًّا﴾ بوزن عتواً، وقرأ زيد بن علي: ﴿علياً كبيراً﴾، ولكن التصحيح في فعول المصدر أكثر من الإعلال كقوله: وعَتَوا عُتُوّاً كبيراً، بخلاف الجمع، فإن الإعلال فيه هو المقيس.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾؛ أي: وعد عقاب أولى المرتين؛ أي: فإذا حان وقرب وَقْتُ العقاب الموعود به في أولى الإفسادَتَين ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: سَلَّطْنَا عليكم لمؤاخذتكم بجناياتكم ﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾ قيل[1]: هم بختنصر، وجنوده، وقيل: جالوت وجنوده، وقيل: جند من بابل، وأكثر ما يقال: عباد الله، وعَبِيدُ الناس، والإضافة[2] فيه لبيان كونهم مَظَاهِرَ الاسم المذلّ المنتقم القهَّار، كما يفيده مقام العظمةِ، لا للتشريف، فإن الكَافِرَ ليس من أهله، ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾؛ أي: أصحابَ قوة في الحروب، وبطش عند اللقَاءِ، وهذا كقولهم: ظل ظليل؛ لأن البَأْسَ يتضمن الشدةَ؛ أي ذَوِي قوة وبطش في الحروب ﴿فَجَاسُواْ﴾؛ أي: جَاسَ أولئك العباد، وترددوا ﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾؛ أي: خلالَ دياركم وأوساطها، من الجوس، وهو التردد خلال الدور والبيوت في الغارة؛ أي: مَشَوا في وسط المنازل، أو في أوساطها للقتل والأسر، والغارة، وطافوا بَيْنَها لِيَنْظُروا هل بقي منهم أحدٌ لم يَقْتُلُوه، فَقَتَلوا علماءَهم، وكِبَارَهُم، وحرَّقوا التوراةَ، وخرَّبوا المسجدَ، وسَبُوا منهم سبعينَ ألفاً، وذلك من قبيل تولية بعض الظالِمِينَ بعضاً مما جرت السنة الإلهية، ﴿وَكَانَ﴾ ذلك؛ أي: وعد عقابهم في المرة الأولى، فالضمير في، ﴿وَكَانَ﴾ عائد على وعد أولاهما، وفي «الجمل»: ﴿وكان﴾؛ أي: البعث المذكور، وجوس الأعداء ﴿وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾؛ أي: وعداً لا بد منه أن يُفْعَلَ.

والمعنى: أي[3] فإذا حان وقت حلول العقاب الموعود، أرسلنا عَليكم لمؤاخَذَتِكُم بجنايتكم عِبَاداً لنا أُولي بطش شديد في الحروب، قيل: هم سنحاريب ملك بابل وجنوده، فأوغلوا في البلادِ، وترددوا بين الدور، والمساكن

---

(١) الشوكاني.
(٢) روح البيان.
(٣) المراغي.

لِلْقَتْلِ والسلب والنهب، وقَتَلُوا علَمَاءَكم، وكبراءَكم، وأحرقوا التوراة، وخربوا بيت المقدس، وسبوا منكم عدداً كثيراً، وكَانَ ذَلِكَ وَعْداً نَافذاً لا مَرَدَّ له؛ أي: وعداً منجزاً.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿فَجَاسُواْ﴾ بالجيم، وقرأ أبو السمال وطلحة: (فَحَاسُوا) بالحاء المهملة، وقرىء (فتجوَّسوا) على وزن تكسَّروا بالجيم، وقرأ[2] الحسن، وابن جبير، وأبو المتوكل، وأبو رزين (خلل الديار) بفتح الخاء، واللام، من غير أَلِف بالإفراد فيجمع على خِلاَلِ كجبل وجبال، ويجوز أن يكونَ خِلاَلَ مفرداً كالخلل وَهُوَ: وسط الديارِ وما بينها ﴿ثُمَّ﴾ بعد عقوبة أولاهما ﴿رَدَدْنَا لَكُمُ﴾ يَا بَني إسرائيل؛ أي: أعدنا لكم ﴿ٱلْكَرَّةَ﴾؛ أي الدولة والغلبةَ والرَّجعةَ ﴿عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على الذين فَعلُوا بكم ما فعلوا بعد مئة سنة، حين تبتم ورجعتم من الإفساد، والعلو، وذلك حين قَتَلَ داود جالوتَ، وقيلَ: حين قُتِلَ بُخْتُنَصَّر.

تلخيصه: بعد ظفرهم بكم أظفرنَاكُم بِهم، والكَرَّة في الأصل المرة، و(عليهم) متعلق بها؛ لأنه يقال كر عليه إذا عطف عليه ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم﴾؛ أي: قويناكم، وأعطيناكم ﴿بِأَمْوَٰلٍ﴾ كثيرَةٍ بعدما نهبت أموالكم ﴿وَبَنِينَ﴾ عديدة بعدما سبيت أولادُكم؛ أي بسطنا عليكم رِزْقَ الأموالِ، والأولادِ حَتَّى عَادَ أمركم كما كان ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾؛ أي: رِجَالاً وعَدَداً مما كنتم عليه أولاً، أو أكثرَ عدداً ورِجَالاً من عدوكم، أو أكثر خروجاً إلى الغزو؛ لأنَّ النفيرَ يكونُ مصدراً بمعنى الخروج إلى الغزو، والنَّفِيرُ من يَنْفِرُ مع الرجل من عشيرته.

والمعنى: أي ثم[3] رَجعت لكم الدولة والغلبة على الذين فعلوا بكم ما فعلوا حِينَ تبتم ورجعتم عما كنتم عليه من الإفساد، والعلو، فَغَزَوْتُم البَابِلِيِّيْنَ واستَنْقَذْتُم الأسْرَى، والأموال، ورجع المُلْكُ إليكم، وكثرت أَمْوَالُكُم بعد أن نهبت، وأولادُكم بعد أن سُبيت، وصِرتُم أكثرَ عَدَداً، وأعظم قوة مما كنتم قبل،

---

(1) البحر المحيط.
(2) زاد المسير.
(3) المراغي.

وذلك بِفَضْلِ طاعته تعالى، والإخبات إليه، ومِن ثَمَّ قال: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾؛ أي: أفعالَكم، وأقوالَكم على الوجه المطلوب منكم ﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: لغرض أنفسكم؛ لأن ثَوابَ ذلك عائد إليكم، ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ أفْعالَكم، وأقوالَكم فأوقعتموها، لا على الوجه المطلوب منكم، ﴿فَلَهَا﴾؛ أي: فَعَليها؛ أي[1]: إحسان الأعمالِ وإساءتها، كلاهما مختص بكم، لا يتعدى ثوابها ووبالها إلى غيركم، فـ(اللام) على أصلها، وهو الاختصاص قال[2] في تفسير «النيسابوري» قال أهل الإشارة: إنه أعاد الإحسان مرتين ولم يذكر الإساءة إلا مرَّة، إشارة إلى أنَّ جَانِبَ الرحمة أَغْلَبُ، ويجوز أنْ يَترك تَكْرِيرها استهجاناً لها.

والمعنى: أي[3] ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ فأطعتم اللّهَ، ولزمتم أمره، وتركتم نهيه ﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ لأنكم تنفعوها بذلك في دنياها وآخرتها، أما في الدنيا: فإنَّ اللّه يدفَع عنكم أذَى من أرادكم بسوء، ويرد كيده في نحره، وينمي لَكُم أموالَكم، ويزِيدكم قوةً إلى قوتكم، وأما في الآخرة: فإن الله يثيبكم جَنَّات تَجْرِي من تحتها الأنهار، ويرضَى عنكم ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، وإن أسأتم، فعصيتم ربكم، وفعلتم ما نهاكم عنه، فإلى أنفسكم تسيؤون، لأنكم تسخطونه، فيسلّط عليكم في الدنيا أَعْدَاءَكم، ويمكّنَ منكم من يبغي بكم السوء، ويلحق بكم في الآخرة العذابَ المهين ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي: وعد عقوبة المرة الآخرة ـ أي: الثانية ـ أي: حَانَ وقت ما وعد به من عقوبة المرة الآخرة من الإفسادين، والمرة الآخرة هي قصدهم قَتْلَ عِيسَى فخلصه الله منهم، ورفَعَه إليه، وقتلوا زَكَرِيَّا ويحيى فسلط الله عليهم الفرس والرُّوم فَسبَوهم وقتلوهم.

وجَوَاب ﴿إِذَا﴾ محذوف دل عليه جواب إذَا الأولى؛ أي: فَإذا جاء وعد الآخرة بعثنا عليكم عباداً لنا ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾؛ أي: ليفْعلوا بكم ما يسوء وجوهكم حتى تظهر عليكم آثارُ المساءة، وتتبيَّن في وجوهكم الكآبة، والحزن.

---

(١) روح البيان.
(٢) روح البيان.
(٣) المراغي.

وقيل: المراد بالوجوه: السادة منهم؛ أي: لِيَحْزِنُوكُم بالقتل والسبي حزناً يظهر في وجوهكم.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿لِيَسُـُٔوا﴾؛ أي: قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: لِيَسُوؤوا بلام كي، وياء الغيبة، وضمير الجمع الغائب العائد على المبعوثين؛ وبالهمز بين الواوين، وقرأ ابنُ عامر، وحمزة، وأبو بكر، عن عاصم ﴿لِيَسُوءَ وجوهكم﴾ بالياء، وهمزة مفتوحة على الإفراد، والفاعل المضمر عائِدٌ على الله تعالى، أو على الوَعْدِ أَوْ عَلَى البعث الدال عليه جملة الجزاء المحذوفة، وقرأ علي بن أبي طالب، وزيد بن علي، والكسائي: ﴿لِنَسُوء﴾ بالنون التي للعظمة، وفيها ضمير يعود على الله، وقرأ أبي ﴿لنسوءن﴾ بلام الأمر، والنون التي للعظمة، ونون التوكيد الخفيفة آخراً، وعن علي أيضاً ﴿لنسوءن﴾ و﴿ليسوءن﴾ بالنون والياء، ونون التوكيد الشديدة، وهي لام القسم، ودخلت لام الأمر في قراءة أُبيٍّ على المتكلم، كقوله تعالى: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ وجواب إذا هو الجملة الأمرية، على تقدير الفاء وَفي مصحف أبيّ ﴿ليسىء﴾ بياء مضمومة بغير واو، وفي مصحف أنس ﴿ليسوء وجهكم﴾ على الإفراد، ومعنى ﴿لِيَسُـُٔوا وُجُوهَكُمْ﴾؛ أي: ليدخلوا عليكم الحزنَ بما يَفْعَلُونَ من قتلكم وسبيكم، وخصت المساءاة بالوجوه، والمراد: أصحاب الوجوه لِمَا يَبْدُو عليها من أثر الحزن والكآبة. وقوله: ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ﴾ معطوف على ﴿لِيَسُـُٔوا﴾؛ أي: وليدخلوا مسجد بيت المقدس، فيخرِّبوه ﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾ في المرة الأولى ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾؛ أي: وليدمّروا ويهلكوا، ويهدِّموا، ويخرّبوا ﴿مَا عَلَوْا۟﴾؛ أي: ما غلبوا عليه من بلادكم، أو مدة عُلُوِّهِم ﴿تَتْبِيرًا﴾؛ أي: تَدْمِيراً، ذكر المصدر إزالة للشك، وتحقيقاً للخبر.

ومعنى الآية: أيْ فَإذا جاء وَقْت حلول العقاب على المرة الآخرة من مرتي إفسادكم في الأرض، بعثنا أَعْداءَكم ليجعلوا آثار المساءة والكآبة باديةً في وجوهكم «فإن الأعراضَ النفسيةَ تظهر في الوجوه، فالفرح يظهر فيها النضارة، والإشراق، والحزنُ والخوفُ يظهر فيها الغبرةَ والقتَرةَ» ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ﴾ قَاهِرِينَ

(١) البحر المحيط.

فاتحِينَ مذلين لَكُم كما دخلوه أول مَرَّة، وليهلكوا ما ادخرتموه وخزنتموه، تَتْبِيراً شَدِيداً فلا يبقون منه شيئاً.

والذي أثبته اليهود في تواريخهم[١]: أن الذي أغارَ عليهم أولاً وخرب بيت المَقْدِس هو بختنصر، وكان ذلك زمن إرميا عليه السلام، وقد أنذرهم مَجيئَهُ صريحاً بعد أن نَهَاهُمُ عن الفساد وعبادة الأوثان والأصنام، فحبسوه في بئر، وجرحوه، وأن الذي أغَارَ عليهم ثَانِياً هُوَ أسبيانوس قيصر الروم، وكان بين الإغارتين على ما قيل نحو من خمس مئة سَنَةٍ، وعلى الجملة فمعرفة من بعث إليهم بأعيانهم وتواريخ البعوث مما لا يَتَعَلّق به غرض كبير؛ لأن المرادَ أنه كلما كثرت مَعَاصِيهم.. سلط اللّهُ عليهم مَنْ ينتقم منهم، مرة بعد أخرى، وظاهر الآية يدل على اتحادِ المبعوثين أولاً وَثَانِياً.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾؛ أي: حققَ ربكم يا بَني إسرائيل ﴿أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد انتقامه منكم في المرة الثانية، بإمداده إياكم في الأموال، والأولاد، إن تُبْتُم تَوْبَةً أخرى، وانْزَجَرْتُم عن المعاصي، فَتَابُوا فرحمهم، ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ مرة ثالثةً إلى المعاصي ﴿عُدْنَا﴾ إلى عقوبتكم.

قال أهل السير[٢]: ثُمَّ إنهم عادوا إلى ما لا ينبغي، وهو تكذيب محمد ﷺ وكتمانُ ما ورد من بعثه في التوراةِ، والإنجيل فَعَادَ الله إلى عقوبتهم، على أيدي العرب، فجرى على بني قريظة، والنضير، وبني قينقاع، وخيبر، ما جرى من القتل، والسبي، والإجلاء، وضرب الجزية على من بقي منهم، وضرب الذلة والمسكنة.

والمعنى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد البعث الثاني إن تبتم وازدجرتم عن المعاصي، وقد حقق الله لهم وعده، فكثر عددهم، وأعزهم بعد الذلة، وجعل منهم الملوكَ والأنبياء، ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾؛ أي: وإن عدتم لمعصيتي، ومخالفة أمري، وقتل رسلي، عدنا عليكم بالقتل، والسبي، وإحلال الذل والصغار بكم،

---

(١) المراغي. (٢) الشوكاني.

وقد عادوا فعاد الله عليهم، بعقابه، فقد كذبوا النبي ﷺ وهموا بقتله، فسلطه اللَّهُ عليهم، فقتلَ قُرَيْظة، وأجلى بني النضير، وضرب الجِزْيَة على الباقين، فهم يعطونها عن يد وهم صاغرون، ولا مُلْكَ لهم ولا سلطان.

﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾؛ أي[1]: محبساً ومقراً يحصرون فيه لا يستطيعون الخروج، منهَا أبدَ الآباد، فهو فعيل بمعنى فاعل؛ أي[2]: حاصرة لهم، ومحيطة بهم، فصرف من حاصرةٍ إلى حصير، كما صرِف مُؤلِم إلى أَلِيم، وتذكيرُهُ إما لكونه بمعنى النّسْبَةِ، كلابن وتَامِرِ، أو لحمله على فعيل بمعنى مفعول، أو بالنظر إلى لفظ (جهنم) إذ ليس فيه علامة التأنيثَ، وعن الحسن: حَصِيراً؛ أي: بِسَاطاً، وفِرَاشاً، كما يبسط ويفرش الحصيرُ المَرْمُولُ، والحصيرُ: المنسوج، وإنَّما سُمِّيَ الحصيرُ؛ لأنه حصرت طاقاته بعضها فوق بعض.

واعلم: أن جهنم عَصَمني الله وإياكم عنها من أعظم المخلوقات، وهي سجن الله في الآخرة يسجن فيه المعطلة؛ أي: نفاة الصانع والمشركون، والكافرون، والمنافقون، وأهل الكبائرِ من المؤمنينَ، ثُمَّ يخرج بالشفاعة وبالامتنان الإلهي من جاء النص الإلهي فيه؛ أي[3]: إنه تعالى جَعَل جَهَنَّمَ للكافرين به بِسَاطاً، ومهاداً كما قال: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ وقال ابن عباس وغيره: جعلناها سجناً محيطاً بهم حابساً لهم لا رجاء لهم في الخلاص منه.

وخلاصةُ ذلك: أن لهم في الدنيا ما تَقَدَّمَ وصفه من العذاب، وفي الآخرة ما يكون محيطاً بهم من عذاب جهنم، فلا يتخلصون منه أبداً، وفي الكرخي: والمعنى: أن عذاب الدنيا، وإن كان شديداً، إلا أنه قد يَتَفَلَّتُ بعض الناس عنه، والذي يقع فيه يَتَخَلَّصُ إما بالموت، أو بطريق آخر، وأما عذاب الآخرة، فإنه يكون محيطاً بهم، لا رجاءَ في الخلاص منه اهـ.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ الذي آتيناك يا محمد ﴿يَهْدِي﴾ الناس كافةً لا فرقةً

---

(١) روح البيان.

(٢) زاد المسير.

(٣) المراغي.

مخصوصةً منهم، كدأب الكتاب الذي آتيناه موسى ﴿لِلَّتِي﴾، أي للطريقة التي ﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾ الطرائق وأسدها، وأصوبها، أي يهدي إلى الطريقة التي هي أقوم من غيرها من الطرق، والملل، وهي ملة الإسلام، أو يَهْدِي للحالة التي هي أقوم من غيرها من الحالات، وهي توحيد الله، والإيمان برسله، والمراد[1] بهدايته لها: كونه بحيث يهتدي إليها من يتمسك به، لا تحصيل الاهتداءِ بالفعل، فإنَّه مَخْصُوصٌ بالمؤمنين ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بما في تضاعيفه من الأحكام والشرائع ﴿ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ التي شرحت فيه، ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾؛ أي: بأنَّ لهم بمقابلة تلك الأعمال ﴿أَجْرًا كَبِيرًا﴾؛ أي: ثواباً عظيماً بِحَسَبِ الذات، وبِحَسَبِ التضعيف عشر مرات فصاعداً.

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ معطوف على جملة يبشّرُ بإضمار يخبر؛ أي: وإن هذا القرآن الذي أنزل عليك يخبر ويبين بأن الذينَ لا يؤمنون ﴿بِٱلْآخِرَةِ﴾، وأحكامها المشروحة في القرآن من البعث، والحساب، والجزاءِ، وأنكروا وجودَها ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾؛ أي: هيأنا لهم في الآخرة ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وهو عذاب جهنم، ويجوز أن يكونَ معطوفاً على ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ فالمعنى أنه يبشّرُ المؤمنين ببشارتين: ثوابهم، وعقاب أعدائهم، فإنَّ المرء يستبشر ببلية عَدُوِّهِ، وقرأ الجمهور ﴿وَيُبَشِّرُ﴾ مُشَدَّداً مضارع بَشَّر المشدد، وقرأ عبد الله، وطلحة، وابن وثاب، والأخوان: ﴿ويَبْشرُ﴾ مضارع بَشَرَ المخفف.

والحاصل: أن الله سبحانه وتعالى مَدَحَ[2] في هذه الآية كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ، ووصفه بصفات ثلاث:

١ ـ أنه يرشِدُ مَن اهتدى به للسبيل التي هي أقوم السبل، وهي ذلك الدين القيم، والملة الحنيفية السمحاءُ التي أهم دعائمها: الإخباتُ لله، والإنابة إليه، واعتقاد أَنَّهُ واحدٌ لا شريكَ له، وأنه صاحب الملك والملكوت، وهو الحي الذي لا يموت، وهو الفردُ الصمد الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

٢ ـ أنه يبشر المؤمنين بالله ورسوله الذين يعملون صالح الأعمال، فيأتمرون بما أمر به، وينتهون عما نهاهم عنه، بالأجر العظيم يَوْمَ القيامة كفاءَ ما قدموا لأنفسهم من عمل صالح.

٣ ـ أنه ينذر الذين لا يصدقون بالميعاد، ولا يقِرون بالثوابِ والعقاب في الدنيا، فلا يتحاشون رُكُوبَ المعاصي، بالعذاب الأليم الموجع جزاءَ ما دنسوا به أنفسهم من الكفر، واجتراحِ الآثام، ويدخل في هؤلاءِ أهل الكتاب، لأن بعضهم ينكر الثوابَ والعقابَ الجسمانيين، وبعضهم يقول: لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات، وإطلاق البشارة على العقاب من قبيل التهكم كما في قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

وبعد أن بين حَالَ الهادي، وهو الكتاب الكريم بَيَّن حالَ المهدي، وهو الإنسان فقال: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾.

قال أبو حيان: مناسبة هذه الآية لما قبلها[1]: أن بَعْض من لا يؤمن بالآخرة، كان يدعو على نفسه بتعجيل ما وعد به من الشر في الآخرة، كقول النضر بن الحارث ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً...﴾ الآية، والمراد بالإنسانُ: الجنس لوقوع هذا الدعاءِ من بعض أفرادِهِ؛ أَيْ ويدعو الله سبحانه الإنسان عند غَضَبِهِ بالشر والضرر على نفسه، وأهلهِ وَمَالِهِ وولده ﴿دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ في الإلحاح، أي دعاء مثل دعائه لهم بالخير، والرزق، والعافية، والرحمة ويستجاب له، فلو استجيب له إذا دعاه باللَّعْن كما يجاب له بالخير لَهَلَكَ أو المعنى[2]: إن الإنسانَ قد يبالغ في الدعاء طلباً لشيء يعتقد أن خَيْرَهُ فيه مع أن ذلك الشيءَ يكون منبع ضرره، وهو يبالغ في طلبه لجهله بحال ذلك الشيء، وإنما يقدم على مثل هذا العمل لكونه مغتراً بظاهر الأمور، غير متفحِّص عن حقائقها وأسرارها.

روي: أن النضر بن الحارث قال: (اللهم انصر خير الحزبين، اللَّهُمَّ إِنْ كان هذا هو الحَقَّ من عندك...) إلى آخره، فأجاب الله دعاءَه، وضربت رقبته

---

(١) البحر المحيط.
(٢) المراح.

يَوْمَ بدر.

وحذفت الواو من ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ في رسم المصحف اتباعاً لخط اللفظ لعدم التلفظ بها لوقوع اللام الساكنة بعدها، كقوله: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ونحو ذلك. ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ بحسب جبلته ﴿عَجُولًا﴾؛ أي: كثير العجل يسارِعُ إلى طلب ما يخطر بباله، ولا ينظر عاقبته، ولا يتأنى إلى أن يزول عنه ما يَعْتَريه، فالإنسان[1] عَجُولٌ قولاً وفعلاً يتمادى في الأعمال الموجبة للشر والعذاب، وفي الأثر: «المؤمن وقاف والمنافق وثابٌ».

وروي أن آدم قال لأولاده: كل عَمَلٍ تريدون أن تَعْمَلُوا فقفوا له ساعة، فإني لو وقفت ساعة.. لم يكن أصابني ما أصابني. وَقَال أعرابي: إياكم والعجلة، فإن العَرَبَ تكنِّيها أمَّ الندامات.

قيل: العجلة من الشيطان، إلا في ستة مواضع: أداء الصلاة إذا دخل الوقت، ودفن الميت إذا حضر، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا وجب، وإطعام الضيف إذا نزل، وتعجيل التوبة إذا أذنب.

ولما ذكر سبحانه دلائل النبوة والتوحيد، أكَّدها بدليل آخر من عجائب صنعه، وبدائِع خلقه، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ قدم الليل؛ لأن فيه تظهرُ غُرَرُ الشهور، ولأنه الأصل؛ أي: جعلناهما بسبب تعاقبهما، واختلافهما في الطول والقصر ﴿ءَايَتَيْنِ﴾ دالتين على وجود الصانع القدير، ووحدته، إذ لا بد لكل متغير من مغير، وإنما قال[2]: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ بالتثنية، ولم يقل آية كما قال في موضع آخر ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ بالإفراد لأن الليلَ والنهار ضدان بخلاف عيسى ومريم، وقيل: لأن عيسَى ومريمَ كانَا في وقت واحد، والشمسُ والقمرُ آيتان، لأنهما في وقتين، ولا سبيل إلى رؤيتهما معاً بصفتهما الرئيسية؛ أي[3]: جعلنا الليلَ والنهارَ علامَتين دالتين على تمام علمنا، وكمال قدرتنا، فلما

(١) روح البيان.
(٢) روح البيان.
(٣) المراح.

بين سبحانه وتعالى أن هذا القرآن يدل على الطريق الأقوم ذكر الدلائل الدالة على وحدته تعالى وهو عجائب العالم العلوي والسفلي، فالقرآن نعم الدين، ووجود الليل والنهار نعم الدنيا، فلولاهما.. لمَا حصل للخلق الراحة، والكسب، والقرآن ممتزج من المحكم والمَتَشَابِه، فكذلك الدهر مركب من الليل والنهار، فالمحكم كالنهار، والمتشابه كالليل، فكما أنَّ المقصود من التكليف لا يتم إلا بذكر المحكم والمتشابه، فكذلك الزمان لا يحصل الانتفاع به إلا بالليل والنهار، و(الفاء) في قوله: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ تفسيرية[1]، والإضافة بَيَانِية كما في إضافة العدد إلى المعدود؛ أي: فمحونا الآية التي هي الليل، والمحو في الأصل إزالة الشيء الثابت، والمراد هنا إبداعها، وخلقها ممحوة الضوء مطموسة كما في قولهم: سبحانه من صغَّر البعوض، وكبَّرَ الفيل؛ أي: أنشأهُمَا وخَلَقَهُما كذلك، بقرينة أن محوَ الليل في مقابلة جعل النهار مضيئاً، ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ﴾؛ أي: الآية التي هي النهار ﴿مُبْصِرَةً﴾، أي: مضيئةً تبصر فيها الأشياء وصفها بحال أهلها.

ويجوز أن تكون الإضافة في الموضعين حقيقيةً، فالمراد بآية الليل والنهار القمر والشمس، والمعنى حينئذٍ ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾، وهي القمر، أي[2] طمسنا نورها؛ لأنه يبدو في أول الأمر على صورة الهلال، ثُمَّ لا يزال يتزايد نوره حتى يصير بدراً كاملاً ثم يشرع في الانتقاص قَلِيلاً قَلِيلاً إلى أن يعود إلى المحاق ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ﴾ وهي الشمس ﴿مُبْصِرَةً﴾؛ أي مضيئةً ذات أشعة تظهر بها الأشياء المظلمة، فالإضاءَة سبب لحصول الإبصار.

روي[3]: أن الله تعالى خَلَق كلاً من نور الْقَمَرِ والشمس سبعينَ جُزْءاً، ثُمَّ أمر جبريلَ فمسح بجناحه ثلاثَ مَرَّاتٍ فمحا من القمر تسعة وَسِتّينَ جزأ، فحولها إلى الشمس لِيَتَمَيَّزَ الليل من النهار، إذ كان في الزمن الأول لا يُعرف الليل والنهار، فالسواد الذي في القمر أثر المحو، وهذا السواد في القمر بمنزلة الخال

---

(١) روح البيان.

(٢) المراح.

(٣) روح البيان.

على الوجه الجميل ولما كان زمان الدولة العربية الأحمدية قمرياً ظهر عَلَيْهِ أثر السيادة على النجوم، وهو السواد، لأنه سيد الألوان، كما ظهر على الحجر المكرم الذي خرج من الجنة أبيض أثر السيادة بمبايعة الأنبياء والأولياء عليهم السلام، وجعل الله شُهورَنَا قمرية لاَ شَمْسِية تنبيهاً من الله للعارفين أن آياتهم ممحوة من ظواهرهم، مصروفة إلى بواطنهم، فاختصوا من بَيْن جمِيعِ الأمم الماضِيَةِ بالتجليات الخَاصة.

وحاصل المعنى: أي وجعلنا الليل والنهار دَلِيلَيْنِ للخلق على مصالح الدين والدنيا، أما في الدّين: فلأن كلاًّ منهما مضاد للآخر، ومخالف له مع تعاقبهما على الدوامِ، وَهَذا من أَقْوَى الأدلة على أنه لا بد لهما من فاعل مدبر، يقدرهما بمقادير مخصوصة، وأما في الدنيا فلأن مصالحها لا تتم إلا بهما، فلولا الليل.. لما حصل السكون، والراحة، ولولا النهار.. لما حصل الكسب، والتصرف في وجوه المعاش ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾؛ أي: فمحونا آية هي الليل؛ أي: جعلنا الليلَ ممحو الضوءِ، مطموسه مظلمة لا يستبين فيه شيء، كَما لا يستبين ما في اللوح الممحو، رُوي ذلك عن مجاهد، ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ﴾؛ أي: وجعلنا الآية التي هي النهار مضيئة، و﴿مُبْصِرَةً﴾ يبصر فيها أهلها، وقرأ قتادة، وعلي بن الحسين ﴿مَبصَرة﴾ بفتح الميم، والصاد، وهو مصدر: أقيم مقامَ الاسم، وكثر ذلك في صفات الأمكنة، كقولهم: أرض مَسْبَعَة، ومَكَانَ مَضَبَّة.

وقوله: ﴿لِّتَبْتَغُوا۟﴾ متعلق بقوله[1] ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي لتطلبوا لأنفسكم في بياض النهار ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي رِزْقاً من ربكم، وسماه فضلاً؛ لأن إعطاء الرزقِ لا يجب على الله، وإنما يفيضه بحكم الربوبية، إذ غالب تحصيل الأرزاق، وقضاء الحوائج، يَكُونُ بالنهار، ولم يذكر هنا السكون في الليل اكتفاءً بما قاله في موضع آخر ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾.

---

(١) روح البيان.

أو المعنى: فعلنا[1] ذلك لتطلبوا في الليل والنهار فضل ربكم من الرزق الحلال بالكسب، ومن الثواب الجزيل بأداء الطاعات والاحتراز عن المنهيات. وفي التعبير[2] عن الرزق بالفضل، وعن الكسب بالابتغاء مع ذكر صفة الربوبية الدالة على الوصول إلى ذلك شيئاً فشيئاً، دلالة على أنه ليس للمرء في تحصيل الرزق سوى الطلب بالأسباب العادية، وفي الخبر «يطلبك رزقك كما يطلبك أجلك»، وقيل في هذا المعنى:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا ٱلإِشْرَاقُ مِنْ خُلُقِي ... أَنَّ ٱلَّذِيْ هُوَ رِزْقِيْ سَوْفَ يَأْتِيْنِيْ

أَسْعَىٰ إِلَيْهِ فَيُعْيِيْنِيْ تَطَلُّبُهُ ... وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِيْ لاَ يُعَنِّيْنِيْ

وقوله: ﴿وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾ متعلق بكلا الفعلين أعني ﴿فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ﴾ لا بأحدهما فقط، كالأول؛ إذ لا يكون علم عدد السنين، والحساب إلا باختلاف الجديدين، ومعرفة الأيام، والشهور، والسنين والفرق[3] بين العدد، والحساب أَنَّ الْعَدَدَ إحصاء ما له كمية بتكرير أمثاله من غير أن يتحصلَ منه شيء، والحساب إحصاء ما له كمية بتكرير أمثاله، من حيث يتحصل بطائفة معينة، منها حد معيَّن منه له اسم خاص، فالسنة مثلاً إن وقع النَّظر إليها من حيث عدد أيامها، فذلك هو العدد، وإن وقع النظر إليها من حيث تحققها، وتحصلها من عدة أشهر، قد يحصل كل شهر من عِدَّةِ أيام، قد يحصل كل يوم من عدة ساعات، قد تحصلت كل ساعة من عدة دقائق، فذلك هو الحساب.

والمعنى: أي فمحونا آية الليل، وجعلنا آية النهار مبصرة، لتعلموا بمحو آيةِ الليل، وجعل آية النهار مبصرةً عدد السنين، التي تتوقف عليها مَصَالِحكم الدينية والدنْيَويَةِ ولتعلموا الحساب، أي حساب الأشهر، والليالي والأيام، وغير ذلك مما نيط به شيء من تلك المصالح في معرفة أوقات المعاش، كآجال الدُّيُون،

---

(١) المراح.

(٢) المراغي.

(٣) الشوكاني.

وأوقات الزّراعة، وأوقاتِ الدّين كأوقاتِ الصلاة والحج والصوم اهـ شيخنا؛ إذ لو كان الزمان كله نسقاً واحداً. . لَمَا عرف شيء من هذا كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾. ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ لكم إليه حاجة في مصالح دينكم ودنياكم قد ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ لكم في القرآن ﴿تَفْصِيلًا﴾ بيِّناً، وبيناه لكم تبييناً واضحاً لا يلتبس، وعند ذلك تنزاح العلل، وتزول الأعذارُ، ليَهْلِكَ من هلك عن بينة، ولهذا قال: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ﴾.

والخلاصة: وكل[1] شيء تفتقرون إليه في المعاش والمعاد، بيناهُ في القرآن بياناً بليغاً لا التباسَ معه، فأزحنا عِلَلَكم، وما تركنا لَكُم حجةً علينا، فليتَّبع العاقل ما أدركه؛ أي: لحقه علمه، وليفوض ما جهله منه إلى ذي العلم، ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ﴾ مكلف مؤمناً كان أو كافراً، ذكراً أو أنثى، عالماً أو أمياً، سلطاناً أو رعيةً، حراً أو عبداً، ﴿أَلْزَمْنَٰهُ﴾؛ أي: ألزقناه ﴿طَٰٓئِرَهُۥ﴾؛ أي: عمله الصادرَ عنه باختياره، حسبما قدِّرَ له من خير أو شر، كَأَنَّما طار إليه من عش الغيب ووكر القدر وقلَّدناه ﴿فِى عُنُقِهِۦ﴾، وذكر العنق كناية عن شدة اللزوم، أي: ألزمناه عَمَلَه كلزوم القلادة في عنقه، بحيث لا يفارِقُه عَمله أبداً؛ فإن كان خيراً. . كَانَ زينة له، كالطوق، وإن كان شراً. . كَانَ شيناً له، كالغل على رقبته، وقرىء ﴿عنقه﴾ بسكون النون؛ ذكره في «البحر».

وإنما كنَّى عن العمل بالطير[2]؛ لأن الْعَرَبَ إذا أرادوا الإقدامَ على عمَلٍ، اعتبروا أَحوالَ الطير، فهل يطير مُتَيَامِناً، أو متياسراً، أو صاعداً إلى الجو، إلى غير ذلك، فيستدلون بكل واحد منها على الخير والشر، والسعادة والنحوسة، فلما كثر ذلِكَ منهم، سمي نفس الخير والشر بالطائر، تسمية للشيء باسم لازمه،

---

(١) روح البيان. (٢) المراح.

وقيل: المراد بالطائر صحيفة الأعمال التي كتبتها الملائكة الحفظة، فإذا مَاتَ العبد طوِيَت تلك الصحيفة، وجُعِلَت معه في قبره حتى تخرج له يوم القيامة، وقيل: المراد بالطائر: كتاب إجابته في القبر لمنكر ونكير.

قال الفخر الرازي: والتحقيق في هذا الباب[1]: أنه تعالى خلق الخَلْقَ، وخص كل واحد منهم بمقدار مخصوص من العقل والفهم، والعلم والعمر، والرزق والسعادة، والشقاوة، والإنسان لا يمكنه أن يتجاوزَ ذلك المقدار، وينحرفَ عنه، بل لا بد وأن يصل إليه ذلك القدر بحسب الكمية والكيفية، فتلك الأشياء المقدَّرة كَأَنَّها تطير إليه، وتصيرُ إليه، فلهذا المعنى لا يبعد أن يعبَّر عن تلك الأحوال المقدرة بلفظ الطائر، فقوله تعالى: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ كناية عن أن كل ما قدره الله وَمَضَى في علمه حصوله له، فيما عَلِمَه فهو لازم له، واصل إليه، غير منحرف عنه، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «جف القلم بِمَا هو كائن إلى يوم القيامة» اهـ، ملخصاً.

﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ﴾؛ أي: لكل إنسان ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ والبعث للحساب، ﴿كِتَٰبًا﴾ مسطوراً فيه عمله نقيراً، وقطميراً، وهو مفعول ﴿وَنُخْرِجُ﴾. ﴿يَلْقَىٰهُ﴾ الإنسان أي: يجده، ويَرَاهُ ﴿مَنشُورًا﴾؛ أي مفتوحاً بعدما كان مطْوِيّاً، ليمكنه قِرَاءته، صفتان لـ ﴿كِتَٰبًا﴾ أو الأول صفة، والثاني حال. قال الحسن[2]: بُسِطَتْ لك صَحِيفَة، ووكلَ بك ملكان، فهما عن يَمِينِكَ، وعن شمالِك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأمَّا الذي عن شمالك، فيحفظ سيئاتك، حتى إذا مت طويت صحيفتك، وجعلتْ معك في قبرك حتى تُخْرَجَ لك يوم القيامة.

ويقال له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾؛ أي: كتابَ عَملك، فهو على تقدير القول، وعن قتادةَ: يقرأ ذلك اليوم من لم يَكنْ في الدنيا قارئاً ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾؛ أي: كفى اليومَ نَفْسُك من جهة كونها حسيباً عليك، و(الباءُ) زائدة، واليوم ظرف لـ ﴿كَفَىٰ﴾ و﴿حَسِيبًا﴾ تمييز لفاعل ﴿كَفَىٰ﴾ و(على) صلته، لأنه بمعنى الحاسب،

---

(١) الفخر الرازي. (٢) روح البيان.

وتذكيره مبنيٌّ على تأويل النفس بالشخص، وفَوَّضَ تعالى حسابَ العبد إليه، لئلا يُنْسَبَ إلى الظلم، ولتجب الحجةُ عليه باعترافه.

وقال الحسن: أنصف مَنْ أنصفَك، أَنْصفْ من جعلك حَسِيبَ نَفْسِكَ اهـ.

وقرأ الجمهور[1] ـ ومنهم أبو جعفر ـ: ﴿وَنُخْرِجُ﴾ بالنون مضارع أخرَجَ الرباعي كتاباً بالنصب، وعن أبي جعفر أيضاً، ﴿ويُخْرَج﴾ بالياء مبنياً للمفعول ﴿كِتَٰبًا﴾ بالنصب؛ أي: ويخرج الطائر كتاباً، وعنه أيضاً ﴿كتاب﴾ بالرفع على مفعول ما لم يُسَمَّ فاعله، وقرأ الحسن وابن محيصن ومجاهد ﴿ويَخْرُج﴾ بفتح الياء وضم الراءِ أَيْ طائره كتاباً إلاَّ الحسنَ، فقَرأَ ﴿كتاب﴾ على أنه فاعل ﴿يخرج﴾ وقرأت فرقة ﴿ويُخرِج﴾ بضم الياء، وكسر الراء؛ أي: ويخرج الله، وقرأ الجمهور ﴿يَلْقَىٰهُ﴾ بفتح الياء وسكون اللام، وقرأ ابنُ عامر، وأبو جعفر، والجحدري، والحسن بخلاف عنه: ﴿يُلَقَّاه﴾ بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف.

وحاصل معنى الآية: أي وألزمنا كل امرىء عمله، الذي يصدر منه باختياره، بحسب ما قدر له من خير أو شر، لا ينفك عنه بحال، والعَربُ تضرب المَثَلَ للشيء الذي يلزم بالشيء الذي يوضع في العنق، فيقولون: جعلت هذا في عنقك؛ أي: قلَّدتُك هذا العمل، وألزمتك الاحتفاظ به، وخَصّوا العنق؛ لأنه يَظْهَرُ عليه ما يزينُ المرءَ، كالقلاَئِدِ والأطواق، أَوْ ما يشينه كالأغلال والأوهاق «الحبال تجر بها الدواب».

وخلاصة هذا: أن كل إنسان منكم مَعْشَر بني آدم ألزمْنَاهُ نحسه وسعده، وشقاءَه وسَعادته بما سبق في علمنا أنه صائر إليه، ونحن نخرج له حينَ الحساب كتاباً يراهُ منشوراً، فيه أعماله التي كسبها في الدنيا، وقد أحصى عليه ربه فيه كل ما أسلف في تلك الحياة، فيقالُ له: اقرأْ كتاب عملك الذي عملتَه في الدنيا، وَكَانَ الملكانِ يكتبانه، ويحصيانه عليك، وحسبك اليومَ نفسُك عليكَ حاسباً، تحسب عليك أعمالَكَ فتحصيها، لا نَبْتغي عليك شاهداً غيرها، ولا نطلب محصياً سِوَاهَا.

---

(١) البحر المحيط.

وبعد أن ذَكَر أن القرآنَ هاد للَّتي هي أقوم، وأن الأعمالَ لازمة لأصحابها . . بَيَّنَ أن منفعة العمل، ومضرته راجعة إلى عامله، فقال: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ بهداية القرآن، وعَمِلَ بما في تضاعيفه من الأحكام، وانتهى عما نَهَاهُ ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾؛ أي: فَإِنَّمَا تَعُود منفعة اهتدائه إلى نفسه لا تتخطاه إلى غيره، ممن لم يهتَدِ ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن الطريقة التي يهديه إليها ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾؛ أي فإنما وبال ضلاله عليها لا على من عداه ممن لم يباشره حتى يمكن مفارقة العمل من صاحبه.

وقال البيضاوي[1]: لا يُنجي اهتداؤه غيره، ولا يردي ضلاله سواه؛ أي: في الآخرة، وإلا ففي حكم الدنيا يتعدى نفع الاهتداء، وضرر الضلال إلى الغير، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾.

والمعنى: أي من[2] استقام على طريق الحق، واتبعَه، واتبع الدين الذي بعث به محمد ﷺ فنفسه قد نفع، ومن حَادَ عن قصد السبيل، وسار على غير هدى، وكَفَر بالله، ورسوله، وبما جاء به من عند ربه من الحق، فَلاَ يضر إلا نفسَه، لأنه جعلها مستحقَّةً لِغضَب الله، رأليم عذابه، ثم زَادَ الجملةَ الثانيةَ توكيداً، بقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾؛ أي: ولا تحمل نفس آثِمةٌ، ولا غير آثمةٍ ﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾؛ أي: إثمَ نفس أخرى، بطيبَة النفس، حتى يمكن تَخَلُّصُ النفس الثانية من إثمها، بل على كل نفس إثمها دُونَ إثم غيرها من الأنفس، ولكن يحمل عليها إثم غيرها بالقصاص .فإن قلت: ورد في الحديث: «مَنْ سنَّ سنَّةً سيئةً . . فعليه وزرها، ووزرُ من عمل بها إلى يوم القيامة»، فمقتضاه: أنه يحمل وُزْرَهُ فيكون معارضاً لهذه الآية؟

أُجيب: بأنَّ المرادَ بالوزر الذي يحملُه في الحديث: وزر التَّسبُّبِ، ولا شك أنَّ التسببَ من فعل الشخص، ومَعَ ذلك فلا ينقص من وزر الفاعل شيءٌ، فالمتسبب الفاعل يُعَاقَبُ على فعله وتسببه، والفاعل بلا تسبب يعاقب على فعله فقط، ذكره الصاوي.

---

(١) البيضاوي. (٢) المراغي.

وفي هذا قطع لأطماعهم الفارغة؛ إذ كانوا يزعمونَ أنَّهمْ إن لم يكونوا على الحَقّ فالتَّبِعة على أسلافهم الذين قلدوهم، روي عن ابن عباس: أنَّ هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرةِ حين قال: اكْفروا بمحمدٍ وعليَّ أوزارُكم، ولا مُعَارَضَة بين هذه الآية وبين قوله: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وقوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾؛ فإن الدعاة إلى الضلال، عليهم إثم ضلالتهم في أنفسهم، وإثم آخر بسبب إضلالهم من أضلوا منْ غير أن ينقصَ أَوْزَارَ أولئك، ولا يرفع عنهم منها شيئاً، وهذا عدل من الله ورحمة منه بعباده.

ثم ذَكر عِنايته ورحمته بهم، فقال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾؛ أي: وما صحَّ[1] وما اسْتَقَام منا، بل استحال في عاداتنا المبنية على الحكم البالغة، أنْ نعذبَ أحداً من أهل الضلال وَالأوزار اكتفاء بقضية العقل، ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ﴾ إليهم ﴿رَسُولًا﴾ يهديهم إلى الحق، ويردعهم عن الضلال، ويقيم الحُجَجَ ويمهد الشرائع، قَطْعاً لِلْمَعْذِرَةَ، وإلزاماً للحجَّة، وفيه دلالة على أن البِعثة واجبة لا بمعنى الوجوب على الله، بَلْ بمعنى أن قَضِيَةَ الحكمَةِ تَقْتَضِي ذلك لِمَا فيه من المَصَالح والحكم، والمراد بالعذاب المنفيِّ هو العذاب الدنيوي، وهو من مقدماتِ العذاب الأخرويّ، فجوزوا على الكفر والمعاندة بالعذاب في الدارين وما بينهما أيضاً وهو البرزخ، وفي هذا دليلٌ على أن مَا وَجَبَ إنما وجب بالسمع لا بالعقل اهـ. خازن؛ أي[2]: وما كنا مهلكي قوم إلا بعد الإعذار إليهم بالرسل، وإقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع أعذارهم.

وخلاصة ذلك: أن سنتنَا المبْنِية على الحكم البالغة، أن لاَ نعذبَ أحداً أي نوع من العذاب الدنيوي أو الأخروي على فعل شيء أو تركه، إلا إذَا أرسلنا رسولاً يهدي إلى الحق، ويَرْدَعُ عن الضلال، ويقِيمُ الحجَجَ، ويمهد الشرائِعَ، وتبلغه دعوته.

وعبارة الشوكاني هنا: ولمَّا ذكر الله سبحانه اختصاصَ المهتدي بهدايته،

---

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

والضال بضلاله، وعدمَ مؤاخذة الإنسان بجناية غيره، ذَكَرَ أنه لا يعذبُ عِبَادَهُ إلا بَعْدَ الإعذار إليهم بإرسال رسلِهِ، وإنزال كتبه، فَبَيَّنَ سبحانه أنه لم يتركهم سُدًى، ولا يؤاخذهم قَبْلَ إِقَامَة الحجة عليهم، والظاهر: أَنَّهُ لا يعذبهم لا في الدنيا، ولا في الآخرة، إلاَّ بعد الإعذارِ إليهم بإرسال الرسل، وبه قالت طائفة من أهل العلم، وذَهَبَ الجمهور إلى أن المنفِي هنا: هو عذاب الدنيا لاَ عذاب الآخرة، انتهت.

قلت: ومعنى الآية: وما كنا معذبين أَحَداً في الدنيا، فلا يعارضه حديث «أبي وأبوك في النار» أو يقال: إنه أحاديثُ أحاد، فلا يُعَارِض النص القطعيَّ.

وقال ابن الجوزي: ومعنى[1] ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾؛ أي: حتى نبيِّنَ لهم ما به نعذب، وما من أجله ندخل الجنةَ، قال القاضي أبو يعلى: وفي هذا دليل على أن مَعْرِفَةَ الله لا تجب عَقْلاً، وإنما تَجِبُ بالشرع، وهو بِعْثَةُ الرسل، وأنه لو مات الإنسان قَبْلَ ذلك.. لم يقطع عَليه بالنار، قال: وقيلَ معناه: أنه لا يعذب في ما طريقه السمع إلا بقيام حجة السمع من جهة الرسول، ولهذا قالوا: لو أسلم بعضُ أَهْلِ الحرب في دار الحرب، ولم يسمع بالصلاة والزكاة ونحوها لم يلزمه قضاءِ شيء منها؛ لأنها لا تلزَمُه إلاَّ بعد قيام حجة السمع، والأصل فيه: قصة أهل قباءِ حين استداروا إلى الكعبة، ولم يستأنفوا. ولو أسلم في دار الإسلام، وَلَم يعلم بفرض الصلاة.. فالواجب عليه القضاءُ، لأنه قد رأى النَّاسَ يصلون في المساجد، بأذانٍ وإقامة، وذلك دعاء إليها.

الإعراب

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ①﴾.

﴿سُبْحَانَ﴾ منصوب على المفعولية المطلقة، بفعل محذوف وجوباً، تقديره: أسبح اللهَ سبحاناً، والجملة المحذوفة مستأنفة، وهو مضاف، ﴿الَّذِي﴾ اسم موصول في محل الجر مضاف إليه، ﴿أَسْرَىٰ﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود

---

(١) زاد المسير.

على الموصول ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ جار ومجرور، ومضاف إليه، متعلق به ﴿لَيْلًا﴾ منصوب على الظرفية، ومتعلق به أيضاً ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ﴾ متعلق به أيضاً ﴿ٱلْحَرَامِ﴾ صفة لـ ﴿ٱلْمَسْجِدِ﴾. ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ﴾ متعلق به أيضاً ﴿ٱلْأَقْصَا﴾ صفة أولى لـ ﴿ٱلْمَسْجِدِ﴾، والجملة الفعلية صلة الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول صفة ثانية لـ ﴿ٱلْمَسْجِدِ﴾ ﴿بَٰرَكْنَا﴾ فعل وفاعل ﴿حَوْلَهُۥ﴾ منصوب على الظرفية، متعلق بـ ﴿بَٰرَكْنَا﴾ ﴿لِنُرِيَهُۥ﴾ ﴿اللام﴾ حرف جر وتعليل، ﴿نريه﴾ فعل ومفعول منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام كي، وفاعله ضمير يعود على الله، ورأى بصرية ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ جار ومجرور متعلق بـ (نري) والجملة الفعلية في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: لإراءتنا إياه من آياتنا، الجار والمجرور متعلق بـ ﴿أَسْرَىٰ﴾ ﴿إِنَّهُۥ﴾ ناصب واسمه ﴿هُوَ﴾ ضمير فصل ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ خبره ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ خبر ثان له، وجملة (إنَّ) مستأنفةٌ مسوقَةٌ لتعليل ما قبلَها.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ فعل وفاعل، ومفعولان لأن (آتى) بمعنى أعطى، والجملة مستأنفة، ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى﴾ فعل وفاعل، ومفعولان، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَءَاتَيْنَا﴾ ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ جار ومجرور، ومضاف إليه متعلق بـ ﴿هُدًى﴾ وهو بمعنى هاد. ﴿أَلَّا﴾ (أن) زائدة (لا) ناهية جازمة ﴿تَتَّخِذُوا۟﴾ فعل وفاعل مجزوم بـ(لا) الناهية ﴿مِن﴾ زائدة ﴿دُونِى﴾ بمعنى غيري، مفعول أول لـ﴿تَتَّخِذُوا۟﴾. ﴿وَكِيلًا﴾ مفعول ثان لها، والجملة الفعلية مقول لقول محذوف تقديره: وقلنا لهم: لا تتخذوا... إلخ، وجملة القول المحذوف معطوف على ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾.

﴿ذُرِّيَّةَ﴾ منادى مضاف حذف منه حرف النداء؛ أي: يا ذرية من حملنا مع نوح، وجملة النداء مقول لذلك القول المحذوف ﴿من﴾ اسم موصول بمعنى الذي في محل جر بالإضافة. ﴿حَمَلْنَا﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ﴿مَن﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: من حملنا هم ﴿مَعَ نُوحٍ﴾ ظرف، ومضاف إليه حال من الضمير المحذوف، أوْ متعلق بـ ﴿حَمَلْنَا﴾ أو جواب النداء محذوف تقديره: يا ذريةَ من حملنا مع نوح، كونوا كما كان نوح في العبودية، والانقياد، وفي كثرة الشكر لله

بفعل الطاعات، ﴿إِنَّهُۥ﴾ ناصب واسمه ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمه ضمير يعود على نوح ﴿عَبْدًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿شَكُورًا﴾ صفته، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر (إن) وجملة (إن) مستأنفة مسوقة لتعليل الجملة المحذوفة.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾.

﴿وَقَضَيْنَآ﴾ فعل وفاعل، والجملة مستأنفة ﴿إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ جار ومجرور، ومضاف إليه متعلق به، و﴿قضى﴾ يتعدى بنفسه، أو بعلى، وإنما عدَّاه هنا بـ﴿إلى﴾ لتضمنه معنى أوحينا ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: متعلق به أيضاً، ومتعلق القضاء محذوف دل عليه قوله: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ والتقدير: وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب بإفسادهم في الأرض مرتين ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾: (اللام) موطئة للقسم ﴿تفسدن﴾ فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم، وعلامة رفعه ثبات النون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين في محل الرفع فاعل، والأصل: لتفسدونن، والجملة الفعلية: جواب القسم لا محل لها من الإعراب، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تفسدن﴾، ومفعول الإفساد محذوف تقديره: لتفسدن الأديان في الأرض ﴿مَرَّتَيْنِ﴾: منصوب على المصدرية، والعامل فيه من غيره، لأنه بمعنى: لتفسدن إفسادتين ﴿وَلَتَعْلُنَّ﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة و﴿اللام﴾ موطئة للقسم، (تعلن) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبات النون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين في محل الرفع فاعل ﴿عُلُوًّا﴾: منصوب على المصدرية ﴿كَبِيرًا﴾: صفة له، والجملة الفعلية جواب لقسم محذوف، وجملة القسم معطوفة على جملة القسم المذكور قَبْلَهَا.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾.

﴿فَإِذَا﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم أنكم لتفسدون في الأرض مرتين، وأردتم بيان ما يترتب على كلتا المرتين من العقوبة، فأقول لكم: إذا جاء وعد أولاهما الخ ﴿إذا﴾ ظرف لما يستقبل

من الزمان، ﴿جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾: فعل وفاعل ومضاف إليه، والجملة في محل الخفض بـ ﴿إذا﴾ على كونها فِعْلَ شرط لها، والظرف متعلق بالجواب الآتي ﴿بعثنا﴾: فعل وفاعل ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلق به ﴿عِبَادًا﴾: مفعول به ﴿لَّنَآ﴾: صفة ﴿عِبَادًا﴾. ﴿أُوْلِى بَأْسٍ﴾: صفة ثانية لـ﴿عِبادًا﴾. ﴿شَدِيدٍ﴾ صفة بأس وجملة ﴿بَعَثْنَا﴾ جواب ﴿إِذَا﴾، وجملة ﴿إِذَا﴾ مقول لجواب ﴿إِذَا﴾ المقدرة، وجملة ﴿إِذَا﴾ المقدرة مستأنفة.
﴿فَجَاسُواْ﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿بعثنا﴾ ﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ ظرف، ومضاف إليه متعلق بـ﴿جاسوا﴾. ﴿وَكَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمها ضمير يعود على البعث ﴿وَعْدًا﴾ خبرها. ﴿مَّفْعُولًا﴾ صفته، وجملة ﴿كَانَ﴾ مستأنفة.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾.

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف وتراخ ﴿رددنا﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿بعثنا﴾ ﴿لَكُمُ﴾ متعلق بـ ﴿رددنا﴾ ﴿ٱلْكَرَّةَ﴾ مفعول ﴿رددنا﴾ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ متعلق بـ ﴿رددنا﴾ أو بـ﴿ٱلْكَرَّةَ﴾. ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿رددنا﴾ ﴿بِأَمْوَٰلٍ﴾ متعلق بـ﴿رددنا﴾ ﴿وَبَنِينَ﴾ معطوف على أموال ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ﴾ فعل وفاعل ومفعول أول ﴿أَكْثَرَ﴾ مفعول ثان ﴿نَفِيرًا﴾ تمييز، والجملة الفعلية معطوفة على ﴿أمددناكم﴾.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم، ﴿أَحْسَنتُمْ﴾ فعل وفاعل في محل الجزم بـ ﴿إِنْ﴾ على كونه فِعْلَ شرط لها، ﴿أَحْسَنتُمْ﴾ فعل وفاعل في محل الجزم بـ ﴿إِنْ﴾ على كونه جواباً لها ﴿لِأَنفُسِكُمْ﴾ متعلق بـ﴿أَحْسَنتُمْ﴾، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية مستأنفة ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ جازم وفعل، وفاعل. ﴿فَلَهَا﴾ ﴿الفاء﴾ رابطة لجواب الشرط، وجوباً ﴿لها﴾ جار ومجرور خبر مقدم لمبتدأ محذوف تقديره: فلها الإساءة لا لغيرها، والتعبير باللام لمشاكلة ما قبلها، وإلا فحق المقام أن يكونَ على، والجملة الاسمية في محل الجزم جوابُ الشرط، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية معطوفة على جملة ﴿إن﴾ الشرطية قبلَها، ﴿فَإِذَا﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم كونَ إساءتكم عليكم، وأردتم بيانَ ما

يترتب عليها من العقوبة، فأقول لكم: إذا جاء ﴿إذا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان ﴿جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ﴾ فعل وفاعل، ومضاف إليه، والجملة في محل الخفض بـ ﴿إذا﴾ على كونها فعلَ شرط لها، وجواب الشرط محذوف تقديره: بعثناهم عليكم، وجملة ﴿إذا﴾ في محل النصب مقولٌ لِجَوابِ ﴿إذا﴾ المقدرة، ﴿لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ﴾ فعل وفاعل، ومفعول منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام كي، و﴿اللام﴾ حرف جر وتعليل، والجملة الفعلية مع أن المضمرة في تأويل مصدر مجرور باللام، والتقدير، بعثناهم عليكم لإساءتهم وجوهكم، والجار والمجرور متعلق بالجواب المحذوف، ﴿وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿لِيَسُـُٔواْ﴾ ﴿كَمَا﴾ ﴿الكاف﴾ حرف جر وتشبيه، ﴿ما﴾ مصدرية ﴿دَخَلُوهُ﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة الفعلية صلة ﴿ما﴾ المصدرية ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ ﴿الكاف﴾ والجار والمجرور صفة لمصدر محذوف، والتقدير: ﴿وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ﴾ دخولاً مثل دخولهم، إياه أول مرة، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ منصوب على الظرفية متعلق بـ ﴿دخلوا﴾ ﴿وَلِيُتَبِّرُواْ﴾ فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، معطوف على ﴿لِيَسُـُٔواْ﴾ ﴿ما﴾ اسم موصول في محل النصب على المفعولية، أو ما مصدرية ظرفية ﴿عَلَوْاْ﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة لـ﴿ما﴾ إن قلنا: موصولة، والعائد محذوف تقديره، ما علوه أو صلة ﴿ما﴾ لمصدرية ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف المقدر، إليه تقديره؛ وليتبروا مدة علوهم ﴿تَتْبِيرًا﴾ منصوب على المفعولية المطلقة ﴿ليبتروا﴾.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾.

﴿عَسَىٰ﴾ فعل ماض بمعنى حقق ﴿رَبُّكُمْ﴾ فاعل ﴿أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ ناصب وفعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة في تأويل مصدر منصوب على المفعولية، والتقدير: حقق ربكم رحمته إياكم، إن تبتم وانزجرتم عن المعاصي ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ جازم وفعل وفاعل ﴿عُدْنَا﴾ فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل الجزم جواب (إن) الشرطية، وجملة (إن) الشرطية مستأنفة ﴿وَجَعَلْنَا﴾ فعل وفاعل ﴿جَهَنَّمَ﴾ مفعول أول ﴿لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ متعلق بما بعده ﴿حَصِيرًا﴾ مفعول ثان لـ ﴿جعل﴾ والجملة الفعلية: مستأنفة.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾.

﴿إِنَّ﴾ حرف نصب وتوكيد ﴿هَٰذَا﴾ في محل النصب اسمها ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان له، ﴿يَهْدِى﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ ومفعوله محذوف تقديره: الناسُ كافَّةً، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر (إن)، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة ﴿لِلَّتِى﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يَهْدِى﴾ ﴿هِىَ أَقْوَمُ﴾ مبتدأ، وخبر، والجملة صلة الموصول، ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾، والجملة في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿يَهْدِى﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول صفة لـ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الموصول ﴿أَنَّ﴾ حرف نصب ومصدر ﴿لَهُمْ﴾ خبرها مقدم ﴿أَجْرًا﴾ اسمها مؤخر ﴿كَبِيرًا﴾ صفة ﴿أَجْرًا﴾ وجملة ﴿أَنَّ﴾ في تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف متعلق بـ ﴿يبشر﴾ والتقدير: ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات بكون أجر كبير لهم.

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾.

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ﴾ ناصب واسمه ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ صلة الموصول ﴿أَعْتَدْنَا﴾ فعل وفاعل ﴿لَهُمْ﴾ متعلق به ﴿عَذَابًا﴾ مفعول به ﴿أَلِيمًا﴾ صفة له، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿أن﴾، والرابط ضمير ﴿لَهُمْ﴾، وجملة ﴿أن﴾ مع اسمها وخبرها في محل الجر بحرف جر محذوف، معطوف على جملة ﴿أن﴾ الأولى، والتقدير: ويبشر المؤمنين بشيئين: بكون أجر كبير لهم، وبكون عذاب أليم للذين لا يؤمنون بالآخرة، وَلاَ شَكَّ أَنَّ ما يصيب أعداءهم سرورٌ لهم، أو في محل الجر بحرف جر محذوف، متعلق بعامل محذوف تقديره: ويخبر بأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً. ﴿وَيَدْعُ﴾ ﴿الواو﴾ استئنافية ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ فعل وفاعل، والجملة مستأنفة، وتقول في تطبيق إعرابه: ﴿يدع﴾ فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم، وعلامة رَفْعِهِ ضَمَّةٌ مقدَّرَةٌ على الواو المحذوفة لفظاً للتخلص من التقاء الساكنين، وخطًّا تَبَعاً للفظ منع من ظهورها

الثقل؛ لأنه فعل معتل بالواو، ﴿بِٱلشَّرِّ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يدع﴾ ﴿دُعَآءَهُۥ﴾ منصوب على المفعولية المطلقة لـ﴿يدع﴾ ﴿بِٱلْخَيْرِ﴾ متعلق به، ولكنه على التشبيه، والتقدير: ويدع الإنسان بالشر دعاءً كدعائه بالخير في الإلحاح، والإكثار، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ فعل ناقص واسمه وخبره، والجملة مستأنفة.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾: فعل وفاعل ومفعولان، والجملة مستأنفة ﴿فَمَحَوْنَآ﴾ (الفاء) تفسيرية ﴿محونا﴾ فعل، وفاعل ﴿ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ مفعول به، والجملة معطوفة على جملة ﴿جعلنا﴾. وفي «أبي السعود»: و(الفاء) في ﴿محونا﴾ تفسيريةٌ؛ لأن المحو المذكورَ، وما عطف عليه ليسا مما يحصل عَقِبَ جعلُ الليل والنهار آيتَيْن، بل هما من جملة ذلك الجعل، ومتمماته .اهـ. ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ﴾ فعل وفاعل، ومفعول أول ﴿مُبْصِرَةً﴾ مفعول ثان لـ﴿جعل﴾ والجملة معطوفة على جملة ﴿محونا﴾ ﴿لِّتَبْتَغُوا۟﴾ فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾ مضمرةً بعد لام كي، ﴿فَضْلًا﴾ مفعول به ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ جار ومجرور صفة ﴿فَضْلًا﴾ والجملة الفعلية مع أن المضمرة في تأويل مصدر مجرور بـ﴿اللام﴾، والجار والمجرور متعلق بـ﴿جعلنا﴾؛ أي: وجعلنا آية النهار مُبْصِرةً لابتغائكم فضلاً من ربكم، ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟﴾ فعل وفاعل منصوب بأن مضمرةً بعد لام كَي، ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ﴾ مفعول به، ﴿وَٱلْحِسَابَ﴾ معطوف على عدد السنين، والجملة الفعلية مع أن المضمرة في تأويل مصدر مجرور باللام، الجار والمجرور متعلق بكلا الفعلين، أعني ﴿محونا﴾ ﴿وَجَعَلْنَآ﴾؛ والتقدير: فمحونا آيةَ الليل، وجعلنا آيةَ النهار مبصرةً لِمعرفتكم عددَ السنينَ والحساب، ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾: منصوب بفعل محذوف وجوباً، يفسره المذكور بعده، تقديره: وبينا كل شيء فصلناه، والجملة المحذوفة مستأنفة، ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ فعل وفاعل ومفعول ﴿تَفْصِيلًا﴾ منصوب على المصدرية، والجملة الفعلية جملة مُفَسّرَةٌ لا مَحَلَّ لها من الإعراب.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾.

﴿وَكُلَّ﴾ (الواو) استئنافية ﴿كل﴾ منصوب بفعل محذوف وجوباً، يفسره المذكور بعده، تقديره: وألزمنا كل إنسان ألزمناه، والجملة المحذوفة مستأنفة، ﴿إِنسَٰنٍ﴾ مضاف إليه ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾: فعل وفاعل ومفعولان، والجملة الفعلية جملة مفسرة لاَ مَحَلَّ لهَا من الإعراب، ﴿فِى عُنُقِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلق، بـ ﴿أَلْزَمْنَٰهُ﴾ ﴿وَنُخْرِجُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله ﴿لَهُۥ﴾ متعلق به ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: ظرف متعلق به أيضاً ﴿كِتَٰبًا﴾: مفعول به، وجملة ﴿نخرج﴾ معطوفة على جملة ﴿أَلْزَمْنَٰهُ﴾ ﴿يَلْقَىٰهُ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الإنسان، والجملة الفعلية في محل النصب صفة لـ ﴿كِتَٰبًا﴾ ﴿مَنشُورًا﴾ صفة ثانية لـ ﴿كِتَٰبًا﴾ أو حال من ضمير ﴿يَلْقَىٰهُ﴾. ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الإنسان، والجملة في محل النصب مقول لقول محذوف تقديره: ويقال له: اقرأ كتابك ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ﴾ فعل وفاعل، و(الباء) زائدة، والجملة في محل النصب مقول للقول المحذوف أيضاً، ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ ظرف متعلق بـ﴿ كَفَىٰ﴾ ﴿عَلَيْكَ﴾ متعلق بما بعده ﴿حَسِيبًا﴾ تمييز لفاعل ﴿ كَفَىٰ﴾.

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

﴿مَّنِ﴾ اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما ﴿ٱهْتَدَىٰ﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَّنِ﴾ والجملة في محل الجزم بـ ﴿من﴾ على كونه فِعْل شرط لها، ﴿فَإِنَّمَا﴾ (الفاء) رابطةٌ لجواب ﴿مَّنِ﴾ الشرطية جوازاً ﴿إنما﴾ أداة حصر ﴿يَهْتَدِى﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على ﴿مَّنِ﴾ ﴿لِنَفْسِهِۦ﴾ متعلق به، والجملة في محل الجزم بـ﴿من﴾ الشرطية على كونها جَوَابَ شرط لها، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية مستأنفةٌ ﴿وَمَن﴾ اسم شرط مبتدأ، والخبر جملة الجواب ﴿ضَلَّ﴾ فعل شرط لها ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ﴾ جواب شرط لها ﴿عَلَيْهَا﴾ متعلق به، وجملة ﴿من﴾ الشرطية معطوفة على جملة ﴿مَّنِ﴾ الأولى. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ فعل وفاعل، والجملة مستأنفة ﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ مفعول به، ومضاف إليه، ﴿وَمَا﴾ (الواو) عاطفة ﴿ما﴾ نافية ﴿كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ فعل ناقص واسمه وخبره، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ﴾. ﴿حَتَّىٰ﴾ حرف جر وغاية ﴿نَبْعَثَ﴾

فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد ﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى إلى، وفاعله ضمير يعود على الله، ﴿رَسُولًا﴾ مفعول به، والجملة الفعلية مع أن المضمرة في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى إلى تقديره؛ وما كنا معذبين إلى بعثنا رسولاً. الجار والمجرور متعلق بـ﴿مُعَذِّبِينَ﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ ﴿سُبْحَٰنَ﴾ مصدر سماعي لسبح المشدد؛ أو اسمُ مَصْدَر له، أو مصدر قياسي لسبح المخفف، فإنَّه يقال: سبح في الماء، وفيه: معنى البعد، والتنزيه، فيه بُعد عن النقائص، وعلى كلٍ، فهو عَلَمُ جنس للتنزيه، والتقديس، ويقال: أسرى وسرى بمعنى سار في الليل، وهما لازمان، لكن مصدر الأول: الإسراء، ومصدر الثاني: السُّرى بضم السين كهدى، فالهمزة ليست للتعدية إلى المفعول، وإنما جاءت التعدية هنا من الباء، ومعنى أسرى به صيَّره سارياً في الليل ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هو التوراة ﴿وَكِيلًا﴾؛ أي: كفيلاً تكلون إليه أموركم ﴿شَكُورًا﴾؛ أي: كثيرَ الشكر ﴿وَقَضَيْنَآ﴾؛ أي: أعلمنا بالوحي ﴿لتعلن﴾، أي لتستكبرن عن طاعة الله.

﴿مَرَّتَيْنِ﴾ والمرتان: تثنية مرة، وهي الواحدة من المر؛ أي المرور على حد قوله: وفعلة لمرة كجلسة، وفي «القاموس»: مرَّ مراً، ومروراً جَازَ وذَهَبَ كاستمر ومره جاز عليه، والمرة: الفعلة الواحدةُ، والجمع مُرٌّ بالضم، ومرارٌ بالكسر، ومِرَرٌ كعنب، ولقيه ذاتَ مرة لا يستعمل إلا ظرفاً، وذاتَ المِرار؛ أي: مِرَاراً كثيرة، وجئته مراً، أو مرين؛ أي: مرة أو مرتين اهـ.

﴿وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾، والوعد الموعود به، وهو العقاب، فهو مصدر واقع موقعٌ مفعول، وتركه الزمخشريُّ على حاله، لكن بحذف مضاف؛ أي: وعد عقاب أولاهما اهـ سمين ﴿فَجَاسُوا۟﴾، وفي «القاموس» الجوس بالجيم طلب الشيء بالاستقصاء، والتردد خلال الديار، والبيوت، والطوف فيها كالجَوْسانِ، والاجتياس وبابه قال: اهـ ثم قال: والحوس بالحاء المهملة: الجوس اهـ وفي «السمين» ﴿فَجَاسُوا۟﴾ عطف على ﴿بَعَثْنَا﴾، أي: ترتب على بعثنا إياهم هذا و(الجوس) بفتح

الجيم وضمها: مصدر جَاسَ، يجوس، والمعنى هنا: تَرَدَّدُوا لطلبكم بالفساد ﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾. قال في «القاموس» الخلل منفرج ما بين الشيئين، ومن السحاب: مخارجُ الماء كخلاله، وخلال الديار أيضاً ما حوالي جدرها، وما بين بيوتها انتهى. قالوا: يجوز أن يكونَ مفرداً بمعنى الوسط، أو جمع خلَلَ بمعنى الأوساط، مثل جبلٍ، وجبالٍ، وجَملٍ، وجمالٍ والديار: جمع دار، وهو المحل يجمع البناء، والعرصة، والمعنى مَشَوا في وَسَطِ المنازل، أو أوساطها للقتل والأسر، والغارةِ فقتلوا علماءَهم وكبارهم، وحرَّقوا التوراةَ، وخرَّبوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفاً، وذلك من قَبِيل تولية بعض الظالمين بعضاً مما جرت به السنة الإلٰهيةُ.

﴿أُوْلِي بَأْسٍ﴾ والبؤس، والبأس، والبأساء: الشدَّة والمكروه، كما قال الراغب. إلاَّ أنَّ البؤسَ كثر استعماله في الفقر، والحرب، والبأس، والبأساء، في النِّكَايَةِ بالعدو ﴿ٱلْكَرَّةَ﴾ وهي في الأصل مصدر: كَرَّ يَكرُّ إذا: رجع، والكَرَّة: الدولَةُ والغلبة، وأصل الكَرّ: العَطْفُ والرجوع ﴿نَفِيرًا﴾ والنفيرُ والنافر، مَنْ يَنْفِرُ مع الرجل من عشيرته، وأهل بيته ﴿تَتْبِيرًا﴾ والتتبير: الإهلاك، وهي كَلِمَةٌ نَبْطِيَّةٌ كما روي عن سعيد بن جبير، وكل شيءٍ كَسْرَتَهُ وفتته.. فَقَدْ تَبَّرْتَه. ﴿مَا عَلَوْاْ﴾؛ أي: ما غَلَبُوا وَاسْتَولُوا عليه من بلادكم، أصله: عَلَيُوا تحركت الياء، وانْفَتَحَ ما قبلَها، قُلبت ألفاً، فالتقى ساكنان فَحُذِفَتِ الألفُ. فَصَارَ عُلُوّاً بوزن فعوا ﴿حَصِيرًا﴾ الحصيرُ المحبس، والسِّجْنُ، والمقر. يُحْصَرُونَ فيه، لا يستطيعون الخروجَ منها أبدَ الآباد، فهو فعيل بمعنى فاعل؛ أي: حاصرة لهم، ومحيطة بهم، كما مر في مبحث التفسير، وفي «الشهاب» قوله: مَحْبَساً، أي: مكان الحبس المعروف، فإن كانَ حصيراً، اسمُ مكان. فهو جَامِدٌ لا يلزم تذكيره، ولا تأنيثه، وإن كَانَ بمعنى حاصراً؛ أي: محيطاً بهم، وفعيل بمعنى فاعل، يلزم مطابقته، فَكَأنَ يقال: حصيرةً، فإما لأنه على النسب كلابن، وتامر، أو لحمله على فعيل بمعنى مفعول، أو لأنَّ تأنيث جَهَنَّم غير حقيقي، أو لتأويلها بمذكر كالسجن والحبس اهـ.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾، والقياس: أن تثبتَ واو يدع لأنه مرفوع؛ إلا أنه لما وجب

سقوطها لَفْظاً لاجتماع الساكنين، سقطت في الخط أيضاً على خلاف القياس، ونظيره: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ اهـ زاده والمراد بالإنسان: الجنس: لأن أحداً من الناس لا يعرى عن عجلة، ولو تركها.. لكان تركها أَصْلَحَ في الدين والدنيا اهـ كرخي.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ وإنما ذكر المَصْدَرَ لأجل تأكيد الكلام، وتقريره، فكأنه قَالَ: فصلناه حقاً على الوجه الذي لا مزيدَ عليه اهـ. كرخي ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾؛ أي: عَمَلَهُ سمي به، إمَّا لأنه طار إليه من عُشِّ الغَيْبِ، وإمَّا لأنه سبب الخيرِ والشرِ كما قالوا: طائر الله لا طائِرُك؛ أي: قَدَرُ الله الغالب الذي يأتي بالخير والشر، لا طائرك الذي تتشاءَمُ به، وتتيمَّنُ؛ إذ جَرَتْ عادتهم بأن يَتَفَاءَلُوا بالطَّير، ويسمُّونه زَجْراً، فإن مَرَّ بهم من اليسار إلى اليمين تيمنوا به، وسَمُّوه سانِحاً، وإن مر من اليمين إلى اليسار تشاءموا منه، وسَمُّوه بَارِحاً.

﴿كِتَٰبًا﴾ هُوَ صحيفة عَمَلِهِ ﴿مَنشُورًا﴾؛ أي: غير مطوي ﴿حَسِيبًا﴾، أي: حاسباً، أي: عاداً له يعد عليه أعماله، وهو تمييز، و﴿عَلَيْكَ﴾ متعلق به، وهو إما بمعنى الحاسب، أو بمعنى الكافي اهـ من البيضاوي وفي «السمين» قوله: ﴿حَسِيبًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه تمييز، قال الزمخشري: وهو بمعنى حَاسِب، كضريب بمعنى ضارب، وصريم بمعنى صارم، ذَكَرهما سيبويه، و﴿عَلَيْكَ﴾ متعلق به من قولك: حسب عليه كذا، ويجوز أن يكونَ بمعنى الكافي، وَوُضع مَوْضِعَ الشهيد، فَعُدّي بعلى؛ لأنَّ الشَّاهِدَ يَكْفِي المدَّعي ما أهمه، فإن قلت: لِم ذكر حسيباً؟ قلت: لأنه بمنزلة الشاهد، والقاضي، والأمين وهذه الأمور يتولاها الرجال، فكأنه قيل: كفى بنفسك رَجلاً حسيباً، ويجوز أن تؤول النفسُ بمعنى الشخص كما يقال: ثلاثة أنفس:

والثاني: أنه منصوب على الحالِ، وذكر لما تَقَدَّمَ، وقيل: حسيب بمعنى محاسب كخليطٍ، وجليس بمعنى مخالط، ومجالس اهـ ﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، والوزر: الإثم، والذنب يقال منه: وزر يَزِرُ فهو وَازر، وهي وازرة، أي: نفس وازرة، وقال في «القاموس» الوزر بالكسر الإثم، والثِّقَلُ، والحَمْلُ الثقيل انتهى.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: التعجيبُ المستفاد من قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ لأن فيه معنى التعجب، فكأنه قال: تعجبوا أوِ اعجبوا من قدرةِ الله تعالى على هذا الأمر العجيب.

ومنها: الإضافة للتشريف، والتكريم في قوله: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾. ووصفه بالعبودية؛ لأنَّ هذا المقام أشرف المقامات، والعبودية أشرفُ أوصاف الإنسان كما قال القاضي عياض رحمه الله تعالى:

وَمِمَّا زَادَنِي شَرَفاً وَتِيهَا ... وَكِدْتُ بِأَخْمَصِي أَطَأُ ٱلثُّرَيَّا

دُخُوْلِيْ تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِيْ ... وَأَنْ صَيَّرْتَ أَحْمَدَ لِيْ نَبِيَّا

ومنها: التأكيد بـ﴿لَيْلًا﴾، إذ الإسراء في لسان العرب لا يكون إلاَّ ليلاً حتى لا يتخيل أنه كان نهاراً.

ومنها: التنكير في ﴿لَيْلًا﴾ لإفادة تقليل مدة الإسراء، في جزء من الليل، قيل: قدرُ أربع ساعات، وقيل: ثلاث ساعات، وقيل: أقل من ذلك، وذلك لأن التَّنْكِيرَ قد يكون للتقليل، والتقليل والتبعيض: متقاربان، فاستعمل في التبعيض، مَا هُوَ للقليل .اهـ كرخي.

وهذا بخلاف مَا لَوْ قيل: أسرى بعبده الليلَ.. فإن التركيبَ مع التعريف يفيد استغراق السَّير لجميع أجزاء الليل .اهـ شيخنا.

ومنها: الالتفات من الغيبة في قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ إلى التكلم في قوله: ﴿بَٰرَكْنَا﴾ و﴿لِنُرِيَهُۥ﴾، ثم التفت منه إلى الغيبة في قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾ إنْ أعدنا الضمير إلى الله تعالى، وهو الصحيحُ ففي الكلام الْتِفَاتَانِ، وقرأ الحسنُ ﴿لِيُرِيَه﴾ بالياءِ من تحتِ، أي: الله تعالى، وعلى هذه القراءة يكون في هذه الآية أربعةُ التفاتات، وذلك أنه التفت أولاً من الغيبة في قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ إلى التكلم في قوله: ﴿بَٰرَكْنَا﴾، ثمَّ التفتَ ثانياً من التكلم في ﴿بَٰرَكْنَا﴾ إلى الغيبة في

(لِيَريه) على هذه القراءة، ثم التفت ثالثاً من هذه الغيبة إلى التكلم في ﴿ءَايَٰتِنَآۚ﴾، ثُمَّ التفت رابعاً من هذا التكلم إلى الغيبة في قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾ على الصحيح في الضمير أنه لله تعالى وأما على قول نقله أبو البقاء أن الضمير في ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾ للنبيِّ ﷺ فلا يجيء ذلك، ويكون في قراءة العامة التفات واحد، وفي قراءة الحسن ثلاثة، وهذا موضع غريب، وأكثَرُ ما ورد الالتفات ثلاثَ مَرَّات على ما قاله الزمخشري في قول امرىء القيس:

تَـطَـاوَلَ لَـيْـلُـكَ بِـٱلإِثْـمِـدِ

ومنها: جِنَاس الاشتقاق في قوله: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

ومنها: التعبير عن المستقبل بالماضي في قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ﴾ لأن الرَّدَّ لم يقع وَقْت الإخبار، لكن لتحقُّقه عَبَّر بالماضي.

ومنها: الطباق بين ﴿أحسنتم﴾ و﴿أسأتم﴾.

ومنها: المجاز العقليُّ في قوله: ﴿ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾؛ لأن النهارَ لا يبصر، بل يُبصَر فيه، فهو من إسناد الشيء إلى زمانه، ومنها: التأكيد في قوله: ﴿فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ ذُكر المصدر، وهو قوله: ﴿تَفْصِيلًا﴾ لأجل تأكيد الكلام وتقريره، فكأنه قال: فصلناه حَقّاً على الوجه الذي لا مزيد عليه.

ومنها: الاستعارةُ التصريحية في قوله: ﴿طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ استعيرَ الطّائر لعمل العبد، بجامع الانتقال في كل، فكما أن الطائِرَ ينتقل من عشه، ووكره، ينتقل عمل العبد من عش الغيب، والقدر، إلى العبد.

ومنها: الطباق بين ﴿ضَلَّ﴾ و﴿مَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾.

ومنها: الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾؛ أي: يقال له، يوم القيامة: اقرأ كتابك.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴿١٩﴾ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴿٢١﴾ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴿٣٣﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلَها: أنَّ اللّهَ سبحانه وتعالى لما ذكر أنه لا يعاقب أحداً منهم إلا إذا أَرْسَلَ إِلَيْهِم رسولاً يبلغ رسالات ربهم رحمة بهم ورأفة.. أعقب ذلك بأن عَذَابَه إنما يكون بكسب العبد واختياره، وأنَّ هذا واقع بتقدير الله تعالى وعلمه، وإذا وقعتِ المعصيةُ حَلَّتِ العقوبة بعذاب الاستئصال كما فُعِلَ بكثير من الأمم التي

من بعد نوح كعاد، وثمود، والله عليم بأفعالهم وبما يستحقونَ، ثُمَّ قَسَمَ العباد قسمين: قسم يُحِبُّ الحياة الدنيا ويعمل لها، وعاقبته دار البوار، وبئس القرار، وقسم يعمل للآخرة، ويسعى لها سعيها وهو مؤمن، وأولئك سعيهم مشكور، مقبول عند ربهم، ولهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وهؤلاء يمدهم ربهم بعطائه؛ إذ ليس عطاؤه بممنوع من أحد، ولكن قد فضَّل بعضَهم على بعضٍ في أرزاقٍ، ومراتب التفاوت في الآخرة أكثرُ من درجات التفاوت في الدنيا، وأبعد مَدى.

قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنَّ اللَّهَ سبحانه وتعالى لما ذكر أنَّ الناسَ فريقان[1]: فريق يريد بعملهِ الدنيا فقط، وعاقبتهم العذاب والوبال، وفريق يريد بعَمَلِه طاعةَ الله تعالى، وهم أهل مرضاته، والمستحقونَ لثوابه، وقد اشترطَ لنيلهم ذلك أن يعملوا للآخرة، وأن يكونوا مؤمنين، لاَ جَرَمَ فَصَّل الله في هذه الآية حقيقةَ الإيمان والأعمال التي إذا عملها المؤمن كان ساعياً للآخرة، وَصار من الذين سعد طائرهم، وحسن حظهم. ثم أعقبَ ذلك بذكر ما هو من شعائر الإيمان وشرائطه، وهو عبادة اللّهُ وحده لا شريكَ له، وبعدئذٍ أتبع ذلك بالأمر ببر الوالدين من قبل أنَّهما السبب الظاهر في وجوده، وبالأمر بإيتاءِ ذوي القربى حقوقَهم، ثُمَّ بالأمر بإصلاح أحوال المساكين، وأبناء السبيل؛ لأن في إصلاحهما إصلاح المجتمع، والمسلمون كلُّهم إخوة، وهم يدٌ على مَن سواهم، ثم قفّى على ذلك بالنهي عن التبذير، لما فيه من إصلاح حال المرء، وعدَمِ ارتباكه في معيشته، وصلاحه إصلاح للأمة جَمْعَاءَ، فما الأمم إلا مجموعة الأفراد، ففي صلاحهم صلاحها، ثمَّ علَّمنا سبيل إنفاق المال على الوجه الذي يرضاه الدين، ويَرْشُد إلى حسنه العقل، وبعدئذٍ نهانا عن قتل الأولاد خَشْيَةَ الفقر، وبيّن أنَّ الكفيلَ بأرزاقهم وأرزاقكم هو ربكم، فَلاَ وَجْهَ للخوف من ذلك، ثُمَّ تلا هذا بالنهي عن الزنا، لما فيه من اختلاط الأنساب وفقدان النسل أو قِلَّته ووقوع الشُّغَبِ والقتال بين الناس دفاعاً عن

---

(١) المراغي.

العرض، ثم بالنهي عن القتل لهذا السبب عينه.

وقال أبو حيان: قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ...﴾ مناسبة[1] اقتران برّ الوالدين بإفراد الله بالعبادة من حيث إنه تعالى هو الموجِد حقيقة، والوالدان وساطة في إنشائه، وهو تعالى المُنعِم بإيجاده وإيجاد رزقه، وهما ساعيان في مصالحه.

قوله سبحانه تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ...﴾ الآية، لما أَمَر الله تعالى ببر الوالدين.. أَمَر بصلة القرابةِ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ...﴾ الآية، لَمّا بَيّنَ الله تعالى أنه هو المتكفِّل بأرزاق العباد حيث قال: إن رَبَّك يَبْسُطُ الرّزْقَ لمن يشاء ويقدر.. أتبعه بالنهي عن قتل الأولاد.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ...﴾ الآية، لما نهى الله تعالى عن قتل الأولاد.. نَهَى عن التسبب في إيجاده من الطريق غير المشروعة، فَنَهَى عن قربان الزنا، واستلزم ذلك النَّهْيَ عن الزنا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ...﴾ الآية، لمَّا نَهى الله عن قتل الأولاد، وعن إيجادهم من الطريق غير المشروعة.. نَهَى عن قتل النفس، فَانتقل من الخاص إلَى العامّ، والظاهر أنَّ هذه كلها منهيات مستقلة لَيْسَت مندرجة تحت قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ كاندراج ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ انتهى.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ...﴾ الآية، سبب نزولها[2]: ما أخرجه الطبراني وغيره عن أبي سعيد الخدري، قال: لَمَّا أُنزِلَت ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ...﴾ الآية. دَعَا رَسُولُ الله ﷺ فاطمة فَأَعْطَاها فدك. قال ابن كثير: هذا مشكل، فإنه يشعر بِأَنَّ الآية مدنية، والمشهور خلافه، وروى ابن مردويه عن ابن عباس مثلَه.

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ...﴾ الآية، سبب نزولها: ما أخرجه سعيد بن

---

(١) البحر المحيط.
(٢) لباب النقول.

منصور عن عطاء الخراساني قال: جاء ناس من مزيْنَةَ يستحملون رسول الله ﷺ فقالَ: «لا أجد ما أحملكم عليه» فتولوا، وأعينُهم تفيض من الدمع حَزَناً، ظنوا ذلك مِنْ غَضَبِ رسول الله ﷺ فَأَنْزَل الله ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ﴾، وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال: نزلت فيمن كان يسأل النبي ﷺ مِنَ المساكين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ...﴾ الآية، سبب نزولها: ما أخرجه سعيد بن منصور عن سيار أبي الحكم قال: أتى رسول الله ﷺ بزٌّ، وكان مُعْطِياً كريماً، فقسمه بين الناس، فأتاه قومٌ فوجدوه قد فرغ منه، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا...﴾ الآية.

وأخرج ابن مردويه، وغيره عن ابن مسعود، قال: جاء غلام إلى النبي ﷺ فقال: إن أمي تسألك كذا وكذا، قال: «ما عندنا شيء اليوم» قال: فتقول لك: أكْسِنِي قَمِيصَك، فَدَفَعَهُ إليه، فجلس في البيت حَاسِراً فأنزل الله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾.

وأخرج أيضاً عن أبي أمامة: أن النبي ﷺ قال لعائشة: «أنفق ما على ظهر كفي» فقالت: إذَن لا يبقى شيء، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ...﴾ الآية. وظاهر ذلك أنَّهَا مدنية.

التفسير وأوجه القراءة

ثم بين كيف يَقَعُ العذاب بعد بعثة الرسل، فقال: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ﴾؛ أي: وإذا[1] دَنَا وَقْتُ تعلق إرادتنا بإهلاك قرية بعذاب الاستئصال ﴿أَمَرْنَا﴾ على لسان الرسول المبعوث إلى أهلها ﴿مُتْرَفِيهَا﴾ أي مُنْعَمِيها ورؤسائها وكبارِها وملوكِها بالأعمال الصالحة، وهي الإيمان والطاعة، والمترف كمكرم من أبطرَتْهُ النعمة، وسعة العيش والترفة[2] بالضم النعمة والطَّعامُ الطيّبُ، وخصهم بالذكر مع توجُّهِ الأمر إلى الكل؛ لأنهم الأصول في الخطاب، والباقي أتباع لهم، وقرأ[3]

---

(١) المراح.
(٢) روح البيان.
(٣) البحر المحيط.

الجمهور ﴿أَمَرْنَا﴾ من الأمر الذي هو ضد النهي، وقرأ[1] علي بن أبي طالب، وابن أبي إسحاق، وأبو رجاء وعيسى بن عمر، وسلاّم، وعبد الله بن أبي يزيد، والكلبي ﴿آمرنا﴾ بالمد، وجاء كذلك عن ابن عباس، والحسن، وقتادة وأبي العالية، وابن هرمز، وعاصم، وابن كثير، وأبي عمرو، ونافع، وهو اختيار يعقوب، ومعناه: كثّرنا يقال: أمر الله القومَ، وآمرهم، ومعنى ﴿آمرنا﴾ مترفيها: أي كثّرنا أَغْنِيَاءها، وفساقها، وقرأ ابن عباس، وأبو عثمان النهدي السدي، وزيد بن علي، وأبو العالية ﴿أَمَّرْنَا﴾ بتشديد الميم، وروي ذلك عن علي، والحسن، والباقر، وعاصم، وأبي عمرو ومعناه[2] جعلنا جبابرتها وفسَّاقها أمراء.

﴿فَفَسَقُواْ﴾؛ أي: فخرجوا عما أمرهم الله تعالى به من الإيمان والطاعة، وعملوا المعاصي ﴿فِيهَا﴾، أي: في تلك القرية ﴿فَحَقَّ﴾؛ أي فوجب، وثبت ﴿عَلَيْهَا﴾؛ أي: على أهل تلك القرية. ﴿ٱلْقَوْلُ﴾ بالعذاب، أي: ثبت عليهم قضاؤنا بالعذاب، وتحقق موجبه بحلول العذاب بهم، إثر ما ظهر فسقهم وطغيانهم، والقول الذي حق عليهم هو وعيد الله الذي قاله رسولهم، وقيل: القول هو ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ وهؤلاء في النار، ولا أبالي. ذكره في «البحر».

والمعنى: أي فثبت عليها ما توعدناهم به على لسان رسولنا من الإهلاك ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا﴾ بتدمير أهلها، وتخريب ديارها ﴿تَدْمِيرًا﴾، والتدمير: الإهلاك مع طمس الأثر، وهدم البناء، والمعنى: فأهلكناها إهلاكَ الاستئصال كفاءَ فسقهم، وطغيانهم، وبطرهم إهلاكاً عظيماً، لا يوقف على كنهه لشدته وعظمَ موقعه.

وقيل[3]: في تفسير ﴿أَمَرْنَا﴾ بأنه مجاز عن السبب الحامل لهم على الفسق، وهو إدرار النعم عليهم، بأن صبَّ عليهم ما أبطرهم وأفضى بهم إلى الفسوق.

وعن أم المؤمنين زَيْنَبَ بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ دَخَلَ عَلَيْها فزعاً يقول: «لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرّ قد اقترب، فتح اليوم من

---

(١) المراح.

(٢) روح البيان.

(٣) روح البيان.

ردم يأجوج ومأجوج، مثل هذه وحلَّق بأصبعيه، الإبهام والتي تليها، قالت زينب: قلت: يا رسول الله، أَنُهْلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كَثُرَ الخبث»، متفق عليه. قوله: «ويل للعرب» كلمة تقال لمن وقع في هلكة، أو أشرفَ أن يقع فيها، وقوله: إذا كثر الخبث؛ أي: الشر.

وحاصل معنى الآية: أي[1] إذا دنا وقت تعلق إرادتنا بِهَلاَكِ أيّ قرية بعذاب الاستئصال، لِمَا ظَهَرَ منها من المعاصي، ودنَّست به أنفسها من الآثام، لم نُعَاجِلْهَا بالعقوبة، بل نَأْمُرُ مُتْرَفِيهَا بالطاعة؛ فإذا فَسَقُوا عن أمرنا، وَتَمَرَّدُوا حَقَّ عليهم العذابُ جَزاءً وفاقاً لاجتراحهم السيئات، وارتكابهم كبائرَ الإثم والفواحش، فدمرنا تِلْكَ القرية تدميراً، لم يبقِ منها دَيَّاراً ولا نافخ نار، وخص المترفين بالذكر كما مرَّ لما جرت به العادة أن مَنْ سِواهم يكون تَبَعاً لهم، وأن العامة والدهماء يقلِّدونهم فيما يفعلون، ولأنهم أسرع إلى الفجور، وأقدَرُ على الوصول إلى سبله.

ثم ذكر سبحانه: أنَّ هذه عَادَتُه الجارية مع القرون الخالية. فقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾، ﴿وَكَمْ﴾ هنا خبرية بمعنى عدد كثير مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾ و﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ تبيين لإبهام ﴿كم﴾. وتمييزٌ له كما يميز العدد بالجنس، والقرون[2] جمع قَرْن، والقرن مدة من الزمن يخترم فيها المَرْءُ، والأصح أنه مئة سنة، والمراد به هنا، كل أمَّة هلكت، فلم يبق منها أحد، وكل أهل عصرٍ قَرْن لمن بعدهم؛ لأنهم يَتَقدمونهم؛ أي: وكثيراً مِن الأمم الماضية ﴿أَهْلَكْنَا﴾ ﴿مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ عليه السلام؛ أي: من بعد زمنه كعاد، وثمود، ومن بعدهم، ولم يَقُلْ من بعد آدم لأن نوحاً أول نبي بالغ قومه في تكذيبه وقومه أول من حلت بهم العقوبة العظمى وهو الاستئصال بالطوفان.

والمعنى[3]: أي وقد أهلكنا أمماً كثيرة قَبْلَكُم من بعد نوح حتى زَمانِكم

---

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

حين جَحَدوا آيات الله تعالى، وكذَّبُوا رُسُلَه، وكانوا على مثل ما أنتم عليه من الشرور، والآثام، ولستم بأكرمَ على الله منهم، فاحْذَرُوا أَنْ يَحِلَّ بكم من العقاب مثل ما حل بهم، وَيَنْزِلَ بكم من سخطه مثل ما نَزَلَ بهم.

وفي هذا من الوعيد لمكذبي رسول الله ﷺ من مشركي قريش، وتهديدهم بشديد العذاب إن لم ينتهوا عما هم عليه من تكذيب رسوله ما لا يخفى.

روِيَ عن الشعبي أنه قال[1]: خَرَجَ أَسَدٌ وذئب وثعلب، يتصيَّدون، فاصطادوا حمار وحش، وغزالاً، وأرنباً، فقال الأسدُ للذئب: اقسم لنا، فقال: حمار الوحش للملك، والغزال لي، والأرنب للثعلب، قال: فرفع الأسد يده، وضرب رأس الذئب ضربة، فإذا هو منجدل بين يدي الأسد، ثم قال للثعلب: اقسم هذه بيننا، فقال: الحمار يتغدى به الملك، والغزال يتعشى به، والأرنب ما بين ذلك، فقال الأسد: ويحك ما أقضاك مَنْ علَّمك هذا القضاء؟ فقال: القضاء الذي نزل برأس الذئب، ولذلك قيلَ: العاقل من وعظ بغيره.

ثم خَاطَبَ رسولَه ﷺ بما هو ردع للناس كافة فقال: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾، أي كفى كون ربك يا محمد ﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾، أي: من جهة كونه خبيراً، أي: عالماً ببواطن الأمور، وحقائقها، بصيراً: أي: عالماً بظواهرها، وشواهدها، فيعاقب عليها، وتقديم[2] الخبير مع أنه مضاف إلى الغيوب والأمور الباطنة، والبصير مضاف إلى الأمور الظاهرة، كالشهيد لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات التي هي مبادىء الأعمال الظاهرة وفيه[3] إشارة إلى أنَّ البعث والأمر، وما يتلوهما من فسقهم ليس لتحصيلِ العلم بما صدر عنهم من الذنوب، فإن ذَلِكَ حاصل قبل ذلك، وإنما هو لقطع الأعذار، وإلزام الحجة من كل وجهٍ.

وفي الآية[4]: بِشَارَةٌ عظيمة لأهل الطاعة، وتخويف شديد لأهل المعصية؛ لأن العلم التَّامَّ، والخبرة الكاملة، والبصيرة النافذةَ تقتضي إيصال الجزاءِ إلى

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

(٣) روح البيان.

(٤) الشوكاني.

مستحقه، بحسب استحقاقه، ولا ينافيه مزيد التفضل على من هو أهل لذلك، والمرادُ بكونه سبحانه خبيراً بصيراً: أنه محيط بحقائق الأشياءِ ظاهراً وباطناً لا تخفى عليه منها خافية.

والمعنى: أي[1] وحسبك ـ أيها الرسول ـ بالله خبيراً بذنوب خلقه، فلا يخفى عليه شيء من أفعال مشركي قومك، ولا أفعال غيرهم، بل هو عليم بجميع أعمالهم، لا يَعْزُب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وسيجازيهم على ذلك بما يستحقون.

ثم قَسَّم سبحانه عباده إلى قسمين: محب للعاجلة، ومحب لأعمال الآخرة، فذكر الأول منهما بقوله: ﴿مَّن كَانَ﴾ منكم أيها العباد ﴿يُرِيدُ﴾ بأعمال البر التي عملها ﴿ٱلْعَاجِلَةَ﴾؛ أي: المَنْفَعَةَ العاجلة، أو الدار العاجلة فقط: أي ما فيها من فنون مطالبها، فيدخل فيه الكفرة، والفسقة، والمراؤون، والمنافقون، والمهاجر للدنيا، والمجاهد لمحض الغنيمة والذكر، وطالب العلم لغرض الوظيفة، والمحمدة، والشهرة والاسم، كما ابتُلِي به كثير من طلبة عصرنا، وَقَدْ بيَّنا ما يتعلق بعلم مَنْ ذُكِّرَ وضده في كتابنا «سلَّم المعراج على خطبة المنهاج»، فراجعه إن شئتَ. ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ﴾؛ أي: لذلك المريد ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في تلك العاجلةِ، ثُمَّ قيَّد المعجَّلَ بقيدين:

الأول: قوله: ﴿مَا نَشَآءُ﴾ تعجيله له من نعيمها، لا كل ما يريد؛ فإن الحكمةَ لا تَقْتَضِي وُصُولَ كُلَّ طالب إلى مرامه ومطلوبه، ولهذا ترى كثيراً من هؤلاء المريدين للعاجلة، يريدونَ من الدنيا ما لا ينالونَ، ويتمنَّوْنَ ما لا يصلون إليه، ومن حكمته سبحانه: أنه[2] يَبْتَلي بَعْضَ العباد بالطلب من غير حصول المطلوب، وبعضهم يبتلي به مع حصول المطلوب المشروط به، إما مُقَارِناً لطلبه، وإما بعده، لأن وقتَ الطلب قَدْ يُفَارِقُ وقت حصول المطلوب، فَيَحْصُلُ الطلب في وقت، والمطلوب في وقت، وبعضُهم لا يبتلي بالطلب، بل يصل إليه الفيض

---

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

بلا طلب، فالأول طلب ولا شيء، والثاني طلب وشيء، والثالث: شيء ولا طلب.

والقيد الثاني: قوله: ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾؛ أي: لمن نريد التعجيلَ له منهم ما اقْتَضَتْهُ مَشِيْئَتُنَا.

وجملة ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ بدل من الضمير في (له) بإعادة الجار بَدَل البعض من الكل؛ لأن الضمير يرجع إلى (مَنْ) الموصولة المفيدة للعموم.

وهذه الآية مقيِّدة للآيات المطلقة كقوله سبحانه: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ وقوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿مَا نَشَآءُ﴾ بالنون، وروي عن نافع ﴿ما يشاء﴾ بالياء، فقيل: الضمير في يشاء يعود على الله، وهو من باب الالتفات، فقراءة النون والياء سواء، وقيل: يجوز أَنْ يعود على (مَن) العائد عليها الضمير في (له) وليس ذلك عامّاً بَلْ لا يكون له ما يشاء إلا آحاد أراد الله لهم ذلك، ثم بعد هذه الطلبة الفارغة، والإرادة الخالية، التي لا تأثير لَها إلا بالقيدين المذكورين عذاب الآخرة الدائم، ولهذا قال سبحانه: ﴿ثُمَّ﴾ بعد انتقاله إلى الآخرة ﴿جَعَلْنَا لَهُۥ﴾؛ أي: لذلك المريد في الآخرة مكانَ ما عَجَّلْنا له في الدنيا بسبب تركه لما أمر به من العمل للآخرة، وإخلاصه عن الشوائب ﴿جَهَنَّمَ﴾ وما فيها من أَصْنَافِ العذاب حَالَةَ كونه ﴿يَصْلَىٰهَا﴾؛ أي: يدخلها حال من الضمير المجرور ﴿مَذْمُومًا﴾ من عند الخلق؛ أي: ملوماً مُهَاناً بالذمِّ؛ لأن الذمَّ اللوم، وهو خلاف المدح والحمدِ، يقال: ذممته، وهو ذميم غَيْرُ حميد كما في «بحر العلوم» ﴿مَّدْحُورًا﴾ عند الخالق؛ أي: مطروداً من رحمة الله تعالى مبعداً عنها، فإنَّ الدَّحْرَ الطرد، والإبعاد.

فهذه عقوبته في الآخرة، مع أنه لا ينالُ من الدنيا إلاَّ ما قدره الله سبحانه

---

(١) البحر المحيط.

له، فَأَيْن حال هذا الشقي من حال المؤمن التقيّ، فإنه ينال من الدنيا ما قدره اللّه له وأراده بلا هلع منه، ولا جزع، مع سكون نفسه، واطمئنان قلبه، وثقته بِرَبّهِ، وهو مع ذلك عامل للآخرة مُنتظر للجزاء من الله سبحانه، وهو الجنة.

والمعنى: أي من[1] كان غرضه، وطلبه الدنيا العاجلةَ، ولها يعمل ويسعى، وإيَّاها يبتغيَ، لا يوقن بمعاد ولا يَرْجُو ثواباً، ولا يخشى عقاباً من ربه على ما يعملُ، يُعَجّلُ اللَّهُ له في الدنيا ما يشاء من بسط الرزق، وسعة العَيْش، ثُمَّ يصليه حين مقدمه عليه في الآخرة جَهَنَّمَ مذموماً على قِلَّةِ شُكْرِهِ، وسوء صنيعه فيما سَلَفَ، مُبْعداً من رحمته مطروداً من إنعامه.

وقد اشتمَلَ هذا العقاب على ثلاثة أمور:

١ ـ الدوام والخلود، وإلى ذلك الإشارة بقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا﴾؛ أي: يَدْخُلُهَا حتى تغمره من جميع جوانبه.

٢ ـ الإهانَة والاحتقار، وإلى ذلك الإشارة بقوله: ﴿مَذْمُومًا﴾.

٣ ـ البعد والطَّرْد من رحمة الله دائماً، فلا يَتَخَلَّلُ ذَلِكَ راحة، ولا يعقبه خلاص، وإلى هذا أشار بقوله: ﴿مَّدْحُورًا﴾ وفي قوله: ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ إشارة إلى أن الفوز بالدنيا، لاَ يَحْصل لكل من يريدها، فكثير من الكفار الضلال يعرضون عن الدين في طلب الدنيا، ثُمَّ هم يبقون محرومينَ من الدين والدنيا.

وفي هذا تهديد وزجر عظيم لهؤلاء الكفار، فإنهم قد يتركون الدين لطلب الدنيا، وربما فاتتهم أيضاً، وذكر الثاني من القسمين بقوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ﴾ بأعماله الصالحة الدارَ ﴿ٱلْآخِرَةَ﴾، أي: ثوابَها، وما فيها من النعيم المقيم بأن يؤثرها على الدنيا، ويعقد إرادته بها ﴿وَسَعَىٰ لَهَا﴾، أي للآخرة ﴿سَعْيَهَا﴾؛ أي: السعي اللائق بها، وهو الإتيان بما أُمر به، والإنتهاء عما نُهي عنه خالصاً لله غير مشوب، وكان الإتيان به على القانون الشرعي من غير ابتداع ولا هوى لا التقرب

---

(١) المراغي.

بما يخترعون بآرائهم وخرافاتهم، وفائدة[1] اللام: اعتبار النية، والإخلاص، فإنها للاختصاص.

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾؛ أي: والحال أنه مؤمن إيماناً صحيحاً لا شرك معه، ولا تكذيب، فإنه العمدةُ، لأن العمل الصالح لا يستحق صاحبُهُ الجزاء عليه، إلا إذَا كان من المؤمنين ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ الجامعون الشرائط الثلاثةَ المذكورةَ من إرادة الآخرةِ، والسعي الجميل لها، والإيمان؛ أي: أولئك المريدون للآخرة السَّاعُون لها سعيها، المؤمنون بالله إيماناً صحيحاً، واسم الإشارة مبتدأ خبره قوله: ﴿كَانَ سَعْيُهُم﴾؛ أي: عملهم ﴿مَّشْكُورًا﴾؛ أي: مقبولاً عند الله سبحانه وتعالى بحسن القبول مُثَاباً عليه، فإن شكر الله الإثابة على الطاعة، وقيل: مضاعَفاً إلى أضعاف كثيرةٍ، فقد اعتبر[2] سبحانه في كون السعي مشكوراً أموراً ثلاثة:

١ ـ أن يريدَ بعمله ثواب الآخرة، ونعيمها؛ فإن لم تحصل هذه النية لم ينتفع بذلك العمل، كما قال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾، وجاء في الحديث «إنما الأعمال بالنيات» إلى أَنَّ استنارةَ القلب بمعرفة الله ومحبته لا تحصل إلا إذا نَوى العامل بعمله طاعةَ ربه، والإخباتَ والخشوعَ له.

٢ ـ أن يعملَ العملَ الذي يتوصل به إلى الفوز بثواب الآخرة، ولا يكونُ ذلك إلا إذا كان من القرب والطاعات، لاَ من الأعمال الباطنة كعبادة الأوثان، والكواكب، والملائكة.

٣ ـ أن يَكُونَ ذلك وهو مؤمن، فإنَّ أَعْمَال البرّ لا توجب الثَّوَابَ إلا إذا وجد الإيمان.

والخلاصة: أن من أرادَ الآخرةَ، ولها عمل، وإياها طلب، فأطاع اللَّهَ، وطلبَ مَا يرضيه، وهو مصدّق بثوابه، وعظيم جزائِه على سعيه لها، شكر الله له جزيلَ سعيه، وآتاه حسنَ المثوبة، كفَاءَ ما قدَّم من صالح العمل، وتجاوَزَ عن سيئاته، وأدخله فراديس جنانه.

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

فائدة: واعلم[1] أن اللَّهَ سبحانه وتعالى خَلَقَ الإنسان مركَّباً من الدنيا والآخرة، ولكلّ جزءٍ منهما ميل وإرادة إلى كله؛ ليتغذّى منه، ويتقوّى، ويتكمَّل به، ففي جزئه الدنيوي وهو النفس طريق إلى دركات النيران، وفي جزئه الأخروي وهو الروحُ طريقٌ إلى درجات الجنان، وخُلِقَ القلب من هذين الجزئين، وله طريق إلى ما بَيْن إصبعي الرحمٰن، إصبعِ اللطف، وإصبع القهر فمن يرد الله به أن يَكُونَ مظهر قهره أزاغ قلبهُ، وحوّل وجهه إلى الدنيا، فيريد العاجلة، ويربِّي بها نفسه إلى أن تبلِّغه إلى دركات جهنم البعيدة، ويصلىٰ نَارَ القطيعة، ومن يُرد الله به أن يكونَ مظهر لطفه أقام قلبَهُ وحوَّل وجهه إلى عالم العلو، فيريد الآخرةَ، ويسعى لها سعيها، وهو الطلب بالصدق، وهو مؤمن بأن من طلبه وجده، فأولئك كان سعيهم في الوجود مشكوراً من الموجد في الأزل.

ثم بيَّن سبحانه أن عطاءَهُ ورزقه الدنيوي لا يحظر على كل من الفريقَين فقال: ﴿كُلًّا﴾؛ أي: كل واحد من الفريقين مريد الدنيا، ومريد الآخرة، فهو منصوب بقوله: ﴿نُّمِدُّ﴾؛ أي: نمد ونزيد كلاً من الفريقين بالعطاء مرَّةً بعد أخرى، بحيث يكونُ الآنف مدداً للسالف لا نقطعُهُ منه، وقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ بدل من ﴿كُلًّا﴾ و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ عطف عليه؛ أي: نمد هؤلاء الذين يريدونَ الدُّنْيَا وهؤلاء الذين يريدونَ الآخرة ﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ﴾؛ أي: من معطاه الواسع الذي لا تناهي له، لأنَّ العطاء اسم لما يُعطى فهو متعلق بـ﴿نُّمِدُّ﴾، فالله تعالى يُوسِّع عليهما في الرزق من الأموال والأولاد، وغيرهما من أسباب العز، والزيْنَة في الدنيا، وهذا[2] الإمداد المذكور ليس على طريق الاستيجاب والاستحقاق بالسعي والعمل الصالح، بل بمحض التفضُّل ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ﴾ يا محمد؛ أي: معطاه في الدنيا ﴿مَحْظُورًا﴾؛ أي: ممنوعاً من كل أحد، مؤمناً كان أو كافراً، لأن الكلَّ مخلوقون في دار العمل، فأزاحَ تعالى العذرَ عن الكل، وأوْصَلَ تعالى متاع الدنيا إلى الكل على القدر الذي يقتضيه الصلاح، فيرزق المؤمِنِينَ، والكافرينَ، وأهلَ الطاعة وأهل المعصية، لا تؤثر معصية العاصي في قطع رزقه، بل هو فائض على البرِّ

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

في الدنيا والآخرة، وعلى الفاجر في الدنيا فَقَطْ، وإن وجد منه ما يَقْتَضِي الحظر، وهو الفجورُ والكفرُ.

والمعنى: أي[1] إنَّ كلاً من الفريقين مريدي العاجلة، ومريدي الآجلة الساعي لها سعيها، وهو مؤمن يمده ربُّه بعطائه، ويُوسّع عليه الرزقَ، ويكثرُ له الأولادَ والأموالَ وغيرهما من زِينَةِ الدنيا، فإن عطاءَهُ ليس بالممنوع من أحد من خلقه، مؤمناً كان أو كافراً فَكُلُّهم مخلوق في دار العمل، فوجب إزالةُ العذر، ورفع العلة، وإيصال متاع الدنيا إليهم على القَدْر الذي يقتضيه صلاحُهم، ثُمَّ تختلف أحوال الفريقين، ففريقُ العاجلة إلى جهنم، وبئس المهاد، وفريق الآجلة إلى جنات تجري من تحتها الأنهار، ونعم عقبى الدار.

والخطاب في قوله: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ لمحمد ﷺ، ويحتمل أن يكونَ لكل مَنْ له أهلية النظر والاعتبار و﴿كَيْفَ﴾ في محل النصب على الحالية، بفَضَّلْنَا لا بانْظُر، لأنَّ أسماء الاستفهام مما يلزَمُ الصدارةَ فلاَ يتقدَّم عَلَيها عَامِلُها، وهذه الجملةُ مقررة لما مر من الإمداد، ومُوضِحةٌ له، والمعنى انظر يا محمدُ بنظر الاعتبار، كيف فضَّلْنَا بَعْضَ العباد على بعض، فيما أَمْدَدْنَاهم من العطايا الدنيوية، فَمن غني وفقير، وقوي وضعيف، وصحيح ومريض، وعاقل وأحمق، وذلك لحكمة بالغة تَقْتَصِر العقول عن إدراكها؛ أي: انظر إلى عطائنا للفريقين في الدنيا كيف فضلنا بعضهم على بعض، فَأَوْصَلْنَا رزقَنا إلى مؤمن، وقبضناه عن مؤمن آخر، وأوصلْنَاه إلى كافر، ومَنَعْنَاهُ من كافر آخر، ولِهذا حِكَمٌ وأسباب بيَّنها سبحانه بقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ وقوله: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾.

﴿وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ﴾؛ أي: ولدرجات الآخرة أكبر، وأعظم من درجات الدنيا؛ فإن درجات الآخرة باقية غير متناهية، ونعم الدنيا فانية متناهية ﴿و﴾

---

(١) المراغي.

للآخرة ﴿وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾؛ أي: ولِتَفَاضلهم في الآخرة، وتفاوتهم فيها أكبر من تفاوتهم في الدنيا، فإن منهم من يكون في الدركات السفلىٰ في جهنم مصفَّداً بالسلاسل والأغلال، ومنهم من يكون في الدرجات العليا في نعيم وحبور، وكل فريق يَتَفَاوَتُون فيما بينهم، وقرىءَ ﴿أكثر﴾ بالثاء المثلثة ففي «الصحيحين»: «إن أهل الدرجات العُلَى لَيَرَوْنَ أَهْلَ عِلّيّين كما ترون الكوكب الغابر في السماء» وفيهما: «إنَّ الله تعالى أمدَّ لعباده الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

وروى ابن عبد البر عن الحسن قال: حَضَرَ جماعة من الناس باب عمر رضي الله عنه، وفيهم سهيل بن عمَرو القرشيُ ـ وكان أحد الأشراف في الجاهلية ـ، وأبو سفيان بن حرب، ومشايخ من قريش، فأَذِنَ لصهيب، وبلال، وأهل بدر ـ وكان يحبُّهم ـ فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم قط، إنه لَيُؤْذَنُ لهؤلاء العَبيد ونحن جلوس لا يُلْتَفَتُ إلينا فقال سُهيْلَ: ـ وكان أعقلهم ـ أيُّها القوم: إنّي والله قد أرى الذي في وجوهكم، فإن كنتم غِضاباً فاغضبوا على أنفسكم، إنهم دُعُوا ودُعِينا ـ يعني إلى الإسلام ـ فأسرعوا وأبطأْنَا، وهذا باب عمر فَكَيْف التفاوت في الآخرة، ولئن حَسَدتموهم على باب عمر لَمَا أعد الله لهم في الجنة أكبر.

وعن بعضهم أنه قال: أيُّها المباهِي بالرفع منك في مجالس الدنيا، أَمَا تَرْغَبُ في المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة، وهي أَكْبَرُ وأفضل.

ثم لَمَّا أجمل سبحانه أعمالَ البر في قوله: ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ أَخَذَ في تفصيل ذلك مبتدئاً بأشرفها الذي هو التوحيد. فقال: ﴿لَّا تَجْعَلْ﴾ أيها الإنسانُ ﴿مَعَ ٱللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى ﴿إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ﴾، أي: فَتَصِيرَ ﴿مَذْمُومًا﴾، أي: مُسْتَحِقّاً للذم عند الملائكة والمؤمنين ﴿مَّخْذُولًا﴾ أي مستحقاً للخذلان والذل والهوان عند الله سبحانه وتعالى، والخطاب[1] فيه للنبي ﷺ والمراد به أُمَّتُه، فإنَّ

---

(١) روح البيان.

بَعْضَهم قالوا: الأصل في الأوامر هو ﷺ، وفي النواهي أُمَّتُه، وقيل: هو على إضمار القول، والتقديرُ: قُلْ لكل مكلف: لا تجعل إلخ، وانتصاب[1] ﴿مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ إمَّا على خبريَّتهما لـ ﴿تقعد﴾ إن قلنا: إنها من أفعال التصيير، وإما على الحال، إن قلنا: إنها على بابها بمعنى المكث؛ أي: فتصير جَامِعاً بين الأمرين الذم لك من الله، ومن ملائكته، ومن صالحي عباده، والخذلان لك منه سبحانه، أو تمكث حَالَ كونك جَامِعَاً بين الأمرين.

والمعنى[2]: أي لا تجعل ـ أيها الإنسان ـ مع الله سبحانه شريكاً في ألوهيته وعبادته، ولكن أخلص له العبادةَ، وأفردْ له الألوهة فإنه لا ربَّ غيره، ولا معبود سواه. إنَّكَ إن تجعل معه إلٰهاً غيرُه، وتعبد معه سواه تصر ملوماً على ما ضيَّعتَ من شكر الذي أنْعَمَ عليك بنعمه، وشكر من لم يولك نعمة مخذولاً لا ينصرك ربَّك بل يكلُك إلى مَن عبدتَه معه ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً.

وحاصل ما ذكره في هذه الآيات من أنواع التكاليف خمسة وعشرون نَوْعاً بعضها أصلي، وبعضها فرعيٌّ، وقد بُدئت بالأصل في قوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ...﴾ الخ وخُتمت به أيضاً في قوله: و﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ ﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ وسيأتي تعدادها في آخرها، إن شاء الله تعالى.

وبعد أن ذَكَر الركن الأعظمَ في الإيمان، وهو التوحيد أتبعَه بذكر شعائره، وشرائعه، وهي الأمور الآتية، فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾؛ أي: وأمَرَ ربك يا محمد كُلَّ مكلف أمراً جزماً، وحكماً قَطْعاً، وحَتماً مُبرَماً ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾؛ أي: بأن لا تعبدوا غَيْرَه إذ العبادةُ نهاية التعظيم، فلا تُسْتَحَقُّ إلا لمن له غاية العظمة، ونهاية الإنعام، والإفضال على عباده، ولا منعمَ إلا هو سبحانه، وإنَّمَا قال[3]: ﴿رَبُّكَ﴾ خطاباً للنبي ﷺ ولم يقل ربكم مع كَوْنِهِ مُقْتَضَى السِّياق؛ لأنه مخصوص بالتربية أَصَالة والأمةَ تبعٌ له في هذا الشأن.

---

(١) الشوكاني.

(٢) المراغي.

(٣) روح البيان.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿وَقَضَىٰ﴾ فعلاً ماضياً من القضاء، وقرأ أبو عمران، وعاصم الجحدري، ومعاذ القارىء ﴿وقضاء ربك﴾ بقاف، وضاد بالمد، والهمز والرفع، وخفض اسم الرب، مصدر قضى مرفوعاً على الابتداءِ، وأن لا تعبدوا خبره، وقرأ أُبيّ بن كعب، وابن عباس، وابن جُبير، والنخعيُّ وأبو المتوكل، وميمون بن مهران: ﴿ووصى ربك﴾ من التوصية وهذا خلاف ما انْعَقَدَ عليه الإجماعُ، فلا يلتفت إليه، وقَرأ بعضهم ﴿وأوصَى﴾ من الإِيصاءِ، وينبغي أن يُحمل ذَلِكَ على التفسير، لأنها قراءة مخالفة لسواد المصحف، والمتواتِرُ هو: ﴿قَضَى﴾ وَهُوَ المستفيض عن ابن عباس، وابن مسعود، وغيرهم في أسانيد القُرَّاءِ السبعة. ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾؛ أي: وقَضَى رَبُّكَ بأن تحسنوا إلى الوالدين، إحساناً كاملاً وتبروهما براً واسعاً؛ ليكون الله مَعَكُم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ فإن إحسانهما إليكَ قد بلغ الغايةَ العظيمةَ، فوجب أن يكونَ إحسانك إلَيْهِمَا كذلك، ومع ذلك لا تحصل المكافأة؛ لأن إنْعَامَهُما عليك كَان على سبيلِ الابتداءِ، وفي الأمثال المشهورة «إن البادىءَ بالبرّ لا يُكَافأ».

وقد أمر الله سبحانه بالإحسان إليهما للأسباب الآتية[2]:

١ ـ شفقتهما على الولد، وبذل الجهد في إيصال الخير إليه، وإبعادِ الضر عنه جهدَ المستطاع، فوجب مقابلةَ ذلك بالإحسان إليهما، والشكرِ لهما.

٢ ـ أنَّ الولد قِطْعَةٌ من الوالدين كما جاء في الخبر أنه ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني».

٣ ـ أنهما أنعما عليه، وهو في غاية الضعف، ونهاية العجز، فوجب أن يُقَابَل ذلك بالشكر حين كِبَرِهما، كما قال الشاعر العربي يعدد نعمَه على وَلَدِهِ وقد عَقَّه في كبره:

غَـذَوْتُـكَ مَـوْلُـوْدَاً وَمِـنْـتُـكَ يَـافِـعَـاً ... تُـعَـلُّ بِـمَـا أَجْـنِـي عَـلَـيْـكَ وَتَـنْـهَـلُ

إِذَا لَـيْـلَـةٌ ضَـافَـتْـكَ بِـالـسُّـقْـمِ لَـمْ أَبِـتْ ... لِـسُـقْـمِـكَ إِلاَّ سَـاهِـرَاً أَتَـمَـلْـمَـلُ

---

(١) البحر المحيط وزاد المسير. (٢) المراغي.

كَأَنِّي أَنَا ٱلْمَطْرُوْقُ دُوْنَكَ بِٱلَّذِيْ طُرِقْتَ بِهِ دُوْنِيْ فَعَيْنَيَّ تَهْمِلُ
تَخَافُ ٱلرَّدَىٰ نَفْسِيْ عَلَيْكَ وَإِنَّهَا لَتَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَوْتَ وَقْتٌ مُؤَجَّلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ ٱلسِّنَّ وَٱلْغَايَةَ ٱلَّتِيْ إِلَيْهَا مَدَىٰ مَا كُنْتُ فِيْكَ أُؤَمِّلُ
جَعَلْتَ جَزَائِيْ غِلْظَةً وَفَظَاظَةً كَأَنَّكَ أَنْتَ ٱلْمُنْعِمُ ٱلْمُتَفَضِّلُ
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِيْ فَعَلْتَ كَمَا ٱلْجَارُ ٱلْمَجَاوِرُ يَفْعَلُ

قيل[1]: ووجه ذكر الإحسان إلى الوالدين بعد عبادة الله سبحانه أنهما السبب الظاهِرُ في وجود المتولِّد بينهما، وفي جعل الإحسان إلى الوالدين قريناً لتوحيد الله وعبادته، من الإعلان بتأكد حقهما، والعِنَاية بشأنهما ما لا يَخْفَىٰ وكذلك جعل سبحانه في آية أُخْرَى شكرهما مقترناً بشكره فقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾.

والخُلاصةُ: أنه لا نعمةَ تَصِلُ إلى الإنسان أكثر من نعمة الخالق عليه، ثُمَّ نعمة الوالدين، ومن ثم بدأ بشكر نعمته أوَّلاً بقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ ثُمَّ أَرْدَفَها بشكر نعمة الوالدين بقوله: وبالوالدين إحساناً، ثم فَصَّلَ ما يجب من الإحسان إليهما بقوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾، وكلمة[2] (إِمَّا) مركبة من (إِنْ) الشرطية، و(ما) المزيدة لتأكيدها، ولذلك حَلَّ الفعل نون التوكيد، ومعنى ﴿عِندَكَ﴾ في كنفكَ وكفالتك، وأحدُهما فاعل للفعل، وتوحيدُ ضمير الخطاب في ﴿عِندَكَ﴾، وفيما بعده معَ أَنَّ ما سَبَقَ على الجمع، للاحتراز عن التباس المراد، فإنَّ الْمَقْصُودَ نهي كل أحد عن تأفيف والديه، ونهرهما، ولَو قوبل الجمع بالجمع أوْ بالتثنية.. لَمْ يحصل هذا المراد فإن قلتَ: كيف خص الله سبحانه حالَ الكِبَرِ بالإحسان إلى الوالدين، وهو واجب في حقهما على العموم؟.

قلتُ: إنَّ هذا وقت الحاجة في الغالب، وعند عدم الحاجة إجابتهما ندب، وفي حالة الحاجة واجب، ذكره في «روح البيان».

---

(١) الشوكاني.
(٢) روح البيان.

والمعنى: إنْ يَبْلُغْ أحدُ الوالدين أو كلاهما سن الكِبَرِ والشيخوخة، والعَجْزِ، والضعف، والحال أَنَّهما عندك في منزلك، وكفالتك؛ أي: والحال أنهما في حال يلزمك فيه القيامُ بأمرهما في المعيشة، ككبر سنهما، وعَجْزِهما عن الكسب، وغَير ذلك ﴿فَلَا تَقُل﴾ أيها الولد لأحدهما، أو ﴿لَّهُمَآ﴾؛ أي للوالدين كلاماً رديئاً، وقولاً خَشِناً كقولك لهما ﴿أُفٍّ﴾؛ أي: أنا أتضجر من شيء يصدر منكما، كظهور رائحة تؤذِيكَ منهما، بل أكرمهُمَا واخدِمهما كما خدماك في مثل هذه الحالة؛ أي: لا تقل لهما كَلاَماً رَدِيئاً إذا وُجِدَتْ منهما رائحة تؤذيك كما أنهما لا يستقذِرَانِ منكَ حين كنْتَ تَخْرَأُ أو تبول، والتقييد بحالةِ الكبر، خَرَجَ مَخْرَج الغالِب؛ لأن الولَدَ غَالِباً إنما يَتَهَاوَنُ بوالديه عند حصول الكبر لهما كما مر، والأصح أنَّ (أُفٍّ) اسم فعل مضارع مدلوله لفظ الفعل؛ أي: لا تقل: أَنَا أَتَضَجَّرُ من شيء يصدر منكما، وقال مجاهد: إِنَّ معناه إذا رأَيْتَ منهما في حال الكبر، الغائطَ، أو البول اللذين رأيا منك في حال الصغر، فلا تَقْذُرْهُمَا، وتقول: أف، انتهى. والآية أعمُّ من ذلك، وقرأ الجمهور[1] ﴿يَبْلُغَنَّ﴾ بنون التوكيد الشديدة، والفعل مُسْنَدٌ إلى ﴿أَحَدُهُمَآ﴾ ورُوي عن ابن ذكوان بالنون الخفيفة، وقرأ الأخوان حمزة والكسائي ﴿إما يبلغان﴾ بألف التثنية، ونون التوكيد الثقيلة، وهي قراءة السلمي، وابن وثاب، وطلحة، والأعمش، والجحدري، فقيل: الألف علامة تثنية، لا ضمير على لغة أكلوني البراغيث، وقيل: الألف ضمير الوالدين، و﴿أَحَدُهُمَآ﴾ بدل من الضمير، و﴿كِلَاهُمَا﴾ عطف على ﴿أَحَدُهُمَآ﴾، والمعطوف على البدل بدل.

وقرأ الحسن، والأعرج، وأبو جعفر، وشيبة، وعيسى، ونافع، وحفص، ﴿أفٍّ﴾ بالكسر والتشديد، مع التنوين، وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر كذلك بغير تنوين، وقرأ ابن كثير، وابن عامر، بفتح الفاء مشددةً من غير تنوين، وحكى هارون قراءة بالرفع والتنوين، وقرأ أبو السمال ﴿أف﴾ بضم الفاء من غير تنوين، وقرأ زيدُ بن علي ﴿أفاً﴾ بالنصب والتشديد والتنوين، وقرأ ابن

---

(١) البحر المحيط.

عباس ﴿أف﴾ خفيفة فهذه سبع قراءات من اللغات التي حكيت في ﴿أُفٍّ﴾.

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾؛ أي: لا تزجرهما بإغلاظ إذا كرهتَ منهما شيئاً؛ أي: لا تغلظْ لهما في الكلام، والمراد[1] من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ المنع من إظهار الضَّجَرِ بالقليلِ أو الكثير، ومن قوله: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ المنع من إظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليه ﴿وَقُل لَّهُمَا﴾ بدلَ التأفيفِ والنهرِ ﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾؛ أي: قَوْلاً ليناً حسناً، بأن يخاطبه بالكلام المقرون بأمارات التعظيم، كأن[2] يقول: يا أبَتَاه، ويا أمَّاهُ كدأب إبراهيم عليه السلام، إذْ قَالَ لأبيه: يا أبت مع ما به من الكفر، ولا يدعوهما بأسمائهما، فإنه من الجفاء، وسوء الأدب، ولا يرفعُ صوتَه فوق صوتهما، ولا يَجْهَرُ لهما بالكلام، بل يكلمهما بالهمس والخضوع إلا لضرورة الصَّمَمِ والإفهام، ولا يَسُبُّ والدي رَجُلٍ فيسب ذلك الرجل والدَيه، ولا ينظر إِلَيْهِمَا بالغضب ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا﴾ أي أَلِنْ لهما ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾؛ أي: حالكَ الليِّنَ المَذْلُولَ المتواضعَ، واخضعْ لهما حَتَّى لا تَمْتَنِعَ عن شيء أحباه ويسرهما ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾؛ أي: من أجل فرط رحمتك لهما، وشدة شفقتك عليهما، ورقة قلبك لهما، بسبب ضعفهما لا لأجل خوفك من العار، لافتقارهما اليومَ إلى مَنْ كَانَ أَفْقَرَ خَلْقِ الله إليهما بالأمس، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كُنْ مع الوالِدَين كالعبد المُذْنِبِ الذليل الضعيف، للسيد الفظ الغليظ؛ أي: في التَّواضُعِ والتملق.

ويُقَبِّلُ رجلَ أُمِّهِ[3]، ويباشِرُ خِدْمَتَهمَا بِيَدِهِ، ولا يفوّضها إلى غيره؛ لأنه ليس بعار للرجل أَنْ يَخْدُمَ معلمه، وأبويهِ وسُلطانَه، وضَيْفَه، ولا يؤمه للصلاة، وإنْ كَانَ أفقه منه؛ أي: أَعْلَمَ بالفقه من الأب، ولا يَمْشِي أَمَامَهُمَا إلا أَنْ يكون لإماطة الأذى عن الطريق، ولا يَتَصدَّرُ عليهما في المجلس، ولا يَسْبِقُ عليهما في شيء؛ أي: في الأكل والشرب والجلوس، والكلام وغير ذلك.

---

(١) المراح.
(٢) روح البيان.
(٣) روح البيان.

وفي الحديث «ما مِنْ ولدٍ يَنظر إلى الوالد وإلى والدَتِهِ نَظَر مَرْحمةٍ إلاّ كَانَ له بها حجَّةٌ وعمرة» قيل: وإن نَظَر في اليوم ألف مرةٍ قال: «وإنْ نظر في اليوم مئة ألف» كما في «خالصة الحقائق» وقلت: فيه مقال.

قال الفقهاء: لا يَذْهَبُ بأبيه إلى البَيْعة، وإذا بعث إليه منها ليحمله.. فَعَل، ولا يناوِله الخمر، ويأخذ الإناء منه إذا شربها، وعن أبي يوسف إذا أَمَرَه أن يُوقِدَ تَحْتَ قدره، وفيها لحم الخنزير، أَوْقَد كما في «بحر العلوم» ولا يَنْتَسِب إلى غير والديه استنكافاً منهما، فإنَّه يستوجب اللعنةَ، وقرأ الجمهور[1]: ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ بضم الذال، وقرأ ابنُ عباس، وعروة بن الزبير، وسعيد بن جبير، والجحدريُّ وابن وثّاب بكسر الذال.

ثُمَّ كأنه قال له سبحانه: ولا تكتف برحمتك التي لا دَوَامَ لَهَا ﴿و﴾ لكن ﴿قل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾؛ أي: وادْعُ اللَّهَ أن يَرْحَمَهما برحمته الباقية، ولو خَمْس مرات في اليوم والليلة، ولا تكتف برحمتك الفانية، وإنْ كَانَا كافرين.. لأن من الرحمة أن يَهْدِيَهما إلى الإسلام، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مَا زَالَ إبراهيمُ عليه السلام يستغفر لأبيه حتى مات، فلما تبيَّن له أنه عدو لله تبرَّأ منه، يعني ترك الدعاء، ولم يستغفر له بعدما مات على الكفر، كذا في «تفسير أبي الليث» وفي الحديث «إذا ترك العبد الدعاء للوالدين ينقطع عنه الرزق في الدنيا» سئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت، فقال: كل ذلك واصل إليه، ولا شيءَ أنْفَعَ له من الاستغفار، ولو كان شيءٌ أفضل منه، لأمرْتُ به الأبوين. ويُعضّدهُ قوله عليه السلام: «إنَّ اللَّهَ لَيَرْفَعُ دَرَجة العبد في الجنة، فيقول: يا رب أَنَّى لي هذا، فيقول: باستغفار وَلَدِكَ» وفي الحديث «مَنْ زار قَبْر أبويه أو أحدِهما في كل جمعة كان باراً».

والكاف في قوله ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ في محل النصب على أنه نعت مصدر محذوف؛ أي: قل في الدعاء لهما: رب ارحمهما برحمتك الدنيوية والأخروية

---

(١) البحر المحيط.

رحمةً مثلَ رحمتهما عَلَيَّ، وتربيتهما وإرشادهما إيايَّ في حال صغري، وفاء بوعدك للراحمين، ويجوزُ أن تَكُونَ الكَافُ تعليلية؛ أي لأجل تربيتهما لي. رُوِيَ أَنَّ رجُلاً قال لرسول الله ﷺ: «إنَّ أبوي بلغا من الكبَرِ أنّي أَلِيَ منهما ما وليا مِنّي في الصغر، فهل قَضَيْتُهُمَا حَقَّهُمَا؟ قال: «لا فإِنَّهما كَانَا يفعلان ذلك وهما يحبان بَقَاءَك، وأنت تَفْعَلُ ذلك وأنت تريد مَوْتَهُما».

وحاصل معنى الآيتين: أي إذَا[1] وصل الوالدان عندك أو أحدُهما إلى حال الضعف والعجز، وَصارَا عندك في آخر العمر كما كُنْتَ عندهما في أوله: وجب عليك أن تُشْفِقَ عليهما وتحنوَ لهما، تعاملهما معاملة الشاكر لمن أنعم عليه، ويَتَجَلَّى بأن تَتْبَعَ معهما الأمور الخمسة الآتية:

١ ـ أن لا تتأفَّفَ من شيءٍ تَرَاهُ من أحدهما أو مِنْهُمَا مِمَّا يتأذَّى به النَّاسُ، ولكن أصْبَرْ على ذلك منهما، واحتسب الأَجْرَ عليه كما صَبَرا عليك في صغرك.

٢ ـ أن لا تنغّصَ عليهما بكلام تزجرهما به، وفي هذا منع من إظهار الضَّجرِ القليل، أو الكثير.

٣ ـ أن تقولَ لهما قَوْلاً حسناً، وكلاماً طيباً، مقروناً بالاحترام والتعظيم، ممَّا يَقْتَضِيه حسن الأدب، وترشد إليه المروءة، كأن تقول يا أبتاه، ويا أماه، ولا تَدْعُوهما بأسمائهما، ولا ترفع صَوْتَكَ أمامهما، ولا تحدق فيهما بنظَرِكَ.

٤ ـ أن تتواضَعَ لهما، وتتذلل وتُطيعَهما فيما أمراك مما لم يكن معصيةً لله، رحمةً منكَ بهما وشفقة عليهما إذ هما قَدِ احتاجا إلى من كان أَفْقَرَ الخلق إليهما، وذلك مُنْتَهى ما يكون من الضَّرَاعةِ، والمسكنة ولله در الخفاجي إذ يقول:

يَـا مَـنْ أَتَـىٰ يَـسْـأَلُ عَـنْ فَـاقَـتِـيْ مَـا حَـالُ مَـنْ يَـسْـأَلُ مِـنْ سَـائِـلِـهْ
مَـا ذِلَّـةُ ٱلـسُّـلْـطَـانِ إِلاَّ إِذَا أَصْـبَـحَ مُـحْـتَـاجـاً إِلَـىٰ عَـامِـلِـهْ

وقوله: ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾؛ أي: أن يكونَ ذلك التذلل رحمةً بهما، لا من أجل

---

(١) المراغي.

امتثال الأمر وخوف العار فقط، فتذكر نفسك بما تقدَّم لهما من الإحسان إليك، وبما أمرت به من الشفقة والحدب عليهما، وقد مثَّل حاله معهما بحال الطائر إذا أراد ضم فَرْخِه إليه لتربيته؛ فإنه يخفض له جَنَاحَه، فكأنه قال للولد: اكفل والديك بأن تضمهما إلى نفسك كما فعلاَ ذلك في حال صغرك.

٥ ـ أن تدعو اللّهَ أن يرحمهما برحمته البَاقية، ولو خمس مرات في اليوم والليلة، كفاءَ رحمتهما لك في صغرك، وجميلِ شفقتهما عليك، وبالجملة فَقَدْ بالغ سبحانه في التوصية بهما، من وجوه كثيرة، وكفاهما أن شفع الإحسانَ إليهما بتوحيده، ونظمهما في سلك القضاء بهما معاً.

وبر الأم مقدَّم على بر الأب[1]؛ لِمَا رَوى الشيخان أنَّ رسولَ الله ﷺ سُئل من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك» قال: ثُمَّ من؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أبوك».

ولا يختص بِرهما بحال الحياة، بل يكون بعد الموت أيضاً، فقد روى ابن ماجة أنَّ رَسُولَ الله ﷺ سُئل هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: «نَعَمْ خصال أربع: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلةُ الرحم التي لا رَحِمَ لك إلا من قبلهما» فهذا الذي بقيَ عليك من برهما بَعْدَ موتهما.

والخلاصة: أنه سبحانه بَالَغ في التوصية بالوالدين مبالغةً تَقْشَعِرُّ منها جلودُ أهل العقوق، وتقِفُ عندها شُعورُهم، مِنْ حيث افْتَتَحَها بالأمر بتوحيده وعبادته، ثمَّ شَفَّعَهُمَا بالإحسان إليهما، ثم ضيق الأمرَ في مراعاتهما حتى لم يرخِّص في أَدْنى كلمة تنفلِت من المتضجر مع موجبات الضَّجر، ومع أحوال لاَ يكاد الإنسان يصبرُ معها، وأن يذِلَّ ويَخْضَعَ لهما، ثمَّ خَتَمَها بالدعاء لهما، والترحم عليهما، وهذه الخمسة الأشياء جعلها سبحانه من رحمته بها مقرونة بوحدانيَّته، وعدم الشرك به.

---

(١) المراغي.

فصل في ذكر الأحاديث التي وردت في بر الوالدين[1]

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمُّكَ، ثم أمك، ثم أباك، ثم أدناك، فأدناك» متفق عليه.

وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رَغم أَنْفُهُ، رَغِمَ أنفه، رَغِم أَنفُه» قيل: مَن يا رسول الله؟ قال: «من أدرك والدَيه عند الكِبَرِ أو أحدَهُما، ثم لم يدخل الجنة». أخرجه مسلم. وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يجزيَ ولد وَالِدَه إلاّ أَنْ يَجِدَه مملوكاً فَيَشْتَرِيَهُ فيعتِقَه» أخرجه مسلم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فاستأذنه في الجهاد، فقال: «أَحَيّ والداك؟» قال: نعم، «قال: ففيهما فجاهد» متفق عليه. وعنه أن رَسولَ الله ﷺ قال: «رضا الرب في رضا الوالدين، وسخط الرب في سخط الوالدين» أخرجه الترمذي مرفوعاً، وموقوفاً، وهو أصح.

وعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الوالد أوسط أَبْوابَ الجنة، فإن شئتَ: فضيِّع ذلك الباب، أو احفظه» أخرجه الترمذي، وقال: حديث صحيح.

وعن عبد الله بن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أحبُّ إلى الله تعالَى؟ قال: «الصلاة لوقتها»، قلت: ثم أي؟ قال: «برّ الوالدين» قلت: ثمَّ؛ أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله تعالى» أخرجه مسلم.

ولما كان بر الوالدين عسيراً حَذَّر من التهاون فيه. فقال: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾؛ أي: بما في ضمائركم من قصد البر والتقوى، وكأنه تهديد على أن يضمرَ لهما كراهةً واستثقالاً ﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾؛ أي: قَاصِدينَ الصلاحَ، والبِرَّ دُونَ العقوق، والفساد، فلا يَضُرُّكُم ما وقع منكم من الهفوة والزلة في حالة الغضب ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ﴾؛ أي: الرجاعين إليه بالتوبة مما فرط منهم مما لا يكاد يخلو عنه البشر، ﴿غَفُورًا﴾ لِما وقع منهم من نوع تقصير، أو

---

(١) الخازن.

إذايةٍ فعليةٍ أو قوليةٍ في حق الوالدين.

والمعنى: أي[1] ربكم أيها الناس: أعلم منكم بما وقع في نفوسكم من تعظيمكم أمرَ آبائكم، وأمهاتكم، والبِرّ بهم، ومن الاستخفاف بحقوقِهم، والعقوق بهم، وهو مجازِيكم على حَسَن ذلك وسيئه، فاحذروا أن تضمروا لهم سوءاً، وتعتَقِدُوا لهم في نفوسكم عقوقاً، فإن أنتم أصلحتم نِيَّاتِكُم فِيهِمْ وأطعتم رَبَّكم فيما أمركم من البر بهم، والقيام بحقوقهم عليكم، بعد هفوة كانت مِنكم، أو زَلَّةٍ في واجب لهم عليكم، فإنه تعالى يَغْفِرُ لكم ما فَرَطَ منكم، فهو غَفَّارٌ لمن يتوبُ من ذنبه، ويرجع من مَعْصِيَتِهِ إلى طاعته، ويعمل بما يحبه ويرضاه..

وفي هذا: وعد لمن أضمر البرَّ بهم، ووعيدٌ لمن تهاوَنَ بحقوقهم، وعَمِلَ على عقوقهم. وقيل: المعنى[2] رَبُّكُم أعلم منكم بما في ضمائركم من الإخلاص وعدمه في كل الطاعات، ومن التوبة من الذنب الذي فَرَطَ منكم، أو الإصرار عليه، ويندرج تَحْتَ هذا العموم ما في النفس من البر والعقوق، اندراجاً أولياً، وهذا المعنى أولي اعتباراً بعموم اللفظ، فلا تخصصه دلالة السياق ولا تقيّدُه، إن تكونوا قاصدين الصلاحَ والتوبةَ من الذنبِ والإخلاص في الطاعة.. فلا يضركم ما وقع منكم من الذنب الذي تبتم عنه، ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ﴾؛ أي: الرجاعين عن الذنوب إلى التوبة، وعن عدم الإخلاص إلى محض الإخلاص، ﴿غَفُورًا﴾ لِما فَرَطَ منهم من قول، أو فعل، أو اعتقادٍ فمن تَابَ.. تابَ الله عليه، ومن رجع إلى الله، رجع الله إليه.

وبَعْدَ أن أمر بالبر بالوالدين أمر بالبر بأصناف ثلاثة أخرى، فقال: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾؛ أي: وأعط ـ أيها المكلف ـ القريبَ منك مِنْ جِهَةِ الأب أو الأم، وإن بَعُدَ ﴿حَقَّهُۥ﴾ مِنْ صلةِ الرَّحِم بالمال أو بالمودة، والزيارة وحسن العشرة، وإن كان محتاجاً إلى النفقة.. فأنفق عليه ما يسد حاجَتَهُ.

---

(١) المراغي.
(٢) الشوكاني.

واعلم: أنه[1] لا يجب على الفقير إلاَّ نفقة أولاده الصغار الفقراءِ، ونفقة زوجته غنيةً أو فقيرةً مسلمة أو كافرةً، وأما الغني ـ وهو صاحبُ النصاب الفاضل عن الحوائج الأصلية ذكراً كَانَ أو أنثى ـ: فيجب عليه نَفَقَةُ الأبوين، ومن في حكمهما من الأجداد والجدات إذَا كانوا فُقَرَاءَ، سواءَ كانوا مسلمين أو كافرينَ، وهذا إذا كانوا أَهْلَ ذمة، فإن كانوا حرْباً.. فلا تجب نفقتهم وَإنْ كانوا مستأمنين، وتَجِبَ نَفَقَةُ كل ذي رحم محرم مما سوى الوالدين، إن كَانَ فقيراً صغيراً، أو أنثى، أو زمناً، أو أعمى أو لا يُحْسِنَ الكسب لخرقه، فإن كَانَ قادراً عليه لا تجب نفقته اتفاقاً، أو لكونه من الشرفاءِ والعظماءِ، وتجب نفقة الأبوين مع القدرة على الكسب ترجيحاً لهما على سائر المحارم، وطَالِبُ العلم إذا لم يقدر على الكسب لا تسقط نفقته عن الأب كالزمن، وكذا نفقة البنت البالغة غير المزوَّجة، ونفقة الإبن الزمن البالغ على الأب، وإذا كان للفقير أب غنيٌّ وابن غني، فالنفقة على الأبوين، ولا نفقة مع اختلاف الدين إلا بالزوجية ـ كما سبق ـ والولاء، فنفقة الأصول الفقراء مسلمين أو لا على الفروع الأغنياء، ونفقة الفروع مسلمين أو لا على الأصول الأغنياء، فلا تجب على النصراني نفقة أخيه المسلم، ولا على المسلم نفقة أخيه النصراني، لعدم الولاء بينهما، ويعتبر في نفقة قرابة الولاء أصولاً أو فروعاً الأقرب فالأقربُ، وفي نفقة ذي الرحم يعتبر كونه أهلاً للإرث، ولا تجب النفقة لرحم ليس بمحرم اتفاقاً كأبناء الأعمام، بل حقهم صلتهم بالمودة، والزيارة، وحسن المعاشرة، والتفصيل في باب النفقة في كتب الفروع، فأرجع إليها، ووجوبُ نفقة كل ذي رحم محرم إذا كانوا فقراءَ على مذهب أبي حنيفة، وقال[2] الشافعي: لا تَلْزَمْ النفقةُ إلا لوالد على ولده، أو ولد على والديه فحسب.

وقوله: ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ معطوف على ﴿ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾؛ أي: وأعط ـ أيها المكلَّف ـ من اتصف بالمسكنة أو بكونه من أبناءِ السبيل حقه، والمراد[3]

(١) روح البيان.
(٢) الخازن.
(٣) الشوكاني.

به في هذه الآية التصدق عليهما بما بلغت إليه القدرة من صدقة النفل، أو مما فرضه الله لهما من صدقة الفرض، فإنهما من الأصناف الثمانية التي هي مصرف الزكاة، والمسكين هو من له شيء من المال أو الكسب يَقَعُ موقعاً من كفايته، ولا يكفيه تمام حاجته، والفقير من له شيء من المال أو الكسب لا يقع موقعاً من كفايته، أو لاَ شيء له أصلاً.

﴿وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ هو المسافر لغرض في غير معصية المنقطع عن ماله، فيجب إعانته ومساعدته على سفره حتى يصل إلى مقصده، وقد بسطنا الكلام على الأصناف الثلاثة في سورة التوبة فراجعها.

ولما أمر الله سبحانه بما أمرَ به من الإنفاق نهى عن التبذير، وهو صَرْفُ المال في غير مصارفه، وتفريقه كيفما كَانَ من غير تعمد لمواقعه، كما يفرَّق البذر في الأرض، وقال الشافعي: التبذير إنفاق المال في غير حقه، وهو حرام فقال: ﴿وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾؛ أي: ولا[1] تفرق أيها الإنسان ما أعطاك الله من مال في معصيته، تفريقاً بإعطائه مَن لاَّ يستحقه أو بإنفاقه في المحرمات كالمناهي والملاهي، أو بإنفاقه رئاءً وسمعةً، ثم نبه سبحانه على قبح التبذير بإضافته إلى الشياطين فقال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ﴾؛ أي: إنَّ المسرفينَ بإنفاق أموالهم في غير مَصَارِفِهَا ﴿كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾ أي: أتباعهم وأصدقاءهم؛ لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف، تقول العرب: لكل من لازم سُنَّةَ قوم واتبع أثرهم هو أخوهم؛ أي: إنَّ المفرقين أموالهم في معاصي الله المنفقيها في غير طاعته إخوان الشياطين، وقرناؤهم في الدنيا والآخرة كما قال: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾ وقال: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾، أي: قرناءهم من الشياطين ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ﴾؛ أي: لنعمة ربه التي أنْعَمَ بها عليه ﴿كَفُورًا﴾ أي جُحُوداً لا يشكره عليها، بل يكفرها بترك طاعته، وارتكابه معصيته، وكذا إخوانه المبذرون أموالَهم في معاصي الله، لا يشكرون اللَّهَ على نعمه عليهم، بل يخالفون

---

(١) المراغي.

أمْرَه، ولا يستنون سُنَّتَه، ويتركون الشكرانَ عليها، ويتلقونها بالكفران، وقَرَأَ الحسن والضحاك[1]: ﴿إخوان الشيطان﴾ على الإفراد، وكذا ثبت في مصحف أنس.

قال الكرخي: وكذلك من رزقه الله جَاهاً أو مالاً فصرفه إلى غير مرضاة الله، كَان كَفُوراً لنعمة الله؛ لأنه موافق للشيطان في الصفة والفعل اهـ، وفي ذكر وصف الشيطان بالكُفْرَان دُونَ ذكر سائر أوصافه بيان لحال المبذر؛ لأنه لما صرف نعم الله عليه في غير موضعها كفر بها ولم يشكرها، كما أنَّ الشيطانَ كفر بهذه النعم.

وقد كان من عادة العرب أن يجمعوا أموالَهم من السلب، والنهب، والغارة، ثم ينفقُونَها في التفاخر، وحب الشهرة، وكان المشركونَ من قريش ينفقون أموالَهم لِيَصُدُّوا الناسَ عن الإسلام، وتوهين أهلِهِ، وإعانة أعدائِه، فجاءت الآية تبين قُبْحَ أَعْمَالهم.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ تقدم قريباً أن أصل ﴿إما﴾ هذه مركب من (إن) الشرطية، و(ما) الإبهامية، وأَنَّ دخُولَ نون التوكيد على الشرط لمشابهته للنهي؛ أي: وإنْ أَعْرَضْتَ ـ يا محمد أو أيها المكلف ـ عن هؤلاء الذين أُمِرْتَ أَنْ تُؤْتِيَهم؛ أي عن ذي القربى والمسكين، وابن السبيل حَيَاءً من التصريح بالرد لكونك كنت فَقِيراً في وقت طلبهم منك ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾؛ أي: لانتظار مجيىء رزق من ربك ترجوه، أن يأتيك فتُعْطِيَهم، وقيل[2]: معناه لفقد رزق من ربك ترجوه أنْ يَفْتَحَ لَكَ، فوضع الابتغاءَ موضع الفقد، لأن الفقد سبب للابتغاء، فأقام المسبب الذي هو ابتغاء رحمة الله مقامَ السبب الذي هو فقد الرزق؛ لأن فاقد الرزق مُبتغٍ له؛ أي: وإن أعرضت عنهم لِفَقْدِ رزق من ربكَ ترجو أن يفتحَ الله به عليك. ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾، أي قَوْلاً سَهْلاً ليناً كالوعدِ الجميل، أو الاعتذار المقبول؛ أي: عِدهم وعداً طيباً تطيب به قلوبهم، وقيل: هو أن يقولَ:

---

(١) البحر المحيط.　(٢) البيضاوي.

رزقنا الله وإياكم من فضله.

والمعنى: أي[1] وإن أعرضت عن ذوي القربى والمسكين، وابن السبيل، وأنْتَ تستحي أن ترد عليهم انتظارَ فرج من الله ترجو أن يأتيك، ورزق يفيض عليك فقل لهم قولاً ليناً جميلاً، وعدهم وعداً تَطِيبُ به قلوبهم. قال الحسن: أُمِرَ أن يقول لهم: «نَعَمْ وكرامةً، وليس عِنْدَنَا اليوم شيءٍ، فإن يأتنا نعرف حقكم».

وفي هذا تأديب من الله لعباده إذا سألهم سائل ما ليس عندهم كيف يقولون، وكيف يردونَ، ولقد أحسن من قال:

إِلاَّ يَكُنْ وَرِقٌ يَوْمَاً أَجُوْدُ بِهِ ... لِلسَّائِلِيْنَ فَإِنِّيْ لَيِّنُ ٱلْعُوْدِ

لاَ يَعْدَمُ ٱلسَّائِلُوْنَ ٱلْخَيْرَ فِيْ خُلُقِيْ ... إِمَّا نَوَالٌ وَإِمَّا حُسْنُ مَرْدُوْدِ

ثم بيَّن سبحانه الطريق المثلى في إنفاق المال فقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ﴾ أيها الإنسان ﴿يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾؛ أي: مضمومة ﴿إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ مجموعة معه في الغل، وهو: بضم الغين طوق من حديد يجعل في العنق؛ أي: لا تُمسك يدك عن الإنفاق في الحق، والخير كالمغلولة يدُهُ إلى عنقه، لا يقدر على مدها؛ أي: لا تمسك عن الإنفاق بحيث تضيق على نفسك وأهلك. ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾؛ أي: لا تمدها في الإنفاق ﴿كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ فتعطي جميعَ ما عندك في وجوه صلة الرحم، وسبيل الخيرات؛ أي: لا تَتَوَسَّع[2] في الإنفاق تَوَسُّعاً مفرطاً بحيث لا يبقى في يدك شيء، ورُوي عن قالون ﴿كل البصط﴾ بالصاد ذكره في «البحر» ﴿فَتَقْعُدَ﴾؛ أي: فتصير ﴿مَلُومًا﴾ عند الله تعالى؛ لأنَّ المسرف غير مرضي عنده تعالى، وعند أصحابك فهم يلومونك على تضييع المال بالكلية، وإبقاءِ الأهل والولد في الضر، وتبقى ملوماً عند نفسك بسبب سوء تدبيرك، وترك الحَزْمِ في مُهِمَّات معاشك، أو ملوماً على البخل من الواجبات. ﴿مَّحْسُورًا﴾؛ أي: نَادِماً على ما فرط منك من الإنفاق أو مُنْقَطِعاً لا شيء عندك تنفقه، أو منقطعاً عنك الأحباب بسبب ذهاب

---

(١) المراغي. (٢) المراح.

الأسباب من[1]: حسَرُه السفرُ إذا أثَّر فيه أثراً بليغاً، أو عَارِياً من حَسَرَ رأسه، وَلاَ تشكل هذه الآية على ما ورَدَ من فعل السلف الذين خَرَجُوا عن أموالهم في محبة الله ورسوله وصاروا فقراءَ؛ لأن النهي محمول على من كان يعقبه النَّدَمُ والتحسُّرُ، بخلاف السَّلَف، فلم يُوجَدْ منهم التحسر.

والمعنى: أي لا تكن[2] بخيلاً منوعاً لا تعطي أحداً شيئاً، ولا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك، وتخرج أَكْثَرَ من دخلك، فإنك إن بخلتَ كنتَ ملوماً مذموماً عند الناس، كما قال زهير:

وَمَـنْ يَـكُ ذَا مَـالٍ فَـيَـبْـخَـلْ بِـمَـالِـهِ   عَـلَـىٰ قَـوْمِـهِ يُـسْـتَـغْـنَ عَـنْـهُ ويُـذْمَـمِ

ومَذْمُوماً عند الله لحرمان الفقير والمسكين من فضل مالِكَ، وقد أوجب الله عَلَيْكَ سَدَّ حاجتهما بإعطاء زكاة أَمْوَالِك.

وإن أسرفتَ في أموالك فَسُرْعَانَ ما تفقدها فتصبح معسراً بعد الغنى، ذَلِيلاً بعد العزة، محتاجاً إلى معونة غيرك بعد أن كنتَ مُعِيناً له، وحينئذٍ تَقَعُ في الحسرة التي تقطع نياطَ قلبك، ويبلغ منك الأسى كلَّ مَبْلَغ، ولكن أنَّى يُفِيدُ ذلك، وقد فات ما فاتَ، فلا يَنْفَعُ النَّدَمُ، ولا تُجدي العظة والنصيحة.

وخلاصة ذلك: اقْتَصِدْ في عيشك، وتَوسّطْ في الإنفاق، ولا تَكُن بَخِيلاً، ولا مُسْرِفاً.

روى أحمد وغَيْرُهُ عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما عَالَ من اقْتَصَدَ» وأخرج البيهقي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة» وروي عن أنس مرفوعاً «التدبيرُ نِصْفُ المعيشَةِ، والتودد نصف العقل، والهَمُّ نصف الهرم، وقلة العيال أحد اليسارَين»، وقيل: «حسنُ التدبير مع العفاف خيْرٌ من الغنى مع الإسراف».

وإجمال المعنى: لا تجعل يدك في انقباضِهَا كالمغلولة الممنوعة عن

---

(١) النسفي.   (٢) المراغي.

الانبساط، ولا تَتَوَسَّع في الإنفاق، فتصيرَ نَادِمَاً مغموماً، وعاجزاً عن الإنفاق لا شيء عندك، فتكون كالدابة التي قد عَجزَت عَن السير، فوقفت ضَعْفاً وعجزاً وإعياء.

ثم سلّى رَسُولَهُ والمؤمنين بأن الذي يرهقهم من الإضافة ليس لِهَوانِهم على الله تعالى، ولكن لمشيئة الخالق الرزاق فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ أيها الرسول ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ البَسْطَ عليه من عباده، ويوسِّعه عليه ﴿وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: يضيِّق على من يشاءَ التضييقَ عليه بحسب السنن التي وضعها لعباده في كسب المال، وحسن تصرفهم في جمعه بالوسائل والنظم التي وضعها في الكون؛ أي: يوسعه على بعض، ويضيِّقه على بعض، لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ لا لكون من وُسِّع له رزقه مكرَماً عنده، ومن ضيَّقه عليه مهاناً لديه.

فعلى العاقل[1]: التسليم لأمر الله تعالى، والرضى بقضائه، والصَّبْرُ في موارد القبض، والشكر في مواقع البسط، والإنفاق مَهْمَا أمكن، ثُمَّ علَّلَ ما ذكره من البسط للبعض، والتضييق على البعض بقوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ سبحانه وتعالى ﴿كَانَ بِعِبَادِهِۦ﴾؛ أي: ببواطن عباده، ﴿خَبِيرًا﴾ وبظواهرهم ﴿بَصِيرًا﴾ فيعلم ما يُسِرّون وما يُعلنون، لا يخفى عليه من ذلك خافيةٌ، فهو الخبير بأحوالهم، البصير بكيفية تدبيرهم، في أرزاقهم.

والمعنى: أنَّ[2] رَبَّك ذو خبرة بعباده فَيَعْلَمُ من الذي تصلحه السَّعةُ في الرزق، ومن الذي تفسده، ومن الذي يصلحه الإقتار والضّيقُ، ومن الذي يفسده، وهو البصير بتدبيرهم وسِيَاسَتِهِمْ فعليك أن تَعْمل بما أمرك به، أو نَهَاكَ عنه من بسط يدك فيما تُبْسَطُ فيه، وفيمن تبسطها له، وفي كفها عمَنْ تكفها عنه، فهو أعلم بمصالح العباد منك، ومن جميع الخَلْقِ، وأَبْصَرِهم بتدبير شؤونهم.

وقصارى ذلك: أنكم إذا علمتم أنَّ شأنه تعالى الْبَسْطُ والْقَبْض، وأمعنتم النظرَ في ذلك وجدتم أنَّ من سُنَنَهُ تعالى الاقتصاد، فاقتصدوا واستنوا بسننه.

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.

وبعد أنْ بَيَّن أنه تعالى الكَفِيلُ بالأرزاق، وهو الذي يبسط ويقدر، نَهاهُم عن قتل الأولاد خشيةَ الفقر، فقال: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ﴾ يا معاشِرَ العرب ﴿أَوۡلَٰدَكُمۡ﴾، ولا تئدوا بناتكم بدفنها حيَّةً ﴿خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ﴾؛ أي: لأجل خوف فقر وفاقة في المستقبل إن تركتموهم حية؛ أي: لا تقتلوهم مَخَافَةَ فقر، ولا لغير مخافة فـ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ لا أنتم، أي: نرزقُهم[1] من غير أن يَنْقُص من رزقكم شيءٌ فيَطْرَأَ عليكم ما تخشونه من الفقر، فَلاَ تَخَافُوا الفَقْرَ لعلمكم بعَجْزِهم عن تحصيل رزقهم، وقد كان العربُ في جاهليتهم يقتلون البنات لعجزهم عن الكسب وقدرة البنين عليه بالغارات، والسَّلْب والنَّهب، ولأنَّ فَقْرَهم ينفر الأكفاءَ عن الرغبة فيهنَّ فيحتاجون إلى تزويجهن لغير الأكفاء، وفي ذلك عار أيُّما عارٍ عليهم، وقوله: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ﴾ خطاب للموسرين بدليل قوله: خَشْيَة إملاق، ولذلك قَدَّم الأولاد، وما تقدَّم في الأنعام خطابٌ للمعسرين، ولذلك قدم ذكر الآباء وأخّر ذكر الأولاد ذكره الصاوي.

والحاصل: أن الحِكْمَةَ في تقديم رِزْق الأبناء على رزق الآباء في قوله هنا: ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ﴾، وفي سورة الأنعام قدم رِزقَ الآباءِ على رزق الأبناء حيث قال: ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ﴾. أنَّ قتل الأولاد هنا كانَ خشية وقوع الفقر بسببهم، فقدَّم تعالى رزقَ الأولاد، وفي الأنعام كَانَ قتلُهم بسبب فقر الآباء فِعْلاً، فقدَّم رزق الآباء، فللّه در التنزيل ما أدق أسْرارَه، فقتل[2] الأولاد إن كَان لخوف الفقر فهو سوء ظنّ بالله تعالى، وإن كان لأجل الغَيْرة على البنات فهو سعي في تخريب العالم، فالأول: ضد التعظيم لأمر الله تعالى، والثاني: ضد الشفقة على خلق الله، وكلاهما مذمومٌ غايةَ الذم، قال بعضهم: والذي حملهم على قتل الأولاد البُخلُ وطولُ الأمل.

والخلاصة: أن الأرزاقَ بيد الله، فكما يفتح خزائنَه للبنينَ، يفتحها للبنات، فليس لكم سبب يدعو إلى قتلهن، ومن ثُمَّ قال: ﴿إِنَّ قَتۡلَهُمۡ﴾؛ أي: إنَّ قَتْلَ

---

(١) المراغي. (٢) المراح.

الأولاد لخوف فقر، ولا لغيره ﴿كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾؛ أي: ذَنْبَاً عظيماً، وإثْماً فظيعاً لما فيه من انقطاع التناسل، وزوال هذا النوع من الوجود.

وفي «الصحيحين» عن عبد الله بن مسعود قال: قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً، وهو خلقك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتلَ ولدكَ خشيةَ أن يطعمَ معك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزانِيَ بِحَلِيلةِ جارك».

وقرأ الأعمش وابن وثَّاب[1]: ﴿ولا تُقَتِّلوا﴾ بالتضعيف، وقُرِىء ﴿خِشْيَةَ﴾ بكسر الخاءِ، وقَرأَ الجمهورُ ﴿خِطْـًٔا﴾ بكسر الخاء، وسكون الطاء، وقرأ ابن كثير بكسرها، وفتح الطاء، والمدّ، وهي قراءة طلحة، وشبل، والأعمش، ويحيى، وخالد بن إلياس، وقتادة، والحسن، والأعرج، بخلافٍ عنهما. وقال النحاس: لا أعرف لهذه القراءة وجهاً، ولذلك جعلها أبو حاتم غَلطاً، وقرأ ابن ذَكْوان ﴿خَطَأً﴾ على وزن نَبأ، وقرأ الحسن ﴿خَطَاءً﴾ بفتحهما، والمد جعله اسمَ مصدر من أخطأ كالعطاء من أعطى قاله ابن جني، وقال أبو حاتم: هي غَلَطٌ غَيْرُ جائز، ولا يُعْرَفُ هذا في اللغة، وقرأ أبو رجاء، والزهري، كذلك إلا أنَّهُمَا كسرا الخاء فصار مثل ربا، وكلاهما من خطىء في الدين، وأخطأ في الرَّأي، وجاء عن ابن عامر خَطْأً بالفتح، والقصر مع إسكان الطاء، وهو مصدرٌ ثالث من خطىء بالكسر.

ولما كان في قتل الأولاد حظ من البخل، وفي الزنا داعٍ من دواعي الإسرافِ أتبعَه بِهِ، فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ أيها المكلفون بمباشرةِ مقدماته من اللمسِ، والقبلة والنظرة، والمعانقة والغَمْزَةِ.

وفي النهي[2] عن قربانه بمباشرة مقدماته نَهْيٌ عنه بالأولى؛ فإن الوَسِيلةَ إلى الشيء إذا كانت حراماً.. كان المُتَوسَّلُ إليه حراماً، بفحوى الخطاب، والزنا: الأكثر فيه القصرُ، ويمد لغة لاَ ضرورةً هكذا نقل اللغويون.

وقرأ أبو رزين، وأبو الجوزاء، والحسن بالمَدّ قال أبو عبيدة: وقَدْ يُمَدُّ الزنا

---

(١) البحر المحيط. (٢) الشوكاني.

في كلام أهل نجد.

قَالَ الْفَرَزْدَقُ:

أَخَضَبْتَ فِعْلَكَ لِلزِّنَاءِ وَلَمْ تَكُنْ ... يَوْمَ ٱللِّقَاءِ لِتَخْضِبَ ٱلأَبْطَالاَ

ثم علل النهْيَ عن الزنا بقوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: إن الزنا ﴿كَانَ فَٰحِشَةً﴾؛ أي: فعلة قبيحةً ظاهرةَ القبح، لاشتماله على فَسَاد الأنساب، وعلى التقاتل، فإن الإنسانَ لاَ يَعْرِف أن الولدَ الذي أتت به الزانية أهو منه أو من غيره؟ فلا يقوم بتربيته، وذلك يوجب ضياعَ الأولاد، وانقطاع النسل، وخراب العالم، ﴿وَسَآءَ﴾ الزنا، وقَبُحَ من جهة كونه ﴿سَبِيلًا﴾؛ أي طريقاً إلى النار، والمخصوص بالذم طريقه. ولا خلاف في كونه من الكبائر، وقد ورد في تقبيحه والتنفير عنه من الأدلة ما هو معلوم.

والحاصل: أن الزنا اشتملَ على مفاسدَ كثيرةٍ[1]، أهمها:

١ ـ اختلاط الأنساب، واشْتِباهها وإذا شك المرء في الولد الذي أتت به الزانية أهو منه أم من غيره؟ لا يقوم بتربيته، ولا يستمر في تعهده، وذلك مما يوجب إضاعَة النسل، وخراب العالم كما مر آنفاً.

٢ ـ فَتْحُ باب الهرج والمرج، والاضطراب بين الناس دفاعاً عن العِرض، فكم سمعنا بحوادث قَتْلٍ كان مبعثها الإقدام على الزّنَا حتى إنه ليقالُ عند السماع بحادثِ قتل: فَتِّشْ عن المرأة.

٣ ـ أن المرأَةَ إذا عُرِفَتْ بالزنا، وشُهرت به اسْتَقْذَرَها كل ذي طبع سليم، فلا تحدث ألفة بينها وبين زوجها، ولا يتم السَّكَنُ والازدواج الذي جعله الله مَوَدَّةً، ورحمة بين الناس بقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.

٤ ـ أنه ليس المقصد من المرأة مجرد قَضَاءُ الشهوة، بل أن تصير شريكةً

(١) المراغي.

للرجل في ترتيب المنزل، وإعداد مَهامه من مطعوم، ومشروب، وملبوس، وأن تكونَ حافظة له قائمة بشؤون الأولاد، والخَدَمِ، وهذه المهامُّ لا تتم على وجه الكمالِ إلاّ إذَا كانت مختصة برجل واحد منقطعة له دونَ غيره من الناس.

وإجمال ذلك: أن الزّنا فاحشة، وأيُّ فاحشة لما فيه من اختلاط الأنساب، والتقاتل، والتناحر، دفاعاً عن العِرض، وأنه سبيل سيّىء من قبل أنه يسوّي بين الإنسان والحيوان في عدم اختصاص الذُّكران بالإناث.

وبعد أن نهى عن قتل الأولاد للسبب المتقدم، نهى عن القتل مطلقاً، فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا﴾ أيها العباد ﴿ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى قتلها بالإسلام والعهد ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي إلا قَتْلاً متلبساً بالحق، وهو أحد أمور ثلاثة: كفر بعد إيمان، وزنا بعد إحصان، وقتل مؤمن معصوم عمداً، كما جاء في الحديث الذي رواه الشيخان، وغيرهما، عن ابن مسعود «لا يحل دم امرىء يشهد أَن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رَسُولُ الله، إلا بإحدى ثلاث: النفسُ بالنفس، والثَّيِّبُ الزاني، والتارك لدينه، المفارق لِلْجَمَاعَةِ».

فالمراد بالتي حرَّم الله التي جعلها معصومة بعصمة الدين، أو عصمة العهد، والمراد بالحق الذي استثناه، هو ما يباح به قتل الأنفس المعصومة في الأصل من إحدى الأمور الثلاثة المذكورة في الحديث السابق؛ أي: لا تقتلوها بسبب من الأسباب إلا بسبب متلبس بالحق، أو إلا متلبسين بالحق.

ولتحريم[1] القتل حكم[2]:

١ ـ أنه إفساد، فَوَجب تحريمه لقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

٢ ـ أنه ضرر، والأصل في المضارة الحرمة لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ وقوله ﷺ: «لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ».

٣ ـ أنه إذا أبيح القتل زَالَ هذا النوع من الوجود، ففتك القوي بالضعيف،

---

(١) الشوكاني.
(٢) المراغي.

وحَدَثَ الاضطراب في المجتمع، فلا يستقيم لِلنّاس حَال، ولا يَنْتَظِمُ لهم معاش.

﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾؛ أي بغير سبب من الأسباب المسوِّغة لقتله شرعاً ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ﴾؛ أي: لمن يلي أمره من ورثته إن كانُوا موجودين، أو ممن له سلطان إن لَمْ يكونوا موجودين ﴿سُلْطَانًا﴾؛ أي: تسلُّطاً واستيلاءً على القاتل، إن شاء قتل، وإن شاء عفا، وإن شاءَ أخذ الدّيةَ.

ثم لما بيَّن إباحة القصاص لمن هو مستحق لدم المقتول، أو ما هو عِوَضٌ عن القصاص، نهاه عن مجاوزة الحد فقال: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾؛ أي: لا يتجاوز ما أباحه الله له، فيَقتل بالواحد اثنين، أو جماعة كما كانوا يفعلون في الجاهلية؛ إذ كانوا يقتلون القاتل، ويقتلون معه غيره، إذا كان رَجلاً شَرِيفاً، وأحياناً لا يرضون بقتل القاتل، بل يقتلون بَدَلَهُ رَجُلاً شريفاً، أو يُمَثِّلُ بالقاتل أو يعذبه.

وفي الآية: إيماء إلى أن الأولى للولي أَن لا يقدم على استيفاء القَتْل، وأن يكتفي بالدية أو يعفو.

ثم علل النهي عن السرف فقال: ﴿إِنَّهُۥ﴾؛ أي: إن ولي المقتول ﴿كَانَ مَنصُورًا﴾ من جهة الله سبحانه وتعالى؛ أي: إنَّ الله سبحانه نصر الولي بأن أوجب له القصاص، أو الدية، وأمر الحُكَّامَ أن يُعِينُوه على استيفاء حقه، فلا يبغِي ما وراءه، ولا يَطْمَع في الزيادة على ذلك.

وقد يكون المعنى: إنَّ المقتولَ ظُلْماً منصورٌ في الدنيا بإيجاب القود له على قاتله، وفي الآخرة بتكفير خطاياه، وإيجاب النار لقاتله، وهذه الآية أول ما نزل من القرآن في شأن القَتْلِ لأنها مكية.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿فَلَا يُسْرِف﴾ بياء الغيبة، وقرأ الأخوان حمزة والكسائي، وزيد بن علي، وحذيفة، وابن وثاب، والأعمش، ومجاهد، بخلاف

---

(١) البحر المحيط.

عنه، وجماعة بتاء الخطاب، والظاهر: أنه على خطاب الولي، فالضمير له، وقال الطبري الخطاب للرسول ﷺ: والأئمة من بعده، أي فلا تقتلوا غَيْرَ القاتل انتهى. وقال ابن عَطِيَّةَ، وقرأ أبو مسلم السراج، صاحب الدعوة العباسيَّة ﴿فلا يسرفُ﴾ بضم الفاء على الخبر، ومعناه النهيَ، وقد يأتي الأمر، والنهي بلفظ الخبر، ثم قال: وفي الاحتجاج بأبي مسلم في القراءة نظر، وفي قراءة أبيٍّ ﴿فلا تسرفوا في القتل، إنَّ وليَّ المقتول كان منصوراً﴾ والأولى حملها على التفسير لا على القراءة لمخالفتها سوَادَ المصحف، ولأن المستفيضَ عنه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ كقراءة الجماعة.

الإعراب

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾.

﴿وَإِذَآ﴾ (الواو) استئنافية ﴿إِذَآ﴾ ظرفٌ لما يستقبل من الزمان، والظرف متعلق بالجواب الآتي، ﴿أَرَدْنَآ﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل الخفض بإضافة ﴿إِذَآ﴾ إليها على كونها فِعْلَ شرط لها ﴿أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ ناصب وفعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة الفعلية مع أن المصدرية في تأويل مصدر منصوب على المفعولية، لـ﴿أَرَدْنَآ﴾ تقديره: وإذا أردنا إهلاكَ قرية من القرى ﴿أَمَرْنَا﴾ فعل وفاعل ﴿مُتْرَفِيهَا﴾ مفعول به منصوب بالياء، والجملة الفعلية جَوَابُ (إذا) لا محلَّ لها من الإعراب، وجملة (إذا) مستأنفة مسوقة لبيان الأسباب التي تهلك بها القرى ﴿فَفَسَقُوا۟﴾ (الفاء) عاطفة ﴿فسقوا﴾ فعل وفاعل ﴿فِيهَا﴾ متعلق به، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَمَرْنَا﴾. ﴿فَحَقَّ﴾ (الفاء) عاطفة حق فعل ماض ﴿عَلَيْهَا﴾ متعلق به ﴿ٱلْقَوْلُ﴾ فاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿فسقوا﴾ لا على جملة ﴿أَمَرْنَا﴾ لأن العاطفَ هنا مرتبُ ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا﴾ (الفاء) عاطفة ﴿دمرناها﴾ فعل وفاعل ومفعول ﴿تَدْمِيرًا﴾ منصوب على المفعولية المطلقة، مؤكد لعامله، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۢ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾.

﴿وَكَمْ﴾ (الواوْ) استئنافية ﴿كم﴾ خبرية بمعنى عدد كثير في محل النصب على المفعولية بـ﴿أَهْلَكْنَا﴾ ﴿أَهْلَكْنَا﴾ فعل وفاعل، والجملة مستأنفة ﴿مِنَ﴾ حرف جر وبيان لكنها زائدة في تمييز ﴿كم﴾ الخبرية ﴿ٱلْقُرُونِ﴾ مجرور بـ﴿مِنَ﴾ الجار والمجرور متعلق بـ﴿أَهْلَكْنَا﴾ ﴿مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ﴾ جار ومجرور حال ﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ أو متعلق بـ﴿أَهْلَكْنَا﴾ وجاز تعلُّق حرفَيْ جَرّ متَّحدي اللفظِ بعامل واحد، لاختلاف معناهما؛ لأن الأولى، للبيان، والثانية: لابتداء الغاية، كما ذكره الكرخي، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾ فعل وفاعل، و(الباء) زائدة في فاعل ﴿كفى﴾، والجملة مستأنفة ﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ﴾ جار ومجرور، مضاف إليه متعلق بما بعده على سبيل التنازع ﴿خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ تمييزان لنسبة ﴿كفى﴾ كما في «الفتوحات».

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾.

﴿مَّن﴾ اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الجواب، أو الشرط أو هما ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص في محل الجزم بـ(مَّن) على كونه فعلَ شرط لها، واسمها ضمير يعود على ﴿مَّن﴾ ﴿يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَّن﴾؛ والجملة الفعلية في محل النصب خبر ﴿كَانَ﴾ ﴿عَجَّلْنَا﴾ فعل وفاعل في محل الجزم بـ ﴿مَّن﴾ الشرطية على كونه جواباً لها، وجملة ﴿مَّن﴾ الشرطية مستأنفة ﴿لَهُۥ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿عَجَّلْنَا﴾ ﴿فِيهَا﴾ متعلق به أيضاً، أو حال من ﴿مَا﴾ الموصولة المذكورة بعده ﴿مَا﴾ اسم موصول في محل النصب مفعول ﴿عَجَّلْنَا﴾. ﴿نَشَآءُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الله، ومفعول المشيئة محذوف، تقديره: ما نشاء تعجيله، والجملة صلة لـ﴿مَا﴾ أو صفة لها، والعائد، أو الرابط، الضمير المحذوف ﴿لِمَن﴾ جار ومجرور بدل من الجار والمجرور في قوله: ﴿له﴾ بدل بعض من كل ﴿نُّرِيدُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الله، ومفعوله محذوف تقديره: لمن نريد التعجيل له، والجملة الفعلية صلة ﴿مَّن﴾ الموصولة، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا﴾ ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف لتراخي المدة ﴿جَعَلْنَا﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿عَجَّلْنَا﴾ ﴿لَهُۥ﴾ جار ومجرور في محل المفعول الثاني

لـ ﴿جَعَلْنَا﴾. ﴿جَهَنَّمَ﴾ مفعوله الأول ﴿يَصْلَىٰهَا﴾ فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على مريد العاجلة، والجملة الفعلية في محل النصب حال من ضمير له ﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ حالان من فاعل يصلى.

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾.

﴿وَمَنْ﴾ (الواو) عاطفة ﴿من﴾ اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الجواب، أو الشرط ﴿أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ﴾ فعل ومفعول في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونهِ فِعْلَ شرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾ ﴿وَسَعَىٰ﴾ فعل ماض في محل الجزم معطوف على ﴿أَرَادَ﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾، ﴿لَهَا﴾ متعلق به ﴿سَعْيَهَا﴾ منصوب على المفعولية المطلقة، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب حال من فاعل ﴿سعى﴾ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ (الفاء) رابطة لجواب من الشرطية ﴿أولئك﴾ اسم إشارة للجمع المذكر في محل الرفع مبتدأ ﴿كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ فعل ناقص، واسمه وخبره، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل الجزم بـ﴿من﴾ الشرطية، على كونهَا جواباً لها، وجملة ﴿من﴾ الشرطية معطوفة على جملة ﴿من﴾ الأولى.

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾.

﴿كُلًّا﴾ مفعول مقدم لـ﴿نُّمِدُّ﴾ والتنوين عوض عن المضاف إليه، أي كل واحد من الفريقين ﴿نُّمِدُّ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الله ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ بدل من ﴿كُلًّا﴾ بدل تفصيل من مجمل ﴿وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ معطوف على ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الأول ﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ جار ومجرور، ومضاف إليه، متعلق بـ﴿نُّمِدُّ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة ﴿وَمَا﴾ (الواو) عاطفة ﴿ما﴾ نافية ﴿كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ فعل ناقص واسمه وخبره، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾.

﴿ٱنظُرْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير يعود على محمد، أو على كل مخاطب، والجملة مستأنفة ﴿كَيْفَ﴾ اسم استفهام في محل النصب على الحال؛ أي: انظر

فضلنا بعضهم على بعض كائناً عَلَى أيّ حالةٍ، أو كَيْفِيّةٍ، أو على التشبيه بالظرف منصوب، بـ ﴿فَضَّلْنَا﴾وهي معلقة لـ﴿ٱنظُرْ﴾ بمعنى تفكر، ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ متعلق بـ﴿فَضَّلْنَا﴾، وجملة ﴿فَضَّلْنَا﴾ في محل النصب مفعول ﴿ٱنظُرْ﴾ معلقة عنها بـ﴿كَيْفَ﴾ ﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾ (الواو) استئنافية، و(اللام) حرف ابتداء، أو قسم ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ﴾ مبتدأ وخبر ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ تمييز محول عن المبتدأ، منصوب باسم التفضيل، والجملة الاسمية مستأنفة، أو جواب لقسم محذوفٍ، ﴿وَأَكْبَرُ﴾ معطوف على ﴿أَكْبَرُ﴾. ﴿تَفْضِيلًا﴾ منصوب على التمييز.

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾.

﴿لَّا تَجْعَلْ﴾ جازم ومجزوم وفاعله ضمير يعود على محمد أو على كل مخاطب، والجملة الفعلية مستأنفة ﴿مَعَ ٱللَّهِ﴾ ظرف، ومضاف إليه متعلق بمحذوف مفعول ثان، لـ﴿تَجْعَلْ﴾ ﴿إِلَٰهًا﴾ مفعول أول لـ﴿تَجْعَلْ﴾ ﴿ءَاخَرَ﴾ صفة له، والتقدير: لا تجعل إلهاً آخر كائناً مع الله ﴿فَتَقْعُدَ﴾ (الفاء) عاطفة سببية ﴿تقعد﴾ فعل مضارع من أخوات صار، منصوب بأن مضمرةً وجوباً بعد الفاء السببية الواقعة في جواب النهي، واسمها ضمير يعود على المخاطب، ﴿مَذْمُومًا﴾ خبر أول لها ﴿مَّخْذُولًا﴾ خبر ثان لها، والجملة الفعلية صلة، أن المصدرية، أن مع صلتها في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الجملة التي قبلها، من غير سابك لإصلاح المعنى، تقديره: لا يكن جَعْلُكَ مع الله إلٰهاً آخر، فقعودك مَذْمُوماً مخذولاً.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ (الواو) استئنافية ﴿قضى ربك﴾ فعل وفاعل، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان مَنْزِلَةِ الوالدين، ﴿أَلَّا﴾ ﴿أن﴾ إما مصدرية، وعليها فـ﴿لا﴾ نافية ﴿تَعْبُدُوٓاْ﴾ فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾ وعلامة نصبه حذف النون ﴿إِلَّآ﴾ أداة استثناء مفرغ ﴿إِيَّاهُ﴾ في محل النصب مفعول ﴿تَعْبُدُوٓاْ﴾، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف، ﴿وَقَضَىٰ﴾ بمعنى أمر كما مر؛ والتقدير: وقضى ربك بعدم عبادة غيره سبحانه، وإما مفسرة؛ لأن ﴿وَقَضَىٰ﴾ فيه معنى

القول، دون حروفه، أو مخفَّفةً من الثقيلة، فـ﴿لا﴾ على هذين الوجهين ناهيةٌ جازمة، ﴿تَعۡبُدُوٓاْ﴾ مجزوم بها، وعلامة جَزْمِه حذْفَ النون، والجملة الفعلية إما مفسرة لا مَحلَّ لها من الإعراب، أو في محل الرفع خبر ﴿أن﴾ المخففة، ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ﴾ جار ومجرور متعلق بفعل محذوف جوازاً تقديره: وأحسنوا بالوالدين ﴿إِحۡسَٰنًاۚ﴾ منصوب على المفعولية المطلقة بذلك الفعل المحذوف، وإنما علَّقنا الجار والمجرور بالفعل المحذوف دُونَ المصدر لأن المصدر لا تتقدم عليه صلته

﴿إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣﴾.

﴿إِمَّا﴾ ﴿إن﴾ حرف شَرْط زيدَتْ عليها ﴿ما﴾ تأكيداً لها ﴿يَبۡلُغَنَّ﴾ فعل مضارع في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه فِعْل شرط لها مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ﴿عِندَكَ﴾ ظرف، ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من الفاعل ﴿ٱلۡكِبَرَ﴾ مفعول به ﴿أَحَدُهُمَآ﴾ فاعل ﴿أَوۡ كِلَاهُمَا﴾ معطوف على أحدهما مرفوع بالألف، لأنه ملحق بالمثنى، والتقدير: إن يبلغ أحدهما، أو كلاهما الكبرَ حَالةَ كونه أو كَوْنَهما كَائنِينَ عندك؛ أي: في منزلك، أو كفالتك، ﴿فَلَا تَقُل﴾ (الفاء) رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية وجوباً ﴿لا تقل﴾ جازم ومجزوم وفاعله ضمير يعود على الولد ﴿لَّهُمَآ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿تَقُل﴾ ﴿أُفّٖ﴾ مقول محكي لـ﴿تَقُل﴾ وإن شئت قلت: ﴿أُفّٖ﴾ اسم فعل مضارع بمعنى أتضجَّر، وفاعله ضمير يعود على المتكلم، وجملة اسم الفعل في محل النصب مقول ﴿تَقُل﴾، وجملة ﴿لا تقل﴾ في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة إن الشرطية مستأنفة، ﴿وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا﴾ جازم، وفعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الولد، والجملة الفعلية في محل الجزم معطوفة على جملة ﴿لا تقل﴾ على كونها جواباً لـ﴿إن﴾ الشرطية، ﴿وَقُل﴾ فعل أمر وفاعله ضمير يعود على الولد ﴿لَّهُمَا﴾ متعلق به ﴿قَوۡلٗا﴾ منصوب على المفعولية المطلقة ﴿كَرِيمٗا﴾ صفة لـ﴿قَوۡلٗا﴾ والجملة الفعلية في محل الجزم معطوفة على جملة ﴿لا تقل﴾.

﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾.

﴿وَٱخۡفِضۡ﴾ فعل أمر في محل الجزم معطوف على قوله: ﴿وَقُل لَّهُمَا﴾ وفاعله ضمير يعود على الولد ﴿لَّهُمَا﴾ متعلق به، ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ مفعول به، ومضاف إليه ﴿مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿احفض﴾ فمن للتعليل؛ أي: من أجل الرحمة أو للابتداء؛ أي: إن هذا الخَفْضَ ناشىء من الرحمة المركوزة في الطبع، ويصح كونه حَالاً من ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾. ﴿وَقُل﴾ معطوف على ﴿وَقُل﴾ الأولى ﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا...﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿رَّبِّ﴾ منادى مضاف ﴿ٱرۡحَمۡهُمَا﴾ فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُل﴾ على كونها جَواب النداءِ ﴿كَمَا﴾ ﴿الكاف﴾ حرف جر وتشبيه، أو للتعليل ﴿ما﴾ مصدرية صفة. ﴿رَبَّيَانِي﴾ فعل وفاعل ومفعول، و(نون) وقاية، لأن الألفَ ضمير تثنية ﴿صَغِيرٗا﴾ حال من (ياء) المتكلم، والجملة الفعلية صلة لـ﴿ما﴾ المصدرية، ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ (الكاف) والجار والمجرور صفة لمصدر محذوف تقديره: رب ارحمهما رحمةً مثلَ تربيتهما إيَّايَ حالةَ كوني صغيراً، أو رحمة مثل رحمتهما إيايَ حالةَ كوني صغيراً أو ارحمهما لأجل تربيتهما إياي حَالَة كوني صغيراً.

﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ٢٥﴾.

﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ﴾ مبتدأ وخبر ﴿بِمَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَعۡلَمُ﴾ والجملة مستأنفة ﴿فِي نُفُوسِكُمۡۚ﴾ جار ومجرور صلة لـ﴿ما﴾ أو صفة لها ﴿إِن﴾ حرف شرط ﴿تَكُونُواْ﴾ فعل ناقص واسمه مجزوم بـ ﴿إِن﴾ الشرطية ﴿صَٰلِحِينَ﴾ خبر ﴿تَكُونُواْ﴾ وجواب ﴿إِن﴾ الشرطية محذوف تقديره: فلا يضركم ما وقع منكم من الهفوة في حالة الغضب، وجملة ﴿إِن﴾ الشرطية مستأنفة، ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ (الفاء) تعليلية ﴿إنه﴾ ناصب واسمه ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص، واسمه ضمير يعود على الله ﴿لِلۡأَوَّٰبِينَ﴾ متعلق بما بعده ﴿غَفُورٗا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة إن في محل الجر بلام التعليل المقدرة، مسوقةٌ لتعليل الجواب المحذوف.

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾.

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فعل ومفعول أول، وفاعله ضمير يعود على المكلف ﴿حَقَّهُۥ﴾ مفعول ثان، والجملة مستأنفة ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ معطوفان على ﴿ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾. ﴿وَلَا تُبَذِّرْ﴾ جازم ومجزوم وفاعله ضمير يعود على المكلف. ﴿تَبْذِيرًا﴾ منصوب على المفعولية المطلقة، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَءَاتِ﴾. ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ﴾ ناصب واسمه ﴿كَانُوٓا۟﴾ فعل ناقص واسمه ﴿إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾ خبره، ومضاف إليه، وجملة ﴿كان﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل النهي السابق ﴿وَكَانَ﴾ (الواو) عاطفة أو حالية ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ فعل ناقص واسمه ﴿لِرَبِّهِۦ﴾ جار ومجرور متعلق بما بعده ﴿كَفُورًا﴾ خبر ﴿كان﴾ وجملة ﴿كان﴾ إما معطوفة على جملة ﴿إن﴾ أو في محل النصب حال من ﴿ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾.

﴿وَإِمَّا﴾ (الواو) استئنافية ﴿إما﴾ ﴿إن﴾ حرف شرط، ﴿ما﴾ زائدة، ﴿تُعْرِضَنَّ﴾ فعل مضارع في محل الجزم بـ﴿إن﴾ على كونهِ فِعْلَ شرط لها مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله ضمير يعود على المكلف ﴿عَنْهُمُ﴾ متعلق به ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ﴾ مفعول لأجله منصوب بفعل الشرط أو جوابه، ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ جار ومجرور صفة أولى لـ﴿رَحْمَةٍ﴾. ﴿تَرْجُوهَا﴾ فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على المخاطب، والجملة في محل الجر صفةٌ ثانيةٌ لـ﴿رَحْمَةٍ﴾ أو حال من ﴿رَحْمَةٍ﴾ لتخصصه بالصفة، ﴿فَقُل﴾ (الفاء) رابطة لجواب الشرط، وجوباً ﴿قل﴾ فعل أمر في محل الجزم، بـ﴿إن﴾ على كونه جواباً لها مبني على السكون، وفاعله ضمير يعود على المخاطب ﴿لَّهُمْ﴾ متعلق به ﴿قَوْلًا﴾ منصوب على المفعولية المطلقة ﴿مَّيْسُورًا﴾ صفة لـ﴿قَوْلًا﴾.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾.

﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً﴾ فعل، ومفعولان، وفاعله ضمير يعود على المخاطب، والجملة مستأنفة ﴿إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿مَغۡلُولَةً﴾ ﴿وَلَا تَبۡسُطۡهَا﴾ فعل ومفعول مجزوم بـ ﴿لا﴾ الناهية، وفاعله ضمير يعود على المخاطب، ﴿كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾ منصوب على المفعولية المطلقة، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ﴾. ﴿فَتَقۡعُدَ﴾ (الفاء) عاطفة سببية ﴿تقعد﴾ فعل مضارع من أخوات صار الناقصة منصوب بأن مضمرة بعد الفاء السببية، واسمها ضمير يعود على المخاطب ﴿مَلُومًا﴾ خبر أول لها ﴿مَّحۡسُورًا﴾ خبر ثان لها، وجملة ﴿تقعد﴾ في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيّد من الجملة التي قبلها من غير سابك لإصلاح المعنى تقديره: لا يكن بسط يدك فقعودك ملوماً محسوراً.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ ناصب واسمه ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾ فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿لِمَن﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يَبۡسُطُ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها، ﴿يَشَآءُ﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الرب، والجملة الفعلية صلة ﴿مَن﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: لمن يشاء البسط له، ﴿وَيَقۡدِرُۚ﴾ في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿يَبۡسُطُ﴾ ﴿إِنَّهُۥ﴾ ناصب، واسمه ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص، واسمه ضمير يعود على الله ﴿بِعِبَادِهِۦ﴾ جار ومجرور متعلق بما بعده، على سبيل التنازع ﴿خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ خبران لـ﴿كَانَ﴾ وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة إن مستأنفة مسوقة لتعليل ما قَبْلَهَا.

﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴿٣١﴾﴾.

﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ﴾ فعل وفاعل، ومفعول مجزوم بـ ﴿لا﴾ الناهية ﴿خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ﴾ مفعول لأجله، ومضاف إليه، والجملة الفعلية مستأنفة ﴿نَّحۡنُ﴾ مبتدأ، وجملة ﴿نَرۡزُقُهُمۡ﴾ خبره ﴿وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ معطوف على ﴿الهاء﴾، والجملة الاسمية مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها ﴿إِنَّ قَتۡلَهُمۡ﴾ ناصب واسمه ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص، واسمه ضمير يعود على القتل ﴿خِطۡـٔٗا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿كَبِيرٗا﴾ صفة

﴿خِطْـًٔا﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل النهي السابق.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ فعل وفاعل ومفعول مجزوم بـ ﴿لا﴾ الناهية، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ ﴿إِنَّهُۥ﴾ ناصب واسمه ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص، واسمها ضمير يعود على الزنا ﴿فَٰحِشَةً﴾ خبرها، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها، ﴿وَسَآءَ﴾ فعل ماض من أفعال الذم، وفاعله ضمير مستتر وجوباً يعود على الزنا ﴿سَبِيلًا﴾ تمييز لفاعل ﴿وَسَآءَ﴾، وجملة ﴿وَسَآءَ﴾ في محل الرفع خبر لمبتدأ محذوف، هو مخصوص بالذم تقديره هو يعود على الزنا، والجملة الاسمية جملة إنشائية لاَ محلَّ لها من الإعراب.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ﴾ فعل وفاعل ومفعول مجزوم بـ ﴿لا﴾ الناهية، والجملة معطوفةٌ على الجملة التي قبلها، ﴿ٱلَّتِى﴾ صفة لـ﴿ٱلنَّفْسَ﴾ ﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قتلها فعل وفاعل، ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرغ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿تقتلوا﴾ أو بمحذوف حال من فاعل ﴿تَقْتُلُوا۟﴾؛ أي: إلاَّ حَالَةَ كونكم ملتبسينَ بالحق، ﴿وَمَن﴾ اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب أو هما. ﴿قُتِلَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ على كونه فِعْلَ شرط لها، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿من﴾ ﴿مَظْلُومًا﴾ حال من نائب الفاعل في ﴿قُتِلَ﴾ ﴿فَقَدْ﴾ (الفاء) رابطة لجواب من الشرطية وجوباً لاقترانه بـ﴿قد﴾ ﴿قد﴾ حرف تحقيق ﴿جَعَلْنَا﴾ فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ الشرطية على كونه جواباً لها ﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾ جار ومجرور في محل المفعول الثاني لـ﴿جَعَلْنَا﴾ ﴿سُلْطَٰنًا﴾ مفعول أول له، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية مستأنفة ﴿فَلَا﴾ (الفاء) عاطفة ﴿لا﴾ ناهية ﴿يُسْرِف﴾ فعل مضارع مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، وفاعله ضمير يعود على ﴿وليه﴾. ﴿فِّى

﴿ٱلْقَتْلِ﴾ متعلق به، والجملة في محل الجزم معطوفة على جملة الجواب ﴿إِنَّهُۥ﴾ ناصب واسمه ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص، واسمها ضمير يعود على الولي ﴿مَنصُورًا﴾ خبرها، وجملة ﴿كَانَ﴾ من اسمها وخبرها في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

التصريف ومفردات اللغة

﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ والمترفون: هم المنعَّمُونَ من المُلُوك والعظماء، وفي «القاموس» التُّرْفُه بالضم: النعمةُ، والطعام الطيِّب: والشيء الظريف، تخص به صاحبك، وتَرِفَ كفَرِحَ تَنَعَّم وأترفته النّعمةُ أطغته، أو نعَّمته كترفَّته تتريفاً، والمترف كمُكْرَم المتروك، يَصْنَعُ ما يشاء، ولا يُمنع، والمتنعِّمُ لا يُمْنَع من تَنَعُّمِهِ، وتترَّف تنعَّم، وفي «أساس البلاغة» أتْرفَتْه النّعمةُ أبطرتهُ، وأتْرَف فلان، وهو مترف وأَعُوذ بالله من الإتراف، والإسراف، واسترفوا تَعْفَرَتوا، وطغوا، ولم أزل معهم في ترفة، أي: في نِعْمَة ﴿فَفَسَقُوا۟﴾؛ أي: خرجوا عن الطاعة، وتمرَّدوا ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾؛ أي: وجب لها العذابُ ﴿تَدْمِيرًا﴾، والتدمير: الإهلاك مع طَمْسِ الأثر.

﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ جَمْعُ قرن، والقرن: القوم يَجْمَعُهم زمانٌ واحدٌ، وقد حُدِّد بأربعين سنة وثمانين سنة، وبمئة، وبغير ذلك ﴿ٱلْعَاجِلَةَ﴾ الدار الدنيا. ﴿يَصْلَىٰهَا﴾؛ أي: يقاسي حرَّها ﴿مَّدْحُورًا﴾؛ أي: مطروداً مُبعداً من رحمة الله، وفي «القاموس» الدحر: الطَّرْدُ والإبعاد، والدفع كالدحور، وهو داحِرٌ ودَحُور، وفي «المختار» دَحَرَهُ يَدْحُرُه من باب: خَضَعَ طَرَدَه اهـ. ﴿مَحْظُورًا﴾؛ أي: ممنوعاً عَمَّنْ يُرِيدُه ﴿فَتَقْعُدَ﴾ قَعَد يجوز أن تَكُونَ على بابها، فينتصب ما بَعْدَهَا على الحال، ويجوز أن تَكُونَ بمعنى صَارَ فَيَنْتَصِبُ ما بعدها على الخبرية، وإليه ذَهَبَ الفراء، والزمخشري اهـ «سمين» ﴿مَذْمُومًا﴾؛ أي: ممن يستحق الذَّمَّ مِنَ الملائكة والمؤمنين ﴿مَّخْذُولًا﴾؛ أي: من الله، لأنك أشركت معه ما لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً.

﴿وَقَضَىٰ﴾ قيل: بمعنى أوصى، وقيل بمعنى حَكَم، وقيل: بمعنى أَوْجَبَ، وقيل: بمعنى أَلْزَمَ .اهـ «سمين» ﴿أُفٍّ﴾ يُقْرَأُ بالتنوين للدلالة على التنكير؛ أي: لا تقل لهما أتضجَّر وأقلَقُ من كل فعل لَكُما، وبعدمه للدلالة على التعريف؛ أي:

لاَ تقل لهما أتضجر من فعل خاص من أفعالكما اهـ. شيخنا.

فصل في أُفّ

والأصح: أن أُفّ اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر، وفيه: أربعون لغة، وحاصلها: أن الهمزة إِمَّا أن تَكُونَ مضمومةً، أو مكسورةً، أو مفتوحةً، فإن كانت مضمومة.. فاثنتان وعشرون لغةً.

وحاصل ضبطها: أنها إِمَّا مُجَرَّدَة عن اللواحق، أو ملحقة بزائد، والمجردة إما أن يكونَ آخرها ساكناً، أو متحركاً، والمتحركة إمَّا أَن تكون مشددةً، أو مخففةً، وكلٌّ منهما مثلَّث الآخر مع التنوين، وعدمه، فهذه اثنتا عشرة لغة، والساكنة إما مشدَّدَةً أو مُخَفَّفَةً فهذه سبع عشرة، وإن كَانَ حَرْفُ مَدّ فهو إمَّا واو، أو ياء، أو ألف، والفاء فيهن: مشددةً، والألف إما مفخَّمة أَو بالإمالة المحضة، أو بين بين، فهذه خمس أخرى مع السبع عشرة، وإن كانت مكسورةً فإحدى عشرةَ مثلثة الفاء، مخففة مع التنوين، وعدمه، فهذه ست لغات، وفتح الفاء وكسرها بالتشديد فيها مع التنوين وعدمه، فهذه أربع لغات: والحاديةَ عَشَرَةَ: أُفّي بالإمالة، وإن كانت مفتوحة، فالفاء مشددة مع الفتح، والكسر، والتنوينْ وعَدَمه، والخامسة أُفْ بالسكون، والسادسة أفّي بالإمالة، والسابعة: أفاهْ بهاءِ السكت، فهذه السبع مكملة للأربعين، وقد قُرِىءَ من هذه اللغات بسبع، ثلاث في المتواتر، وأربع في الشواذ، وقراءَة حفص، وهي قراءتنا ﴿أُفٍّ﴾ بالكسر، والتنوين مع التشديد ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾، وفي «السمين» والنهر: الزجر بجرحٍ، وغلظة، وأصله الظهور، ومنه النهر لظهوره، وقال الزمخشري: النهي، والنَّهْرُ، والنَّهْمُ أخوات اهـ.

﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾؛ أي: جَمِيلاً لا شَرَاسةَ فيه، قال الراغبُ: كل شيءٍ يشرف في جنسه، يقال: إنَّه كريمٌ ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا﴾ وخفض الجَنَاحِ يراد به: التواضعُ، والتذلل ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾؛ أي: من فرط رحمتك عَلَيْهِمَا ﴿لِلْأَوَّٰبِينَ﴾ جمع أَوَّاب، والأواب الذي ديدنه الرجوع إلى الله، والالتجاء إليه حين الشِدَّةِ ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ والتبذير: إنفاق المال في غير موضعه ﴿إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾؛ أي: أمثالهم في الشَّرَارَة، فإن التَّضْيِيعَ، والإِتلافَ شر، أو أصدقاؤهم، وأتباعُهم لأنهم

يُطِيعُونَهم في الإسراف، والصرف في المعاصي، والعرب تقول لكل مَنْ هو ملازم سُنَّة قوم: هو أخوهم ﴿لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾؛ أي: جحوداً لنعمة ربه، فما ينبغي أَنْ يُطَاعَ؛ لأنه يدعو إلى مِثْلِ عَمَلِهِ اهـ من «الخازن» والبيضاوي وعبارةُ الكرخي والمرادُ من هذه الأخوة: التَّشبُّهُ بهم في هذا الفعل القبيح؛ لأنَّ العربَ يسمُّون اللازمَ للشيء أخاً لَهُ فيقولُون: فلان أخو الكرم، والْجُودُ وأَخُو الشعر إذا كان مواظباً على هذه الأفعال اهـ. و﴿الابتغاء﴾ الطلبُ و﴿الرحمةُ﴾ الرزق و﴿الميسورُ﴾ السَّهْل اللَّيِّنُ ﴿والمغلولة﴾ المقيدة بالغل، وهو بضم الغين طوق مِن حديد، يوضع في اليدين، والعُنُقُ فمعنى مَغْلُولَةً إلى عنقك، أي: مضمومةً إليه مجموعة معه في الغل، والمرادُ به هنا: الإمساك عن الإنفاق في الخيرات ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾؛ أي: لا تتوسع في الإنفاق ﴿مَلُومًا﴾؛ أي: مذموماً مِنَ الخلق والخالق ﴿مَّحْسُورًا﴾؛ أي نَادِماً، أو مُنْقَطِعاً بك لا شيءَ عندك من حسرة السفر، إذا أثر فيه فهو محسور؛ أي: منقطع عن السير إعياءً، وكلالاً، والإملاق الفقر.

قال الشاعر:

وَإِنِّـيْ عَـلَـىٰ ٱلإِمْـلاَقِ يَـا قَـوْمِ مَـاجِـدٌ ... أُعِـدُّ لأَضْـيَـافِـيْ ٱلـشُّـوَاءَ ٱلْـمُـضَـهَّـبَـا

﴿خِطْئًا﴾ والخطأ كالإثم، وزناً، ومعنًى فقال فيه: خِطْئاً بكسر الخاء، وسكون الطاءِ على وزن مثل، وخطأ بفتحتين على وزن شَبَه، وخطاء بكسر الخاء، وفتح الطاء، وبالمد على وزن قتال ففيه ثلاث قرآت كلها سبعية اهـ شيخنا فعلى الأولى: فَهُوَ مصدر لخطىءَ من باب علم، وعلى الثانية: اسم مصدر لأخطأ رُبَاعِياً، وعلى الثالثة: هو مصدر لخاطأ، وهو وإن لم يسمع، لكنه سمعَ تخاطأ اهـ من «البيضاوي». ومجيء تخاطأ يدل على وجود (خاطأ)؛ لأن تفاعل مُطَاوِعُ فَاعَلَ كَبَاعَدْتُهُ فَتَبَاعَدَ، ونَاوَلْتُهُ فَتَنَاوَلَ اهـ زاده ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ في «المصباح». قَرِبْتُ الأمر أقربَهُ من باب تَعَبَ، وفي لغة من باب قتل قربانا بالكسر دانيته، ومن الأول: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ ويقال منه أيضاً: قربت المرأة قربانا كناية عن الجماع، ومن الثاني: لا تقرب الحمى؛ أي: لا تدن منه اهـ.

والعامة على قصر الزنا، وهي اللغة الفاشية، وقرىء بالمد، وفيه وجهان:

أحدهما: أنَّه لغة في المقصور.

والثاني: أنه مصدر زَانَأَ يزانيء كقاتل قتالاً؛ لأنه يكون من اثنين اهـ. «سمين» (والفاحشة) الفعلة القبيحة الظاهرة القُبْحِ ﴿سُلْطَٰنًا﴾ السلطانُ التسلط والاستيلاء ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾؛ أي: فلا يتجاوز الحد المشروع فيه.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾؛ لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم: افسقوا، وهذا باطل فبقي أن يكونَ مجازاً عن التوسعة في العيش، واسترسالهم في المعاصي، وفيه أيضاً المجاز بالحذف، لأنه لم يَذْكُرْ المأمورَ به إيجازاً في القول واعتماداً على بداهته للسامع؛ أي: أمَرْنَاهم بالطاعة.

ومنها: التزام ما لا يلزم في قوله: ﴿مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾، وهو التزام حرف أو حرفَيْنِ فصاعداً قبل الروي على قدر طاقة الشاعر، أو الكاتِب من غير كُلْفَةٍ فقد التزَم في قوله: ﴿مُتْرَفِيهَا﴾ و﴿فِيهَا﴾ (الفاء) قبل ياء الردْفِ، ولَزِمَتْ الياء، وسيأتي الكثير منه في القرآن، وهو من أرشق الاستعمالات.

ومنها: الجِناسُ المغاير في قوله: ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾، وفي قوله: ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ وفي قوله: ﴿ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ﴾.

ومنها: الطباق بَيْنَ ﴿ٱلْعَاجِلَةَ﴾ و﴿ٱلْءَاخِرَةَ﴾.

ومنها: اللفُّ والنَّشْرُ المُرتَّب في قوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ فهؤلاء الأولَى للفريق الأول، أي: مريد الدنيا، وهؤلاء الثانية للفريق الثاني، أي: مريد الآخرة.

ومنها: الإجمال ثُمَّ التفصيل في قوله: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾

لأنها جَرَتْ في الفعل بعد جَرَيَانها في المصدر، حيث شبهت إلانَة الجانبِ بخفض الجناح، بجامع العطف. والرقة في كلٍّ، واستُعير الخفض للإلانة، واشتق منه اخْفِضْ بمعنى ألِن أو الاستعارة الأصلية في الجناح، حيث شبه الجانب بالجناح، واستعير للجانب.

ومنها: إضافة الموصوف إلى الصفة في قوله: ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ لأن المصدَر، وهو ﴿ٱلذُّلِّ﴾ بمعنى الذليل، وفي السمين، قوله: ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ فيه استعارة بليغة، وذلك أنَّ الطائر إذا أراد الطيران نَشَرَ جناحيه، فَجَعل خفض الجناح كِنَاية عن التواضع، واللين اهـ ويَصِحُّ كونها استعارةً مكنية، بأن شُبّهَ الذلَّ بطائر، له جناحٌ، وحذف الطَّائِرُ ورمز له بشيء من لوازمه، وهو الجناح على سبيل الاستعارة، المكنية.

ومنها: التشبيه في قوله: ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

ومنها: الاستعارة التمثيلية في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ حيث شبه حالَ البَخِيلِ في امتناعه عن الإنفاق بحال من يده مغلولة إلى عنقه، فهو لا يقدرُ على التصرف في شيءٍ، وشبه حال المسرفِ المبذّرِ المِتْلاَفِ بحال مَنْ يبسط يده كل البسط، فلا يبقي شيئاً في كفه، ولا يَدَّخِرُ شَيْئا ينفعه في الحاجة، ليخلص إلى نتيجة مجدية، وهي التوسط بين الأمرين، والاقتصاد الذي هو وَسَطٌ بَيْنَ الإسراف، والتقتير، وقد طابق في الاستعارة بَيْنَ بَسْط اليد، وقبضها من حيث المعنى، لأنَّ جعل اليد مَغْلُولَة هو قبضها، وغلها أبلغ في القبض.

ومنها: اللَّفُّ والنَّشْرُ المرتب في قوله: ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ لأن قوله: ﴿مَلُومًا﴾ راجع إلى البخل، وقوله: ﴿مَّحْسُورًا﴾ راجع إلى الإسراف، أي: يلومك الناسُ إنْ بخلت وتصبح مقطوعاً إن أسرفت.

ومنها: الطباق بين ﴿يَبْسُطُ﴾ و﴿يَقْدِرُ﴾.

ومنها: الإطناب في قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا

﴿يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ فإن معنى هذه الآية جَاءَ موجزاً في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ لكن الأول إطناب، والثاني إيجاز، وكلاهما موصوف بالمُساواةِ فالإطنابُ في اصطلاح البيانيين: هو زيادة اللفظ على المعنى، لفائدة، فإذا لم تكن في الزيادة فائدة، تسمى تَطْوِيلاً إن كانت الزيادة.. غَيْرَ متعينة، وحشواً إن كانت متعينةً.

ومنها: الزيادة والحذف في عِدَّةِ مَوَاضِعَ.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن اللّه سبحانه وتعالى، لما نهى[1] عَنْ إتلاف النفوس نَهى عن أخذ الأموال كما قال ﷺ: «فإنَّ دِمَاءَكم وأموالَكم، وأعْراضَكم حَرَامٌ

(١) البحر المحيط.

عليكم»، ولَمَّا كَانَ اليتيم ضَعِيفاً عن أن يدفع عن ماله لصغره.. نص على النهي عن قربان مَالِه.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ...﴾ الآيتَين، مناسبة هاتين الآيتين لما قبلهما: أنه سبحانه وتعالى لما نَهَى عن إتلاف مال اليتيم.. أردفه[1] بالأمر بوفاءِ العهد، وهو العَقْدُ الذي يُعْمَلَ لتوكيد الأمر وتثبيته، ثم بإيفاء الكيل والميزان لما في حسن التعامل بَيْنَ الناس من توافر المودةِ، والمَحَبَّةِ بينهم، وهذا ما يرمي إليه الدّينُ لإصلاح شؤونِ الفرد والمجتمع.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أَنَّ اللّهَ سبحانه وتعالَى لما أمر[2] بثلاثة أشياء.. أتبع ذلك بثلاثةِ مناهٍ: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ ﴿وَلَا تَمْشِ﴾ ﴿وَلَا تَجْعَلْ﴾ أي: أردفَ ذلك بالنَّهْي[3] عن تتبع ما لا علم لك به من قول، أو فعل، فلا تَتَّبعْ ما يعمله الآباءُ اقتداء بهم من عِبَادَةِ الأصنام تقليداً لَهُم، ولا تَشْهَدْ على شيءٍ لم تَرهُ، ولا تكذب فتقول في شيء لم تَسْمَعْه إنك قد سمعته، ولا في شيء لم تَرَهُ إنَّكَ قد رَأَيْته، ثُمَّ بالنهي عن مشية الخُيَلاَءِ، والمَرَحِ لِما فيهما من الصلف الذي لا يرضاه الله تعالى، ولا الناس، ثُمَّ خَتَمَ ذلك ببيان أنَّ تلك الأوامِرَ، والنواهي من وَحْيِ الله وتبليغه، لاَ مِنْ عِنْدِ نَفْسه، أمر بِهَا، ونَهَى عنها لأنها أسس سعَادة الدارين، وعليها تبنى العلاقات بين الأفراد والأمم على نظم صحيحة، لا تكون عُرضة للاضطراب، وفقدان الثقة في معاملاتهم.

قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنَّ الله سبحانه وتعالى لما نبه[4] على جهل من أثبَتُوا له شريكاً، واتخذوا له نداً ونظيراً.. أردف ذلك بالتنديد، والتقريع لمن أثبتوا له ولداً، وأنه قد بَلَغَ من تحتهم أن جَعَلُوا البنِينَ لأنفسهم مع علمهم بعجزهم، ونقصهم، وأعطوا لله البنات، مع علمهم بِأَنَّهُ الموصوف بالكمال،

---

(١) المراغي.
(٢) البحر المحيط.
(٣) المراغي.
(٤) المراغي.

الذي لا نهايةَ له، والجلال الذي لاَ غَايةَ له، ثمَّ أتبعه ببيان أنه قد ضرب في القرآن الأمثالَ، ليتدبروا ويتأمَّلُوا فيها، ولكن ذلك ما زادهم إلا نفوراً عن الحق، وقِلَّة طمأنينة إليه، ثُمَّ أَرْدَفَهُ بِبَيَانٍ أنه لو كانت هذه الأصنام كما تقولون من أنها تقربكم إلى الله زُلْفَى.. لطلبت لأنفسها قربةً إلى الله، وسبيلاً إليه، ولكنَّها لم تفعل ذلك، وكَيْفَ تُقَرِّبُكُم إليه، وكل ما في السموات والأرض يسبح بحمده، بدلالة أحوالِه على توحيده، وتقديسه، وكمال قدرتِهِ، ولكنكم لجهلكم وغفلتِكم لا تدركون دلالةَ تلك الدلائل.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها[1]: أنه سبحانه وتعالى لَما أنهى الكلام في مقام الألوهية، وجدالهم بالَّتي هي أحسن، بضرب الأمثال لهم، وإقامة الحجة عليهم، وإيضاح السبيل لهم.. أَرْدَفَ هنا بالكلام في مقام النبوة، والنعي عليهم في عدم فهمهم للقرآن، والنفور منه، والهزء به، وضربهم الأمثال للنبي ﷺ، وقَوْلِهم فيه تَارَةً إنه ساحِرٌ، وأخرى إنه مَجْنُون وحِيناً إنه شاعر.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ...﴾ الآية، أخرج[2] ابن المنذر عن ابن شهاب، قال: كَانَ رسول الله ﷺ إذَا تَلاَ القرآن على مشركي قريشٍ، ودعاهم إلى الكتاب قالوا يهزؤون به: ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ فأنزل الله تعالى في قولهم ذلك: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ...﴾ الآيات.

وروى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ أَبَا سُفْيَانَ، والنَّضْرَ بْنَ الحارث، وأبا جهل وغيرَهم، كانوا يجالسون النبيَّ ﷺ ويستمعون إلى حديثه، فقال النضر يوماً: ما أدري ما يقول محمد غير أني أرى شفتيه تتحركان بشيء، وقال أبو سفيانُ: إني لأرى بعضَ ما يقول حقاً، وقال أبو جهل: هو مجنون، وقال أبو لهب: هو كاهن، وقال حويطب بن عبد العزىٰ: هو شاعر فَنَزلَتْ هذه الآية.

---

(١) المراغي.   (٢) لباب النقول.

التفسير وأوجه القراءة

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ فضلاً عن أن تتصرَّفوا فيه، والخطاب فيه لأولياءِ اليتيم ﴿إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾؛ أي: إلا بالخَصلة، والطريقة التي هي أحسن الخصال، والطرائق، وهي حفظه واستثماره، وإِرْبَاحُه ﴿حَتَّىٰ﴾ غاية لجواز التصرف على الوجه الأحسن المدلول عليه بالاستثناء ﴿يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾؛ أي: قُوَّتَه؛ أي: خمسَ عشرة سنةً، أو ثمانيَ عشرة سنةً، وهو مفرد جاءَ على وزن الجمع كآنك، ولا نَظِير لهُمَا كما في «القاموس» والمراد[1] ببلوغ الأشد كمال عقله، ورشده، بحيث يمكنه القيام بمصالح ماله، وإلا لم ينفك عنه الحجر، والمعنى؛ أي: لا تقربوا مَالَ اليتيم، ولا تتصرفوا فيه إلا بالطريق التي هي أحسن الطرق، وهي طريقة حِفْظِه وتثميره، بما يزيد به حتى يَبْلُغَ اليتيم أشده، وتستحكم قوة عقله وشبابه، فإذا بلغ أشده، واستحكم عقله، كان لكم أن تَدْفَعُوه إليه، أو تتصرفوا فيه بإذنه؛ لأنه إذ ذاك يمكنه القيام على مالِه بما فيه المصلحة، ولمَّا نزلت هذه الآية اشتدَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فكانوا لا يخالطون اليتامَى في طعام، ولا في غيره، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ فَكَانَتْ لَهُمْ فيها رُخْصَةٌ، ونظيرُ الآية قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

وبعد أن نهى عن الزنا والقتل، وأكل مال اليتيم.. أتبعها بثلاثة أوامر: فقال: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ﴾، أي[2]: أتموا بالعهد سواء جرى بينكم وبين ربكم، أو بينكم وبين غيركم من الناس، أي وأَوْفُوا بما عاهدتم اللّهَ عليه من التِزام ما كلفكم به، ومَا عَاهَدتم الناسَ عليه من العُقُودِ التي تتعاملون بها في البيوع، والإجارة، ونحوها، قال الزجاج: كل ما أمَرَ الله به ونهى عنه فهو من العهد، ويدخل في ذلك ما بين العبد وربّهِ، وَمَا بَيْنَ العباد بعضهم مع بعض، والوفاءُ به: القيام بحفظه على الوجه الشرعيّ، والقانونِ المرضيّ ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾

---

(١) الخازن. (٢) المراغي.

عنه، فيسئل النَّاكِث، ويعاقَبُ عليه يومَ القيامة؛ أي: إنَّ الله سبحانه وتعالى سائل نَاقِضَ العَهْدِ عن نقضه إيَّاه، فيقال للناكث على سبيل التبكيت والتوبيخ: لِمَ نكثتَ عَهْدَكَ، وهلا وفيت به؟ كما يقالُ لوَائِدِ الموءودة بأيِّ ذنب قتلت؟ وقوله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾ والمخاطبة لعيسى والإنكار على غيره، أو مطلوباً يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويَفِيَ به ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾. أي: أتمُّوه، ولا تخسروه ﴿إِذَا كِلْتُمْ﴾ لغيركم؛ أي[1]: وقتَ كيلكم للمشترين، وتقييد الأمرِ بذلك، لأن التطفيفَ هناك، وأمَّا وَقْتُ الاكتيال على النَّاس، فلا حاجة إلى الأمر بالتَّعْدِيلِ قال تعالى: ﴿إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ فالخطاب فيه للبائعين، وأخذ من هذا بعضهم أنَّ أجرةَ الكيال على البائع؛ لأنها من تمام التسليم، وكذلك عليه أُجْرَةُ النقَّاد للثمن، وهو كذلك كما هو مقرر في الفروع اهـ شيخنا.

والمعنى: أي وأتموا الكَيْلَ للناس، ولا تخسروهم، إذا كلتُم لهم حقوقَهم مِن قِبَلِكُم، فإن كِلْتُم لأنفسكم فلا جناح عليكم إن نَقصتم عن حقكم، ولم تفوا الكيلَ ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾؛ أي: وزنوا بالميزان المعتدلِ بحيث لا يَمِيل إلى أحد الجانبين، فيقع الجور، أَوْ الحيفُ لأن جميعَ الناس محتاجون إلى المعاوضات، والبَيع والشراءِ، ومن ثم بالغ الشارع في المنع من التطفيف، والنقصان سَعْياً في إِبْقَاءِ الأموال لأربابها، والقسطاس هو كل[2] ما يوزن به صغيراً كان أو كبيراً، من ميزان الدّرهم إلى ما هو أكبر منه، وقيل هو القبان. وقرأ ابن كثير[3]، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر ﴿القسطاس﴾ بضم القاف، وقرأ حمزة، والكسائِي، وحفص عن عاصم بكسر القاف، وقرأت فرقة بالإبدال من السين الأُولى صاداً.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: إيفاؤكم بالعهدِ، وإيفاؤكم من تكيلون له، ووزنكم بالعَدل، لمن توفُون له ﴿خَيْرٌ﴾ لكم في الدنيا من نكثكم وبخسكم في الكيل والوزن، لأن

---

(١) روح البيان.
(٢) الخازن.
(٣) الشوكاني.

ذَلِكَ مما يرغّب الناسَ في معاملتكم، وحب الثناء عليكم ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾؛ أي: وأجمل عاقبة لما يَتَرَتَّب على ذلك من الثواب في الآخرة، والخلاص من العقاب الأليم، وكثير من الفقراء الذين اشتهروا بالأمانة، والبعد عن الخيانة، أقبلت عليهم الدنيا، وحَصَلَ لهم الثروة والغنَى وَكَان ذلك سبب سعادتهم في الدنيا، فقوله: ﴿تَأْوِيلًا﴾ تفعيل من آل إذا رجعَ، وهو ما يؤول إليه أمره.

وبعد أن ذكر سبحانه أوامرَ ثلاثةً نهى عن مثلها فقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾؛ أي: ولا تتبع أيها المَرْءُ ما لا علم لك به ولا ظَنَّ من قول أو فعل، من قولك: قَفَوْت فُلاَناً إذا اتبعت أثره، ومنه قافيةُ الشّعر؛ لأنها تقفو كل بيت، ومنه القبيلة المشهورةُ بالقَافة؛ لأنهم يَتَّبِعُون آثارَ أقدام الناس؛ أي: لا تكن[1] في اتباع ما لا علم لك به من قول، أو فعل، كمن يتبع مَسْلَكاً لا يدري أنه يوصله إلى مقصده، وذلك[2] دسْتُورٌ شامل لكثير من شؤون الحياة، ومِن ثَمَّ قال المفسرون فيه أقوالاً كثيرةً:

١ ـ قال ابن عباس: لا تشهد إلاَّ بما رأت عَيْنَاكَ وسَمِعته أذناك، ووعاه قَلْبُكَ.

٢ ـ قال قتادة: لا تَقُلْ سمعتُ ولم تسمع، ولا رأيت ولم تَر، ولا علمت ولم تعلم.

٣ ـ وقيل: المراد النهي عن القول بلا علم، بل بالظن والتوهم كما قال: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ وفي الحديث «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث».

٤ ـ وقيل: المرادُ نَهْيُ المشركين عن اعتقاداتهم تقليداً لأسلافهم، واتّباعاً للهوى كما قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾.

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

قال الشوكاني: وأقول[1]: إنَّ هذه الآيةَ قد دلَّتْ على عدم جواز العَمَلِ بما ليس بعلم، ولكنها عامة مخصصة بالأدلة الواردة بجواز العمل بالظن، كالعمل بالعام، وبخبر الواحد، والعمل بالشهادة، والاجتهاد في القبلة، وفي جزاءِ الصيد، ونَحْوِ ذلك، فلا تَخْرُجْ من عمومها، ومن عموم ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ إلا ما قد قام دليلٌ على جواز العمل به فالعمل بالرأي في مسائل الشرع إن كان لعدم وجود دليل في الكتاب والسنة، فَقَد رَخَّصَ فيه النبي ﷺ كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذَ حِينَ بعثه قاضياً إلى اليمن: «بم تقضي؟» قال: بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد»، قال: فبسنة رسول الله قال: «فإن لم تجد»، قال: أجتهد رأيي. وهو حديث صالح للاحتجاج به.

وأما التوثب على الرأي مع وجود الدليل في الكتاب أو السنة، ولكنه قصَّر صاحبُ الرأي عن البحث، فجاء برأيه فهو داخل تحت هذا النهي دخولاً أولياً؛ لأنه محض رأي في شرع الله، وبالناس عنه غنى بكتاب الله سبحانه، وبسنة رسوله ﷺ ولم تدع إليه حاجة على أنَّ الترخيص في الرأي عند عدم وجود الدليل إنَّما هو رخصة للمجتهد، يجوز له أن يعملَ به، ولم يَدُلَّ دليل على أنه يجوز لغيره العمل به، وينزله منزلة مسائل الشرع.

وقَدْ قيل: إن هذه الآية خَاصَّة بالعقائد، ولا دليل على ذلك أصلاً، ثم علّل سبحانه النهي عن العمل بما ليس بعلم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ﴾؛ أي: كل واحد من هذه الأعضاء الثلاثة، فهو إشارة إلى الأعضاء المذكورة، فأجراها مَجْرَى العقلاء لما كانَت مسؤولةً عن أحوالِها شاهدة على أصحابها ﴿كَانَ عَنْهُ﴾؛ أي: عن نفسه، وعما فعلَ به صاحبه ﴿مَسْـُٔولًا﴾؛ أي: إنَّ الله سبحانه سَائِلٌ هذه الأعضاء عما فَعَل بها صاحبها يوم القيامة.

ومعنى سؤال هذه الجوارحِ[2]: أنَه يسأل صاحبَها عما استعملَها فيه؛ لأنها

(١) الشوكاني.

(٢) الشوكاني.

آلات، والمستعملُ لها هو الروح الإنساني، فإن استعملها في الخير.. استحق الثَّوَابَ، وإن استعملها في الشر.. استحقَّ العقاب، وقيل: إنَّ اللّه سبحانَه يُنْطِق هذه الأعضاءَ عند سؤالها، فَتُخْبر عَمَّا فعله صاحبها كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ وفي الخبر: عن شكل بن حميد قال: «أتيت النبي ﷺ فَقُلْتُ: يا نبي الله علِّمني تعويذاً أتعوَّذ به، فأخذ بيدي ثُمَّ قال: قل: «أعوذ بك من شرِ سمعي، وشر بصري وشر قلبي، وشرِّ منّي» يريد الزنا.

قال علي السمرقندي: واعلم[١] أَنَّ المراد بالنهي: النهي عن اتباعِ كُلّ ما فيه جَهْلٌ مما يتعلق بالسمع، والبصر، والقلب، كأنه تعالَى قال: لا تسمع كل ما لا يجوز سَمَاعُهُ، ولا تَبْصُرُ كل ما لا يجوز إبصاره، ولا تعزم على كل ما لا يجوز لك العزم عليه؛ لأن كُلَّ واحد منها يسأله الله تعالى ويُجَازِيه، ولم يذكر اللسان مع أنه من أعظمها؛ لأن السَّمْعَ يدل عليه، لأنه ما يكب الناس على مناخِرهم في نارِ جَهَنَّم إلاَّ حصائد ألسنتهم، وتِلك الحَصَائِدُ مِنْ قِبَلِ المسموعات اللازمة للسمع. انتهى

وقرأ الجمهور[٢] ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ بحذف الواو، للجازم مضارع قَفَا كعدا، وقرأ زيد بن علي: ﴿ولا تقفو﴾ بإثبات الواو، كما قال الشاعر:

هجوت زبان ثُمَّ جئْتَ معتذراً   من هجو زبَّانَ كأَنْ لم تَهْجُو وَلم تَدَعُ

وإثبات الواو، والياء، والألف مع الجازم لغة لبعض العرب، وضرورة لغيرهم، وقرأ معاذ القارىء ﴿وَلاَ تَقُفْ﴾ مثل تقل من قاف، يَقُوف، تقول العرب: قُفْتُ أثَرَهُ، وقفوت أثره، وهما لغتان لوجود التصاريف فيهما، كجبَذَ وجَذَبَ، وقرأ الجراح العقيلي، ﴿والفواد﴾ بفتح الفاء والواو، وقلبت الهمزةُ واواً بعد الضمة في الفؤاد، ثم استصحب القلب مع الفتح، وهي لغة في الفؤاد،

---

(١) بحر العلوم.
(٢) البحر المحيط.

وأنكرها أبو حاتم وغيره.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ التقييد لزيادة التقرير ﴿مَرَحًا﴾؛ أي: ولا تمش - أيها الإنسانُ - متبختراً متمايلاً كمشي الجبارين فتحتك الأرض التي لا تقدر على خرقها، بدوسك، وشدة وطئك لها، وفوقك الجبال التي لا تقدر على الوصول إليها، فأنت محوط بنوعين من الجماد أنت أضعف منهما، والضعيف المحصور لا يليق به التكبر، ولقد أحسن من قال:

وَلاَ تَمْشِ فَوْقَ ٱلأَرْضِ إِلاَّ تَوَاضُعَاً ... فَكَمْ تَحْتَهَا قَوْمٌ هُمُ مِنْكَ أَرْفَعُ

وَإِنْ كُنْتَ فِيْ عِزٍّ وَحِرْزٍ وَمَنْعَةٍ ... فَكَمْ مَاتَ مِنْ قَوْمٍ هُمُ مِنْكَ أَمْنَعُ

والمرح[1]: قيل: هو شدة الفرَحِ، وقيل: التكبر في المشي، وقيل: تجاوزُ الإنسان قَدْرَه، وقيل: الخيلاء في المشي، وقيل: البطر، والأشر وقيل: النشاط، والظاهر: أنَّ المراد به هنا الخيلاء والفخر، والمرح: مصدر وقع حالاً، أي ذَا مَرَح، وَفي وضع المصدر مَوْضِع الصفة نوع تأكيد وذكر الأرض مع أن المشي لا يكونَ إلا عليها، أو على ما هو معتمد عليها تأكيداً، وتقريراً كما ذكرنا آنفاً.

وخلاصة ذلك[2]: تواضَعْ ولا تتكبَّرْ فإنك مخلوقٌ ضعيفٌ محصور بين حِجَارة وتراب، فلا تفعل فعلَ القوي المقتدر، ولا يخفى مَا في الآية من التقريع، والتهكم، والزجر لمن اعتاد ذلك.

وقرأ الجمهور: ﴿مَرَحًا﴾ بفتح الراء على المصدر، وحكى يعقوب عن جماعة كَسْرَها على أنه اسم فاعل، ثم علل سبحانه هذا النهي بقوله: ﴿إِنَّكَ﴾ أيها المرء ﴿لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾؛ أي: إنك لن تشق الأرض، ولن تثقبها بمشيك عليها، وشدة وطئك فيها تكبراً حتى تَبلغَ آخرها، وفيه تهكم بالمختال المتكبر.

﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ﴾ التي هي بعض أجزاءِ الأرض ﴿طُولًا﴾؛ أي: في

---

(١) الشوكاني.

(٢) المراغي.

الطول حتى يمكنك أن تَتَكَبَّرَ عليها؛ أي: لن يَبْلَغُ طُولُكَ الجِبَالَ حَتَّىٰ يَكُونَ عِظَم جثَّتُك حَامِلاً لك على التكبر، فالتكبر إنما يكون بالقوة، وعظم الجُثَّةِ وكلاهما غيرُ موجود لديك، فما الحامل لك على ما أنت فيه، وأنت أَحْقَر من كل من الجمادين، وكيف يليقُ بِكَ الكِبَرُ. فَطُولاً منصوب على التمييز؛ أي: لن يَبْلُغَ طُولَكَ الجبال؛ أي: تَطَاوُلُكَ، واستعلاؤك، وقال الزجاج: ﴿لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ﴾؛ أي: لن تَجْعَلَ فيها خَرْقاً بدوسك لها، وشدة وطئك عليها ﴿وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا﴾؛ أي: بتَطاولك، وهو تهكم بالمُخْتَال وقرأ الجراح الأعرابي[1] ﴿لَن تَخْرُقَ﴾ بضم الراء قال أبو حاتم: لاَ تعْرف هذه اللغة ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الخصال الخمس والعشرين من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى هنا فهو نهي عن اعتقاد أن مع الله إلٰهاً آخر، وهو أولاَها، والثانية والثالثة قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ فهو أمر بعبادة الله ونهي عن عبادة غيره، والبواقي ظاهرة بعد الأوامر، والنواهي ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾؛ أي: السيىء القبيح منه، وهو المنهيات منها، وهو أربع عشرةَ خصلة، فإنَّ المأمورَ به حَسَنٌ وهو إحدى عَشَرَةَ، ثَلاَثٌ مستترةٌ، وثمان ظاهرةٌ كما في «بحر العلوم» ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ يا محمد ﴿مَكۡرُوهٗا﴾ أي: مبغوضاً، والمراد به المبغوض المقابل للمرضى لا ما يقابل المراد، ووصف ذلك بمتعلق الكراهة، مع أن البَعْضَ من الكبائر، للإيذان بأن مجرد الكراهة عنده تعالى كافية في وجوب الانتهاء عن ذلك وتأكده.

والمعنى[2]: كل ما ذكر من الخصال أثناء الأوامر والنواهي، وهي الخمس والعشرون السالفة، كان السيىء منه، وهو ما نهيَ عنه منها من الجعل مع الله إلٰهاً آخر، وعبادة غيره، والتأفف، والتبذير، وغل اليد، وقتل الأولاد خشيةَ الإملاق مكروهاً عند ربك؛ أي: مَبْغُوضاً عنده تعالى، وإن كَانَ مراداً له تعالى بالإرادة التكونية، كما قال ﷺ: «ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن» وهذه الإرادة لا تستدعي الرضا منه سبحانه.

---

(١) البحر المحيط.
(٢) المراغي.

تتمة: واعلم أنا نعد لك الخِصَال الخمس والعشرين التي وَرَدت الإشارة إليها بقوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ...﴾ على ترتيبها المذكور في الآيات، وهذا إحصاؤها بذلك الترتيب:

١ ـ ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾. ٢ و٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ ...﴾ إلى آخر الآية لاشتماله على تكليفين، وهما عبادة الله، والنهي عن عبادة غيره.

٤ ـ ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾. ٥ ـ ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾. ٦ ـ ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾, ٧ ـ ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾. ٨ ـ ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾. ٩ ـ ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾. ١٠ ـ ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾. ١١ ـ ﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾. ١٢ ـ ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾. ١٣ ـ ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾. ١٤ ـ ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾. ١٥ ـ ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾. ١٦ ـ ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾. ١٧ ـ ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ﴾. ١٨ ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾. ١٩ ـ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ﴾. ٢٠ ـ ﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾. ٢١ ـ ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾. ٢٢ ـ ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾. ٢٣ ـ ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ﴾. ٢٤ ـ ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾. ٢٥ ـ ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾.

وقرأ الحرميان[1] ـ نافع وابن كثير ـ وأبو عمرو، وأبو جعفر، والأعرج ﴿سيئة﴾ بالنصب والتأنيث، وقرأ باقي السبع، والحسن، ومسروق ﴿سيئه﴾ بضم الهمزة مضافاً فـ﴿الهاء﴾ ضمير المذكر الغائب، وقرأ عبد الله ﴿سيئاته﴾ بالجمع مضافاً للهاء، وعنه أيضاً ﴿سيئات﴾ بغير هاء، وعنه أيضاً ﴿كان خبيثه﴾.

ثم بيَّن وجوبَ امتثال تلك الأوامر، وترك تلك النواهي، فقال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور في الآيات السابقة، أي: هذا الذي أمرناك به من الأخلاق الحميدة، ونهيناك عنه من الرذائل الذميمة التي جملتها خمس وعشرون خصلةً ﴿مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾؛ أي: بعض ما أوحى إليك ربك من فقه الدين، ومعرفة أسراره، حالَةَ كونِه: ﴿مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ التي هي معرفة الحق لذاتِه، والخير للعمل به اهـ. «بيضاوي» فالتوحيد من القسم الأول، وباقي التكاليف من القسم الثاني اهـ «زاده»

(١) البحر المحيط.

أو حالة[1] كونه من الأحكام المحكمة التي لا يتطرق إليها النسخ، والفساد ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ﴾ أيها المكلف ﴿مَعَ ٱللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى ﴿إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ﴾؛ أي: تُرمى ﴿فِي﴾ نار ﴿جَهَنَّمَ﴾ حالةَ كَوْنِك ﴿مَلُومًا﴾ عند نَفْسِك وعند الناس وعند الملائكة ﴿مَّدۡحُورًا﴾؛ أي: مطروداً مبعداً من رحمة الله تعالى، ومن كل خير، كرر هذه[2] الآية مع ما سلف للتنبيه على أن التوحيدَ رأسُ الدين، ورأسُ الحكمة، وهو مبتدأُ الأمر، ومنتهاه، وقد رتبَ عليه أولاً آثار الشرك في الدنيا، فقال: ﴿فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا﴾ ورَتَّب عليه هنا نَتِيجَتَه في العقبى فقال: ﴿فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا﴾ وقد علمت فيما تقدم لَكَ أَنَّ مِثْلَ هذا الخطاب إما موجهٌ إلى الإنسان عامة، وإما إلى الرسول خاصةً، والمراد أمته، والكلام من وادي قولهم: إياك أعني واسمعي يا جارة.

فائدة: والفرق[3] بين المذموم والملوم، وبين المخذول والمدحور، أن المذمومَ معناه: مَنْ يُذْكَرُ له أَنَّ الفِعْلَ الذي أَقْدَمَ عليه قبيحٌ ومنكرٌ، وأنَّ المَلُومَ معناه مَنْ يقال له لِمَ فَعَلْتَ هذا الفعل القبيح، وما الذي حملك عليه، وهذا هو اللوم، وأنَّ المخذول هو: الضعيف الذي لاَ نَاصِرَ له، والمَدْحُور هو: المبعد المطرودُ عن كل خير، ولَمَّا أمر بالتوحيد، ونهى عن إثبات الشريك لله، أَتْبَعَهُ بذكر فساد طريقة من أثبَتَ الولَدَ له تعالى، فقال: ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ﴾، والخطاب[4] فيه للقائلين بأن الملائكةَ بناتُ الله. وَكَانَ المشركون يستنكفون من البنات، فيختارون لأنفسهم الذكور، ومع ذلك ينسبون إليه تعالى الإناث، فأنكر الله ذلك منهم.

و﴿الهمزة﴾ فيه للاستفهام التوبيخي المضمن للإنكار، داخلةٌ على محذوف، و(الفاء) عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أفضَّلكم ربكم على جَنَابِهِ وَنَفْسِهِ أيها المشركون، فأَصْفَاكُم واختَارَكم، وخَصَّكم بالبنين، أفضلِ الأولاد ﴿وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ﴾؛ أي: واختَارَ لنفسه من الملائِكَة إناثاً التي هي أخس الأولاد

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) الخازن بتصرف.

(٤) روح البيان.

وأدناها ـ بحسب زعمكم ـ، وهذا خلاف الحكمة، وما عليه عقولُكُمْ، وعادتكم، فإنَّ العبيدَ لا يؤثِرُون بأجود الأشياءِ وأصفاها من الشَّوْبِ والنَّقْصِ ويَكُونُ أردأها وأدناها للسادات.

وعبر عن البنات بالإناث إظهاراً لجهة خساستهن؛ لأنَّ الأنوثة أخسُّ أوصاف الحيوان.

والمعنى[1]: أفْضَلكم على جنابه، فَخَصَّكم ربُّكم بالذكور من الأولاد، واتخذ من الملائكة إنَاثاً، وأنتم لا ترضَونهن لأنفسكم، بل تَئِدُونَهُنَّ، وتقتلونهن، فتجعلون له ما لا ترضون لأنفسكم.

وخلاصة ذلك: أنَّهم جعلوا الملائكةَ إناثاً، ثم ادعوا أنَّهُن بَنَاتُ الله، ثُمَّ عبدوهن، فأَخْطَؤوا في الأمور الثلاثة، خطأً عظيماً، ومن ثُمَّ قال: ﴿إِنَّكُمْ﴾ أيها المشركون ﴿لَتَقُولُونَ﴾ بإضافة الولد إليه تعالى ﴿قَوْلًا عَظِيمًا﴾ أي: قَوْلاً فظيعاً لا يجترىء عليه أَحَدٌ؛ حيثُ تجعلونه سبحانه من قبيل الأجسام المتجانسة السَّريعةِ الزوال، ثُمَّ تضيفون إليه ما تَكْرَهُونَ من أخس الأولاد، وتفضّلون عليه أنفسكم بالبنين، ثم تصفون الملائكةَ الذينَ هم من أَشْرَفِ الخلق بالأنوثة التي هي أخس أوصاف الحيوان.

ونحو الآية قوله تعالى ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾.
ولما كان هذا الكلام غايةً في الوضوح والبيان، ولا يَخفىٰ فهمه على إنسان، ثُمَّ هم بعد ذلك، أعرضوا عنه نبَّهَ إلى ذلك فقال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾؛ أي: وعزتي وجلالي، لقد صَرَّفْنَا وبيّنّا وكررنا في هذا القرآن الكريم الآيات والحجج، وضربْنَا لهم الأمثالَ وحذرنَاهم، وأنذرنَاهم ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ ويتعظوا، فَيَقِفُوا على بطلان

---

(١) المراغي.

ما يقولون، فإنَّ التِكْرَارَ يقتضي الإذعانَ واطمئنان النفس، وهم مع ذلك لا يعتبرونَ، ولا يتذكرونَ بما يرد عليهم من الآياتِ والنذر، بل ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ التذكيرُ ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ وفراراً، وهرباً من الحق، وبُعداً منه وإعراضاً عنه.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿صرّفنا﴾ بتشديد الراء، أي: لم نجعله نوعاً واحداً، بل وعداً، ووعيداً، ومحكماً، ومتشابهاً، وأمراً، ونهياً، وناسخاً، ومنسوخاً، وأخباراً، وأمثالاً مثلُ تصريف الرياح وتقليبها من صبا، ودبور وجنوبَ، وشمال، ومفعولَ ﴿صَرفْنَا﴾ على هذا المعنى محذوف، وهي هذه الأشياء أي: صرَّفنا الأمثالَ، والعِبَرَ والحِكَمَ والأحكامَ والأعلامَ، وقرأ الحَسنُ بتخفيف الراء. وقال صاحب «اللوامح»: هو بمعنى قراءةِ الجمهور. قال لأن فَعَلَ، وفعَّل ربَّما تعاقَبَا على معنى واحد، وقال ابن عطية على معنى صَرَفْنَا فيه الناس إلى الهدى بالدعاء إلى الله، وقرأ الجمهور ﴿ليذَّكَّرُوا﴾ بتشديد الذال والكاف المفتوحَتَيْن، أَوْ ﴿لِيَتَذَكَّروا﴾ من التذكر، فأدغمت التاء في الذال، وقرأ الأخوان حمزة والكسائي، وطلحة، وابن وثاب، والأعمش، ﴿ليذْكُروا﴾ بسكون الذال وضم الكاف من الذكْر، أو الذكر، أي لِيَتَّعِظُوا، ويعتبروا.

ثم رَدَّ على هؤلاء الذين يشركون بربهم، ويتخذون الشفعاءَ والأندادَ، ونَدَّد عليهم، وسَفَّهَ أحلامَهم فَقَالَ ﴿قُل﴾ أيها الرسول الكريم لهؤلاء المشركين الذين جعلوا مع الله إلٰهاً آخرَ لإظهار بُطلان ما هم عليه من الشرك من جهة أخرى ﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ﴾ سبحانه وتعالى ﴿ءَالِهَةٌ﴾ أخرى ﴿كَمَا يَقُولُونَ﴾؛ أي: كما يقول المشركونَ قاطِبَة، والكاف في محل النصب على أَنَّها صِفَةٌ لمصدر محذوف، أي: كوناً مشابهاً بما يقولون، والمراد بالمشابهة الموافَقَةُ والمطابقةُ، وقرأ ابن كثير، وحفص ﴿يَقُولُونَ﴾ بالياء التحتية على الغيبة، وقرأ الباقون بالفوقية على الخطاب للقائلين بأَنَّ مَعَ الله آلهة أخرى ﴿إِذًا﴾ حرف جواب وجزاءٍ قال الزمخشري: ﴿إِذًا﴾ دالَّةٌ على أنَّ ما بعدها، وهو ﴿لَّابْتَغَوْاْ﴾ جواب لمقالة المشركين، وجزاء لـ﴿لَّوْ﴾ اهـ «سمين».

---

(١) البحر المحيط.

﴿لَّٱبۡتَغَوۡاْ﴾، أي: لابتغت تلك الآلهة، وطلبت ﴿إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾، أي: إلى صاحب الملك والسرير، أي: إلى من له الملك والربوبية على الإطلاق ﴿سَبِيلٗا﴾؛ أي: طريقاً بالمغالبة والممانعة؛ أي: ليغالبوه، ويَقْهَرُوه، ويدفعوا عن أنفسهم العَيْبَ والعجزَ كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض.

يشير إلى أن الآلهة لا يَخْلُو أَمْرَهم: مِن أنَّهم كَانُوا أكبرَ منه، أو كانُوا أمثالَهُ، أو كانُوا أدنىٰ منه، فإن كَانوا أكبرَ منه طلبوا طريقاً إلى إزعاج صاحب العرش، ونزع الملك قَهْراً وغلبة، ليكونَ لهم الملك لا له كما هو المعتاد من الملوك ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾؛ أي: تنزه[1] الله بِذَاتِهِ تَنَزُّهاً حَقِيقياً عما يقولون من أنَّ معه آلهة أخرى ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾ عطف على ما تضمنه المصدر، قَبْلَهُ، أي: تنزه وتعالى، أي: تَرَفَّعَ بصفاته ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من أنَّ له بناتاً ﴿عُلُوّٗا﴾ واقع موقع تعالياً كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧﴾؛ أي: إنباتاً ﴿كَبِيرٗا﴾؛ أي: تعالى عما يقولون من الأقوال الشَّنِيعَةِ، والفِرْيَة العظيمة، عُلُوّاً كبيراً؛ أي: تَعَالياً لا غايةَ وراءه، كيف لاَ وإنه سبحانَه في أقصى غاياتِ الوجود، وهو الوجوبُ الذاتي، وما يقولون: من أن له تعالى شركَاءَ وأولاداً في أبعد مراتب العدم، أعني الامتناعَ، ووصف[2] العلوّ بالكِبَرِ مبالغةً في النزاهة، وتنبيهاً على أن بَيْنَ الواجب لذاته، والممكن لذاته، وبين الغنيُّ المطلق، والفقير المطلق، مَبَايَنَةٌ لا تعقل الزيادة عليها، والمعنى: تنزيهاً لله، وعلواً له عما يقولون أيُّها القوم من الفرية والكذب، فهو الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

قوله: ﴿كَمَا يَقُولُونَ﴾، وقوله: ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ يقرأ[3] بالياء التحتية فيهما، وبالتاء الفوقية فيهما، وبالياء التحتية في الأول، والتاء الفوقية في الثاني، فالقراءات الثلاثة كلها سبعية، وعلى الأخيرة يكون في الكلام التفات اهـ شيخنا.

---

(١) روح البيان.
(٢) الشوكاني.
(٣) الفتوحات.

ثم بيّن سبحانه عظمة مُلْكِهُ وكبير سلطانه فقال: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ﴾؛ أي: تُنزه اللّهَ تَعَالَى السمواتُ السبعُ، والأرض عن كل نَقْص بدلالة أحْوَالِها على توحيد الله تعالى، وقدرته، ولطيف حكمته، فَكَأَنها تنطق بذلك، ويَصير لها بمنزلة التسبيح النطقي، ﴿و﴾ يسبحه تعالى أيضاً ﴿من فيهن﴾؛ أي: من في السموات والأرض من المخلوقات؛ أي: تنزهه عَمَّا يقول هؤلاء المشركون، وتعظمه، وتَشْهَدُ له بالوحدانية، في ربوبيته، وألوهيته كما قال أبو نواس:

وَفِـــيْ كُـــلِّ شَـــيْءٍ لَـــهُ آيَـــةٌ   تَـــدُلُّ عَـــلَـــىٰ أَنَّـــهُ وَاحِـــدُ

والمكلف العاقلُ[1] يسبح ربه إما بالقول كقوله: «سبحان الله» وإما بدلالة أحوالِهِ على توحيده وتقديسه، وغير العاقلِ لا يُسَبِّح إلا بالطريق الثاني، فهي تدل بحدوثها دلالَةً واضحةً على وجوب وجوده تعالى، ووحدانيته، وقدرته وتنزهه عن الحدوث، فإنَّ الأثرَ يدل على مؤثره.

ومعنى التسبيح[2]: تنزيه الحق، وتبعيدُه عن نقائص الإمكان، والحدوث، إمَّا بلسان الحال، الدال على وجود الخالق، وقدرتِه وحكمَتِه، كتسبيح السموات والأرض، وإما بلسان القال الناطق بما يسمع كتسبيح من فيهن من الملائكة، والجن والإنس، فالتسبيح مشترك بين اللفظ الدَّالِ عليه، وبين مثل الحدوث والإمكان، الدّالّ على تنزيهه تَعَالَى عن لوازم الإمكان وتوابع الحدوث.

وقرأ النحويان[3]: أبو عمرو والكسائي، وحمزةُ وحفصُ ﴿تُسَبِّحُ﴾ بالتاء من فوق، وباقي السبعة بالياء، وفي بعض المصاحف ﴿سبحت له السموات﴾ بلفظ الماضي، وتاء التأنيث، وهي قراءة عبد الله، والأعمش، وطلحة بن مصرّف.

ثم أكّد ما سلف بقوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ﴾؛ أي: وما من شيء من المخلوقات ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ تعالى، أي: يدل بإمكانه وحدوثه دلالةً واحدةً على وجوب وجوده تعالى، ووحدته وقدرته، وتنزهه عن لوازم الحدوث.

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.
(٣) البحر المحيط.

والمعنى[1]: وما من شيء من الأشياءِ حيواناً كان أو نباتاً، أو جماداً إلا ينزهه تعالى متلبساً بحمده بلسان الحال عما لا يليق بذاته تعالى من لوازم الإمكان.

والخلاصة: أن كل الأكوان بأسرها شاهدةٌ بتنزهه تعالى عن مشاركته للمخلوقات في صفاتها المحدثة ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ﴾، أيها المشركون، ولا تفهمون ﴿تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ ما عدا مَنْ يسبح بلغتكم، ولسانكم، والفقه[2]: عبَارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه؛ أي: ولكن لا تفهمونَ أَيُّهَا المشركون تِلْكَ الدَّلاَلَةَ، لأنَّكم لما جَعَلْتُم مَعَ الله آلهةً، فكأنكم لم تنظروا، ولم تفكروا؛ إذ النَّظَرُ الصحيح، والتفكير الحق، يؤدي إلى غير ما أنتم عليه، فأنتم إذاً لم تفقهوا التسبيحَ، ولم تستوضحوا الدلالة على الخالق.

فإنَّ الكفارَ[3]، وإن كانوا مُقرّينَ بألسنتهم بإثبات إله العالم، لم يتفكروا في أنواع الدلائل، ولم يَعْلَمُوا كمالَ قدرته تعالى، فأستبعدوا كونَه تعالى قادراً على النشر، والحشر، فهم غافلون عن أكثر دَلائِلِ التوحيد، والنبوة، والمَعَادِ؛ لأنهم أثبتوا لله شركاءَ، وزوجاً وولداً.

وقرىء ﴿لا يُفَقَّهونَ﴾ على صيغة المبني للمفعول مع فتح الفاء، وتشديد القاف ﴿إِنَّهُۥ﴾ سبحانه وتعالى ﴿كَانَ حَلِيمًا﴾ على جهلكم، وإشراككم، فمن حلمه أن أمْهَلَكم، ولم يعاجِلْكُم بالعقوبة على غفلتكم وسوء جهلكم بهذا التسبيح بإشراككم به سواه، وعبادتكم معه غَيْرَه، والحلم[4]: تأخير مكافأة الظالم بالنسبة إلى الخالق، والطمأنينة عند سورة الغضب بالنسبة إلى المخلوق ﴿غَفُورًا﴾ لمن تاب منكمْ ورجع إلى التوحيد، ومن مَغْفِرَتِهِ لكم أنَّهُ لا يؤاخذ من تاب منكم.

أخرج أحمد وابن مردويه، عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إنَّ نُوحاً عليه

---

(١) المراح.
(٢) روح البيان.
(٣) المراح.
(٤) روح البيان.

السلام، لما حضرته الوفاة، قَال لابنيه: ـ آمركما بِسُبحان الله وبحمده؛ فإنَّها صلاة كل شيء وَبِها يُرْزَقُ كل شيء ـ».

تنبيه: وهذا المعنى الذي ذكرناه من أنَّ المرادَ من تسبيح كل شيء: الدَّلاَلَةُ على الخالق ما عليه الزمخشري، والبيضاوي، وأبو السعود، ومن يليهم من أهل الظاهر، وهم الذينَ لهم عين واحدة، وسمع واحد، وقال الشيخ علي السمرقندي ـ رحمه الله ـ في «بحر العلوم»: ذهب السلف الصالح، إلى أنَّ التسبيحَ في الآية في المحلَّين محمول على حقيقته، وهو الأصح، فإنه إن كان كلام الجماد مسلماً، فينبغي أن يَكُونَ تسبيحه أيضاً مسلّماً، قال رسول الله ﷺ: «إنّي لأعرف حجراً بمكة، كَانَ يسلم عليَّ قبل أن أُبْعَثَ، إني لأعرفه الآن» وعن ابن مسعود، ولقد كنا نسمع تسبيحَ الطعام وهو يُؤكل، علَى أنَّ شَهَادَةَ الجوارح والجلود مما نطق به القرآن الكريم، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾. كَان دَاودُ إذا سبح جَاوَبَتْهُ الجبالُ بالتسبيح، وقال مجاهد[1]: كُلُّ الأشياء تسبح الله حَيّاً كان أو جماداً، وتَسْبِيحُها: سبحان الله وبحمده.

وعن المقداد بن معديكرب: إنَّ التُّرابَ يسبح ما لم يَبْتَلَّ، والخريزة تسبحُ ما لم تُرْفَعُ من موضعها، والوَرَقَ ما دام على الشجر، والماءَ ما دام جارياً، والثوبَ ما دام جديداً، فإذا اتسخ ترَكَ التسبيح، والوحش، والطيرَ إذا صاحتْ، فإذا سكتت تركت التسبيحَ، وفي الحديث عن السدي: «ما اصطيد حوت في البحر، ولا طائر يطير إلا بما يضيِّع من تسبيح الله» كما في تفسير «المدارك للنسفي».

ولما فرغ سبحانه من الإلٰهيات شَرَعَ في ذكر بعض من آيات القرآن، وما يقع من سامعيه فقال: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾؛ أي: وإذا قرأْتَ أيُّها الرسول القرآنَ على هؤلاء المشركين، الذين لا يصدقون بالبعث، ولا يقرُّون بالثواب، والعقاب، ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ﴾ يا محمد ﴿وَبَيْنَ﴾ هؤلاء المشركين ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا﴾

---

(١) روح البيان.

يحجبهم من أن يدركوك على ما أَنْتَ عليه من النبوة، ويفْهَمُوا قَدَرَكَ الجليلَ، ولذلك اجترؤوا على أن يَقُولُوا: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ ويمنعوا قلوبَهم عن أن تَفهمَ ما تقرؤه عليهم، فينتفعوا به، عقوبةً منَّا لهم على كفرهم، وتَدْسِيَتِهِمْ لأنفسهم، واجتراحهم الجرائمَ، والمعاصيَ التي تظلم القلوبَ، وتَضَعُ عليها الأغشيةَ، وتستر عنها فَهْمَ حَقَائِقِ القرآن، ومَرَامِيه، وأَسْرَارَهُ وأحكامَه، وحِكَمه، ومَوَاعِظَهُ، وعبرهُ؛ أي: أنهم[1] لإعراضهم عن قراءتك، وتغافلهم عنك كمَنْ بينك وبينه حجابٌ يمرون بك ولا يَرَوْنَك، ذكر هذا المعنى الزجَّاج وغَيْرَهُ. ومعنى ﴿مَّسْتُورًا﴾؛ أي: ساتراً يَسْتُرِكَ عنهم، قال الأخفش: أراد ساتراً، والفاعل قد يكون في لفظ المفعول، كما تقول إنك لَمَشْؤُومٌ ومَيْمُونٌ، وإنما هو شائم، ويامِنٌ وقيل: معنى مستوراً ذا ستر كقولهم: سَيْلٌ مُفعَمٌ؛ أي: ذو إفعام من أفعمت الإناءَ؛ أي: مَلأتهُ، وقيل: حجاباً لا تراه الأعين، فهو مستورٌ عنها، وقيل: حجاب من دونه حجابٌ، فهو مستور بغيره، والمعنى حجاباً محجوباً وقيل: المراد بالحجاب المستور الطَّبْعُ والخَتْمُ.

ثُمّ بين السَّبَبَ في عدم فهمهم لمدارك القرآن فقال: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: على قلوب هؤلاء المشركين ﴿أَكِنَّةً﴾؛ أي: أَغْطَيَةً، وموانعَ كثيرةً جمع كنان، وهو الغطاءُ ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾؛ أي: كَرَاهيَةَ[2] أن يفهموا القرآنَ على كنهه، ويعرفوا أنه من عند الله تعالى، فهو مفعول لأجله، ولكنه على حذف مضاف، هذا على رأي الكوفيين، أو لِئلاً يفقهوا القرآنَ ويفهموا ما فيه من الأوامر، والنواهي، والحكم والمعاني، هذا على مذهب البصريينَ لقلة حَذْفِ (لاَ) بالنسبة إلى حذف المضاف، وهذا تمثيل[3] لتجافي قُلُوبِهِم عن الحق، ونبوِّها عن قبوله، واعتقاده كأنها في غلف وأغطية، تحول بينها وبينه، وتمنع من نفوذه فيها.

﴿و﴾ جعلنا﴾ ﴿فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ أي صمماً، وثقلاً مانِعاً عن سماعه اللائق به، وهذا تمثيل لمجِّ أسماعهم لِلحَقّ ونبوها عن الإصغاءِ إليه، كأنَّ بها صمماً

---

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

(٣) بحر العلوم.

يمنع عن سماعه، ولَمَّا[1] كان القرآن معجزاً من حيث اللفظ والمعنى أَثْبتَ لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى حقَّ فَهمِه، وإدراك اللفظ حقَّ إدراكه.

ومن قبائح المشركين: أنهم كانوا يحبُّون أن يذكر مُحَمَّدٌ ﷺ آلِهَتَهُم كما يذكر اللّهَ سبحانه، فإذا سمعوا ذكر اللَّهِ دُونَ ذكر آلهتهم نَفِرُوا عن المجلس، ولهذا قال الله سبحانه: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿فِي الْقُرْءَانِ﴾ وَأَنْتَ تتلوه حَالةَ كونه ﴿وَحْدَهُ﴾ أي واحداً غير مشفوع به آلهتهم؛ أي: منفرداً غير مقرون به آلهتُهم؛ أي: إذا قلت: لا إله إلا اللّه، ولم تَقُلْ: واللات والعزَّى، فهو[2] مصدر وَقَعَ مَوْقِعَ الحال، أصله تحده وحده فحذف الفعل الذي هو الحال، وأقيم المصدر مقامه ﴿وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ﴾؛ أي: رَجَعُوا على أعقابهم، وانفَضُّوا من حولك، وهربوا ونَفرُوا ﴿نُفُورًا﴾ وهو مصدر كالقعود، أو جمع نافر؛ أي: أعرضُوا ورجعُوا على أعقابهم حالةَ كونهم نافرينَ استكباراً واستعظاماً لأن يُذكر الله وحدَه.

والحاصل: أنَّ الكُفَّارَ[3] عند استماع القرآن كانوا على حالتَيْنِ، فإذا سَمِعُوا من القرآن ما ليس فيه ذكْرُ الله، بَقَوا متحيرين لا يفهمونَ منه شيئاً، وإذا سمعوا آيةً فيها ذِكْرُ الله تعالى وذَمُّ الشِرْكِ بالله تَرَكُوا ذلك المجلسَ، ولا يستطيعون سماعَ القرآنَ، ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ﴾؛ أي: بالسبب والغرض الذي يستمعونَكَ ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: لأجله من الاستخفاف والهزء بك وبالقرآن، فالباء بمعنى اللام؛ أو للملابسة مُتَعَلّقَةٌ بمحذوف حال من الواو، وفي يستمعون؛ أي: يستمعونك حَالَةَ كونهم ملابسين بذلك السبب، وهو الهَزْءُ المذكور ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ ظرف لأعلم، وفائدتُهُ: تأكيد الوعيد بالإخبار بأنه كما يقع الاستماع المذكور منهم يتعلق به العلم، وكذا قوله: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾؛ أي: ذَوُو نَجْوى؛ أي: أصحابُ مُنَاجَاةٍ، ومحادثة بَيْنَهُمْ ظرفٌ لأعلم لكن[4] لا من حيث تعلُّقُهُ بما به الاستماعُ، بل بما به التناجِي المدلول عليه بسياق النظم، ونَجْوى مصدر أو جمع نجيّ؛ أي: نحن أعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون إليك،

---

(١) روح البيان.
(٢) روح البيان.
(٣) المراح.
(٤) روح البيان.

مضمرون له، وهو الهُزءُ والسخرية بك، وبالقرآن، وبقولهم حين هم مُتَنَاجُون، مُتَحَدِّثُونَ فيما بينهم من قول بعضهم: إنه مجنون، وبعضُهم إنه كاهن، وقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بَدل مِنْ إِذْ هُمْ نجوى، ووضع ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ موضَع المضمر؛ للدلالة على أَنَّ هذا القولَ منهم ظلم، وتجاوز عن الحد، وفيه: دليل على أن من يَتَنَاجون به غيرَ مَا يستمعون به؛ أي: نحن أعلم إذ يقول الظالمون بعضهم لبعض عند تناجيهم: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾؛ أي: ما تتبعون إن وُجد منكم الاتباع فرضاً ﴿إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾؛ أي: إلا رجلاً سُحِرَ فجن، فَمِنْ ظُلْمِهِمْ وَضَعُوا اسْمَ المسحور موضع المَبْعُوثِ.

والمعنى: أي نحن[1] أعلم بالغَرض الذي يستمعون إليك لأجله، وهو الهزءُ، والسخريةُ، والتكذيبُ حينَ استماعهم، وأعلم بما يَتَنَاجُون به، ويتسارون به، فبعضهم يقول: مَجْنُونٌ، وبعضهم يقول: كاهن، وبعضهم يقول: ما اتبعتم إلاَّ رجلاً قد سُحِرَ فَاخْتَلَط عليه عقلَه، وزال عن حد الاستواء، وهَلْ من خير لكم في اتباع أمثالِه المجانين ﴿ٱنظُرْ﴾ يا محمد؛ أي: تأمَّل، وفَكّر أيها الرسول ﴿كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾؛ أي: كيف جعلوا لك الأشباهَ ومثَّلوا لك الأمثالَ حيث شبهوك بالمسحور مثلاً، فقالوا: هو مسحور، وهو شاعر مجنون، ﴿فَضَلُّواْ﴾ في كل ذلك عن سواءِ السبيل. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إلى طريق الحق لضلالهم عنه، وبعدِهم منه، والاستفهام فيه للتعجيب، فكأنَّه قال: تعجب من ضربهم الأمثالَ لك، وفي هذا من الوعيد وتسلية الرسول ﷺ ما لا يخفى.

والمعنى: فَضَلُّوا عن طريق الصواب في جميع ذلك القول، فلا يستطيعون سبيلاً وطريقاً موصلاً إلى الطعن الذي تَقْبَلُهُ العقولُ، ويَقَعُ التصديق له، لا أصلَ الطعن، فقد فَعَلُوا منه ما قَدَرُوا عليه، أو فَضَلُّوا[2] عن الحق، والرشاد، فلا يستطيعون سبيلاً إليه؛ لأنهم بَالَغُوا في الضلالة والإنكار، وكَانُوا مستمعين بالهوى، فَيَسْتَمِعون الأساطيرَ، والسحر، والشعر، ولَوِ اسْتَمَعُوا كَلاَمَ الله،

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.

وصِفَاتِهِ، ولانحراف مِزَاجِهِم، وحصولِ المرض في قلوبهم، كانُوا يَتَنَفَّرُونَ عند استماع ذكر الواحد الأحد، بالوحدانية، والحِدَةِ، ولا يجدون حلاوة التوحد، بل يجدون منه المرارة لسوء المزاج.

ومن هذا القبيل إكباب أهل الهوى في كل عصر على استماع الملاهي، والأخبار والأساطير، وقيل وقال، معرضينَ عن كلام الله الملِكِ العليِّ الكبيرِ، بل وأكثرهم لا يريدُ إلا المُحَادَثَةَ الدنيويَّةَ، والمذاكَرَةَ العُرْفِيَّةَ والتعدي إلى أعراضِ الناس، والاتباع إلى ما يوسوِسُ به الوسواسَ الخناسُ، والقدحُ في شأن أهل الحق الآمرينَ بالمعروف، والناهينَ عن المنكر، فيا مصيبةً ابتُلي بها المسلمون عامَّةً وخاصَّةً من تتبع اليهودِ والنصارَىٰ، والمسابقة فيه، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

ولما فرغ سبحانه من حكاية شُبهِ القوم في النُّبُوَّات حكى شبهتهم في أمر المعاد، فقال: ﴿وَقَالُوٓاْ﴾؛ أي: وقال الذين لا يؤمنون بالآخرة من مشركي مكة، وغيرهم على سبيل الإنكار، والاستبعاد، وقد نَسُوا بدايةَ خلقهم من تراب، بل إنهم خُلقوا من لا شيء كقوله تعالى: ﴿خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾؛ أي: قالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا﴾؛ أي: أنُبْعَثُ ونُعادُ إذا كُنَّا ﴿عِظَٰمًا﴾ في قبورنا، لم نتحطم ولم نَتَكسَّر بعد مماتِنا ﴿و﴾ كُنَّا ﴿رفاتاً﴾؛ أي: عظاماً متكسِّرةً مَدْقُوقَةً مُفتتةً ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ بعد مصيرنا فيها، وقد بَلينا فَتَكَسَّرت عِظَامَنَا، وتقطعت أوصالنا؛ أي: أئنا لمخلوقون ﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾ كما كنا قبل الممات، نُصِبَ على المصدر من غير لفظه، أو على الحالية على أنَّ الخَلْقَ بمعنى المخلوق.

وإذا في قوله[1]: ﴿أَءِذَا﴾ متمحضة للظرفية، وهو الأظهر، والعامل فيها: ما دل عليه مبعوثون لا نفسه، لأنَّ ما بعد إن، والهمزة، واللام لا يَعْمَلُ فيما قبلها، وهو نُبْعَثُ، أو نُعَادَ كما قَدّرْنا في الحَلّ، وهو محل الاستفهام الإنكاري؛ أي: حياتنا بعد الموت محال منكرٌ لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التنافي،

(١) المراغي.

وتقييده بالوقت المذكور، ليس لتخصيصه به، فإنهم منكرون للإحياء بعد الموت، وإن كان البدن على حالِهِ، بل لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إليه في حالة منافية له.

ومثل الآية قوله تعالى حكايةً عنهم: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢﴾ وقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾.

وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يجِيبَهم ويعرفهم قدرتَه على بعثه إيَّاهم بعد مماتهم، وإنشائِه لَهُمْ كما كانوا قبل بلاَهم خلقاً جديداً على أي حال كانوا، عِظَاماً أو رفاتاً أو حجارةً أَوْ حديداً أَوْ خَلْقاً مما يكبر في صدورهم، فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد جواباً لهم ﴿كُونُوا۟﴾ أيها المشركون المنكرون للإعادة ﴿حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ ﴿أَوْ خَلْقًا﴾ آخر ﴿مِّمَّا يَكْبُرُ﴾ ويَعْظُم ﴿فِى صُدُورِكُمْ﴾؛ أي: في قلوبكم من قبول الحياة لِكَوْنِهِ أبعد شيءٍ منها، فإنكم مبعوثون، ومعادون لا محالةَ.

والمعنى[1]: لو تكونون حجارةً مع أنها لا تقبل الحياة بحالٍ أو حديداً مع أنه أَصْلَبُ من الحجارة، أو خلقاً آخر غَيْرَهُما كائناً من الأشياء التي تعظم في اعتقادكم عن قبول الحياة، كالسمٰوات والأرض، فَلاَ بُدَّ من إيجاد الحياة فيكم، فإنَّ قُدْرَتَهُ تعالى لا تعجز عن إحيائكم لاشتراك الأجسام في قبول الأعراض، فكيف إذا كنتم عظاماً ممزَّقَةً، وقد كانت طريَّةً موصوفةً بالحياة من قبلُ، والشَّيْء أقبل لما اعتيد فيه مما لم يعْتَدْ ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ تمادياً في الاستهزاءِ ﴿مَن﴾ الذي ﴿يُعِيدُنَا﴾ ويبعثنا بعد الموت؛ أي: من الذي يقدر على إعادة الحياة إلينا، إذا صرنا كذلك؟ وقد نَسُوا مبدأهم فَلَزِمَهُم نسيانُ معيدهم. ﴿قُلِ﴾ إرشاداً لهم إلى طريقة الاستدلال يعيدكم الإله القادر العظيم ﴿ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ﴾ وأنشأكم واخترعكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ على غير مثال سبق، وكنتم تراباً ما شمَّ رَائِحَةَ الحياة، فهو المبدىء

(١) المراح.

والمعيد؛ أي: فالذي ابتدأ خَلْقكم أوَّلَ مرة من غير مثال، يعيدكم إلى الحياة بالقدرة التي ابتدأكم بها، فكما لم تَعْجز تلك القدرة عن البداءة لاَ تَعْجَزْ عن الإعادة ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: يحركون جِهَتَكَ ﴿رُءُوسَهُمْ﴾ تعجباً وإنكاراً، وتكذيباً لقولك، يقال: أنغض إذا حرك كالمتعجب، أي: يحركون رؤُوسَهم إلى فوق، وإلى أَسْفَلَ هَزْءاً وسُخْرِيةً ﴿وَيَقُولُونَ﴾ استهزاء ﴿مَتَىٰ هُوَ﴾، أي: متى الإحياء والإعادة التي وعدتَنا؟ فهو سؤال عن وقت البعث بعد تعيين الباعث ﴿قُلْ﴾ جواباً لهم ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ﴾ ذلك البَعْثُ والإعادة؛ أي: حَقَّ ووجب كونه ﴿قَرِيبًا﴾ إذ كل ما هو آت قريب، أو لأنه مضَى أكثر الزمانِ، وبقي أقله، وعسى في الأصل: للطمع، والإشفاق، وفي كلامِهِ تعالى: للوجوب، يعني: أنه قَرُبَ وقته فقد قرب ما يكون فيه من الحساب والعقاب.

اذكروا ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ سبحانه وتعالى من الأجداث كما دعاكم من العدم إلى المحشر على لسان إسرافيل بالنداء الذي يسمعه جميع الخلائق، وهو النفخة الأخيرة، فإن[1] إِسْرَافِيلَ ينادي: أيتها الأجسام البالية، والعظام النخرة، والأجزاء المتفرقة، عودي كما كُنْت بقدرة الله تعالى وبإذنه.

﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ منها استجابة الأحياء، وتوافقون الداعي فيما دَعَاكم إليه حَالَةَ كونكم متلبسين ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ تعالى؛ أي: حَامِدِينَ لله تعالى على قُدْرَتِهِ على البعثِ، كما قال سعيد بن جبير: إنهم ينفضون التراب عن رؤُوسهم، ويقولون: سبحانَكَ اللهم وبحمدك، فيقدّسونه، ويحمدونه حين لا ينفعهم ذلك، وهذا مبالغة في انقيادهم للبعث. ﴿وَتَظُنُّونَ﴾ عندما ترون الأهوال الهائلة ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾؛ أي: ما مَكَثْتُم في القبور، أو في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ كالذي مرّ على قرية؛ أي: تظنون عند البعث أنكم ما لبثتم في قبوركم إلا زمناً قليلاً بالنسبة إلى لبثكم بعد الإحياء وذلك[2] لأن الإنسان لو مكث في الدنيا وفي القبر ألوفاً من السنين عدّ ذلك قليلاً بنسبة مدة القيامة، والخلود في الآخرة، وقيل: إنهم يستحقرون مُدَّةَ الدينا في جَنْبِ

---

(١) المراح.　　(٢) الخازن.

القيامة، ونحو الآية قولُه تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ وقوله: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ قال الحسن: المرادُ تقريبُ وقت البعث، فكأنك بالدنيا، ولم تكُنْ، وبالآخرة، ولم تزل.

الإعراب

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ فعل وفاعل، ومفعول مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ ﴿إلا﴾ أداة استثناء، مفرغ من أعم الأحوال؛ أي لا تقربوه بحال من الأحوال إلا بالخصلة، أو الطريقة التي هي أحسن، وهي حفْظُه وصيانَتُهُ، واستغلاله لمصلحة اليتيم ﴿بِٱلَّتِى﴾ جار ومجرور، متعلق بـ﴿تَقْرَبُوا۟﴾ ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة صلة الموصول ﴿حَتَّىٰ﴾ حرف جر، وغاية ﴿يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ فعل ومفعول منصوب بأن مضمرةً وجوباً بعد ﴿حَتَّىٰ﴾ الجارة، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلْيَتِيمِ﴾ والجملة الفعلية مع أن المضمرة في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى إلى تقديره: إلى بلوغه أشده الجار والمجرور متعلق بـ﴿تَقْرَبُوا۟﴾، أو متعلق بما فهم من الاستثناء، من جواز قربانه، تقديره: فأقربوه[1] بالخصلة التي هي أحسن، إلَى أَنْ يبلغ أشده، فلا تقربوه بعد ذلك، لأن التَّصَرُّفَ له حينئذٍ، ﴿وَأَوْفُوا۟﴾ فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟﴾. ﴿بِٱلْعَهْدِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أوفوا﴾ ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ﴾ ناصب واسمه ﴿كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ فعل ناقص، وخبره واسمه ضمير مستتر فيه يعود على العهد، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلَها.

---

(١) الفتوحات.

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾.

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾، ﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان مجرد من معنى الشرط متعلق بـ﴿أوفوا﴾. ﴿كِلْتُمْ﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿أَوْفُوا۟﴾. ﴿وَزِنُوا۟﴾ فعل وفاعل معطوفة على جملة ﴿أوفوا﴾ ﴿بِٱلْقِسْطَاسِ﴾ متعلق به ﴿ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ صفة لـ﴿القسطاس﴾. ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ مبتدأ وخبر. ﴿وَأَحْسَنُ﴾ معطوف على ﴿خَيْرٌ﴾ ﴿تَأْوِيلًا﴾ تمييز محول عن المبتدأ، منصوب باسم التفضيل، والجملة الاسمية مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلَها.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾.

﴿وَلَا﴾ ناهية جازمة ﴿تَقْفُ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حَذْفُ حرف العِلّة، وهو الواو لأنه من قفا يقفو من باب عَدَا وسمَا، وفاعله ضمير يعود على المخاطب. ﴿مَا﴾ موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول به، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾ ﴿لَيْسَ﴾ فعل ناقص ﴿لَكَ﴾ جار ومجرور خبر ﴿لَيْسَ﴾ مقدم ﴿بِهِۦ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿عِلْمٌ﴾ ﴿عِلْمٌ﴾ اسم ليس مؤخر، وجملة ﴿لَيْسَ﴾ صلة لـ﴿مَا﴾ أو صفة لها، ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ﴾ ناصب واسمه ﴿وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ﴾ معطوفان عليه ﴿كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ، ومضاف إليه ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمه ضمير يعود على ﴿كُلُّ﴾. ﴿عَنْهُ﴾ متعلق بما بعده ﴿مَسْـُٔولًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾.

﴿وَلَا تَمْشِ﴾ جازم ومجزوم، وفاعله ضمير يعود على المخاطب، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلَها ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ متعلق بـ﴿تَمْشِ﴾ ﴿مَرَحًا﴾ حال من فاعل تمش، ولكنه على تقدير مضاف أيْ ذا مرح؛ أي: مارحاً ﴿إِنَّكَ﴾ ناصب

واسمه ﴿لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ ناصب وفعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على المخاطب، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إنّ﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلَها ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ﴾ ناصب، وفعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على المخاطب ﴿طُولًا﴾ تمييز محول عن الفاعل؛ أي: ولن يبلغ طولك الجبال، والجملة الفعلية في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، ومضاف إليه ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ فعل ناقص، واسمه ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ ظرف، ومضاف إليه متعلق بما بعده ﴿مَكْرُوهًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها. ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة ﴿مِمَّآ﴾ خبر ﴿أَوْحَىٰٓ﴾ فعل ماض ﴿إِلَيْكَ﴾ متعلق به ﴿رَبُّكَ﴾ فاعل، والجملة الفعلية صلة لـ﴿ما﴾ أو صفة لها والعائد أو الرابط محذوف؛ تقديره: مما أوحاه إليك ربك، ﴿مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ جار ومجرور حال من العائد المحذوف، أو من نفس الموصول؛ أي: ذلك مما أوحاه إليك ربُّكَ حَالَةَ كَوْنِهِ كائناً من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته، والخير للعمل به.

﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾.

﴿وَلَا تَجْعَلْ﴾ جازم ومجزوم، وفاعله ضمير يعود على المخاطب ﴿مَعَ ٱللَّهِ﴾ ظرف، ومضاف إليه في محل المفعول الثاني لـ﴿جعل﴾ ﴿إِلَٰهًا﴾ مفعول أول ﴿ءَاخَرَ﴾ صفة له، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾. ﴿فَتُلْقَىٰ﴾ ﴿الفاء﴾ عاطفة سببية. ﴿تلقى﴾ فعل مضارع مغير الصيغة منصوب بأن مضمرةً، وجوباً بعد الفاء السببية الواقعة في جواب النهي، ونائب فاعله ضمير يعود على المخاطب ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾ متعلق به، ﴿مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ حالان من نائب فاعل ﴿تلقى﴾، وجملة ﴿تلقى﴾ في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الجملة التي قبلها، من غير سابك لإصلاح المعنى تقديره: لا يكن جعلك مع الله إلٰهاً آخر، فإلقاؤك في جهنم ملوماً مدحوراً.

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾.

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾ (الهمزة) للإستفهام التوبيخي، المضمَّن للإنكار، داخلةٌ على محذوف و(الفاء) عاطفة على ذلك المحذوف ﴿أصفاكم﴾ ﴿رَبُّكُمْ﴾ فعل ومفعول وفاعل ﴿بِٱلْبَنِينَ﴾ متعلق به، والجملة الفعلية معطوفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أخصكم ربكم بالبنين فأصفاكم بهم، واتخذ من الملائكة إناثاً، والجملة المحذوفة مستأنفة، ﴿وَٱتَّخَذَ﴾ (الواو) عاطفة ﴿ٱتَّخَذَ﴾ فعل ماض متعدّ لمفعولين ﴿مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ جار ومجرور في محل المفعول الثاني ﴿إِنَـٰثًا﴾ مفعول أول له، والجملة معطوفة على جملة ﴿أصفاكم﴾ ويجوز أن تكون حالاً ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ على تقدير قد و(الواو) حينئذٍ واو الحال ﴿إِنَّكُمْ﴾ ناصب واسمه ﴿لَتَقُولُونَ﴾ فعل وفاعل، و(اللام) حرف ابتداءِ ﴿قَوْلًا﴾ مفعول مطلق ﴿عَظِيمًا﴾ صفة له، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر (إن وجملة (إن) مستأنفة.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾ (الواو) استئنافية و(اللام) موطئة للقسم (قد) حرف تحقيق ﴿صَرَّفْنَا﴾ فعل وفاعل ﴿فِى هَـٰذَا﴾ متعلق به، ﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾ بدل من اسم الإشارة أو عطف بيان منه، والجملة الفعلية جواب القسم، لاَ مَحَلَّ لها من الإعراب ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ (اللام) حرف جر، وتعليل ﴿يذكروا﴾ فعل وفاعل منصوب بأن مضمرةً جوازاً بعد لام التعليل، والجملة الفعلية مع أن المضمرة في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل، تقديره: لتذكرهم الجار والمجرور متعلق بـ﴿صَرَّفْنَا﴾ ﴿وَمَا﴾ (الواو) حالية ﴿مَا﴾ نافية ﴿يَزِيدُهُمْ﴾ فعل ومفعول أول وفاعله ضمير يعود على القرآن ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرغ ﴿نُفُورًا﴾ مفعول ثان لـ﴿يزيد﴾، والجملة الفعلية في محل النصب حال من القرآن.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾.

﴿قُل﴾ فعل أمر وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة ﴿لَّوْ كَانَ

مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ...﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿لَّوْ﴾ حرف شرط غير جازم ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص ﴿مَعَهُۥٓ﴾ ظرف، ومضاف إليه، خبر ﴿كَانَ﴾ ﴿ءَالِهَةٌ﴾ اسمها مؤخر، وجملة ﴿كَانَ﴾ فعل شرط لـ﴿لَّوْ﴾ لاَ محل لها من الإعراب، ﴿كَمَا﴾ (الكاف) حرف جر وتشبيه، (ما) موصولة في محل الجر بـ(الكاف) ﴿يَقُولُونَ﴾ فعل وفاعل صلة (ما) الموصولة، الجار والمجرور، صفة لمصدر محذوف تقديره: قل لو كان معه آلهة كوناً مشابهاً لما يقولون ﴿إِذًا﴾ حرف جواب وجزاء، دالَّة على أنَّ ما بعدَها جواب لمقالة المشركين، وجزاءٌ لفعل شرط ﴿لَّوْ﴾ مهملة لا عمل لها ﴿لَّٱبْتَغَوْا۟﴾ (اللام) رابطة لجواب (لو) ﴿ابتغوا﴾ فعل وفاعل ﴿إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ متعلق بـ﴿أبتغوا﴾ أو حال من ﴿سَبِيلًا﴾. ﴿سَبِيلًا﴾ مفعول ﴿ابتغوا﴾ وجملة ﴿ابتغوا﴾ جواب ﴿لَّوْ﴾ الشرطية، وجملة ﴿لَّوْ﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قُل﴾ ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف وجوباً، تقديره: أسبحه سُبْحَاناً، والجملة مستأنفة، أو في محل النصب مقول ﴿قُل﴾ ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة معطوفة على جملة ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ ﴿عَمَّا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿تعالى﴾ ﴿يَقُولُونَ﴾ فعل وفاعل صلة لـ(ما)، والعائد محذوف تقديره: عما يقولونه ﴿عُلُوًّا﴾ مفعول مطلق لـ﴿تعالى﴾ لأنه مصدر واقعٌ موقع التعالي ﴿كَبِيرًا﴾ صفة له.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾.

﴿تُسَبِّحُ﴾ فعل مضارع ﴿لَهُ﴾ متعلق به ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ فاعل ﴿ٱلسَّبْعُ﴾ صفة لـ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ ﴿وَٱلْأَرْضُ﴾ معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ ﴿وَمَن﴾ اسم موصول في محل الرفع معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ ﴿فِيهِنَّ﴾ جار ومجرور صلة من الموصولة، والجملة الفعلية مستأنفة، ﴿وَإِن﴾ (الواو) عاطفة أو مستأنفة ﴿إن﴾ نافية ﴿مِّن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ﴾ مبتدأ، وسوغ الابتداء بالنكرة، تقدم النفي عليه، ﴿إِلَّآ﴾ أداة استثناء مفرغ ﴿يُسَبِّحُ﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿شَىْءٍ﴾ ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ جار ومجرور حال من فاعل ﴿يُسَبِّحُ﴾، أي: حالَةَ كونه مُلْتَبساً بحمده، والجملة الفعلية

في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ﴾ عطف اسمية على فعلية، أو مستأنفة ﴿وَلَٰكِن﴾ (الواو) حالية ﴿لَٰكِن﴾ حرف استدراك مهمل ﴿لَّا﴾ نافية ﴿تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب حال من فاعل ﴿يُسَبِّحُ﴾. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ ناصب واسمه وخبره الأول ﴿غَفُورًا﴾ خبر ثان له، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾.

﴿وَإِذَا﴾ (الواو) استئنافيةٌ (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان، ﴿قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل الخفض بإضافة إذا إليها على كَوْنِها فِعْلَ شرط لها، والظرف متعلق بالشرط، أو بالجواب أو هما ﴿جَعَلْنَا﴾ فعل وفاعل ﴿بَيْنَكَ﴾ ظرف، ومضاف إليه في محل المفعول الثاني لـ﴿جَعَلْنَا﴾ ﴿وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ﴾ ظرف، ومضاف إليه معطوف على الظرف الأول ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فعل وفاعل صلة الموصول ﴿بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ متعلق به ﴿حِجَابًا﴾ مفعول أول لـ ﴿جَعَلْنَا﴾ ﴿مَّسْتُورًا﴾ صفة ﴿حِجَابًا﴾، وجملة ﴿جَعَلْنَا﴾ جواب ﴿إِذَا﴾ لا محلَّ لها من الإعراب، وجملة ﴿إذا﴾ مستأنفة.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾.

﴿وَجَعَلْنَا﴾ فعل وفاعل معطوف على قوله ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ﴾ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ جار ومجرور في محل المفعول الثاني لـ﴿جَعَلْنَا﴾ ﴿أَكِنَّةً﴾ مفعول أول له، ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ ناصب وفعل وفاعل ومفعول، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مجرور بإضافة المصدر المقدر إليه، تقديره: كراهيةَ فقههم إياهُ أو مجرور بحرف جر محذوف، تقديره: من فقههم إياه، الجار والمجرور متعلق بـ﴿أَكِنَّةً﴾ ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ جار ومجرور معطوف على قوله: ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ على كونهِ مَفْعُولاً ثَانِياً لـ﴿جَعَلْنَا﴾ ﴿وَقْرًا﴾ معطوف على ﴿أَكِنَّةً﴾ على كونه مفعولاً أولاً لـ﴿جَعَلْنَا﴾.

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾.

﴿وَإِذَا﴾ (الواو) استئنافية ﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان، ﴿ذَكَرْتَ رَبَّكَ﴾ فعل وفاعل ومفعول ﴿فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ متعلق بـ﴿ذَكَرْتَ﴾ ﴿وَحْدَهُۥ﴾ حال من ربك لأنه في تأويل النكرة، أي منفرداً، والجملة الفعلية في محل الخفض بإضافة (إذا) إليها على كَوْنِهَا فِعْلَ شرط لها، والظرف متعلق بالجواب، ﴿وَلَّوْا۟﴾ فعل وفاعل ﴿عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ﴾ متعلق به، أو حال من فاعل، ﴿وَلَّوْا۟﴾ ﴿نُفُورًا﴾ مفعول مطلق معنوي، لـ ﴿وَلَّوْا۟﴾، أو حال من فاعل ﴿وَلَّوْا۟﴾ أي: نافرينَ على أنه جمع نافر، وجملة ﴿وَلَّوْا۟﴾ جواب إذا لا محلّ لها من الإعراب، وجملة (إذا) مستأنفة.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ﴾ مبتدأ، وخبر، والجملة مستأنفة ﴿بِمَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَعْلَمُ﴾ ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ فعل وفاعل، صلة الموصول ﴿بِهِۦٓ﴾ متعلق به، و(الباء) سببية، والمعنى: ما يستمعون بسببه، أو لأجله، وهو الهزء بك، وبالقرآن، ﴿إِذْ﴾ ظرف لما مضى من الزمان، متعلق بـ﴿أَعْلَمُ﴾، وجملة ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ محل الجر مضاف إليه، لـ﴿إِذْ﴾ ﴿إِلَيْكَ﴾ متعلق بـ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ ﴿وَإِذْ﴾ ظرف لما مضى من الزمان معطوف على ﴿إِذْ﴾ الأولى على كونه متعلقاً بـ﴿أَعْلَمُ﴾، ﴿هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾ ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ﴿إِذْ﴾ بدلٌ من ﴿إِذْ﴾ في قوله: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ بَدَل كل من كل، ﴿يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه، لـ﴿إذْ﴾ ﴿إِن﴾ نافية ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ في محل النصب مقول لـ﴿يَقُولُ﴾ ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر ﴿رَجُلًا﴾ مفعول به ﴿مَّسْحُورًا﴾ صفة لـ﴿رَجُلًا﴾.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾.

﴿ٱنظُرْ﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة ﴿كَيْفَ﴾ اسم استفهام للاستفهام التعجبي، في محل النصب على الحال، والعامل فيه ﴿ضَرَبُوا۟﴾، وهي معلقة لـ﴿ٱنظُرْ﴾ للعمل في لفظ ما بعدها، ﴿ضَرَبُوا۟﴾ فعل وفاعل ﴿لَكَ﴾ متعلق به ﴿ٱلْأَمْثَالَ﴾ مفعول به، وجملة ﴿ضَرَبُوا۟﴾ في محل النصب

سادّةٌ مسد مفعول ﴿أنظر﴾. ﴿فَضَلُّواْ﴾ (الفاء) عاطفة ﴿ضلوا﴾ فعل، وفاعل معطوف على ﴿ضَرَبُواْ﴾ ﴿فَلَا﴾ (الفاء) عاطفة ﴿لا﴾ نافية ﴿يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة ﴿ضلوا﴾ لأن العاطفَ مرتب، ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ فعل وفاعل، والجملة مستأنفة، أو معطوفة على ﴿ضَرَبُواْ﴾ ﴿أَءِذَا كُنَّا﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿أَءِذَا﴾ ﴿الهمزة﴾ للإستفهام الإنكاري الابتعادي، لاستبعاد ما يتساءلون عنه، ﴿إذا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان مجرد عن معنى الشرط، متعلق بمحذوف دَلَّ عليه ﴿مبعوثون﴾ ﴿كُنَّا عِظَٰمًا﴾ فعل ناقص، واسمه وخبره، ﴿وَرُفَٰتًا﴾ معطوف على ﴿عِظَٰمًا﴾ والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه، لـ﴿إذا﴾ والتقدير: أنبعثَ وَقْتَ كوننا عظاماً ورفاتاً، والجملة المحذوفة في محل النصب مقولَ ﴿قَالُوٓاْ﴾، ولا يجوز أن يتعلَّق ﴿إذا﴾ بـ ﴿مبعوثون﴾ لأن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلَها، وكذا ما بعد الاستفهام لا يعمل فيما قبله، وقد اجتمعا هنا، ويجوز أن تكونَ ﴿إذا﴾ شرطية، والجواب حينئذٍ الفعل الذي تعلقت به (إذا) ﴿أَءِنَّا﴾ الهمزة للاستفهام، الإنكاري الاستبعادي، ﴿إنا﴾ ناصب واسمه ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾ خبره، واللام حرف ابتداء ﴿خَلْقًا﴾ حال من الضمير المستكن في ﴿مبعوثون﴾ ﴿جَدِيدًا﴾ صفته ولكنه على تأويله بالمشتق؛ أي: مخلوقين، أو مفعول مطلق من معنى الفعل، لا من لفظه أي: نبعث بَعْثاً جَدِيداً.

﴿قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة ﴿كُونُواْ حِجَارَةً﴾ إلى قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿كُونُواْ حِجَارَةً﴾ فعل ناقص واسمه وخبره. ﴿أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا﴾ معطوفان على ﴿حِجَارَةً﴾، وجملة ﴿كُونُواْ﴾ في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿مِّمَّا﴾ جار ومجرور صفة ﴿خَلْقًا﴾. ﴿يَكْبُرُ﴾ فعل مضارع ﴿فِى صُدُورِكُمْ﴾ متعلق به، وفاعله ضمير يعود على ﴿ما﴾، والجملة صلة ﴿لما﴾ أو صفة لها، ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ (الفاء) عاطفة، و(السين)

حرفُ استقبال، ﴿يقولون﴾ فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿قل﴾ ﴿من يُعِيدُنَا﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿مَن﴾ اسم استفهام في محل الرفع مبتدأ، وجملة ﴿يُعِيدُنَا﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿يَقُولُونَ﴾.

﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

﴿قُل﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة ﴿ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ اسم موصول في محل الرفع مبتدأ، خبره محذوف تقديره: الذي فطركم أول مرة يعيدكم، أو خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو الذي فطركم أوَّلَ مرة، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قُل﴾. ﴿فَطَرَكُمْ﴾ فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الموصول، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ظرف متعلق به، والجملة الفعلية صلة الموصول ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ (الفاء) عاطفة، و(السين) حرف استقبال ﴿ينغضون﴾ فعل وفاعل ﴿إِلَيْكَ﴾ متعلق به ﴿رُءُوسَهُمْ﴾ مفعول به، والجملة معطوفة على جملة ﴿قُلِ﴾ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾. ﴿مَتَىٰ﴾ اسم استفهام في محل النصب على الظرفية الزمانية، متعلق بمحذوف خبر مقدم، ﴿هُوَ﴾ مبتدأ مؤخر، تقديره: كائن ﴿مَتَىٰ هُوَ﴾ أي البعث، والجملة الاسمية في محل النصب مقول لـ﴿يقولون﴾. ﴿قُل﴾ فعل أمر وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿عَسَىٰ﴾ فعل ماض من أفعال الرجاء، ترفع الاسم، وتنصب الخبر، واسمها ضمير مستتر فيه، تقديره: هو يعود على البعث ﴿أَنْ﴾ حرف نصب ﴿يَكُونَ﴾ فعل مضارع ناقص منصوب بأن، واسمها ضمير يعود على البعث ﴿قَرِيبًا﴾ خبر ﴿يَكُونَ﴾، وجملة ﴿يَكُونَ﴾ في تأويل مصدر منصوب على كونه خبر ﴿عَسَىٰ﴾ تقديره: عسى كونه ﴿قَرِيبًا﴾، ولكنه في تأويل اسم الفاعل ليصح الإخبار؛ أي: عسى كائناً قريباً، ويصح كون عسى تامة، والتقدير: عسى كونه قريباً، و﴿عَسَىٰ﴾ هنا للتحقق كما مرَّ.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾.

﴿يَوْمَ﴾ منصوب على الظرفية، والظرف متعلق بمحذوف تقديره: اذكروا: يوم يدعوكم كما ذكره أبو البقاءِ وأبو السعود، أو متعلق بـ ﴿يَكُونَ﴾ ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه، لـ﴿يَوْمَ﴾ ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ (الفاء) عاطفة ﴿تستجيبون﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل الجر معطوفة على جملة ﴿يَدْعُوكُمْ﴾. ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ جار ومجرور حال من (الواو) في ﴿تستجيبون﴾، أي: فتجيبون حالَ كونكم حَامِدِينَ لله على كمال قدرته، ﴿وَتَظُنُّونَ﴾ ﴿الواو﴾ حالية ﴿تظنون﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل النصب حال من فاعل ﴿تستجيبون﴾؛ أي: حَالَةَ كونكم ظَانّينَ ﴿إِن﴾ ﴿إِن﴾ نافية معلقة للظن عن العمل فيما بعدها، وقلَّ من ذكر ﴿إِن﴾ النافية في أدوات تعليق هذا الباب، ذكره في «الفتوحات» ﴿لَّبِثْتُمْ﴾ فعل وفاعل ﴿إِلَّآ﴾ أداة استثناء مفرغ ﴿قَلِيلًا﴾ منصوب على الظرفية متعلق بـ﴿لَّبِثْتُمْ﴾ لأنه صفة لزمان محذوف أي إلاّ زَمَاناً قليلاً أو منصوب على المفعولية المطلقة؛ لأنه صفة لمصدر محذوف أي لُبْثاً قليلاً، وجملة ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ في محل النصب سادة مسد مفعولي الظن.

التصريف ومفردات اللغة

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ وفي الكرخي: والمراد بالأشد هٰهنا بلوغه إلى حيث يمكنه بسبب عقله ورشده؛ القيامُ بمصالح ماله، فحينئذٍ تزولُ وِلاَيةُ غيره عنه، فإن بلغ غَيْر كامل العقل لم تزل الولاية عنه اهـ والأَشَدُّ: مفرد بمعنى القوة، وقيل: جمع لا واحد له من لفظه، وقيل: جمع شدة بكسر الشين، وقيل: جمع شد كذلك، وقيل: جمع شد بفتحها، وعلى كلّ، فالمراد به القوة؛ أي: حتى يبلغ قوته، والمراد بها هنا بلوغُهُ عاقلاً رشيداً، وإن كان الأشد في الأصل عبارة عن بلوغ ثلاث وثلاثين سنة، اهـ شيخنا.

﴿بِٱلْقِسْطَاسِ﴾ هو روميٌّ عُرِّبَ، ولا يقدح ذلك في عربية القرآن؛ لأن العجميَّ إذا استعملته العربُ، وأجْرَتْهُ مُجْرَى كلامهم في الإعراب، والتعريف،

والتنكير، ونحوها.. صَارَ عَرَبِيّاً، والقسطاس بضم القاف وكسرها، القَرْسَطُونُ؛ أي: القبان، وقيل: كل ميزان صَغُر، أو كَبُر، و﴿ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ العَدْلُ ﴿تَأْوِيلًا﴾ والتأويل: ما يؤول إليه الشيء، وهو عاقِبَتُه. ومآله ﴿مَرَحًا﴾ والمَرَحُ: الفخرُ، والكِبَرُ، وفي «المصباح» مرح مرحاً، فهو مَرِحٌ مثل فرِحَ فَرَحاً وزْناً ومعنًى، وقيل: المرح أشد الفرح اهـ.

﴿وَلَا تَقْفُ﴾؛ أي: ولا تتبع، يقال: قفا أثره من بابي عدا، وسَما هو مأخوذ من القَفَا، كأنه يقفو الأمورَ يتَّبعها ويتعرَّفها، ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم﴾ أي أخصَّكم وخلَّصكم، والإصفاء جعل الشيءِ خالصاً له، والتصفية في الأصل: معناها التَّخْلِيص، ولكنه هنا ضمَّن معنى خصَّكم لأجل تعلق البنين به، وفي «الأساس» ـ يعني أساس البلاغة ـ ومن المجاز: أصفيته المودة، وأصفيته بالبر آثرته، واختصَصْتُه. ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾، وأصفَى عِيَالَه بشيء يسير، أرضاهم به، وألفه منقلبه عن واو؛ لأنه من صفا يصفو ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾؛ أي: بيَّنا وأوضحنا، ولها معانٍ كثيرةٌ بالتشديد، يقال صرفه بمعنى صَرَفَه مع مبالغة، وصَرَفَ الشيء باعه، وصرف الدَّرَاهِمَ بَدَّلَهَا، وصرف الخمر شَرِبها صِرْفاً؛ أي: غَيْرَ ممزوجة، وصَرَفَ الْكَلَامَ اشتق بَعْضَهُ من بعض، وصَرفَه في الأمر فوض الأمرَ إليه، وصرف الماءَ أجرَاه، وصرَّف اللّهُ الرِّياح: أجراها منْ وجه إلى وجه.

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾: ﴿وَحْدَهُۥ﴾: اعلم: أنَّ ﴿وَحْدَهُۥ﴾ لم يُستعمل إلا منصوباً، إلا ما ورد شاذاً، قالوا: هو نَسِيجٌ وَحْدُه، وعيير وحده، وجُحَيْشٌ وحده.

فأما نسيج وحده، فهو مدح، وأصله أنَّ الثَّوب إذا كان رفيعاً، فلا يُنسج على منواله غيرهُ، فكأنَّه قال: نَسِيج أفرادُه، يقال هذا للرجل: إذا أُفْرِدَ بالفضل، وأما عيير وحده، وجُحيش وَحْدَهُ فهو تصغير عير، وهو الحمار: يقال للوحش والأهلي، وجُحيش وحدُه، وهو ولد الحمار، فهو ذمٌّ يقال للرجل المعجب برأيه لا يُخالِطُ أحداً في رَأيٍ ولا يدخلُ في معونة أحد، ومعناه ينفردُ بخدمة نفسه،

وأما قولك جاء وحده: فوحده حال من فاعل جاء المستتر فيه، وهو معرفة بالإضافة إلى الضمير، فيؤوَّل بنكرة من لفظه، أو من معناه؛ أي: مُتَوَحِداً، أو منفرداً، وتقول: مررتُ به وحدَه، ومررتُ بهم وحدَهم، فوحده مصدر في موضع الحال، كأنه في معنى إيحاد جاءَ على حذف الزوائد، كأنك قلت أوحْدتُه بمروري إيحاداً، أو إيحاد في معنى موحد؛ أي: منفردٌ فإذا قلت مَرَرْتُ به، وحده فَكَأَنَّكَ قلت: مررت به منفرداً، ويحتمل عند سيبويه أن يكونَ للفاعل والمفعول.

﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ الحجابُ والحجب: المنْعُ من الوُصول إلى الشيء، والمرادُ الحَاجِبُ والمستورُ، أي: الساترُ كما جاء عكسه من نحو ﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾، أي: مدفوق فاسم المفعول بمعنى اسم الفاعل ﴿أَكِنَّةً﴾ والأكنة الأغطية واحدها كنان ﴿وَقْرًا﴾ والوَقْرُ الصَّمَمُ، والثِّقل في الآذان المانع من السماع، ﴿نُفُورًا﴾ مفعول مطلق لِـ ﴿ولَّوا﴾ لتفاوت معناهما، لأن النُفور الإدبار مع الانزعاج، ويجوز أن يكون جَمْعَ نافر كقاعد، وقعود وشاهد وشهود، اهـ من «الشهاب» و«البيضاوي» ﴿مَّسْحُورًا﴾»؛ أي: مخْبُولَ الْعَقْل فهو كقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ ﴿فَضَلُّواْ﴾؛ أي: جاروا عن قصد السبيل ﴿رفاتا﴾ والرُّفاتُ ما تَكَسَّر وبلي من كلِ شيء، وما بُولِغَ في دقّه، وتَفْتِيتِه، وهو اسم مفرد لأجزاءِ ذلك الشيء المفتت، وقال الفرَّاء: هو التراب، يؤيده أنه تكرر في القرآن تراباً وعظاماً، والرُّفاتُ والحطام بمعنَى، ويقال: رفت الشيء يرفِتُه بالكسر من باب: ضَرَبَ؛ أي: كسره، والفعال يغلب في التفريق، كالحطام والرقاق والفتات، وفي «القاموس» «وتاج العروس»: رفته يرفته بالضم، ويرفته بالكسر إذا كسره ودقه وانكسرَ واندق وانقطع لازم ومتعد.

﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾؛ أي: يحركون رؤوسهم، في «المختار»: نَغَضَ رأسه من باب نصر، وجلس؛ أي: تحرك وأنغض رأسه حركه كالمتعجب من الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ ونغض فلان رأسه؛ أي: حركه يتعدى ويلزم اهـ وفي «اللسان يقال: أنغض رأسه ينغضها؛ أي: حركها إلى فوقَ، وإلى أسفل إنغاضاً فَهو منغض، وأمَّا نغض ثلاثياً ينغض بالفتح، وينغض بالضم، فبمعنى

تحرك لا يتعدَّى يقال: نغضت سنه إذا تحرَّكَتْ تنغض نغضاً اهـ. ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾؛ أي: تجيبون الداعي.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الاستعارة المكنية في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ إذا جعلنَا ضميرَ مسؤولاً راجعاً إلى العهد، وينسب إليه السؤال على طريق الاستعارة بالكناية، بأن يشبه العهد بمن نكث عهده، ونسبة السؤال إليه تخييل.

ومنها: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله: ﴿كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾، ولو جَرَى على ما تقدم لقيل: كنت عنه مَسْؤولاً.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾، وقوله: ﴿قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾.

ومنها: الاستفهام الإنكاري التوبيخي في قوله: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾.

ومنها: التكرار في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ للتنبيه على أنَّ التوحيدَ مَبْدأُ الأمْر ومنتهاه، وعلى أنَّهُ رأسُ الحكمة وملاكها.

ومنها: الفرض والتقدير في قوله: ﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾.

ومنها: التنكيت في قوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ والتنكيتُ، هو قَصْدُ المتكلم إلى شيء بالذكر دُون غيره مِمَّا يسد مسدَّه لنُكْتَة في المذكور، ترجحُ مَجِيئَه على سِوَاهُ، فقد خص سبحانه ﴿تَفْقَهُونَ﴾ دُونَ تعلمون لما في الفقه من الزيادة على العلم؛ لأنه التصرفُ في المعلوم بعد علمه، واستنباط الأحكام منه، والمرادُ الذي يقتضيه معنى الكلام التفقه في معرفة التسبيح من الحيوان البَهِيم، والنبات، والجماد، وكلَّ ما يَدْخل تحت لفظة شيء مما لا

يعقل، ولا ينطق، إذ تسبيح ذلك بمجرد وجوده الدالّ على قدرة موجده وحكمته.

ومنها: الاستفهام الإنكاريّ في قوله: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا﴾ وتكرير (الهمزة) في قوله: ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ لتأكيد الإنكار، وكذلك تأكيدُهُ بـ ﴿إن﴾ و(اللام) للإشارة إلى قوّة الإنكار.

ومنها: التعجيز والإهانة في الأمر في قوله: ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾.

ومنها: التخيير في هاتين الآيتين، وهو أن يؤتى بقطعةٍ من الكلام، وقد عطف بَعْضُها على بعض بأداة التخيير.

ومنها: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ تسجيلاً عليهم بصفة الظلم؛ إذ مقتضى السياق أن يقال: إذ يقولون... الخ.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنه[1] لما قدَّم ما نسَب الكفار لله تعالى من الولد، ونُفُورَهم

(١) البحر المحيط.

عن كتاب الله، إذا سمعوه، وإيذاء الرسول ﷺ ونسبته إلى أنه مسحورٌ، وإنكارُ البعث، كانَ ذلكَ مدعَاةً لإيذاء المؤمنين، ومجلبةً لبغض المؤمنين إياهم، ومعاملتهم بما عاملوهم. . . فأمر الله تعالى نبيَّه أن يُوصِيَ المؤمنين بالرفق بالكفار، واللطف بهم في القول، وأن لا يعاملوهم بمثل أفعالهم وأقوالهم، فعلى هذا يكون المعنَى: قل لعبادي المؤمنينَ يقولوا للمشركين الكلمَ التي هي أحسن، وقيل: المعنى: يقولوا؛ أي: يقول بعض المؤمنينَ لبعض الكلمَ التي هي أحسن؛ أي: يعظّم بعضهم بعضاً.

وعبارة المراغي[1] هنا قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ الآيات، مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله سبحانه وتعالى لما أقام الحججَ على إبطال الشرك فقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ﴾ الآيةَ، وذكر الأدلة على صِحَّةِ البعث، والجزاءِ.. فقال: ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ . . .﴾.

أمر رسوله ﷺ أن يأمُرَ عبادَهُ المؤمنين بأن يحاجوا مُخَالِفِيهم، ويجادلوهم باللين، ولا يغلِّظوا لهم في القول، ولا يشتموهم، فإنَّ الكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ تجذب النفوس، وتميل بها إلى الاقتناع، كما يعلم ذلك الذين تولوا النصْحَ والإرشادَ من الوعاظ، والساسة، والزعماءِ في كل أمة، ثمَّ ذكر من الكلمة الطيبة أن يَقُولَ لهم: ربكم العليم بكم إن شاءَ عذبكم، وإن شاء رحمكم، ولا يصرح بأنهم من أهل النار؛ فَإِنَّ ذلك مما يهيِّج الشرَّ، مَعَ أن الخَاتِمَةَ مَجْهُولةٌ لا يعلمها إلا الله سبحانه، ثم بيَّن لرسوله أنه لا يقسر الناس على الإسلام، فما عليه إلا البلاغ، والإنذارُ، والله هو العليم بمن في السمٰوات والأرض، فيختارُ لنبوته من يشاءُ، ممن يراه أهلاً لذلك، وأولئك الأنبياءُ ليسوا سواءً في مراتب الفضل والكمالِ، وأفضلهم محمد ﷺ وأمته.

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ . . .﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنها[2] عود على بدء في تسفيه آراءِ المشركينَ الذين كانوا يعبدون الملائكة، والجنَّ والمسيحَ، وعزيراً؛ إذ رد عليهم بأن من تدعونهم يبتغون إلى ربهم الوسيلةَ، ويخافون عذابَه، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، فَادعُوني وحدي لأني أنا المالك لنفعكم وَضَرِّكم دُونَهم.

---

(١) المراغي. (٢) المراغي.

ثم بيَّن أنَّ قُرَى الكافرين صائرةٌ إما إلى الفناء والهلاك بعذاب الاستئصال، وإمَّا بعذاب دون ذلك من قَتْل كبرائها، وتسليط المسلمينَ عليهم بالسَّبي، واغتنام الأموالِ، وأخذ الجزية، ثمَّ أرْدَفَ ذلك ببيان أنه ما مَنَعَهُ من إرسال الآيات التي طلب مثلها الأولون كقولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا...﴾ إلخ. إلا أنَّه لو جاء بها، ولم يؤمنوا.. لأصابهم عذابُ الاستئصال كما أصاب من قبلهم، أو لم ينظروا إلى ما أصابَ ثَمُودَ حين كذبوا بآيات ربهم، وعَقَرُوا الناقةَ، ثم قفَّى على ذلك بأن الله حافظه من قومه، وأنه سَيَنْصُرهُ، ويؤيِّدُه، ثُمَّ أتبع ذلك بأنَّ أَمْرَ الإسراءِ كان فِتْنَةً للناس وامتحاناً لإيمانهم، كما كان ذِكْرُ شجرة الزقوم في قوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ كذلك ثم تلا هذا بذكر تماديهم في العناد، وأنه كلما خَوَّفهم وأنذرهم، ازدادوا تمادياً، وطغياناً، فلو أنزل عليهم الآيات التِي اقترحوها.. لم يَنْتَفِعوا بها، ومنْ ثم أجَّل عذابهم إلى يوم الوقت المعلوم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها من وجهين[1]:

أحدهما: أنه لمَّا نازعوا الرسول ﷺ في النبوة، واقترحوا عليه الآيات، كَانَ ذلك لكبرهم وحسدهم لِلرسول ﷺ على ما آتاه الله من النبوة، والدرجة الرفيعة.. فَنَاسَبَ ذِكر قصة آدم عليه السلام وإبليس حيث حمَلَه الكبرُ والحسد على الامتناع من السجود.

والثاني: أنه لما قال: ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ بيَّن سبب هذا الطغيان، وهو قول إبليس ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وعبارة المراغي هنا: مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنه سبحانه وتعالى لَمَّا ذكر[2] أن الرسول ﷺ كان في محنة في قومه، إذ كذبوه وتوعَّدوه حين حدَّثهم بالإسراء، وشجرة الزقوم، وأنهم نازعوه، وعاندوه، واقترحوا عليه الآيات حسداً

---

(١) المراغي. (٢) البحر المحيط.

على ما آتاه الله من النبوة، وكبراً عن أن ينقادُوا إلى الحق.. بيَّن أنَّ هذا ليس ببدع من قومك، فقد لاقى كثير من الأنبياء من أهل زمانهم مثل ما لاقيت، ألا ترى أن آدم عليه السلام كان في محنة شديدة من إبليس، وأَنَّ الكِبْرَ والحَسَدَ هما اللذان حملاه على الخروج من الإيمان، والدخول في الكفر، والحسد بلية قديمة، ومحنة عظيمة للخلق. انتهت.

قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزۡجِى لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِى ٱلۡبَحۡرِ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنه تعالى[1] لما ذكر وصْفَ المشركين في اعتقادهم آلِهَتَهُم، وأنها تضر وتنفع، وأتبع ذلك بقصة إبليس مع آدم، وتمكينه من وسوسة ذريته، وتسويله، ذَكَرَ ما يَدُلُّ من أفعاله على وحدانيته، وأنه هو النافع الضار المتصرفُ في خلقه بما يشاء، فذكر إِحسانه إليهم بحراً، وبراً، وأنه تعالى متمكن بقدرته مِمَّا يريده، وعبارة المراغي هنا: مناسبتها لما قبلها: أنه لما ذكر في الآية السالفة أنه هو الحافظ الكالىء للعبد المؤمن من غواية إبليس، وأنه لا يستطيع أن يَمَسَّه بسوء، قفَّى على ذلك بذكر بعض نعمته تعالى على الإنسان التي كان يجب عليه أن يقابلها بالشكران، لا بالكُفْرانِ، وهو الذي يرى دلائلَ قدرته في البر والبحر، فهو الذي يُزجي له الفلكَ في البحر لتنقل له أرزاقه، وأقواته من بعيد المسافات، لكنه مَعَ هَذَا هو كفور للنعمة، إذا مسه الضر دَعَا ربه، وإذا أمن أعرض عنه، وعبد الأصنامَ والأوثانَ، فهل يأمن أن يَخْسِفَ به الأرضَ، أو يرسل عليه حاصباً من الريح في البر، أو قاصفاً من الريح في البحر، فيغرقه بكفره، أفلا يفردُه بالعبادة، ويخبت له كفاءَ تلك النعم المتظاهرة عليه.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ...﴾ الآية، سبب نزولها: ما أخرجه البخاري وغيره عن ابن مسعود قال: كان ناسٌ من الإنس يعبدون ناساً من الجن، فأسلم الجنيون، واستمسكَ الآخرون بعبادتهم، فَأَنْزَلَ الله عز وجل ﴿قُلِ

(١) لباب النقول.

﴿ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ. . .﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ. . .﴾ الآية، سبب نزولها: ما أخرجه الحاكم والطبراني وغيرهما، عن ابن عباس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعلَ لهم الصفا ذهباً، وأن ينحّي عنهم الجبالَ، فيزرعوا، فقيل له: إن شئْتَ أن تستأني بهم، وإن شئت تؤتهم الذي سألوا، فإن كَفَرُوا أُهلكوا كما أهلكت من قبلهم، قال: بل أستأني بهم، فأنزل الله عز وجل ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ. . .﴾ الآية. وأخرج الطبراني، وابن مردويه عن الزبير نحوه بأبسطَ منه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ. . .﴾ الآية، سبب نزولها[1]: ما أخرجه أبو يعلى عن أم هانىء أنه ﷺ لما أسري به. . . أصبح يحدث نَفَراً من قريش، يستهزئون بِهِ، فطلبوا منه آيَةً فوصف لهم بَيْتَ المقدس، وذكر لهم قِصَّةَ العير، فقال الوليدُ بن المغيرةَ: هذا ساحر، فأنزل الله ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ وأخرج ابن المنذر عن الحسن نَحْوَه، وأخرج ابن مردويه عن الحسين بن علي أَنَّ رسول الله ﷺ أَصْبَحَ يَوْماً مَهْمُوماً فقيل له: ما لك يا رسول الله؟ لا تهتمَّ، فإنَّ رُؤْيَاكَ فتنة لهم، فأنزل الله ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾.

وأخرج ابن جرير، من حديث سهل بن سعد نحوه، وأخرج ابن أبي حاتم من حديث عمروِ بن العاص، ومن حديثِ يعلى بن مُرَّةَ، ومن مرسل سعيد بن المسيب نحوها، وأسانيدها ضعيفة.

قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ. . .﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم، والبيهقي في البعث عن ابن عباس، قال: لما ذكر الله الزقُّومَ خوَّف به هذا الحيَّ من قريش، قال أبو جهل: هل تدرون ما هذا الزقُّومُ الذي يخوفكم به محمدٌ؟ قالوا: لا، قال: الثريد بالزبد، أما لئن أمكنَنا منها لنزقمنَّها زقماً، فأنزل الله

(١) لباب النقول.

﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾، وأنـــزل ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾.

التفسير وأوجه القراءة

﴿وَقُل﴾ يا محمد ﴿لِّعِبَادِى﴾ المؤمنين إذا أردتم إتيانَ الحُجَّة على المخالفين، فأذكروها غيرَ مَخْلُوطة بالشتْم والسب، فيقابلُونَهم بمثله، ولا يخاشنوهم بل ﴿يَقُولُواْ﴾ لهم الكلمة ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ كأن يقولوا لهم: يهديكم الله، ولا يتخاشنوا معهم في الكلام، كأن يقولوا لهم: إنكم من أهل النار، فإنه يهيِّجُهم إلى الشر؛ أي: وقل لعبادي يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم مع خصومهم من المشركين وغيرهم الكَلاَمَ الأحسنَ للإقناع، مع البُعْدِ عن الشَّتْمُ والسّبّ والأذى، ونظير الآية قوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ وقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ رُوي أنَّ الآية نزلَتْ في عمر بن الخطاب، ذلك أنَّ رجلاً شَتَمَه، فَسَبَّه عُمَر وهَمَّ بقَتْلِهِ، فكادَتْ تثير فتنَةً، فأَنْزَلَ الله الآيَةَ، ثمَّ عَلَّلَ ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: يفسد ويلقي العداوة بينهم؛ أي: إنَّ الشيطانَ يفسد بين المؤمنين والمشركين، ويهيّج الشَرَّ بينهم، فينتقل الحال من الكلام إلى الفعال، ويقع الشر والمخاصمة، ومن ثُمَّ نهى رسول الله ﷺ أن يشيرَ الرجل إلى أخيه المسلم بحديدة، فإنَّ الشَّيْطَانَ ينزغ في يده، فربما أصابه بها، وفي الحقيقة: المعلل محذوف يعلم بطريق المفهوم، تقديرُهُ: ولا يقولُوا غَيْرَ الأحسن، وهو القول الخشن على النفوس، لأنَّ الشيطانَ يَنْزَغ بَيْنَهم.

روىٰ أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ولا يُشيرنَّ أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يَدْرِي لَعَلَّ الشيطان يَنْزِغ في يده، فيقع في حفرة منَ النار» وروي أيضاً عن رجل من بني سليط قال: أتيت النبي ﷺ وهو في رَفْلَةٍ - جماعة - من النَّاس فسمعته يقول: «والمسلم أخو المسلم، لا يَظْلِمْه، ولا يَخْذُلُه، التقوى ها هنا، ووضع يده على صدره» ثم بيَّن سبب نزغ الشيطان

للإنسان بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ﴾ في قديم الزمان ﴿لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾؛ أي: ظاهر العداوة؛ أي: إن بينَ الشيطان والإنسان عداوة قديمةً، مستحكمة لا يريد صلاحَهم أصلاً، بل يريد هلاكهم، وقد أبانَ عَداوَته، إذ أخرج أباهم من الجنة، ونزع عنه لباس النور، كما قال تعالى حكايةً عن الشيطان: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ وقـــــال: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقرأ طلحة[1]: ﴿ينزِغ﴾ بكسر الزاي. قال أبو حاتم: لعلها لغة، والقراءة بالفتح، وقال صاحب «اللوامع» هي لغة، وقال الزمخشري هما لغتان، نحو: ﴿يعرِشون﴾، و﴿يَعرِشون﴾ ثم فسر سبحانه التي هي أحسن بما علمهم النصفة ـ من الإنصاف ـ بقوله: ﴿رَّبُّكُمْ﴾ أيها المشركون ﴿أَعْلَمُ بِكُمْ﴾، أي: بعاقبتكم منَّا ﴿إِن يَشَأْ﴾ سبحانه ﴿يَرْحَمْكُمْ﴾ بأن يوفّقكم للإيمان، والمعرفة إلى أن تموتوا فينجيكم من العذاب ﴿أَوْ إِن يَشَأْ﴾ سبحانه ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾ بأن يميتكم على الكفر فيُعَذّبكم، إلا أن تلك المشيئة غائبة عنكم، فاجتهدوا أنتم في طلب الدين الحق، ولا تصروا على الباطل، لئلا تصيروا مَحْرُومينَ من السعادات الأبدية.

والمعنى: أي[2] ربكم أيها القوم هو العليم بكم، إن يشأ رحمْتكم بتوفيقكم للإيمان، والعمل الصالح.. يرحمكم، وإن يشأ يعذّبكم بأن يخذلكم عن الإيمان فتموتوا على شرككم، وفي هذا إيماء إلى أنَّه لا ينبغي للمؤمنينَ أن يَحْتَقِرُوا المشركين، ولا أن يَقْطَعُوا بأنهم من أهل النار، ويعيّرُوهم بذلك، فإن العَاقِبَةَ مجهولةٌ، ولا يعلم الغيبَ إلا الله، إلى أنَّ ذلك مما يجر إلى توليد الضغينة في النفوس، بلا فائدة، ولا داعٍ يدعو إليها، وهذا تفسير[3] للتي هي أحسن، وما بينهما اعتراض؛ أي: قولوا لهم: هذه الكلمةَ، وَمَا يشاكِلُها، ولا تُصرّحُوا بأنهم من أهل النار، فإنه مما يهيّجُهم على الشر، هَذا مَا ذَهَبَ إليه صاحبُ «الكشاف»

---

(1) البحر المحيط.
(2) المراغي.
(3) روح البيان.

وتبعه البيضاوي، وأبو السعود، وقال الجمهور: المراد بالتي هي أحسن: المحاورةُ الحسنة بحسب المعنى، والرحمة الإنجاءُ من كفار مكة، وأذاهم، والتعذيب تسليطهم عليهم، فيكونُ الخطابُ في ربكم للمؤمنين.

ثم وجَّه خطابه إلى أعظم الخلق ليكون مَنْ دونه أسوة له فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ﴾ يا محمد رقيبا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ حفيظاً لأعمالهم ﴿وَكِيلًا﴾ عليهم؛ أي موكولاً إليك أمورهم، ومفوّضاً إليكَ شُؤونُهم تجبرهم على الإيمان؛ أي: وما أرسلناك أيها الرسول حفيظاً ورقيباً تقسر الناس على ما يرضي الله، وإنما أرسلناك بشيراً ونذيراً، فدارهم ولا تغلظ عليهم، ومُرْ أصحابك بذلك، فإن ذلك هو الذي يؤثِّر في القلوب، ويستهوي الأفئدة، ثم انتقلَ من علمه تعالى بهم إلى علمه بجميع خلقه، فقال: ﴿وَرَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: بأحوالهم الظاهرة والباطنة، فيختارُ منهم لنبوته والفقه في دينه، مَن يراهُ أَهْلاً لذلك، ويفضل بَعْضَهم على بعض لإحاطة علمه، وواسع قدرته، ونحو الآية قوله: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ وهذا أعم من قوله: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ لأنَّ هَذَا يشمل كل ما في السمٰوات والأرض من مخلوقاته، وذلك خاص ببني آدم أو ببعضهم.

وفي هذا: ردٌّ عليهم حين قالوا: يبعُد كل البعد أن يكونَ يَتِيمُ أبي طالب نبياً، وأن يَكُونَ أولئك الجوع العراة كصهيب، وبلال، وخباب، وغيرهم أصحابُه دون الأكابر، والصناديد من قريش، ولا يجوز[1] إطلاق لفظ يَتِيمٍ على النبي ﷺ، لإشعارِه بالتحقير حتى أفتى بعض المالكية بقتل قائله كما في «الشِّفاء» وفي ذِكْرِ[2] مَنْ في السمٰوات ردُّ لقولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ وفي ذِكْرِ مَنْ في الأرض ردٌّ لقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾؛ أي: مِنْ إحدى القريتين مكة والطائف كالوليد بن المغيرة المخزومي، وعروة بن مسعود الثقفي، وقيل غيرهما.

---

(١) المراح.

(٢) روح البيان.

وهذا كالتوطئة لقوله: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۢ﴾؛ أي: وعزتي، وجلالي لقد فضلنا ورفعنا بَعْضَ النبيينَ والمرسلين على بعض آخرَ منهم، بِمَا لَهُم من الفضائل النفسية، والمزايا القدْسِيّةِ، وإنزالِ الكتب السماوِيَّةِ، فخصصنا كلاًّ منهم بفضيلة ومزية، ففضلنا إبراهيمَ باتخاذه خليلاً، وموسى بالتكليم، ومحمداً ﷺ بالقرآن الذي أعجز البشرَ، والإسراءِ والمعراج؛ أي: إن[1] هَذَا التّفْضِيلَ عن علمٍ منه بمنْ هو أعلى رتبة، وبمن دونه، وبمن يستحق مزيدَ الخصوصية، بتكثير فضائله، وفواضِله، ونحو الآية قوله: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ﴾، ولا خِلاَفَ في أنَّ أُولِي العَزْمِ منهم، وهم الخمسة المذكورون في سورة الشورى في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِۚ﴾ أفضل من بقيتهم، ولا خِلاَفَ في أن محمداً ﷺ أفضلهُم، ثُمَّ إبراهيم، فموسى، فعيسى عليهم السلام، ثُمَّ ذَكَر ما فُضِّل به داود، فقال: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾؛ أي: كتاباً مزبوراً؛ أي: إن تفضيلَ دَاوُدَ لم يكن بالملك، بل كان بما آتاه الله من الكتاب، وأفرده بالذكر، لأنه ذكر في الزبور فضل محمد، وأنه خاتم النبيين، وأمتُه خير الأمم، وكون الأرض يَرثُها عباد الله الصالحون، وهم محمد ﷺ وأمته كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾. قال الزجاج؛ أي: فلا تنكروا تفضيل محمد ﷺ وإعطاءَه القرآنَ، فقد أعطَى الله داودَ زبوراً .اهـ.

وفي هذا[2]: رد لقول اليهود: لا نبيَّ بعد موسى، ولا كتابَ بعد التوراة، فإذا أعطى الله موسى التوراة، فلا يَبْعُدُ أَنْ يعطي داود زبوراً، وعيسى الإنجيل، ومحمداً القرآنَ، ولا يبعد أن يفضل محمداً ﷺ على جميع الخلق، فكيف تنكر اليهود ذلك وكُفَّارُ قريش فضل محمد، وإعطاءَه القرآن.

والزبور[3] كتاب أنزل على داود يشتمل على مئة وخمسين سورةً، أطولها

---

(١) الشوكاني.

(٢) المراح.

(٣) الفتوحات.

قَدْرُ ربع من القرآن، وأقصرها قدر سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ وكلها دعاء لله، وتحميد وتمجيد وتسبيح، ليس فيها حلالٌ ولا حرامٌ، ولا فرائضُ ولا حدودٌ، ولا أحكامٌ، وقرأ حمزة ﴿زبوراً﴾ بضم الزاي. ذكره البيضاوي.

ونكَّر زبوراً هنا[1]، وعرفه في الأنبياء حيث قال: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾ لأنهما واحدٌ كعباس والعباس، وفي قوله: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ إشارة إلى أن فَضْلَ النبي ﷺ على داود، بقَدْرِ فضل القرآن على الزبور. ﴿قُلِ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين والكفار قاطبةً ﴿ٱدۡعُواْ﴾ عند حلول الشدائدِ بكم الأشخاصَ ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾ أنهم آلهة ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ تعالى، وعبدتموهم مُتَجَاوِزِينَ الله تعالى كعيسى، ومريم، وعزير وطائفةٌ من الملائكة، وطائفةٌ من الجن، وذلك أن[2] الكفارَ أَصَابَهُم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجِيَف، فاستغاثوا بالنبي ﷺ ليدعو لهم فأنزل الله عز وجل ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾ أنهم آلهة ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ وإنما خصصت الآية بمن ذكرنا لقوله: ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ فإنَّ هذا لا يَلِيقُ بالجمادات ﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ﴾؛ أي: فلا يملك أولئك المعبودونَ، ولا يستطيعونَ ﴿كَشۡفَ ٱلضُّرِّ﴾ النازل بكم، وإزالتَهُ ﴿عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا﴾ له، ونقله إلى غيركم، أو تحويل الحال من العسر إلى اليسر، والمعبود الحقُّ هو الذي يقدر على كَشْفِ الضر، وعلى تحويله من حالٍ إلى حال، ومن مكان إلى مكان، فوجبَ القطع بأنَّ هذه التي تزعمونها آلهةً ليست بآلهة.

والمعنى[3]: أي قل ـ يا محمد ـ لمشركي قومك الذينَ يعبدون من دون الله من خلقه، ادعوا أيها القوم الذينَ زعمتم أنهم أربابٌ وآلهةٌ من دونه، حين ينزل الضر بكم من فقر ومرض ونحوهما، وانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم؟ أو تحويله عنكم إلى غيركم، إنهم لا يقدرون على دَفْعِ شيءٍ من ذلك، ولا يملكونه، وإنما يملكه ويقدر عليه خالقكم وخالقهم.

---

(١) روح البيان.

(٢) الخازن.

(٣) المراغي.

ثم إنه سبحانه أكد عَدَمَ اقتدارهم ببيان غاية افتقارهم إلى الله في جلب المنافع ودفع المضار، فقال: ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ ﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ صفته، وضمير الصلة محذوف؛ أي: يدعونهم وخبَرُ المبتدأ ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾، والوسيلة القربة بالطاعة والعبادة؛ أي[1]: أولئك الآلهة الذين يدعوهم المشركون من المذكورين، أعني: عِيسَى، ومريمَ وعزيراً، يبتغون؛ أي: يطلبونَ لأنفسهم الوسيلةَ إلى ربهم؛ أي: القربَ إلى ربهم بالطاعة والعبادة، و﴿أي﴾: في قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ موصولة بدل من (واو) ﴿يَبۡتَغُونَ﴾؛ أي: يبتغي الذي هو أقرب منهم إلى الله القرب إليه بالعبادة، والطاعة، فكيف بمن دونه من غير الأقرب، قال في «الكواشي»: أو ﴿أَيُّهُمۡ﴾ استفهامُ مبتدأ خبره أقربُ، والجملة معمول لمحذوف، والتقدير: يبتغون ويطلبون القربَ إليه تعالى، لينظروا أيَّ المعبودِينَ أقرب إليه تعالى، فيتوسلوا به، والمعنى؛ أي[2]: هؤلاء الذين يدعوهم المشركونَ أرباباً، ويناذُونَهم لكشف الضر عنهم، يطلبون مجتهدينَ إلى ربهم، ومالِكِ أمرهم القربَ إليه بالطاعة والعبادة، ﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾؛ أي: إن أقربَ أولئك المعبودين إلى الله يدعوه ويبتغي إليه الوسيلةَ، والقرب منه، وإذا كان العَجْزُ عن كشف الضر عنكم، والافتقار إلى ربكم شأن أعلاهم، وأدناهم.. فكيف تعبدونهم.

والخلاصة: آلهتُهُم أيضاً يطلبون القربَ إليه تعالى ﴿وَيَرۡجُونَ﴾ بفعلهم الطاعة، ﴿رَحۡمَتَهُۥ﴾ تعالى ﴿وَيَخَافُونَ﴾ بمخالفة أمره ﴿عَذَابَهُۥٓ﴾ تعالى كدأب سائِرِ العباد، فأَيْنَ هم من كشف الضر؟ فَضْلاً عن الإلٰهية، ثمَّ ذَكَرَ العِلَّةَ في خوفهم من العذاب، فقال: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ﴾ يا محمد ﴿كَانَ مَحۡذُورٗا﴾؛ أي: حقيقاً بأن يحذره كلُّ أحد حتى الرسل والملائكة، فضلاً عن غيرهما، وإن لم يحذره العصاة لكمال غفلتهم بَلْ يتعرضون له، وتخصيصُه بالتعليل لما أنَّ المَقَامَ مَقَامُ التحذير من العذاب، فعلى العَاقِلِ أن يترك الاعتذارَ، ويحذر من بَطْش القهار.

وقرأ الجمهور[3]: ﴿يدعون﴾ بياء الغيبة، وابن مسعود، وقتادة بتاء

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.
(٣) البحر المحيط.

الخطاب، وزيدُ بن علي بياء الغيبة مبنياً للمفعول، وقرأ الجمهور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ بضمير الجمع الغائب، وقرأ ابن مسعود ﴿إلى ربك﴾ بالكاف خطاباً للرسول ﷺ.

ثم ذكر مَآلَ الدنيا وأهلِها، فقال: ﴿وَإِن﴾ نافية ﴿مِّن﴾ استغراقية ﴿قَرْيَةٍ﴾ قال أبو السعود: المرادُ بها القريةُ الكافرة؛ أي: ما مِنْ قريةٍ من قرى الكُفَّار ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾؛ أي: مخربوها البتة بالخسف بها، أو بإهلاك أَهْلِها بالكلية حين ارتكبوا من عظائم المعاصي الموجبة لذلك ﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾؛ لأن[1] الهلاَكَ يومئذٍ غير مختص بالقرى الكافرة، ولا هو بطريق العقوبة، وإنما هو لانقضاء عمر الدنيا. ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا﴾؛ أي: معذبوا أهلها على الإسناد المجازي ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالقتل والقحط، والزلازل، ونحوها من البلايا الدنيوية، والعقوبات الأخروية؛ لأن التعذيبَ مطلق عمَّا قُيِّد به الإهلاك من قَبْلِية يوم القيامة، وكثير من القرى العاصية قد أخرت عقوباتها إلى يوم القيامة، هذا ما ذهب إليه أبو السعود، ولا يخفى أن هذَا التعميم لا يناسب سَوْقَ الآية، وقيْدُ القبليةِ معتبرٌ في الشق الثاني أيضاً، وهو لا ينافي العذابَ الشديدَ الواقعَ بعد يوم القيامة، فالوجه: حمل الإهلاك على الاستئصالِ، والتعذيبُ: على أنواع البلية التي هي أشد من الموت.

والمعنى[2]: أي وما من قرية من القرى التي ظلم أهلها بالكفر والمعاصي إلا نحن مهلكو أهلها بالفناء، ومبيدوهم بالاستئصال قبل يوم القيامة، أو معذبوها ببلاء من قتل بالسيف أو غير ذلك من صنوف العذاب بسبب ذنوبهم، وخطاياهم، كما قال سبحانه عن الأمم الماضية: ﴿وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ وقال: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَـٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝٩﴾، وقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾ الآية، ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الإهلاكِ والتعذيب ﴿فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾؛ أي: في اللوح المحفوظ، أو في علم الله ﴿مَسْطُورًا﴾؛ أي: مثبَتاً، أو مَكْتُوباً لم يغادَرْ منه شيء إلا بُيِّن فيه كيفياتُه وأسبابُه الموجبةُ له، ووقته المضروب له.

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

وعن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أوَّلَ ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب؛ فقال: ما أَكْتُب؟ قال: اكتب المقدَّر، وما هو كائن إلى يوم القيامة».

وكان كفار قريش يقولون: يا محمد إنَّك تزعم أنه كان قَبْلَكَ أنبياء منهم من سُخِّرتْ له الريح، ومنهم من كان يُحيي الموتى، فإن سرَّكَ أن نُؤْمِنَ بِكَ، ونُصدّقَك.. فادع رَبَّك أن يَجْعَلَ لنا الصّفا ذَهباً، فأجاب الله عن هذه الشُّبْهَة بقوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ﴾ (الباء) زائدة، وأن المصدرية في محل النصب بـ ﴿مَنَعَنَا﴾ على كونه مفعولاً ثانياً له؛ أي: وما[1] صرفنا عن إرسال الآيات التي اقْتَرَحتها قريش من إحياء الموتى، وقَلْب الصَّفَا ذهباً، ورفع جبال مكة لِتَنْبَسِط الأرض، وتَصْلُح للزراعة، وإجراءِ الأنهار لِتَحْصُل الحَدائق ونحو ذلك، و(أنْ) في قوله: ﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾ في محل رفع على المفعولية والاستثناء مفرغ من أعم الأشياء؛ أي: وما منعنا عن إرسالها شيء من الأشياء إلا تكذيبَ الأولين، الذين هم أمثالهم في الطبع، كعاد، وثمود، وأنها لو أرسلت لكذبوا تَكْذِيبَ أولئك واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سُنَّتُنا، وقد قضينا أن لا نستأْصِلَهُم؛ لأن فيهم مَن يُؤْمِن أو يلد مَنْ يؤمن، ثم ذكرَ بعض الأمم المُهْلَكة بتكذيب الآيات المقترحة، فقال: ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾ معطوف على معلوم من السياق كأنه[2] قيل: وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كَذَّب بها الأولونَ، حيث آتيناهم ما اقترحوا من الآيات الباهرة، فكذبوها، وآتينا ثَمود الناقة حَالَةَ كونها ﴿مُبۡصِرَةً﴾ بكسر الصاد؛ أي: مبيِّنةً مظهرةً لنبوة صالح ﴿فَظَلَمُواْ﴾ أنفسهم بتكذيبهم. ﴿بِهَا﴾ وأقبلُوا أنفُسهم للهلاك بعقرها؛ أي: لم يكتفوا بمجرد الكفر بها، بل فعَلُوا بها ما فَعَلُوا مِنَ العقر، وظلموا أنفسهم، وعرضوها للهلاك بسبب عقرها، ولعلَّ تَخْصِيصَها بالذكر، لأنَّ آثارَ ديارهم الهالكة باقية في ديار العرب، قريبة من حدودهم يَبْصُرها صادرهم وواردُهم، ومعنى الآية؛ أي[3]: إنَّه تعالى لَو

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

أظهر تلك المعجزات القاهرةَ، ثمَّ لم يؤمنوا بها بل بقوا مصرين على كفرهم. . لاستحقوا عذابَ الاستئصال كما هي سنتنا في الأمم السَّالفة، لَكِنْ هذا العذاب على هذه الأمة لا يكون لأن اللَّهَ علم أن فيهم من سيؤمنون، أو يؤمن أوْلاَدُهم، فلم يجبهم إلى ما طلبوا، ولم يُظْهِرْ لهم تلك المعجزات.

والخلاصة: أنه ما منعنا من إرسال الآية التي سألوها إلا تكذيبَ الأولين بمثلها، فإن أرْسَلْنَاهَا، وكذَّبَ بها هؤلاء عُوجِلُوا ولم يُمْهَلُوا كما هو سنة الله في عباده.

وأخرج البيهقي في «الدلائل» عن الربيع بن أنس قال: قال الناس لرسول الله ﷺ: لو جئتنا بآية كما جاء بها صالح والنبيون؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن شئتم دعوْتُ الله فَأَنْزَلَها عليكم، فإن عَصَيْتُم هَلَكْتُم» فَقَالُوا: لاَ نريدها.

ثمَّ بيَّن: أنَّ الآيات التي التمسوها هِيَ مثل آية ثمودَ، وقد أوتوها واضحةً بينة فكفَرُوا بها، فاستحقُّوا العذابَ، فكيف يتمنَّى مثلَها هؤلاء على سبيل الاقتراح، كما قال: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَاۚ﴾ وهذا معطوف على محذوف كما سبق آنفاً؛ أي: وقد سألَتْ ثَمُودُ من قبل قومك الآيات، فآتيناها ما سألت، وجعلنا لها الناقةَ حجة واضحة، دالَّةً على وحدانية من خلقها، وصدْقِ رسوله الذي أجيب دعاؤه فيها، فكفروا بها، ومنعوها شربها وقتلوها، فأبادهم الله تعالى، وانتقَم منهم، وأخذهم أخذَ عزيزٍ مقتدر.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿ثَمُودَ﴾ ممنوعَ الصرف، وقال هارون: أَهْلُ الكوفة يُنَوِّنونَ ثمودَ في كل وجه، وقال أبو حاتم: لا تنوّنُ العامَّةُ والعلماءُ بالقرآن ثمودَ في وجهٍ من الوجوهِ، وفي أربعة مواطِنَ ألف مكتوبة، ونحن نقرؤها بغير ألف انتهى. وانتصب مبصرةً على الحال، وهي قراءة الجمهور، وقرأ زيد بن عليّ ﴿مبصرةٌ﴾ بالرفع على إضمار مبتدأ؛ أي: هي مبصرةٌ، وأضاف الإبصار إليها على سبيل المجاز، لما كانَتْ يبصرُها الناسُ، والتقدير: آيةٌ مُبْصِرَةٌ، وقرأ قوم

---

(١) البحر المحيط.

بفتح الصاد، اسمُ مفعول؛ أي: يبصُرها الناس، ويشاهدونها، وقَرَأ قَتَادَةُ: بفتح الميم والصاد، مفعلة من البصر؛ أي: محل إبصار، أجراها مجرى صفات الأمكنة، نَحْو: أرض مَسْبَعة، ومكان مَضَبَّة.

﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ﴾ المقترحة ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ من نزول العذاب المستأصل على المقترحين، فإن لم يخافوا ذلك، نَزَلَ أو بغير المقترحة، كالمعجزات، وآثار القرآن، إلاَّ تخويفاً بعذاب الآخرة، فإنَّ أمر من بعثت إليهم مؤخر إلى يوم القيامة كرامة لك. أو المعنى؛ أي: إنَّ الله تعالَى يخوّف الناس بما شاء من الآيات، لعلهم يعتبرونَ ويذكرون، فيرجعوا.

ذكر المؤرخون أَنَّ الكوفة رجفت ـ زلزلت ـ في عهد ابن مسعود، فقال: أيها النَّاسُ إنَّ رَبَّكُمْ يستعتِبُكُمْ فأَعْتِبُوه، ورويَ أَنَّ المدينةَ زلزلت في عهد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ مرات، فقال عمر: أحدثتم والله، لئن عادت لأفعلَنَّ ولأفعلنَّ، وفي الحديث الصحيح: «إن الشمسَ والقمرَ آيتان من آيات الله، وإنَّهما لاَ ينكسفان لموت أحد، ولا لحياته، ولكن الله يخوف بهما عبادَه، فإذا رأيتم ذلك فأفزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره» ثم قَال: «يا أُمَّةَ محمد، والله ما أحد أَغْيَر من الله أن يَزْنِيَ عَبْدُه أو تَزْنِي أَمَّتُه» يا أمة محمد، والله لو تَعْلَمُون ما أعلم.. لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً»، ثم قال سبحانه محرّضاً رسولَه على إبلاغ رسالته، ومخبراً له بأنه قد عَصَمَه من الناس. ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ﴾ أي: واذكر يا محمد إذ أوحينا إليك ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ أي: علماً وقدرةً فهم في قبضته فَامْض لأمرك، ولا تَخَفْ أحداً؛ أي: واذكرْ إذ أوحينا إليكَ أَنَّ ربك هو القادر على عباده، وهم في قبضته، وتحت قهره، وغلبته، فلا يقدرون على أمر إلا بقضائِهِ، وقَدَره، وقد عَصَمَكَ من أعدائك، فلا يقدرون على إيصالِ الأذى إليك كما قال ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

وخلاصة ذلك: أن الله ناصرك ومؤيدك حتى تُبَلّغَ رِسَالَتَهُ وتُظهر دينه قال الحسن: حالَ بينهم وبين أن يقتلُوه، ويؤيّد هذا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ﴾؛ أي: أُريتها ليلةَ الإسراءِ ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي إلاَّ امتحاناً، واختباراً للناس، فأنكرها قومٌ وكذبُوا بها، وكفر كثيرٌ ممن كان قد آمن به، وازْدَادَ المخلِصُون إيماناً، والمرادُ بالرؤيا: ما عايَنَهُ عليه السلام لَيْلَةَ المعراج من عجائب الأرض والسماء، والتعبير عن ذلك بالرؤيا: إمَّا لأنه لاَ فَرْقَ بينه وبين الرؤيا كما في «الكواشي» الرؤيا تكون نَوْماً ويَقظَةً كالرؤية، أو لأنها وَقَعت بالليل، وتقضت بالسرعة، كأنها منامٌ، أو لأن الكَفَرَةَ قالوا: لَعَلَّها رُؤْيَا، فَتَسْميتها رُؤْيا على قول المكذبين، قال في «الحواشي السعدية»: قد يقال: تسميتها رُؤْيَا عَلَى وَجْه التشبيه والاستعارة لِمَا فِيها منَ الخوارق التي هي بالمنام أليق في مجاري العادات. انتهى.

وقوله: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ معطوف على الرؤيا، والمراد بلعنها فيه: لعن طَاعِمِها على الإسناد المجازِي، أو إبعادها عن الرحمة، فإنَّ تِلكَ الشجرةَ التي هي الزقوم، تنبت في أصل الجحيم، في أبعد مكان من الرحمة؛ أي: وما جَعَلْنَا الشجرة الملعونة؛ أي: الملعونُ آكلها المذكورة في القرآن، أو المذمومةُ، أو المؤذيةُ؛ لأن الْعَرَبَ تقول لكل طعام ضار مَلْعُونٌ، إلا فتنة واختباراً لِلنَّاس، فإنهم حين سَمِعُوا ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ اختلفوا: فقوم ازْدَادُوا إيماناً، وقوم ازدادوا كُفراً، كأبي جهل إذْ قال: إنَّ ابْنَ أبي كَبَشة - يعني النبيَّ ﷺ - توعَّدكم بنار تحرق الحجارة، ثُمَّ يزعمُ أنها تنبت شجرة، وتعلمون أنَّ النار تحرق الشجر ولقد ضلوا في ذلك ضلالاً بعيداً، حيث كابَرُوا قَضِيَّةَ عقولهم، فإنهم يَرَوْنَ النعامة تَبْتَلِعُ الجمرَ وقطعَ الحديد المحماة فلا يضرُّها، ويشاهدون المناديل المُتَّخِذَةَ من وبر السمندل تُلقى في النار، ولا تؤثر فيها، والسمندل: هي دويبة في بلاد الترك، يتخذ من وبره مناديل، فإذا اتسخت طرحت في النار، فيذهَبُ وسخها، وتبقى هي سالمة لا تعمل فيها النَّارُ، قال في «الكشاف»: وقد فات هؤلاء أنَّ في الدنيا أشياءَ كثيرةٌ لا تحرقها النار.

والخلاصة: أنَّ هؤلاء المشركينَ فُتِنُوا بالرؤيا، وفُتنوا بالشجرةِ ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾؛ أي: ونخوِفُ كفَّارَ مكَّةَ بمخاوف الدنيا، والآخرةِ ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ التخويف ﴿إِلَّا

﴿طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ وعتواً متجاوزاً الحَدَّ؛ أي: إلا تمادياً في الطغيان والضلال، فلو أننا أَنْزَلْنَا عليهم الآيات التي اقترحوها.. لم يَزْدَادُوا بها إلاَّ تَمَرُّداً، وعناداً، واستكباراً في الأرض، وفعل بهم ما فعل بأمثالهم من الأمم الغابرة، من عذاب الاستئصال، لكن قد سبقت كلمتنا بتأخير العذاب عنهم، إلى حلول الطامة الكبرى، والكلام مسوق لتسليَته ﷺ على ما عسى أن يعتريه من عدم الإجابة، إلى إنزال الآيات المقترحة، لمخالفتها للحكمة من الحزن، لِطَعن الكفار، إذْ رُبَّمَا يقولون: لو كنت رسولاً حقاً.. لأتيت بمثل هذه المعجزات التي أَتَى بها من قَبْلك مَنْ الأنبياء والمرسلين.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ عطفاً على الرؤيا، فهي مندرجة في الحَصْر؛ أي: وَمَا جعلنا الرؤيَا التي أريناك، والشَّجَرَةَ الملعونةَ في القرآن إلاّ فتنة للناس، وقَرَأَ زيدُ بن علي برفع ﴿والشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ﴾ على الإبتداءِ، والخَبَرُ محذوف تقديرُهُ: كذلك؛ أي: فِتْنَةٌ وقرأ الأعمش ﴿ويُخَوِّفُهم﴾ بياء الغيبة، والجمهور بنون العظمة.

وذكر سبحانه وتعالى قَصَصَ آدم مَعَ إبليس في سبع سور: البقرة، الأعراف، الحجر، الإسراء، الكهفْ طه، صَّ، وقد تقدم الكلام فِيهَا فيما سَلَفَ من تلك السور، وها نحن نُفسرها في هذه السورة ﴿و﴾ اذكر يا محمد لقومك قِصَّةَ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾، أي: قِصَّةَ وَقْتِ قَوْلِنَا للملائكة ﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ تَحِيَّة، وتكريماً لما لَهُ من الفضائل المستوجبة لذلك.

وفي الحقيقة[2]: كانت السجدة للحق تعالى، وكان آدم بمثابة الكعبة قبلةً للسجود، ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾؛ أي: سجدت الملائكة كلهم أجمعون من غير تباطؤ، أداء لحقه عليه السلام، وامتثالاً لأمره تعالى، فدل ائتمارهم بأوامر الحق، والانتهاء عن نواهيه على السعادة الأزَلِيَّةِ، ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ فإنه أبى واستكبرَ فدل استكبارُه

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

وإباؤه على الشقاوة الأزلية، إذ الأبد مِرْآةُ الأزل، يظهَرُ فيها صورةُ الحال سعادةً وشقاوةً.

قال في «بحر العلوم»: استثني[1] إبليس من الملائكة وهو جنّيّ؛ لأنه قد أمر بالسجود معهم، فغُلِّبوا عليه تغليبَ الرجال على المرأة، في قولك: خرجوا إلا فلانةَ، ثُمَّ استثني الواحد منهم استثناء متصلاً.

﴿قَالَ﴾؛ أي: إبليس اعتراضاً، وعجباً، وتكبراً، وإنكاراً عندما وبَّخهُ الله تعالى بقوله: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ ﴿ءَأَسۡجُدُ﴾، وأنا مخلوق من العنصر العالي، وهو النار ﴿لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾؛ أي: لمن خلقته من طين؛ أي: ما صح مني أن أسْجُدَ له واستحالَ ذلك مني، لأنَّ الاستفهامَ فيه إنكاري، فهو بمعنى النفي.

وحاصل المعنى: أي[2] واذْكُر أيها الرسول لقومك عداوةَ إبليس، استكبرَ وأبَى أن يَسْجُدَ له افتخاراً عليه، واحتقاراً له، وقال: أأسجد لمَن خلقْته من الطين، وأنا مخلوق من النار، كما جاء في الآية الأخرى ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ فكَفَر بنسبة ربه إلى الجَوْر بتَخَيّله أنه أَفْضل من آدم من قِبَل وأَنَّ الفُرُوعَ ترجع إلى الأصول، وَأَنَّ النَّارَ ـ التي هي أصله ـ أكرم من الطين الذي هو أصل آدم، وقد فَاتَهُ أنَّ الطّينَ أَنْفَعُ من النار، ولئن سلم غير هذا، فالأجسامُ كلّها من جنس واحد، والله هو الذي أوجدها من العدم، ويفضل بعضها على بعض، بما يَحْدُث فيها من الأعراض، فَاسْتَحَقّ اللعن والطردَ والبعدَ. ﴿قَالَ﴾؛ أي: إبليس أيضاً بعد الاستنظار لربه، جرأةً وكفراً، والربُّ يحلم ويُنظِرُ ﴿أَرَءَيۡتَكَ﴾؛ أي: أخبرني يا إلهي ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ﴾، أي: أخبرني عن هذا الذي فضّلته علي، لم فضلته علي، وقد خلقتني من نار، وخلقته من طين، وهل يُوجَدُ ما يدعو إلى تفضيله عليَّ، وهذا كلام قاله على وَجْهِ التعجب والإنكار؛ أي:

---

(١) السمرقندي.

(٢) المراغي.

قال إبليس بَعْدَمَا لُعن وطُردَ وأبعد إظهاراً للعداوة، وإقداماً على الحَسَدِ: وعزتك وجلالك ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾؛ أي: لئن أنظرتَنِي حَيّاً إلى يوم القيامة ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾؛ أي: لأَسْتَأْصِلَنَّ ولأغوينَّ ﴿ذُرِّيَّتَهُ﴾ وأولاده، ولأستولين عليهم استيلاء قوياً بالإغواء والإضلال، أو لأقودنهم إلى المعاصي كما تقاد الدابةُ بحبلها ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم لا أقدرُ أن أقاوِمَ شَكِيمتَهم، وهذا القليل هم الذين عناهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ وإنما[1] أقسم اللعين هذا القَسَمَ على أنه سيفعل بذرية آدم ما ذَكَرهُ، لما ظنهُ من قوة نفوذ كيده في بني آدم، وأنه يجري منهم في مجاري الدم، وأنهم بِحَيْثُ يروجُ عندهم كيده، وتنفق لديهم وسوستُه، إلا من عَصَم الله تعالى، ويؤيِّدُ هذا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ فإنه يفيد، أنه قال ما قاله هنا اعتماداً على الظن، وقيل: إنه استنبطَ ذلك من قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ وقيل: عَلِمَ ذلك من طبع البشر؛ لما رُكِّب فيهم من الشهوات، أو ظنَّ ذلك لأنه وسوس لآدم، فقبل منه ذلك ولم يَجِدْ له عزماً، كما روي عن الحسن.

وقرأ ابن كثير[2]، ونافع وأبو عمرو ﴿وأخرتني﴾ بياءٍ في الوصل، ووقَفَ ابن كثير بالياء، وقرأ ابن عامرٍ، وعاصم، وحمزة، والكسائي بغير ياء في وصل ولا في وقفٍ، هذا كله في حرف هذه السورة، أمَّا الذي في المنافقون في قوله: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ فالياء ثابتة للكل لثبوتها في الرسم الكريم، اهـ «سمين».

ثمَّ ذَكَر سبحانه أنه أَجَابَهُ إلى النَّظِرَةِ، وأخره إلى يوم الوقت المعلوم بقوله: ﴿قَالَ﴾ الله سبحانه وتعالى لإبليس اللعين: ﴿اذْهَبْ﴾ على طريقتك السوء بالإغواء والإضلال، أو امض لشأنك الذي اخْتَرْتَه، ولِمَا سولته لك نفسك، وقد أخرتك، وهذا كما تَقُول لِمَن يُخالِفُكَ: افعل ما تريدُ.

---

(١) الشوكاني.

(٢) زاد المسير.

وفي «بحر العلوم»[1]: ليسَ من الذهاب الذي هو نقيض المجيءِ، بَلْ معناه: امض لمَا قصدتَه، أو طردت له، تخلية بينه وبين ما سولت له نفسه، أو هو على وجه الإهانَةِ والتهديدِ، تقول لمن لا يقبل منك: اذهَبْ وكُنْ على ما اخترت لنفسك. ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ على الضلالة ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾؛ أي: جزاؤُك وجزاؤُهم، فَغَلَّبَ المخاطبَ رعاية لحق المتبوعية، ﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ نصب على المصدرية بإضمار فعلِهِ؛ أي: تجزون جزاء مكملاً من وفر الشيء إذَا كمل.

والمعنى: فمن أطاعك من ذرية آدم، وضلَّ عن الحق، فإن جَزاءَك على دعائك إياهم، وجزاءَهم على اتباعهم لك وخلافِهم أمري جزاءٌ موفور، لا ينقص لكم منه شيءٌ بما تستحقون من سيء الأعمال، وما دنَّستم به أنْفُسَكُم من قبيح الأفعال، ثم قال تعالى مهدداً له: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾؛ أي: استزل واستخف وأزعج وحرك ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم﴾؛ أي: مِنْ ذرية آدم استزلاله وإزعاجَهُ ﴿بِصَوْتِكَ﴾؛ أي: بوسوستك ودعائك إلى معصية الله تعالى، وقيل: أراد بصوتك الغناءَ، والمزامِيرَ، واللهوَ واللعبَ ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾؛ أي: وَصِحْ على من استطعت من ذرية آدم مصحوباً ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾؛ أي: بِأَعْوَانِك وأنصارك الركاب والمشاة.

فروى أبو الضحى عن ابن عباس أنه قال: كل راكب أو ماش في معصية الله تعالى فهو من خيل إبليس وجنوده، وفي «الكواشي»[2]: جلب وأجلب واحدٌ بمعنى: الحث والصياح؛ أي: صِحْ عليهم بأعوانك، وأَنْصَارِكَ من راكب وراجل من أهل الفساد، والخَيْلُ الخيَّالَةُ بتشديد الياءِ، وهي أصحاب الخيول، والرَّجْل بالسكون بمعنى الراجل، وهو من لم يكن له ظهر يركبه.

قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: إن خيلاً وَرَجلاً من الجن والإنس، فما كان من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس، وما كان من راجل يقاتل في معصية الله فهو من رَجْل إبليس.

---

(١) السمرقندي.

(٢) روح البيان.

وقال الزجاج[١]: أي اجْمَعْ عليهم كل ما تقدرُ عليه من مكايدك، فالإجلاب: الجمع و(الباء) في بخيلك زائدة، وقال أبو زيد: فالخيل والرجلُ كناية عن جميع مكايد الشيطان، أو المراد كل راكب وراجل في معصية الله.

﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ بِحَمْلِهِم على كسبها أو جَمْعِها من الحرام، والتصرُّف فيها على ما لا ينبغي من الربا، والإسراف، ومنع الزكاة وغير ذلك، وقال الحسن: مرهم أن يكسبوها من خبيثٍ، وينفقوها في حرام. ﴿و﴾ شاركهم في ﴿الأولاد﴾ بالحث على التوصل إليهم بالأسباب المحرمة، والوأد، والإشراكِ كتسميتهم بعبد اللات، وعبد العزى، وعبدِ مناة، والتضليل بالحمل على الأديان الزائِغَةِ، والحِرَفِ الذميمة، والأفعال القبيحة.

وقال الشوكاني: أمَّا المشاركة في الأموال[٢]: فَهِيَ كل تصرف فيها يخالف مِيزَانَ الشرع سواء كان أخذاً منْ غير حق، أو وضعاً في غير حق، كالغصب والسرقة، والربا، ومن ذلك تَبْتِيكُ آذان الأنعام، وجعلها بَحِيرَةً وسائبة، والمشاركة في الأولاد دعوى الولد بغير سبب شرعي، وتحصيله بالزنا، وتسميتهم بعبد اللات، وعبد العزى، والإساءةُ في تربيتهم على وجه يألفون فيه خصال الشر، وأفعال السوءِ، ويدخل فيه ما قَتَلُوا من أولادهم خشية إملاق، ووأدُ البنات، وتصييرُ أولادهم على الملة الكُفْرية التي هم عليها، ومن ذلك مشاركة الشَّيْطَانُ للمُجَامِعِ إذا لم يُسَمِّ .اهـ.

وقرأ الجمهور[٣]: ﴿ورَجْلِك﴾ بفتح الراء وسكون الجيم، وهو اسم جمع واحدُهُ راجلٍ كرَكْبٍ، وراكب، وقرأ الحسن وأبو عمرو ـ في رواية ـ وحفصٌ بكسر الجيم ـ قال صاحب ـ «اللَّوامح»: بمعنى الرجال، وقرأ قتادةُ وعكرمةُ ﴿ورجالك﴾ وقرىء ﴿ورجَّل لك﴾ بضم الراء وتشديد الجيم ﴿وَعِدْهُمْ﴾ المواعيدَ الباطلة، والأمانيَ الكاذبةَ، وأخبرهم الأخبارَ العاطلةَ الغارةَ لهم كشفاعة الآلهة،

---

(١) الشوكاني.

(٢) فبح القدير.

(٣) البحر المحيط.

والاتكال على كرامة الآباءِ، وتأخير التوبة بتطويل الأمل، وإخبارهم أنْ لاَ جَنَّةَ ولا نارَ ونحو ذلك.

وخلاصة ذلك[1]: أنه يُغْويهم بأن لا ضَرَرَ مِن فعل هذه المعاصي، فإنه لا جنة ولا نار، ولا حياةَ بعد هذه الحياة، وإنها سبيل اللذَّة والسُّرور، ولا حياة للإنسان إلاّ بها، فتفويتُها غَبْنٌ وخُسْرانٌ وقال الشاعر:

خُـذُوْا بِـنَـصِـيْـبٍ مِـنَ سُـرُوْرٍ وَلَـذَّةٍ فَـكُـلٌّ وَإِنْ طَـالَ ٱلْـمَـدَىٰ يَـتَـصَّـرمُ

وينفِّرهم من الطاعة بأَنْ لا فائدةَ فيها، إذ لا رَجْعةَ بعد هذه الحياة، فهي عَبَثٌ مَحْضٌ. فهذه بعض تلبيسَات الشيطان، وهذه خدعة.

قال في «بحر العلوم»[2]: هذه الأوامر المذكورة كلُّها وَارِدَة على طريق التهديد كقوله للعصاة: اعْمَلُوا ما شئتم، وقيل: على سبيل الخذلان والتخلية اهـ. ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾؛ أي: إلا بَاطِلاً؛ أي: وما يخبرهم من الأماني الكاذبة، إلاَّ خبراً باطلاً عاطلاً، لأنه لا يغني عنهم من عقاب الله شيئاً إذا نزل بهم، فمواعيده خدعة. يزينها لهم، ويلبّسها ثَوبَ الحق كما قال إبليس إذ حصحص الحقّ يومَ يقضِي ربّـك بـالـحـق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾.

وهذه الجملة[3] اعتراض واقع بين الجمل التي خَاطَبَ الله بها الشيطان ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ الذين أطاعوني، فاتَّبعوا أمري، وعصوك ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على إغوائِهم وإضلالهم ﴿سُلْطَٰنٌ﴾ أي: تَسَلّطٌ وقدرةٌ، فلا تقدر أن تُغويهم، وتحملَهم على ذنب لا يغفر، فإني قد وفقتهم بالتوكُّل عليَّ فَكفيتهم أمرك، والإضافة في قوله: عبادي للتشريف، وفيه تعريضٌ بأنَّ مَنْ تَبِعَه ليس منهم. ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾؛ أي: مَالِكُ أَمْرِكَ ومُغْوِيكَ وخَاذِلُك يا إبليس من جهة كونه: ﴿وَكِيلًا﴾ أي: حَافِظاً لهم، فهم يتوكلون عليه، ويستمدون منه العون في الخلاص من إغوائك

(1) المراغي.

(2) السمرقندي.

(3) المراح.

ووسوستك، وفي الآية إيماءٌ إلى أَنَّ الإنسان لا يمكنه أن يحترز[1] بنفسه عن مواقع الضلال؛ لأنه لو كان الإقدامُ على الحق والإحجام عن الباطل إنما يحصل للإنسانَ من نَفْسِهِ. . لَوَجَبَ أن يقال: وكفى بالإنسان نفسه في الاحتراز عن الشيطان، فلما لَمْ يقل ذلك، بل قال: وكفى بربك وكيلاً. . علمنا أَنَّ الكُلّ من الله تعالى، ولهذا قال المحققون: لاَ حَولَ عن معصية الله إلا بِعِصْمَةِ الله، ولا قُوَّةَ على طاعَةِ الله إلاّ بقوته .اهـ كرخي.

وقوله: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ تعليل[2] لكفايته، وبيانٌ لقدرته على عصمةِ مَنْ توكل عليه في أموره، وهذا شروع في تذكير بعض النعم عليهم، حَملاً لهم على الإيمان .اهـ شيخنا ﴿رَّبُّكُمُ﴾ مبتدأ خبره ﴿ٱلَّذِى﴾؛ أي: مالككم هو القادر الحكيم الذي ﴿يُزْجِى﴾ ويجري ويسوق بقدرته الكاملة ﴿لَكُمُ﴾؛ أي: لمنافعكم ﴿ٱلْفُلْكَ﴾؛ أي: السفن ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾ قال في «القاموس»: البَحْرُ الماءُ الكثير، ﴿لِتَبْتَغُوا۟﴾؛ أي: لتطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾؛ أي: من رزق هو فضل من قِبَلِهِ؛ أي: لتبتغوا الرِّبْحَ وأنواعَ الأمتعةَ التي لا تكون عندكم .اهـ بيضاوي. و﴿مِنْ﴾ زائدة في المفعول ﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾ أزلاً وأبداً ﴿بِكُمْ رَحِيمًا﴾ حيث هيأ لكم ما تحتاجون إليه، وسهل عليكم ما يَعْسر من أسبابه، فالمُرادُ: الرَّحْمَةُ الدنيويةُ، والنعمة الْعَاجِلَةُ المنْقَسِمَةُ إلى الجليلة والحقيرة.

والمعنى: أي إنَّ ربكم أيها القوم، هو القادر الحكيم، الذي يُجري لنَفْعِكُم السفنَ في البحر بالريح اللينة، أو بالآلات البخارِية، أو الكهربائِية لتسهيل نقل أقواتكم، وحجاجكم من إقليم إلى آخر من أقصى المعمورة إلى أدناها، والعكس بالعكس، ونقلِ أشخاصكم من قطر إلى قطر، ابتغاء للرزق أو للسياحة، ورؤية مظاهرِ الكون على اختلاف الأصقاع، مما يرشد على باهر القدرة، ووافر النعمة عليكم، إنه كان بكم رحيماً، إذ سهل ما فيه الفوائد المَرْجُوَّةَ لكم في هذه الحياة، ثم خَاطَبَ الكفار، بقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾؛ أي: الشِدَّةُ، وخوف

---

(١) الفتوحات. (٢) زاده.

الغرق ﴿فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ﴾، وذَهَبَ، وغَابَ عن أوهامكم وخَوَاطِركم ﴿مَن تَدْعُونَ﴾؛ أي: كُلَّ من تدعون، وتستغيثون به من حوادثكم، من الأصنام وغيرها. ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾؛ أي: إلا اللَّهُ تعالى، وحده، فإِنَّكُم لا تذكرون سواه، ولا يَخْطُرُ ببالكم غيرهُ؛ لأنه القادر على إغاثتكم ونجاتكم.

وقرأ مجاهد، وأبو المتوكل[1]: ﴿ضل من يدعون﴾ بالياء، والمعنى؛ أي: وإذَا نالتكم شِدَّة جهد في البحر، ذهب عن خواطركم كل من تدعونه، وترجون نَفْعَهُ من صنم، أو جن، أو ملك، أو بشر، أو حجر، فلا تَذْكُرونَ إلا الله، ولا يخطر على بالكم سواه، لكشف ما حل بكم.

وخلاصة ذلك: أنكم مَسَّكُم الضر دَعَوْتُم الله مُنِيبِينَ إليه، مخلصين له الدينَ ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ﴾؛ أي: أَجَابَ دُعَاءَكم، وأنجاكم من هولِ البحر وشدته، وأخرجكم ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾؛ أي: عن الإيمان والإخلاص، والطاعة، ورجعتم إلى عبادة الأوثان، وكفرتم النِّعْمَةَ وهو قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾؛ أي: جنسُ الإنسان ﴿كَفُورًا﴾؛ أي: كثيرُ الكفران للنعمة، ولم يقل[2]: وكنتم كفورا ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعمة، والمعنى: أي[3] ومن عجيبِ أمركم أنكم حين دعوتموه، وأغاثكم، وأجاب دعاءكم، ونَجَّاكم من هول ما كنتم فيه في البحر، أعرضتم عن الإخلاص، ورجعتم إلى الإشراك به كفراً منكم بنعمته، ثُمَّ علل هذا الإعراض بقوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾؛ أي: وكانت سجية الإنسان وطبيعته أَن ينسَى النِّعَمَ ويَجْحَدَها إلا مَنْ عصمه الله تعالى.

وخلاصة ما سلف: أنكم حينَ الشدائدِ تجأرون طالبينَ رحمتَه، وحين الرخاء تعرضون عنه، ثمّ حذر من كُفْرَانِ نعمته فقال: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ و(الهمزة) فيه للاستفهام الإنكاري. و(الفاء) عاطفة على محذوف، والخطاب فيه للسابق ذكرهم، والتَّقدير: أَنَجَوْتُم فأَمِنْتُمْ أيها الناجون المعرضون

---

(١) زاد المسير.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

عن صُنْع الله الذي نجاكم من أن يَخْسِفَ الله سبحانه وتعالى ويَقْلِبَ جَانِبَ البر وناحيته الذي كنتم عليه حالةَ كون ذلك الجانب مصحوباً بكم، فيحصل بخَسْفِهِ إهلاكُكُم، و﴿بكم﴾ حالٌ من جانب البر، وهو مفعول به لخسف، والمعنى: إنَّ الجِهَاتِ كلَّها له، وفي قدرته برّاً كان أو بحراً، بل إن كان الغرقُ في البحر ففي جانب البر ما هو مثْلُه، وهو الخَسْفُ لأنه يُغَيِّبُ تحت الثرى كما أنَّ الغرقَ يُغَيِّبُ تحت الماء . .اهـ خازن.

قال الزمخشري[1]: و(الفاء) للعطف على محذوف تقديرُهُ: أنجوتمْ فأمنتم انتهى، وتقدم لنا الكلامُ معه في دعواه أنَّ (الفاءَ) و(الواو) في مثْل هذا التركيب للعطف على محذوفٍ بَيْنَ الهمزة وحرف العطف، وأنَّ مَذْهَبَ الجماعة أن لاَّ مَحْذُوفَ هُنَاكَ، وأنَّ الْفَاءَ والواو للعطف على ما قبلها، وأنه اعتُنِيَ بهمزة الاستفهام، لكونها لها صدر الكلام، فقدمت، والنية التأخير، وأن التقديرَ: أفأمنتم، وقد رجع الزمخشري إلى مذهب الجماعة. ﴿أَوْ﴾ أمنتم أن ﴿يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ﴾ من فوقكم ﴿حَاصِبًا﴾؛ أي: ريحاً ترمي الحصباء، وهي الحصى الصغار، يرجمكم بِهَا فيكون أشدَّ عليكم من الغرق في البحر، وقيل: أي أو يمطرَ عليكم حَصْبَاءَ كما أرسلها على قوم لوط، وأصحاب الفيل، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾؛ أي: حفظياً يحفظكم من ذلك، وناصراً يَصْرِفُهُ عنكم، فإنه لا رادَّ لأمره الغالب.

والمعنى: أي أفحَسِبْتُم[2] أنكم بُخُرُوجِكُمْ إلى البر أمنتم من انتقام الله وعذابه، فهو إنْ شاء.. خسف بكم جانب البر وغيَّبه في أعماق الأرض، وأنتم عليها، وإن شاءَ.. أمطَرَ عليكم حجارةً من السماءِ تقتلكم كما فعل بقوم لوط، ثُمَّ لا تجدُون من تكلون إليه أموركم، فيحفظكم من ذلك أو يصرفه عنكم غيره جل وعلا.

وخلاصة ذلك: إن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف، أصابكم من

---

(١) البحر المحيط. (٢) المراغي.

فوقكم بريح يرسلها عليكم، فيهَا الحصباءُ يرجمكم بها، فيكونَ أشدَّ عليكم من الغرق في البحر.

و(أم) في قوله: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ﴾ منقطعة تقدر بـ(بل) وبهمزة الاستفهام الإنكاري؛ أي: بل أأمنتم ﴿أَن يُعِيدَكُمْ﴾ الله سبحانه وتعالى ﴿فِيهِ﴾؛ أي: في البحر بعد خروجكم إلى البر وسلامتكم ﴿تَارَةً﴾؛ أي: مرة ﴿أُخْرَىٰ﴾ بخلق دواعٍ وأسباب تلجئكم إلى أن ترجعوا فتركبوه، فإسناد[1] الإعادة إليه تعالى مع أنَّ العَوْدُ إليه باختيارهم باعتبار خَلْقِ تلك الدواعِي الملجئة، وفيه إيماءٌ إلى كَمَالِ شدة هول ما لاقوه في التارة الأولى، بحيث لولا الإعادة لما عادوا، وأوثرت كلمة (في) على كلمة (إلى) المنبئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم فيه.

﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ﴾ وأنتم في البحر ﴿قَاصِفًا﴾، أي: شديداً ﴿مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ كاسراً لما مر عليه، والقاصف من الريح هي التي لا تمر بشيء إلا قصفته؛ أي: كسرته، وجعلَتْه كالرميم، وذَكَّرَ قاصفاً؛ لأنه ليس بإزائِه ذَكَرٌ فَجَرى مجرى حائض كما في «الكواشي» ﴿فَيُغْرِقَكُم﴾ سبحانه بعد كسر فلككم كما ينبىء عنه عنوانُ القصفَ ﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾؛ أي: بسبب إشراككم وكفرانكم، لنعمة الإنجاءِ ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا﴾ ناصراً ﴿لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ﴾؛ أي: بإغْرَاقِكم ﴿تَبِيعًا﴾؛ أي: ثائراً، ولا طالباً يطالبنا بثأر إغراقكم، أو بصرفه عنكم، والمعنى؛ أي: أم أمنتم أيها المعرضون عَنَّا بعدما اعترفتم بتوحيدنا في البحر، حتى خرجتم إلى البر، أَنْ يُعِيدَكم فيه مَرَّةً أخْرَى فَيُرْسِلَ عليكم ريحاً تقصف السَّوَارِي، وتغرق المَراكِبَ بسبب كفركم، وإعراضكم عن الله، ثُمَّ لا تجِدوا لكم نصيراً يعينكم، ويأخذ بثأركم، وقال قتادة في تفسيرها: أي: لا نخاف أحداً يتبعنا بشيء مِمَّا فَعَلْنا، يُرِيدُ أنكم لا تجدون ثائراً يطلبُنا بما فعلنا انتصاراً منا، أو دركاً للثأر من جهتنا، وفي معنى الآية قوله: ﴿فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾، وفي الآية وعيد أيما وعيد، فكأنه قيل: ننتقم منكم من غير أن يكونَ لكم نصيرٌ يدفع عنكم شديد بأسنا.

---

(١) روح البيان.

وقرأ ابن كثير[1]، وأبو عمرو، ﴿نخسف﴾ و﴿أو نرسل﴾ و﴿أن نعيدكم﴾ و﴿فنرسل﴾ و﴿فنغرقكم﴾ خمستها بالنون، وباقي القراء بياء الغيبة، وقرأ مجاهد، وأبو جعفر، فتغرقكم بتاء الغائبة مسنداً إلى الريح، وقرأ الحسن، وأبو رجاءِ، فيغرقكم بياء الغيبة وفتح الغين، وشدّ الراءِ عَدَاهُ بالتضعيف، والمقرىء لأبي جعفر كذلك إلاَّ بتاء الغيبة، وقرأ حميد بالنون، وإسكان الغين وإدغام القاف في الكاف، ورويت عن أبي عمرو وابن محيصن، وقرأ الجمهور من الريح بالإفراد، وأبو جعفر من الرياح جمعاً، والله أعلم.

الإعراب

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾.

﴿وَقُل﴾ (الواو) عاطفة أو استئنافية ﴿قُل﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة معطوفة على ما سبق من الأوامر، ليستكمل التعاليم التي بها قوام أمورهم، أو مستأنفة ﴿لِّعِبَادِى﴾ جار ومجرور متعلق به، ﴿يَقُولُوا۟﴾ فعل مضارع بمعنى يذكروا.. مجزوم بالطلب السابق، وعلامة جزمه حذف النون، و(الواو) فاعل ﴿ٱلَّتِى﴾ في محل النصب على المفعولية على كونها صفةً للموصوف المحذوف، تقديره: يقولوا الكلمةَ التي هي أحسن، والمراد بالكلمة: الكلمة اللغوية، على حد قول ابن مالك: وكلمة بها كلام قد يؤم ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ مبتدأ وخبر، والجملةُ صلةُ الموصول، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ ناصب واسمه ﴿يَنزَغُ﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ ﴿بَيْنَهُمْ﴾ ظرف، ومضاف إليه متعلق به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ ناصب واسمه ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص، واسمه ضمير يعود على الشيطان ﴿لِلْإِنسَٰنِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿عَدُوًّا﴾ ﴿عَدُوًّا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ ﴿مُّبِينًا﴾ صفة لِـ﴿عَدُوًّا﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾،

---

(١) البحر المحيط.

وجملةُ ﴿إن﴾ مسوقة لتعليل قوله: ﴿يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة ﴿بِكُمْ﴾ متعلق بـ﴿أَعْلَمُ﴾ ﴿إِن يَشَأْ﴾ جازم وشرط مجزوم، وفاعله ضمير يعود على الرب ﴿يَرْحَمْكُمْ﴾ فعل ومفعول مجزوم على كونه جواب الشرط، وفاعله ضمير يعود على الرب، والجملة الشرطية مستأنفة ﴿أَوْ﴾ حرف عطف وتفصيل ﴿إِن يَشَأْ﴾ جازم وفعل مجزوم وفاعله ضمير يعود على الرب ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾ فعل ومفعول مجزوم على كونه جوابَ الشرط، والجملة الشرطية معطوفة على الشرطية الأولى ﴿وَمَآ﴾ (الواو) عاطفة ﴿ما﴾ نافية ﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة الشرط ﴿عَلَيْهِمْ﴾ متعلق بـ﴿وَكِيلًا﴾ ﴿وَكِيلًا﴾ حال من الكاف في ﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾ أي: وما أرسلناك إليهم حالةَ كونك موكولاً إليه أمرهم فتحاوِلُ هِدايتهم.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ ﴿بِمَن﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَعْلَمُ﴾ ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ جار ومجرور صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ﴿وَلَقَدْ﴾ (الواو) استئنافية و(اللام) موطئة للقسم ﴿قد﴾ حرف تحقيق ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة جواب لقسم محذوف، وجملة القسم مستأنفة ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿فَضَّلْنَا﴾ ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ فعل وفاعل ومفعولان، والجملة معطوفة على جملة ﴿فَضَّلْنَا﴾.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾.

﴿قُلِ﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ...﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ﴾ فعل

وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلِ﴾ ﴿زَعَمْتُم﴾ فعل وفاعل ومفعولا ﴿زعم﴾ محذوفان للعلم بهما، تقديره؛ زعمتموهم آلهةً، وجملة زعم صلة الموصول ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ جار ومجرور حال من الموصول، لأن في الكلام تقديماً، وتأخيراً، تقديره: قل ادعوا الذين من دونه، زَعَمتم أنهم شركاء لله، فلا يَرِدُ السؤالُ، كيف قال من دونه مَعَ أنَّ المشركين، ما زعموا غَيْرَ الله إلٰهاً دون الله، بل مع الله على وجه الشركة اهـ كرخي. ﴿فَلَا﴾ (الفاء) استئنافية ﴿لا﴾ نافية ﴿يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ﴾ فعل وفاعل ﴿عَنكُمْ﴾ متعلق بـ﴿كَشْفَ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، ﴿وَلَا﴾ (الواو) عاطفة (لا) نافية ﴿تَحْوِيلًا﴾ معطوف على ﴿كَشْفَ ٱلضُّرِّ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ واقع على الذينَ زعموهم آلهة من العقلاء ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، أو عطف بيان عليه ﴿يَدْعُونَ﴾ فعل وفاعل والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: يدعونهم ﴿يَبْتَغُونَ﴾ فعل وفاعل ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ﴾ متعلق بـ﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾ ﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾ مفعول به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، ويجوز لك أن تعرب الذين هو الخبر، وجملةُ ﴿يَبْتَغُونَ﴾ حال من فاعل ﴿يَدْعُونَ﴾. ﴿أَيُّهُمْ﴾ أي: اسم موصول في محل الرفع بدل من فاعل ﴿يَبْتَغُونَ﴾ و(الهاءُ) مضاف إليه ﴿أَقْرَبُ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هو أقرَبُ والجملة صلة الموصول، ويجوز أنْ تعرب﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ على الابتداء، والخبر على جعل أيٍّ استفهاميةً، والجملة الاسمية في محل النصب على إسقاط الخافض على إضمار فِعْلِ التعليق، تقديرُهُ: ينظرون في أيهم أقرب، وجملة الفعل المعلق حال من فاعل ﴿يَبْتَغُونَ﴾. ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿يَبْتَغُونَ﴾ ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿يَرْجُونَ﴾. ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ﴾ ناصب واسمه، ومضاف إليه ﴿كَانَ مَحْذُورًا﴾ فعل ناقص وخبره واسمه ضمير يعود على العذاب، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل جملة الخوف.

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾.

﴿وَإِن﴾ ﴿الواو﴾ استئنافية ﴿إن﴾ نافية ﴿مِّن﴾ زائدة ﴿قَرْيَةٍ﴾ مبتدأ ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرغ ﴿نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾ مبتدأ، وخبر ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ متعلق بـ ﴿مُهْلِكُوهَا﴾، والجملة الاسمية في محل الرفع خبر للمبتدأ الأول، وجملة الأول مستأنفة ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا﴾ معطوف على ﴿مُهْلِكُوهَا﴾ ﴿عَذَابًا﴾ مفعول مطلق لـ﴿مُعَذِّبُوهَا﴾ ﴿شَدِيدًا﴾ صفة ﴿عَذَابًا﴾. ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ فعل ناقص واسمه ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ متعلق بـ﴿مَسْطُورًا﴾ ﴿مَسْطُورًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ وجملة ﴿كَانَ﴾ مستأنفة.

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾.

﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾ عاطفة أو استئنافية ﴿ما﴾ نافية ﴿مَنَعَنَا﴾ فعل ومفعول أول ﴿أَن نُّرْسِلَ﴾ ناصب وفعل، وفاعله ضمير يعود على الله، ومفعول الإرسال محذوف، تقديره: نرسل رسولاً ﴿بِالْآيَاتِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿نُّرْسِلَ﴾ أو حال من المفعول المحذوف، تقديره: أن نرسل رسولاً حالةَ كونه مُلْتَبِساً بالآيات، والجملة الفعلية مع أن المصدرية في تأويل مصدر منصوب على كونه مَفْعُولاً ثانياً لِـ﴿منع﴾ تقديره؛ وما منعنا إرسال رسول بالآيات ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرغ ﴿أَن كَذَّبَ﴾ ناصب ومنصوب ﴿بِهَا﴾ متعلق به ﴿الْأَوَّلُونَ﴾ فاعل، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مرفوع على الفاعلية، لـ ﴿منع﴾ تقديره: وما منعنا إرسال رسول بالآيات إلا تكذيب الأولين بها، وجملة ﴿منع﴾ معطوفة على جملة قوله: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ﴾ أو مستأنفة. ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ﴾ فعل وفاعل ومفعولان، والجملة مستأنفة ﴿مُبْصِرَةً﴾ حال من ﴿النَّاقَةَ﴾. ﴿فَظَلَمُوا﴾ (الفاء) عاطفة ﴿ظلموا﴾ فعل وفاعل ﴿بِهَا﴾ متعلق به، والجملة معطوفة على جملة ﴿آتينا﴾. ﴿وَمَا﴾ (الواو) حالية (ما) نافية ﴿نُرْسِلُ﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله ﴿بِالْآيَاتِ﴾ متعلق بـ﴿نُرْسِلُ﴾ أو حال من المفعول المحذوف كما مر نظيره آنفاً ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناءِ مفرغ ﴿تَخْوِيفًا﴾ مفعول لأجله منصوب بـ ﴿نُرْسِلَ﴾؛ أو حال من فاعل ﴿نُرْسِلُ﴾ أي حالةَ كوننا مخوفين بها، أو من ﴿الْآيَاتِ﴾ أي: مخوفاً بها.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾.

﴿وَإِذْ﴾ ﴿الواو﴾ استئنافية ﴿إِذْ﴾ ظرف لما مضى متعلق بمحذوف تقديره: واذكر لقومك قصة إذ قلنا لك ﴿قُلْنَا﴾ فعل وفاعل ﴿لَكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿قُلْنَا﴾، والجملة في محل الجر مضاف إليه، لـ﴿إذ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ ناصب واسمه ﴿أَحَاطَ﴾ فعل ماض ﴿بِالنَّاسِ﴾ متعلق به، وفاعله ضمير يعود على الله، وجملة ﴿أَحَاطَ﴾ في محل الرفع خبر إنَّ، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قُلْنَا﴾ ﴿وَمَا﴾ (الواو) استئنافية (ما) نافية ﴿جَعَلْنَا الرُّءْيَا﴾ فعل وفاعل ومفعول أول، والجملة مستأنفة ﴿الَّتِي﴾ اسم موصول في محل النصب صفة لِـ﴿أَرَيْنَاكَ﴾ ﴿أَرَيْنَاكَ﴾ فعل وفاعل ومفعول أول، والمفعول الثاني محذوف تقديره أريناكها، وهو العائد على الموصول، وجملة ﴿أَرَيْنَاكَ﴾ صلة الموصول ﴿إِلَّا﴾ أداء استثناء مفرغ ﴿فِتْنَةً﴾ مفعول ثان لـ﴿جَعَلْنَا﴾ ﴿لِّلنَّاسِ﴾ جار ومجرور صفة لـ﴿فِتْنَةً﴾.

﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾.

﴿وَالشَّجَرَةَ﴾ معطوف على ﴿الرُّءْيَا﴾. ﴿الْمَلْعُونَةَ﴾ صفة لـ﴿الشَّجَرَةَ﴾. ﴿فِي الْقُرْءَانِ﴾ جار ومجرور حال من ﴿الشَّجَرَةَ﴾؛ أي: حالَةَ كونها مذكورة في القرآن، ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ (الواو) استئنافية ﴿نخوفهم﴾ فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة ﴿فَمَا﴾ (الفاء) عاطفة (ما) نافية ﴿يَزِيدُهُمْ﴾ فعل ومفعول أول، وفاعله ضمير يعود على التخويف ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرغ ﴿طُغْيَانًا﴾ مفعول ثان ﴿كَبِيرًا﴾ صفة له، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿نخوف﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾.

﴿وَإِذْ﴾ (الواو) استئنافية (إذ) ظرف لما مضى من الزمان متعلق بمحذوف تقديره: واذكر قِصَّةَ إذ قلنا للملائكة ﴿قُلْنَا﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه، لـ(إذ) ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ متعلق بـ﴿قُلْنَا﴾ ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿اسْجُدُوا﴾ فعل وفاعل ﴿لِآدَمَ﴾ متعلق به، والجملة في محل

النصب مقول ﴿قُلْنَا﴾ ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ (الفاء) عاطفة ﴿سجدوا﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿قُلْنَا﴾ ﴿إِلَّآ﴾ أداة استثناء ﴿إِبْلِيسَ﴾ منصوب على الاستثناء ﴿قَالَ﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿إِبْلِيسَ﴾ والجملة في محل النصب حال من ﴿إِبْلِيسَ﴾ ﴿ءَأَسْجُدُ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿الهمزة﴾ للاستفهام الإنكاري، ﴿أسجد﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿إِبْلِيسَ﴾ والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿لِمَنْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أسجد﴾ ﴿خَلَقْتَ﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: لمن خلقته ﴿طِينًا﴾ حال من مَنْ الموصولة، والعامل فيه ﴿أسجد﴾ أو مِنَ العائد المحذوف، والعامل ﴿خَلَقْتَ﴾ أو منصوب بنزع الخافض أي: من طين أو مفعول منه، منصوب بـ﴿خَلَقْتَ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ﴾؛ أي: من قومه؛ لأن قومَهُ مفعول به كما ذكرنا في مبحثه.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ﴿إِبْلِيسَ﴾، والجملة مستأنفة ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ﴾ مقول محكي لـ ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿أرأيت﴾ فعل وفاعل، و(الكاف) حرف دال على الخطاب لتأكيد الخطاب المفهوم من (التاء)، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿هَٰذَا﴾ في محل النصب مفعول أول لـ ﴿رأيت﴾ ﴿ٱلَّذِى﴾ صفة لاسم الإشارة، أو بدل منه ﴿كَرَّمْتَ﴾ فعل وفاعل ﴿عَلَىَّ﴾ متعلق به، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: كرمته عليَّ والمفعول الثاني لـ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ محذوف لدلالة الصلة عليه، ولا بد من كَوْنِهِ جُمْلَةً استفهامية، والتقدير: أخبرني عن هذا الذي كرمته علي، بأن أمرْتَني بالسجود له، لم كرمتَهُ علي؛ أي: تقديره أرأيتك هذا الذي كرمته علي لم كرمتَه علي، ولم يجِبْهُ الله تعالى عن هذا السؤال، استصغاراً لأمره، واحتقاراً لشأنه، فاختُصِر الكلامُ بحذف ذلك، ثمَّ ابتدأ بالقسم فقال: ﴿لَئِنْ﴾ (اللام) موطئة للقسم ﴿إن﴾ حرف شرط ﴿أَخَّرْتَنِ﴾ فعل وفاعل، ومفعول ونون وقاية في محل الجزم

بـ ﴿إن﴾ الشرطية على كونه فِعْلَ شرط لها ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ جار ومجرور، ومضاف إليه متعلق بـ﴿أَخَّرْتَنِ﴾ ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ (اللام) موطئة للقسم مؤكدة للأولى ﴿أحتنكن﴾ فعل مضارع في محل الرفع، لتجرده عن الناصب والجازم، مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: أنا يعود على إبليس ﴿ذُرِّيَّتَهُۥ﴾ مفعول به ﴿إِلَّآ﴾ أداة استثناء ﴿قَلِيلًا﴾ مستثنى من الذرية منصوب بإلا على الاستثناء، والجملة الفعلية: جواب القسم لا محلَّ لها من الإعراب، وجملةُ القسم في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه، تقديره: إن أخرتني أحتنك ذريته إلاَّ قليلاً وجملة الشرط معترضة بين القسم وجوابه في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾﴾.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة ﴿ٱذْهَبْ﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿ٱذْهَبْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير يعود على إبليس، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿فَمَن﴾ (الفاء) استئنافية ﴿من﴾ اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الجواب، أو الشرط، أو هما ﴿تَبِعَكَ﴾ فعل ومفعول في محل الجزم بـ ﴿من﴾ على كونه فِعْلَ شرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾ ﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور حالٌ من ضمير الفاعل في ﴿تَبِعَكَ﴾ ﴿فإن﴾ (الفاء) رابطة لجواب ﴿من﴾ الشرطية ﴿إن جهنم جزاؤكم﴾ ناصب واسمه وخبره، وجملة ﴿إن﴾ في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ الشرطية على كونها جَواباً لها، وجملة ﴿من﴾ الشرطية مستأنفة ﴿جَزَآءً﴾ منصوب على المفعولية المطلقة بالمصدر المذكور قبله، أو بفعل محذوف تقديره: تجزون جزاء ﴿مَّوْفُورًا﴾ صفة لـ﴿جزاء﴾.

﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾.

﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير يعود على إبليس، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿ٱذْهَبْ﴾ ﴿مَنِ﴾ اسم موصول في محل النصب مفعول

به ﴿ٱسۡتَطَعۡتَ﴾ فعل وفاعل، ومفعوله، محذوف تقديره: من استطعت استفزازه، والجملة صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة، والعائد الضمير المحذوف ﴿مِنۡهُم﴾ جار ومجرور حال من ﴿مَنْ﴾ الموصولة، أو من العائد المحذوف ﴿بِصَوۡتِكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿استفزز﴾ ﴿وَأَجۡلِبۡ﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على إبليس، والجملة معطوفة على جملة ﴿ٱذۡهَبۡ﴾ ﴿عَلَيۡهِم﴾ متعلق بـ ﴿أجلب﴾ ﴿بِخَيۡلِكَ﴾ جار ومجرور حال من فاعل ﴿أجلب﴾؛ أي: حالَةَ كونك مصحوباً بخيلك، ﴿وَرَجِلِكَ﴾ معطوف على خيلك، ﴿وَشَارِكۡهُمۡ﴾ فعل ومفعول معطوف على ﴿ٱذۡهَبۡ﴾ وفاعله ضمير يعود على إبليس ﴿فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ﴾ متعلق بـ﴿شاركهم﴾، ﴿وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ معطوف على الأموال، ﴿وَعِدۡهُمۡۚ﴾ فعل ومفعول معطوف على ﴿ٱذۡهَبۡ﴾ وفاعله ضمير يعود على إبليس، ﴿وَمَا﴾ (الواو) حالية، أو اعتراضية ﴿ما﴾ نافية ﴿يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ فعل ومفعول وفاعل ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرغ ﴿غُرُورًا﴾ منصوب على المفعولية المطلقة لأنه صفة لمصدر محذوف تقديره: إلا وعداً غروراً؛ أي: باطلاً، والجملة المنفية في محل النصب حال من فاعل، ﴿عدهم﴾، وفي الكلام التفات أو جملة معترضة لا محلَّ لَها من الإعراب لاعتراضها بين الجمل التي خاطب الله بها إبليس .اهـ كرخي.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ﴿٦٥﴾﴾.

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ ناصب واسمه ﴿لَيۡسَ﴾ فعل ماض ناقص ﴿لَكَ﴾ خبر ﴿لَيۡسَ﴾ مقدم ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ متعلق بـ ﴿سُلۡطَٰنٞۚ﴾ ﴿سُلۡطَٰنٞۚ﴾ اسم ﴿لَيۡسَ﴾ مؤخر؛ أي: ليس سلطان عليهم كائناً لك، وجملة (إن) مسوقة لتعليل ما قبلَها على كونها مقولَ ﴿قَالَ﴾ ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾ فعل وفاعل و(الباء) زائدة في فاعل ﴿كَفَىٰ﴾ ﴿وَكِيلٗا﴾ منصوب على التمييز لنسبة ﴿كَفَىٰ﴾ إلى فاعله، وجملة ﴿كَفَىٰ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٦٦﴾﴾.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي﴾ مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية مستأنفة مسوقة لتعليل كفايته،

وبيان قدرته على عصمة من توكل عليه في أموره .اهـ زاده. ﴿يُزۡجِي﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الموصول ﴿لَكُمُ﴾ متعلق به ﴿ٱلۡفُلۡكَ﴾ مفعول به ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ حال من الفلك، والجملة الفعلية صلة الموصول ﴿لِتَبۡتَغُواْ﴾ (اللام) حرف جر وتعليل ﴿تبتغوا﴾ فعل وفاعل منصوب بأن مضمرةً جوازاً بعد لام كي ﴿مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ جار ومجرور متعلق به، والجملة الفعلية مع أن المضمرة في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: لابتغائكم من فضله الجار والمجرور متعلق بـ﴿يُزۡجِي﴾ ﴿إِنَّهُۥ﴾ ناصب واسمه ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمه ضمير يعود على الرب ﴿بِكُمۡ﴾ متعلق بـ ﴿رَحِيمٗا﴾ ﴿رَحِيمٗا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلَها فهي تعليل ثان لقوله: ﴿يُزۡجِي﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾.

﴿وَإِذَا﴾ (الواو) عاطفة (إذا) ظرف لما يستقبلُ من الزمان ﴿مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾ فعل ومفعول، وفاعل، والجملة الفعلية في محل الخفض بإضافة (إذا) إليها على كونِهَا فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب الآتي ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ جار ومجرور حال من كاف المخاطبين تقديره: حالَةَ كونكم في البحر ﴿ضَلَّ﴾ فعل ماض ﴿مَن﴾ اسم موصول في محل الرفع فاعل ضل، وجملةُ ﴿تَدۡعُونَ﴾ صلة من الموصولة، والعائد محذوف تقديره: من تدعونه ﴿إِلَّآ﴾ أداة استثناء ﴿إِيَّاهُ﴾ في محل النصب على الاستثناء من ﴿مَن﴾ الموصولة، وجملة ﴿ضَلَّ﴾ جواب (إذا) لا محلَّ لها من الإعراب، وجملة إذا معطوفة على جملة قوله: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ﴾ (الفاء) عاطفة على محذوف تقديره: ولما دعوتموه تعالى نجاكم إلى البر ﴿لما﴾ حرف شرط غير جازم ﴿نَجَّىٰكُمۡ﴾ فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة الفعلية فعلُ شرط لـ﴿لما﴾ لا محل لها من الإعراب ﴿إِلَى ٱلۡبَرِّ﴾ جار ومجرور حال من ضمير المخاطبين؛ أي: حَالَةَ كونكم، واصلين إلى البر، أو متعلق بـ﴿نَجَّىٰكُمۡ﴾ ﴿أَعۡرَضۡتُمۡۚ﴾ فعل وفاعل، والجملة جواب ﴿لَمَّا﴾ لاَ

محلَّ لها من الإعراب، وجملة ﴿لما﴾ معطوفة على تلك الجملة المحذوفة، ﴿وَكَانَ﴾ (الواو) استئنافية ﴿كَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ فعل ناقص واسمه وخبره، وجملة ﴿كَانَ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل قوله: ﴿أَعْرَضْتُمْ﴾.

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾.

﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ (الهمزة) للاستفهام الإنكاري داخلة على محذوف، و(الفاء) عاطفة على ذلك المحذوف، ﴿أَمِنتُمْ﴾ فعل وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على تلك الجملة المحذوفة، والتقدير: أنجوتم فأمنتم، والجملةُ المحذوفة جملة إنشائية مستأنفة لا محلَّ لها من الإعراب ﴿أَن يَخْسِفَ﴾ ناصب وفعل منصوب وفاعله ضمير يعود على الله ﴿بِكُمْ﴾ جار ومجرور حال من ﴿جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ ﴿جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ مفعول به: والتقدير أن يَخْسِفَ جَانِبَ البر حَالَة كونه مصحوباً بكم، والجملة الفعلية مع ﴿أن﴾ المصدرية، في تأويل مصدر مجرور، بحرف جر محذوف، تقديره: أفأمنتم من خسف الله تعالى جَانِبَ البَرّ ﴿بِكُمْ﴾ الجار والمجرور متعلق بـ﴿أمنتم﴾ ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾ معطوف على ﴿يَخْسِفَ﴾، وفاعله ضمير يعود على الله ﴿عَلَيْكُمْ﴾ متعلق به ﴿حَاصِبًا﴾ مفعول به ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف ﴿لَا﴾ نافية ﴿تَجِدُوا۟﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿يُرْسِلَ﴾ ﴿لَكُمْ﴾ حال من ﴿وَكِيلًا﴾ لأنه صفة نكرة قدمت عليها ﴿وَكِيلًا﴾ مفعول به لـ﴿وجد﴾ فهو من وَجْدانِ الضالة يتعدى لمفعول واحد.

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾.

﴿أَمْ﴾ منقطعة بمعنى بل، وهمزة الاستفهام الإنكاري ﴿أَمِنتُمْ﴾ فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿أفأمنتم﴾ أو مستأنفة، ويجوز أن تكون ﴿أَمْ﴾ متصلة؛ أي: أي الأمرين كائن ﴿أَن يُعِيدَكُمْ﴾ ناصب وفعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله، ﴿فِيهِ﴾ متعلق بـ ﴿يعيد﴾ ﴿تَارَةً﴾ منصوب على الظرفية الزمانية، متعلق بـ ﴿يعيد﴾ أيضاً ﴿أُخْرَىٰ﴾ صفة لـ﴿تَارَةً﴾، والجملة الفعلية مع أن المضمرة في تأويل مصدر منصوب على المفعولية، والتقدير: أم أمنتم إعادتَه إيَّاكم فيه مرةً

أخرى ﴿فَيُرْسِلَ﴾ (الفاء) عاطفة ﴿يرسل﴾ معطوف على ﴿يعيد﴾ وفاعله ضمير يعود على الله ﴿عليكم﴾ متعلق به ﴿قَاصِفًا﴾ مفعول به ﴿مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ جار ومجرور، صفة لـ﴿قاصفا﴾ ﴿فَيُغْرِقَكُم﴾ (الفاء) عاطفة ﴿يغرقكم﴾ فعل ومفعول معطوف على ﴿يرسل﴾ وفاعله ضمير يعود على الله ﴿بِمَا﴾ (الباء) حرف جر وسبب (ما) مصدرية ﴿كَفَرْتُمْ﴾ فعل وفاعل، والجملة الفعلية صلة (ما) المصدرية (ما) مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ ﴿الباء﴾ الجار والمجرور متعلق بـ ﴿يغرق﴾؛ أي: فيغرقكم بسبب كفركم، ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف ﴿لَا﴾ نافية، ﴿تَجِدُواْ﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿يغرقكم﴾ ﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور حال من ﴿تَبِيعًا﴾ لأنه كان في الأصل صفة لـ ﴿تبيعا﴾ فَقَدّم عليه على حد قول أبي الطيب المتنبي:

لَـوْلاَ مُـفَـارَقَـةُ ٱلأَحْـبَـابِ مَـا وَجَـدَتْ   لَـهَـا ٱلْـمَـنَـايَـا إِلَـىٰ أَرْوَاحِـنَـا سُـبُـلاَ

فقوله: لها متعلق بمحذوف حال من سُبلاً لأنه صفة نكرة، قدمت عليها، ولا يجوز تعلقه بوجدَتْ، لأن وجد لا يتعدى باللام، وإنما يتعدَّى بنفسه، و﴿عَلَيْنَا﴾ متعلق بمحذوف حال من ﴿تَبِيعًا﴾ أيضاً، و﴿به﴾ متعلق بـ ﴿تبيعا﴾ ﴿تَبِيعًا﴾ مفعول لـ ﴿تجدوا﴾، ويجوز أن يتضمن ﴿تَبِيعًا﴾ بمعنى ﴿نَاصِرًا﴾ فيكون ﴿عَلَيْنَا﴾ متعلق به؛ أي: ناصراً علينا، والله أعلم.

التصريف ومفردات اللغة

﴿يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ يقال: نزغَ بينهم من باب نَفَع، إذا أفسد، وأغرى، وَوَسْوَسَ أي يفسدُ ويهيجُ الشر وَالمراءَ بَيْنَهُمْ فلعل المخاشنة بهم تفضي إلى العناد، وازديادِ الفساد، وفي «القاموس»: ونزغه كمنعه طعن فيه، واغتابه ﴿وَكِيلًا﴾، والوكيل: هو المفوض إليه الأمر. ﴿زَبُورًا﴾ والزبور: اسم الكتاب الذي أنزل على داود عليه السلام، وتعريف الزبور تارةً، وتنكيرهُ أخرَى إمَّا لأنه في الأصل فعول بمعنى المفعول، كالحلوبَ أو مصدر بمعناه كالقبور، وإما لأن المرادَ إيتاءُ داود زبوراً من الزبر فيه ذكره ﷺ اهـ.

﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ الزعم بتثليث الزاي: القول المشكوك في صدقه: وقد يُستعمل بمعنى الكذب، حتى قال ابن عباس: كل موضع في كتاب الله ورد فيه

«زعم» فهو كذب ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾؛ أي: لا يستطيعون ﴿كَشْفَ ٱلضُّرِّ﴾ ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾؛ أي: إزالته عنكم، أو تحويلهُ، ونقله عنكم إلى غيركم ﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾ القرب إليه تعالى بالطاعة والعبادة ﴿مَحْذُورًا﴾، أي يحذره، ويحترس منه كل أحد ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: في اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾؛ أي: مكتوباً اسم مفعول من سطر ـ من باب نصر ـ سَطْراً بالسكون، وَسَطِراً بالتحريك، وجمع السطر بالسكون أسطر كفلس، وأفلُس وجمع السطر بالتحريك: أَسْطَارٌ كسَبَب، وأسبَاب ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ﴾؛ والآيات هي ما اقترحته قريش من جعل الصَّفَا ذهباً. ﴿مُبْصِرَةً﴾؛ أي: ذَاتَ بصيرة، لمن يتأملها، ويتفكر فيها ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾؛ أي: فكفروا بها، وجحدوا ﴿أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾، أي: أحَاطت بهم قدرته فلا يستطيعون إيصال الأذى إليك إلا بإذننا ﴿ٱلرُّءْيَا﴾ والرؤيا هي ما عاينه ﷺ لَيْلَةَ أُسري به من العجائب. ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾، أي: المؤذية، وهي شجرة الزقوم، وللعلماءِ في معنى الملعونةَ ثَلاَثَةَ أقوال:

أحدها: المذمومة. قاله ابن عباس.

والثاني: الملعونُ آكلُها، ذكره الزجَّاجُ، وقال: إن لم يكن في القرآن ذكر لَعْنِها، فَفِيهِ لَعْنُ آكلها، قال: والعَرَبُ تقول لكل طعام مكرُوه وضار ملعون، وأما قَوْلُه: ﴿فِي ٱلْقُرْءَانِ﴾ فمعناه التي ذُكِرَتْ في القرآن، وهي مذكورةٌ في قوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾.

والثالث: أن معنى الملعونة المبعدة عن منازل أهل الفضل. ذكره ابن الأنباري.

وفي هذه الشَّجَرَةِ أيضاً ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّها شجرة الزقوم، رواه عكرمة.

والقول الثاني: أنَّ الشَّجَرَةَ الملعونة هي التي تلتوي على الشجر يعني الكُشُوثي، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً. قَالَ الجوهري: الكشوث نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض قال الشاعر:

هُوَ ٱلْكَشُوْثُ فَلاَ أَصْلٌ وَلاَ وَرَقٌ   وَلاَ نَسِيْمٌ وَلاَ ظِلٌّ وَلاَ ثَمَرُ

والقول الثالث: أنَّ الشجرةَ كنايةٌ عن الرجال على ما ذكرنا عن سعيد بن المسيب ذكره ابن الجوزي في «زادِ المسير»، وهي أَخْبَثُ الشجر المرّ، وهي تنبت بتهامة؛ وتَنْبُت فِي الآخرة في أصل الجحيم، أي قَعْرِها، وتكون طَعَامَ أَهْلِ االنار ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾؛ أي: لأستأصلَنَّ ذُرِّيَتَهُ بالإغواءِ منَ احتَنَكَ الجَراد الأرضَ إذا جَرَّد ما عليها أكْلاً مأخوذ من الحنك، وقيل: معنى لأَحْتَنِكَنَّ لأسوقنهم، وأقودنهم حيث شئْتَ من حنك الدابَةَ إذا جَعَلَ الرسن في حَنَكِها، وفي «المختار» حَنَكَ الفرسَ جعل في فِيهِ الرسن، وبابه نَصَرَ، وضَرَبَ، وكذا احتَنَكَه، واحتَنَك الجرادُ الأرضَ أكلَ مَا عَلَيْهَا، وأتى على نبتها، وقوله تعالى حاكياً عن إبليس: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ قال الفراءُ: لأستولين عليهم، والحنك المنقار يقال: أسود مثل حنك الغراب، وأسود حَانِكَ مِثْل حَالك، والحنك ما تحت الذقن من الإنسان وغَيْره، ويقال: حَنَكَ الدابّةَ، واحتنكَهَا إِذَا جَعَلَ في حَنَكِهَا الأسفل حبلا يَقُودها به، كأنه يملكهم كما يملك الفارس فرسه بلجامِهِ ﴿ٱذْهَبْ﴾؛ أي: امض لشأنك، فقد خليتك، وما سولت لك نفسك ﴿مَّوْفُورًا﴾؛ أي: مكملاً لا يدخر منه شيء من قولهم: فر لِصَاحِبِكَ عِرْضَه فرة؛ أي: أَكْمِلْه له، قال الشاعر:

وَمَنْ يَجْعَلِ ٱلْمَعْرُوْفَ مِنْ دُوْنِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ وَمَنْ لاَ يَتَّقِ ٱلشَّتْمَ يُشْتَمِ

﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾ يقال: أفزه الخوف، واستفزه؛ أي: أزعَجَه، واستخفه، وفي «القاموس» «والتاج»: فَزَّ يَفِزُّ فَزّاً من باب شد انفردَ، وفز عنه تنحَّى، وعدلَ واستفزه أزعجه، وأخرجه من داره، وقتله. ﴿بِصَوْتِكَ﴾؛ أي: بدعائك إلى معصية الله ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾ أي: صح عليهم من الجلبة، وهي الصياح، ويقال: أجلب على العدو إجلاباً إذا جمع عليه الخيولَ، والمعنى: صح وصَوِّت عليهم حالَ كونك مُلْتَبِساً، ومصحوباً بجنودك الركاب، والمشاة، والخيل تطلق على النوع المعروف، وعلى الراكبين لها، والمراد هنا الثاني، أعني الفرسانَ كما جاء في قوله ﷺ في بعض غزواته لأصحابه: يا خيل الله اركبي.

وقيل: معنى ﴿أجلب﴾ اجمع، والباء زائدة؛ أي: أجلب عليهم خيلك، واجْمع، وفي «المختار» وجلب على فرسه يجلُب جَلباً بوزن طلب يطلب طَلباً،

صاحَ بِهِ من خلفه، واستحثه للسبق، وكذا أَجْلَبَ عليه اهـ. وهذا يَقْتَضِي زيادةَ الباء، ويكون المعنى عليه، و﴿حث﴾ و﴿أسرع﴾ عليهم جندك خيلاً ومشاةً، لتدرِكَهم، وتتمكن منهم فليتأمل ﴿وَرَجِلِكَ﴾ اسم جمع لراجل بمعنى الماشي، كصحب اسم جمع لصاحب، وقرىء في السبعة، وَرَجِلِكَ بكسر الجيم، وهو مفرد بمعنى الجمع فهو بمعنى المشاة، وفي «القاموس»: الرجلُ الراجل. والرَّاجلُ مَن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْهِ لا رَاكباً، وجمعه رَجْلٌ ورجَّالة، ورجَّالٌ، ورجال، ورجَالِى، ورَجَالَى ورُجْلاَنُ، ويقال: جاءت الخيالة، والرَّجَّالةُ، وأَغَارَ عليهم بَخَيْلِهِ ورَجله، والخيل الخيَّالةُ ﴿غُرُورًا﴾، والغرور: تزيين الباطل بما يظن أنه حق ﴿وَكِيلًا﴾ والوكيل: الحافظ، والرَّقيب ﴿يُزْجِى﴾؛ أي: يسوق حِيناً بعد حين يجري، ويَسِيرُ وَفي «القاموس» زجاه ساقه، ودَفَعَه كزجاه، وأزجاه اهـ. ومنه قول الشاعر:

يَا أَيُّهَا ٱلرَّاكِبُ ٱلْمُزْجِيْ مَطِيَّتَهُ   سَائِلْ بَنِيْ أَسَدٍ مَا هَذِهِ ٱلصَّوْتُ

﴿لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾، وفي «المختار» الفلك السفينة، واحدٌ وجَمْعٌ يذكَّر ويؤنث قال الله تعالى: ﴿فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ فأفردَ، وذَكَّر، وقال: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ﴾ فأنَّث، ويحتمل الإفرادَ، والجمعَ، وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ فَجَمَعَ فكأنَّه يُذهَبُ بها إذا كانت واحدةً إلى المركب، فيُذكَّر، وإلى السفينةِ فيؤنث اهـ. ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾، والمراد بالضر هنا: خوف الغرق بتقاذف الأمواج ﴿ضَلَّ﴾؛ أي: غَابَ عن ذكركم ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾، والخسف: والخسوف دخول الشيء في الشيء، يقال: عين خَاسِفَةٌ إذا غابت حَدَقَتُها في الرأس، وعين من الماء خاسفة؛ أي: غائرة الماءِ، وخسفت الشمس؛ أي: احتجبت، وكَأَنَّهَا غَارَتْ في السحاب. ﴿حَاصِبًا﴾ الْحَاصِب: الريح الَّتِي تحصب؛ أي: ترمي بالْحَصْبَاءِ والحصباء: الْحِجَارة الصغيرة، واحدتها حصبة كقصبة، وفي «المصباح»: وحصبته حصباً من بَابِ: ضَرَب، وفي لغة منْ باب قتل رميته بالحَصْبَاءِ اهـ قال أبو عبيدة والقتيبي: الحصب الرمي، أي: ريحاً شديدة حاصبة، وهي التي تَرْمي بالحصى الصغار، وقال الزجاج: الحَاصِب التُّرَابُ الذي فيه حصباءُ فالحاصبُ ذو الحصباء كاللابن، والتَّامر، ويقال للسحابة التي ترمِي بالبَرَد

حاصبٌ، ومنه قول الفَرَزْدَق:

مُسْتَقْبِلِيْنَ جِبَالَ ٱلشَّامِ تَضْرِبُنَا بِحَاصِبٍ كَنَدِيْفِ ٱلْقُطْنِ مَنْثُوْرُ

﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ بمعنى مَرَّة، وكرَّةً فهو مصدر، ويُجْمَعُ على تيْرَة، وتارات، وألفها يَحْتَمِلُ أَنْ تكُون عن واو أو عن ياء اهـ سمين ﴿قَاصِفًا﴾ والقاصفُ: الرّيح تَقْصِفُ الشَّجَرَ وتكسره يقال: قَصَفَه يَقْصِفه من باب ضرب يضرب وَقيل: القاصف الريح التي لها قصيف، وهو الصوت الشديد، كأنها تتقصف؛ أي: تَتَكَسَّرُ، وقيل: التي لا تَمُرُّ بشيء إلاَّ قَصَفَتْهُ. ﴿تَبِيعًا﴾ التَّبِيعُ ـ كأمير ـ: المطالب قال الشماخ: يصف عُقَاباً:

تَلُوْذُ ثَعَالِبُ ٱلشَّرْقَيْنِ مِنْهَا كَمَا لاَذَ ٱلْغَرِيْمُ مِنَ ٱلتَّبِيعِ

أي: تهرب منها ثَعالب الشرقَين ـ بمعنى المُشْرِقينَ ـ كما هرب، والتجأ الغريمُ؛ أي: المدين من التبيع؛ أي: الدَّائِنِ المطالب.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديعِ:

فمنها: الإضافة للتشريف في قوله: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾؛ لأن المرادَ بهم المؤمنونَ.

ومنها: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾؛ لأَنَّ مُقْتَضَى السّيَاقِ أن يقال: إنه.

ومنها: الاعتراض بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ...﴾ إلى آخر الآية بين قوله: ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ﴾، وقوله: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْۖ﴾ لأن قوله: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْۖ﴾ بيان لـ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ﴾.

ومنها: الطباق بين ﴿يَرْحَمْكُمْ﴾ و﴿يُعَذِّبْكُمْۚ﴾.

ومنها: التخصيص في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ بعد التعميم في قوله:

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ رَداً على اليهود، حيثُ زَعَمُوا أنه لا نبي بعد موسى، ولا كِتَابَ بعد التوراة.

ومنها: الإيجازُ بالحذف في قوله: ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾؛ أي: ولا تحويلَ الضرّ عنكم إلى غيركم، لدلالة ما قبله عليه.

ومنها: المقابلة اللَّطيفة بين الجملتين ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾، ويَخَافُونَ عذابه.

ومنها: الإظهار في قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ﴾ للتهويل، وكان مُقْتضى المقام أن يقال: إنه لتقدم المرجع.

ومنها: الإسناد المجازي في قوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ...﴾ الخ؛ لأنَّ المنع هنا مجاز عن الترك؛ لأنه محال في حقه تعالى؛ لأنه سبحانه لا يمنعه مانع عن إرادته، فكأنه قال: وما كان سَبَبُ ترك الإرسال بالآيات إلاَّ تَكْذِيبَ الأولين.

ومنها: المجاز العقليُّ في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ لأنه لما كانت الناقة سبباً في إبصارِ الحق، والهدى نسبَ إليها الإبصارُ، ففيه مجاز عَقْليٌّ علاقته السببية.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ حيث شبه الرؤيَةَ البصريَّةَ بالرؤيا الحُلْمية، لما فيها من الخَوَارِقِ التي هي بالمنام أليق في مجاري العادات، فاستَعارَ لها لفظ الرؤيا الَّتي هي حقيقةٌ في الحلمية على طريقة الاستعارة التَّصْرِيحِيةِ الأصلية.

ومنها: الجناس المغايِرُ بَيْنَ لَفْظَيْ ﴿ٱلرُّءْيَا﴾ و﴿أَرَيْنَٰكَ﴾.

ومنها: الإسناد المجازيُّ في قوله: ﴿ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ لأنَّ المعنى: الملعونُ طاعمها.

ومنها: المجاز المرسل في استعمال الرؤية بمعنى الإخبار في قوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ لأنها سببه، فالعلاقة فيها السببية.

ومنها: الاستعارة التمثيليةُ في قوله: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ حيث مثل حال الشيطان في تسلطه على من يغويه بالفارس الذي يصيح بجنده للهجوم على الأعداءِ لاستئصالهم.

ومنها: الالتفات عن الخطاب إلى الغيبة في قوله: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: وما تعدهم إلا غروراً، ولكنه عدل عن ذلك تهويناً لأمره، واستصغاراً لأمر الغرور الذي يعدهم به.

ومنها: المجاز العقلي في نسبة الغرور، إلى الوعد على حد قوله: نهاره صائم، وليله قائم.

ومنها: التذييل في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾؛ لأنه كالتعليل لِمَا سَبَقَ من تسيير السفن، وتسخيرها في البحر.

ومنها: الاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾، وفي قوله: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضِعَ.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾﴾.

المناسبة

قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها[١]: أنَّ اللَّهَ سبحانه وتعالى لما ذكر ما امتنَّ به عليهم من إزجاء الفلك في البحر، ومن

---

(١) البحر المحيط.

تنجيتهم من الغَرَقِ. . تمم ذكرَ المِنَّة بذكر تكرمتهم، ورزقهم، وتفضيلهم. أو يقال: لما هددهم بما هدد به من الخسف، والغرق، وأنهم كافرو نعْمَتِه. . ذَكَرَ ما أنعم به عليهم، لِيَتَذَكَّرُوا فَيشَكَرُوا نعَمَهُ ويقلعوا عما كانوا فيه من الكفر، ويطيعوه تعالى، وفي ذكر النّعَمِ وَتَعْدَادِها هز لشكرها؛ أي: حَثٌّ على شكرها.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ. . .﴾ الآية، مُنَاسَبَةُ هذه الآية لما قبلها: أَنَّ اللَّهَ سبحانَه وتعالى[1]، لما ذكر أحوال بني آدم في الدنيا، وذكر أنه أكرَمَهم على كثير من خلقه، وفَضَّلَهُم عليهم تَفْضِيلاً. . فَصَّل في هذه الآيات تَفَاوُتَ أحوالهم في الآخرة مع شرح أحوال السعداءِ، ثم أَرْدَفَه ما يجري مجرى تحذير السعداء من الاغترار بوساوس أرباب الضَّلالِ، والانخداع بكلامهم المشتمل على المكر، والتلبيس ثُمَّ قفى على ذلك ببيان أنَّ سنَّتَه قد جَرَتْ بأن الأمم التِي تُلجِىءُ رُسلَها إلى الخروج من أرْضِها، لا بدَّ أن يُصِيبَها الوبال والنكال.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ. . .﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه تعالى لمَّا عدد نعمه على بني آدم، ثُمَّ ذَكَر حالهم في الآخرة من إيتاء الكتاب باليمين لأهل السعادة، ومِنْ عَمَى أهل الشقاوة. . أَتْبَع ذَلِكَ بما يهم به الأشقياءُ في الدنيا من المكر والخداع، والتلبيس على سيّد أهل السعادة المقطوع له بالعصمة، ذكره في «البحر».

قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ. . .﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لِمَا قَبْلَها[2]: أن الله سبحانه وتعالى لَما ذَكَر كَيْدهم للرسول ﷺ وَمَا كانُوا يرومونَ به. . أَمَرَهُ الله سبحانه وتعالى أن يُقْبِل على شأنه من عبادة ربه، وأن لا يشغل قلبه بهم، وكان قد تقدَّم القول في الإلٰهيات، والمعادِ، والنبوات، فأردفَ ذلك بالأمر بأَشْرفِ العبادات والطاعات بعد الإيمان، وهي الصلاة.

---

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

وعبارة المراغي هنا: مناسبةُ هذه الآيات لِمَا قَبْلَهَا: أَنَّ الله سبحانه وتعالى لمَّا ذَكَر[1] كَيْدَ الْكُفَّارِ واستفزازهم لرسول الله ﷺ ليخرجوه مِن أَرْضه، وسلاَّه بما سلاَّه به.. أمرهُ بالإقبال على رَبِّه بعبادته، لينصره عليهم، ولا يبالِيَ بسعيهم، ولا يلتفت إليهم، فإنه سبحانه يَدْفَع مكرهم، وشرَّهم، ويجعلُ يدَه فوق أيديهم، ودِينَه عَالِياً على أديانهم، ثُمَّ وَعَدَه بما يغبطه عليه الخلق أجمعون من المقام المحمود، ثُمَّ بَيَّن أن ما أُنزِلَ عليه من كتاب ربه فيه الشفاءُ للقلوب من الأدواء النفسية، والأمراض الاعتقادية، كما أنه يزيد الكافرين خسارة وضلالاً، لأنه كلَّما نزلت عليه آية ازدَادوا بِهَا كُفْراً وعتواً.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالَى لما ذكر تنويعَ ما أنزلَ من القرآنِ شفاء ورحمة للمؤمن، وبزيادة خَسار للظالمِ.. عرَّض بما أنعم به، وما حَوَاهُ من لطائف الشرائع على الإنسان، ومع ذلك أَعْرَض عنه، وبَعَّد بجانبه عنه اشمئزازاً له، وتكبراً عن قرب سماعه، وتبديلاً مَكَانَ شكر الإنعام كفره.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أَنَّ الله سبحانه وتعالى لما[2] امتنَّ على نبيه بما أنزلَ عليه من الكتاب، وذكر أنه شفاء للناس، وأنه ثبته عليه حين كادوا يفتنُونه عنه، ثُمَّ أردَفَهُ بمسألة الروح اعتراضاً، لأَنَّ الْيَهُودَ والمشركين اشتغلوا بِهَا عن تدبر الكتاب والانتفاع به، وسألوا تعنتاً عن شيء لم يأذن الله بالعلم به لعباده.. امْتَنَّ عليه بِبَقاءِ ذلك الكتاب، وحذَّرهُ من فتنة الضالين، وإرجافِ المرجفِينَ، وهو المعصوم من الفتنة، فإنَّه لو شاء لأَذْهب ما بقلبه منه، ولكن رحمة بالناس تَرَكَهُ في الصدور، وفي هذا تحذيرٌ عظيم للهداة والعلماء، وهم غير معصومين من الفتنة بأن يُباعِدَ بينهم وبين هدي الدين بمظاهرَتهم للرؤساء، والعامة، وتركهم العمل به اتباعاً لأهوائهم، واستبقاء لودهم، وحفظاً لزعامتهم على الناس.

---

(١) المراغي. (٢) المراغي.

ثم ذكر أنَّ القرآنَ وحيٌ يوحى فلا يستطيع الجن والإنس أن يأتوا بمِثْلِهِ، ولو كان بعضُهم لِبَعْضٍ مُعِيناً، وقد اشتمل على الحِكَمِ والأحكام، والآداب التي يحتاج إليها البشر في معاشهم، ومعادهم، وكثيرٌ من الناس جحدوا فضله عتواً وكِبْراً.

قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنَّ اللَّهَ سبحانه وتعالى لَما ذكر[1] إنعامَه على نبيه ﷺ بالنبوة، وبإنزال وَحْيه عليه.. ذكَرَ ما منَحَهُ تعالى من الدليل على نبوته الباقي بقاء الدهر، وَهو القرآن الذي عجز العالم عن الإتيان بمثله، وأَنَّهُ من أكبر النعم عليه، والفضل الذي أَبْقَى له ذكراً إلى آخر الدهر، وَرَفع لَهُ قَدْراً به في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أَنَّ اللَّهَ سبحانه وتعالى، لما[2] أقام الدليل على إعجاز القرآن، ولَزِمَتْهُم الحجة، وغلبوا على أمرهم.. أَخَذوا يُراوِغُونَ، ويقترحون الآيات، ويتعثرون في أذيال الحيْرةِ، فطلبوا آيةً من آيات ست، فإنْ جاءهم بآيةٍ منها، آمنوا به وصدَّقوا برسالته.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ...﴾ الآياتْ، سبب نُزولها[3]: ما أخرجه ابن مردويه، وابن أبي حاتم، من طريق إسحاق عن محمد ابن أبي محمد عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: خرج أميَّةُ بن خلف، وأبو جهل بن هشام، ورجال من قريش، فأتوا رسولَ اللهِ ﷺ فقالوا: يا محمد، تعالى تَمَسَّحْ بآلهتنا، وندخل معك في دينك، وكان يحب إسلام قومه، فرقَّ لهم، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل قوله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ إلى قوله: ﴿نَصِيرًا﴾.

---

(١) البحر المحيط.

(٢) المراغي.

(٣) لباب النقول.

قلت: هذا أصحُ ما ورد في سبب نزولها، وإسناده جيد، وله شاهد.

وعن سعيد بن جبير، قال: كان النبي ﷺ يستلمُ الحَجر الأسودَ في طوافه، فمنعته قريش، وقالوا: لا نَدَعُكَ تَسْتَلِمُ حتى تُلِمَّ بآلهتنا، فحدَّث نفسه، وقال: «ما علي أنْ أُلِمَّ بها بعد أن يَدْعُوني أستلمُ الحجرَ، والله يَعْلَمُ إني لها كاره»، فَأَبَى اللَّهُ ذلك، وأنزلَ عليه هذه الآيةَ.

قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى...﴾ الآية، سبب نزولها[1]: ما أخرجه الترمذي عن ابن عباس، قال: كان النبي ﷺ بمكة، ثم أمر بالهجرة، فَنَزَلَتْ عليه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾، وهذا صريحٌ في أنَّ الآية مكية، وأخرجه ابن مردويه بلفظ أصْرحَ منه.

قولهُ تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ...﴾ الآية، سبب نزولها[2]: ما أخرجه البخاري عن ابن مسعود، قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ بالمدينة، وهو متوكِّىء على عسيب، فمر بنفر من اليهود، فقال بعضُهم لبعض: سلوهُ عن الروح، وقال بعضُهم: لا تسألُوهُ، لا يجيىء فيه بِشَيْءٍ تكرهونه، فقال بعضُهم: لَنَسْألَنَّه، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكَتَ فقلتُ: إنه يُوحَى إليه، فلما انجلَى عنه قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾، قال الأعمش: هي كذا قراءتُنَا.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قالتْ قريش لليهود: علمُونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل، فقالُوا: سلوهُ عن الروح، فنزلَتْ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾.

قالوا: نحن لم نؤت من العلم إلاّ قليلاً، وقد أوتينا التوراة فيها حكم الله، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً، فنزلت ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ قال الحافظ بن كثير

(١) لباب النقول. (٢) البخاري.

(ج٣/ ص٦٠) في الكلام على الحديث الأول: وهذا الحديث يقتضي فيما يظهر باديء الرأي أن هذه الآية مَدَنِيةٌ، وأنها نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة، مَعَ أَنَّ السورة كلها مكية. وقد يجاب عن هذا بِأَنَّها قَدْ تَكُون نَزَلَتْ عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك، أو أنه نزل عليه الوحي بأن يجيبهم عما سألوه بالآية المتقدم إنزالها عليه، وهي هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟...﴾ الآية، سبب نزولها: ما أخرجه[1] ابن إسحاق، وابن جرير من طريق سعيد، أو عكرمة عن ابن عباس قال: أتى النبيَّ ﷺ سلاَّمُ بن مشكم في عامة من يهود، سماهم، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركتَ قبلَتَنا، وإنَّ هَذَا الذي جئتَ بهِ لا نراه مُتَناسِقاً كما تناسق التوراة، فأنزِلْ علينا كتاباً نعرفه، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به، فَأَنْزَلَ الله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا...﴾ الآيات، سبب نزولها[2]: ما أخرجه ابن جرير من طريق ابن إسحاق، عن شيخ من أهل مصر، عن عكرمة عن ابن عباس، أَن عُتْبَةَ وشَيبَةَ ابني ربيعةَ، وأبا سفيان بن حرب، ورجلاً من بني عبد الدار، وأبا البحتريّ والأسودَ بن عبد المطلب، وربيعة بن الأسود، والوليدَ بن المغيرة، وأبَا جهل، وعبدَ الله بن أبي أمية، وأميةَ بن خلف، والعاص بن وائل، ونبيها ومنبها ابني الحَجَّاج اجتمعوا فقالوا: يا محمدُ: ما نَعْلَمُ رجلاً من العرب أَدْخَلَ على قومه ما أدْخَلْتَ على قومك، لقد سببت الآباءَ، وعبت الدِّينَ، وسفَّهْتَ الأَحْلاَمَ، وشَتَمْتَ الآلِهةَ، وفرقت الجماعةَ، فما من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك، فإن كُنتَ إنما جِئْت بهذا الحديث تريد مالاً جَمَعْنَا لك من أموالنا حتى تكون أَكْثَرَ مالاً، وإن كنت إنما تَطْلُب الشَّرَفَ فينا.. سوَّدناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتِيكَ رُبَّمَا يأتيك رئياً تراه قَدْ غلبَ، بذلنا أموالَنا

(١) لباب النقول.

(٢) لباب النقول.

في طلب العلم، حَتَّى نُبْرِئَك منه، فقال رسول الله ﷺ: «ما بي ما تقولون، ولكن اللهَ بَعثني إليكم رَسُولاً، وأنزل عليَّ كتاباً، وأَمرنِي أن أَكُونَ لكم مبشراً، ونذيراً» قالوا: فإن كُنْتَ غَيْرَ قَابل مِنّا ما عَرَضْنَا عليك، فقد علمتَ أَنَّهُ ليس أحد من الناس أضيق بلاداً منَّا، ولا أقلَّ مالاً، ولا أشدَّ عيشاً منا، فلتسألْ لنا ربك الذي بعثك، فليسير عنَّا هذه الجبالَ التي ضيقت علينا، ولْيَبْسطَ لنا بِلاَدَنا، وليجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لَنَا مَنْ قَدْ مضى من آبائنا، فإن لم تفعل.. فَسَل رَبَّك ملكاً يُصدِّقُك بما تقول وأن يجعل لنا جِناناً وكُنوزاً وقُصوراً من ذهب وفضة، نُعِينُك بها على ما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق، وتَلْتَمِسُ المعاشَ، فإن لم تفعل فأَسْقِط السماء كما زعمْت أنَّ ربك إن شاء فعل، فإنا لن نؤمن لك إلا أن تفعل، فقام رسول الله ﷺ عنهم، وقام معه عبدُ اللّهِ ابن أبي أمية، فقال: يا محمد، عرض عليكَ قَوْمَكَ ما عرَضُوا، فلم تَقْبَلْهُ منهم، ثُمَّ سَأَلُوكَ لأنفسهم أموراً لِيعرفوا بها منزلتَك من الله، فلم تَفْعَلْ ذلك، ثُمَّ سألوك أن تُعجّل ما تخوفهم به من العذاب، فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماءِ سلماً، ثُمَّ ترقى فيه، وأنا أنظر، وحتى تأتي معك بنسخة منشورة، ومعك أربعة من الملائكة، فيشهدوا لَكَ أَنَّكَ كما تقول: فانصرفَ رسول الله ﷺ حزيناً، فَأَنْزَلَ الله عليه ما قاله عبد الله ابن أبي أمية ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ إلى قوله: ﴿بَشَرًا رَّسُولًا﴾.

التفسير وأوجه القراءة

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾؛ أي: وعزتي، وجلالي، لقد شرفنا بني آدم قاطبة، وكرمناهم في أنفسهم تَكْرِيماً شاملاً لبرهم وفاجرهم، بالصورة[1] والقامة المعتدلة، والتسلط على ما في الأرض، والتمتع به، والتمكن من الصناعات، والعلم والنطق، وتَنَاوُل الطعام باليد، وغير ذلك. قال ابن عباس: هو أنهم يأكلون بالأيدي، وغيرُ الآدمي يأكل بفيه من الأرض، وقال أيضاً: بالعقلْ،

(١) المراح.

وقيل: أكرم الرّجالَ باللحى، والنساء بالذوائب، ولا مانع من حمل التكريم المذكور في الآية على جميع هذه الأشياء، وأعظم[1] خصال التكريم العقل، فإنَّ به تسلطوا على سائر الحيوانات، ومَيَّزوا بَيْنَ الحَسَنِ والقبيح، وتوسعوا في المطاعم، والمشارب، وكَسَبوا الأَمْوَال التي تسببوا بها إلى تحْصِيل أمور لا يقدر عليها الحيوان، وبه قدروا على تحصيل الأبنية التي تَمْنَعُهُم مما يخافون، وعلى تحصيل الأكسية التي تقيهم الحر والبرد، وقيل: تكريمهم، هو: أن جَعَل محمداً ﷺ منهم.

﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي ٱلْبَرِّ﴾ على الدواب والقطر والسيارات ﴿و﴾ في ﴿ٱلْبَحْرِ﴾ على البواخر، والسفن وفي الهواء على الطائرات، والمطاود واحدها منطاد، وهذا تخصيص لبعض أنواعِ التكريم ﴿وَرَزَقْنَاهُم﴾؛ أي: أعطيناهم ﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ﴾؛ أي: من لذيذ المطاعم، والمشارب، وسائر ما يستلذونه وينتفعون به، ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ هم ﴿تَفْضِيلًا﴾ عظيماً؛ أي: على كثير من الخلق بالغلبة، والشرف، والكرامة، فعليهم أن لا يُشْرِكوا بربهم شيئاً، ويرفضوا مَا هُم عليه من عبادة غيره من الأصنام والأوثان، والمراد بالكثير من عدا الملائكة عليهم السلام.

واعلم:[2] أنَّ اللَّهَ سبحانه وتعالى قال في أوَّل الآية: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾، وفي آخرها ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ﴾ وَلا بدَّ من الفرق بين التكريم والتفضيل، وإلا لزمَ التكرار، والأقرَبُ أَنْ يقال في الفرق: أَنَّ الله سبحانه وتعالى كرم الإنسانَ على سائر الحيوان بأمور خَلْقيَّةٍ، ذاتية طبيعيةٍ، مثلُ: العقل والنطق، والخط، وحسن الصورة.

ثم إنه سبحانه عَرَّفَه بواسطة ذلك العقل والفهم اكتسابَ العقائد الصحيحة، والأخلاق الفاضلة، فالأولُ: هو التكريم، والثاني: هو التفضيل.

---

(١) الشوكاني.

(٢) الخازن.

والخلاصة: أن في الآية حثاً للإنسان على الشكر، وألا يشركَ بربه أحداً؛ لأنه سخر لَهُ ما في البر والبحر، وكلأه بحسن رعايته، وهداه إلى صنعة الفُلْكِ لتجري في البحر، ورزقه من الطيبات وفضله على كثير من المخلوقات.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾؛ أي: اذكر يا محمد لأمتك، أهوالَ يوم نَدْعُو كل أناس بإمامهم؛ أي بكتابهم الذي فيه أعمالهم، التي قدَّموها، ولا ذكرَ للأنساب حينئذٍ؛ لأنها مقطوعة، فلا يقال: يا ابن فلان، فيقال: يا أصحابَ كتاب الخير، ويا أصحاب كتاب الشر، كما قال تعالى: ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾.

والخلاصة[1]: أن المعوَّل عليه يومئذٍ الأعمال، والأخلاق، والآراء، والعقائد النفسية، التي تغرس في النفوس، لا الأنسابُ؛ لأن الأولى باقية، والثانية فَانِيَةٌ، ويؤيد هذا قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ وعلى هذا القول ابن عباس، وقتادةُ، والضحاك، وقيل[2]: معنى ﴿بِإِمَامِهِمْ﴾؛ أي: بمن اقتدوا به؛ أي: بنبيهم كأن يقال: يا أمة إبراهيم، يا أمةَ موسى؛ يا أمة عيسى، يا أمة محمد، فيقوم أهل الحقّ الذين اتَّبعوا الأنبياء، فيأخذون كتُبَهُم بأيمانهم، وَكَأن يقَالَ: يا أتباعَ فرعون، يا أتباعَ نمروذ، يا أتباع أبي جهل، وبه قال الزجاج، وقال الضحاك، وابن زيد: بإمامهم أي بكتابهم الذي أنزل عليهم فينادى في القيامة يا أهل القرآن، يا أهل التوراة، يا أهل الإنجيل، وقيل: بمذاهبهم، فيقال: يا حَنفِي، يا شافعيُّ، يا معتزليُّ، يا قدريُّ، ونحو ذلك.

وقرأ الجمهور[3]: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا﴾ بنون العظمة، وقرأ الحسن ومجاهد ﴿يدعو﴾ بياء الغيبة؛ أي: يدعو الله، وقرأ أبو عمران الجونيُّ ﴿يوم يُدعى﴾ بياء مضمومة، وفتح العين، وبعدها ألف «كل» بالرفع على أنه نائب فاعل ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾؛ أي: فمن أُعطي صحيفة أعماله ﴿بِيَمِينِهِ﴾؛ أي: من جهة يمينه،

---

(١) المراغي.

(٢) المراح.

(٣) البحر المحيط.

وهم السعداءُ، وفي إيتاء الكتاب من جهة اليمين تشريف لصاحبه، ﴿فَأُولَٰٓئِكَ﴾ الجمع باعتبار معنى (من) قيل: ووجه الجمع الإشارةُ إلى أنهم مجتمعون على شأن جليل، أو الإشعار بأن قِراءَتِهم لكتبهم تكون على وَجْه الاجتماع، لا عَلَى وجه الإنفراد، ﴿يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ الذي أوتوه قراءة ظاهرةً مسرورين، فرحينَ بما فيه من الحسنات، ونحو الآية قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾، أي: لا ينقصون من أجور أعمالهم المرتسمة في كتبهم، ﴿فَتِيلًا﴾؛ أي: قدر فتيلٍ بل يؤتونها مضاعفة، والفَتِيل هو ما يفتل بين أصبعين من الوسخ، أو القشرة التي في شَقِّ النواة، أو أدنى شيءٍ، فإنَّ الْفَتِيل مثل في القلة والحقارة، وقد ثَبَتَ في علم الكيمياءِ أَنَّ وَزْنَ الذَّرَّاتِ التي تَدْخُل في كل جسم بنسب مُعَيَّنَة، فلو أنَّ ذرة واحدةً في عنصر من العناصر الداخلةِ في تركيب؛ أي: جسم من النبات، أو الحيوان أو الْجَماد نقصت عن النسبة المقدَّرةِ لتكوينه لم يتكون ذلك المَخْلُوقُ، وخالق الدنيا هو خالق الآخرة، فالظُّلم مستحيل هناك، كما استَحَالَ هنا في نظم الطَّبِيعَةِ، فما أجلَّ قدرةَ الله سبحانه، وما أعظم حكمته في خلقه.

ولم يَذْكُرِ الأشقياءَ، وإن كانوا يقرؤون كتبَهم أيضاً، لأنهم إذا قرؤوا ما فِيهَا لم يفصحوا به خوفاً وحَياء، وليس لهم شيء من الحسنات ينتفعون به، ولكنه سبحانه ذكر ما يدل على حالهم القبيح فقال: ﴿وَمَن كَانَ﴾ من المدعوين المذكورينَ ﴿فِى هَٰذِهِۦٓ﴾ الدنيا ﴿أَعْمَىٰ﴾؛ أي: أعمى القلب لا يهتدي إلى رشده، ﴿فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ لا يَرى طريقَ النَّجاة، ويستولي الخوف والدهشة على قلبه، فيثقل لسانه عن قراءة كتابه ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ أي: بل هو أخطأ عن سبيل النجاة في الآخرة من الأعمى في الدنيا، لِزوال الاستعداد، وتعطل الأسباب والآلات، وفقدان المُهلة.

قال النّيسابوري[1]: لا خلاف أن المرادَ بِعَمى الدنيا عمى القلب، وأما

---

(١) الشوكاني.

قوله: ﴿فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ فيحتمل أن يُرادَ به عمى البصر كقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾، وفي هذا زيادة العقوبة، ويحتملُ أن يراد عمى القلب، وقيل: المراد بالآخرة عمل الآخرة؛ أي: فهو في عمل، أو في أمر الآخرة أعمى، وقيل: المُرادُ من عميَ عَن النعم التي أنعم الله بها عليه في الدنيا، فهو عن نعم الآخرة أعمى، وقيل: مَنْ كَانَ في الدنيا التي تقْبَلُ فيها التوبة أعمى فهو في الآخرة التي لا تَوْبَةَ فيها أعمى، وقيل: مَنْ كان في الدنيا أعمى عن حجج الله، فهو في الآخرة أعمى، وقد قيل: إنَّ قوله: ﴿فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ أفعل تفضيل، أي: أشد عمى، وهذا مبنيٌّ على أنه من عمى القلب إذ لا يقال ذلك في عمى العين.

والمعنى: أي[1] ومن كان في دار الدنيا أعمى القلب لا يبصر سبل الرشد، ولا يتأمَّلُ حجَجَ الله وبيناته التي وضعها في صَحيفة الكَوْنِ، وأمر بالتأمل فيها فهو في الآخرة أعْمَى لا يرى طريق النجاة، وأضلُّ سبيلاً منه في الدنيا؛ لأنَّ الرُّوحَ الباقِيَ بعد الموت، هو الروح الذي كان في هذه الحياة الدنيا، وقد خرج من الجسم، وكأنه وُلِدَ منه كما تلد المرأة الصبيَّ، وكما يُثمر النَّخْل الثمر، والأشجار الفواكهَ، وما الثمرُ والفواكهُ إلا ما كان من طباعِ الشجرة فهكذا الروحُ الباقي هو هذا الروح نفسُه، قد خرج بجميع صفاته، وأخلاقه، وأعماله، فهو ينظر إِلَى نَفْسِهِ، وينفر أو ينشَرِحُ بحسب ما يَرى، وما الثمر إلا بحسب الشجر، فإذا كان هنا ساهياً لاهياً، فهناك يكون أكثرَ سهواً ولَهْواً، وأبعدَ مُدىً في الضلال لأنَّ آلات العلم والعمل قد عُطِّلَتْ، وبقي فيه مناقبهُ ومثالبُه، ولا قدرةَ على الزيادة في الأولى ولا النَّقْصِ في الثانية. وقرأ[2] حمزة، والكسائي وخلفٌ وأبو بكر عن عاصم ﴿أعمى﴾ في الموضعين بالإمالة؛ أي: بكسر الميم، وقرأ يعقوب، وابن كثير، ونافع، وابن عامر ﴿أعمى﴾ في الموضعين بفتح الميم؛ أي: بغير إمالة، وقرأ أبو عمرو ﴿في هذه أعمى﴾ بكسر الميم؛ أي: بالإمالة ﴿فَهُوَ فِي

(١) المراغي.

(٢) زاد المسير.

﴿ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ بفتحها مفخَّماً؛ أي: بغير إمالة[1]؛ لأن أفعل التفضيل تمامه بمن كانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلمة، فلا يقبل الإمالة، وأما الأول فلم يتعلق به شيء، فكانت ألفه واقعة في الطرف، فقبلت الإمالة.

وبعد أَنْ ذَكَرَ سبحانه درجات الخَلْقِ في الآخرة، وشرح أحوال السعداء، أردفه بتحذيرهم من وساوس أرباب الضلال والخديعة بمكرهم، فقال: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ و(إن) مُخَفَّفَةٌ من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، واللام هي الفارقة بينها وبين إن النافية؛ أي: وإنَّ الشَّأْنَ والحالَ قد قارَبَ المشركون بخداعهم أَنْ يوقعوك في الفتنة بصَرْفِكَ ﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾؛ أي: عما أوحيناه إليك من الأحكام من الأمر والنهي والوعد والوعيد ﴿لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾؛ أي: لتختلق وتَتَقَوَّلَ وتكذب علينا غير الذي أوحيناه إليك، مِمَّا اقْتَرَحُوا عليك. ﴿وَإِذًا﴾؛ أي: ولو اتبعت أهواءَهم، وفعلت ما طلبوا منك، وعزتي وجلالي ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ﴾؛ أي: لجعلوك ﴿خَلِيلًا﴾؛ أي: صديقاً، ووليّاً لهم، وكنتَ وليّاً لهم، وخرجْتَ عن ولايتي، و(إذاً) حرف جواب وجزاء، يقدَّر بـ(لو) الشرطيةِ كما أشرنا إليه في الحل، وعبارة «السَّمين»: (إذاً) حَرْفُ جواب وجزاء، ولهذا تقع أداةَ الشرط موقعها، وقوله: ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ﴾ جواب قسم محذوف، تقديره؛ أي: وإن افتَتَنْتَ وافْتَرَيْتَ والله لاتخذوك، وهو مستقبل في المعنى، لأن إذاً تقتضي الاستقبال إذ معناها المجازاة، وقوله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾؛ أي: في[2] ظنّهم لا أنهم قَارَبُوا إذ هو عليه السلام مَعْصُومٌ أن يقاربوا فتنتَه عمَّا أوحي إليه، وتلك المقاربة في زَعمهم سَبَبُها رجَاؤهم أن يَفْتَرِي على الله غيرَ ما أوحَى الله إليه، من تبديل الوعد وعيداً، أو الوعيد وعداً، ذكره أبو حيان.

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾؛ أي: ولولا تَثْبِيتُنَا إياكَ على الحق وعِصْمَتُنَا لك عما دَعَوْكَ إليه موجود ﴿لَقَدْ كِدتَّ﴾ وَقارَبْت ﴿تَرْكَنُ﴾ وتَمِيل ﴿إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: إلى مرادهم ﴿شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ من الركون الذي هو أدنَى مَيْلٍ فَنَصْبُه على المصدرية؛ أي:

---

(١) النسفي. (٢) البحر المحيط.

لقاربت[1] أن تميل إلى اتبَاعِ مُرادهم شيئاً يسيراً من الميل اليسير، لقوة خداعهم، وشدة احتيالهم، لكن أدركتك العصمةُ فمنعتك من أن تقرب من أدنى مراتب الركون إليهم، فضلاً عن نفس الركون، وهذا صريحٌ في أنه عليه السلام ما همَّ بإجابتهم مع قوة الداعي إليها، ودليلٌ على أنَّ الْعِصْمَة بتوفيق الله وعنايته وحفظه، وقرأ قتادة، وابن أبي إسحاق، وابنُ مُصَرّف ﴿تركن﴾ بضم الكاف مضارع ركن بفتحها.

وخلاصة ذلك: أنك كُنْتَ على أهبة الرُّكون إليهم، لا لضعف منك، بل لشدة مبالغتهم في التحيُّل والخداع، ولكن عنايتنا بك مَنَعَتْكَ أَنْ تقرب من الركون فَضْلاً عن أَنْ تركن إليهم، ثم توعَّده على ذلك أشدَ الوعيد، فقال: ﴿إِذًا﴾؛ أي: لو قاربت أن تركَنَ إليهم أدنى رَكْنَةٍ والله ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ﴾ يا محمَّد ﴿ضِعْفَ﴾ عذاب ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾؛ أي: الدنيا ﴿وَضِعْفَ﴾ عذاب ﴿ٱلْمَمَاتِ﴾، أي: الآخرة؛ أي[2]: ضاعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة، فهو ﷺ، لو ركَنَ إِلَيْهِمْ.. يكون عذابه ضعف عذاب غيره على مثل هذا الفعل؛ لأن الذَّنْبَ من العظيم يَكُون عقابه أعظم، ومن ثم يُعَاقَبُ العلماءُ على زلأتهم أَشدَّ من عقاب العامَّةِ، لأنهم يتبعونهم، ونظير ذلك من وجه ما جاء في نسائه ﷺ من قوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾.

وكان أصل الكلام[3]: عذاباً ضعفاً في الحياة وعذاباً ضعفاً في الممات بمعنى مضاعفاً، ثم حذف المَوْصُوفُ، وأقيمت مقامه الصفة، وهو الضعف، ثُمَّ أُضيفت إضافة موصوفها، فقيل: ضعف الحياة، وضعفَ الممات كما لو قيل: لأذقناك أَليمَ الحياة، وأليمَ الممات.

وخلاصة ذلك[4]: أنك لو مكنت خواطر الشيطان من قلبك، وعقدت على الركون همك، لاستحققت تضعيف العذاب عليك في الدنيا والآخرة، ولَصَارَ

---

(1) روح البيان.

(2) روح البيان.

(3) المراغي.

(4) الشوكاني.

عذابك مثلَيْ عذاب المشرك في الدنيا، ومثلَيْ عذابه في الآخرة، وقد ذكروا في حكمة هذا أنَّ الخَطِيرَ إذَا ارْتَكَبَ جرماً وخطأً خطيئةً يكون سبباً في ارتكاب غيره مثله والاحتجاج به، فكأنه سَنَّ ذَلِكَ، وقد جاء في الحديث: «من سن سنة سيئةً فعليه وزرها، ووزرُ مَنْ عمل بها إلى يوم القيامة» أخرجه مسلم وغيره. ﴿ثُمَّ﴾ بعد إذاقتِنَا إيَّاكَ ضعف العذاب ﴿لَا تَجِدُ لَكَ﴾؛ أي: لنفسك ﴿عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ يَدْفَعُ عنك العذابَ أو يرفعه عنك روي عن قتادة أنه قال: لما نزل قوله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ إلخ قَالَ ﷺ: «اللهم لا تكلني إلَى نفسي طرفَةَ عين» فينبغي للمؤمن أن يتدبرها حين تلاوتها، ويستشعر الخشية، ويستمسك بأهداب دينه، ويقول كما قال النبي ﷺ: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طَرفَةَ عين» قال النيسابوري[1]: اعلم أنَّ القُرْبَ من الفتنة لا يدلّ على الوقوع فيها، والتهديد على المعصية لا يدل على الإقدام عليها، فلا يلزم من الآية طعن في العصمة ﴿وَإِن كَادُواْ﴾؛ أي: وإنَّ الشَّأنَ والحالَ قارب أهل مكة، ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم، وينزعونك بسرعة ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ التي أنتَ فيها، وهي أرضُ مكة، ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ بما فَعَلُوه من حصرك والتضييق عليك، وقد وقع ذلك بعد نزول الآية، وصار ذلك سبباً لخروجه ﷺ حتى هَاجَرَ بأمر ربه، بعد أن هموا به.

فإن قلت[2]: أليس أخرجوه بشهادة قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾؟

قلت: لَمْ يتحقق الإخراج بعد نُزُولِ هذه الآية، ثم وَقَعَ بعده حيث هاجر عليه السلام بإذن الله تعالى، وكانوا قد ضَايقُوه قبل الهجرة ليخرج، وقولُه: ﴿وَإِذًا﴾؛ أي: ولئن أخرجُوكَ، والله ﴿لَّا يَلْبَثُونَ﴾؛ أي: لا يمكثون في الدنيا، أو تلك الأرض ﴿خِلَٰفَكَ﴾؛ أي: بعد إخراجك ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: إلاَّ زماناً قَلِيلاً، وقد كان الأمر كَذَلِكَ؛ فإنهم أهلكوا ببدر بعد هجرته عليه السلام، لثمانية

---

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

عَشَرَ شهراً من ذلك التاريخ[1]. معطوف على ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾؛ أي: لا يبقون بعد إخراجك إلا زمناً قَلِيلاً ثم عوقبوا عقوبة تستأصلهم جميعاً.

وقال أبو حيان[2]: ﴿لَّا يَلْبَثُونَ﴾ جواب قسم محذوف؛ أي: والله إن استفزوك فخرجتَ لا يلبثون، ولذلك لم تعملْ إذاً لأنها توسطت بين قسم مقدر والفعل، فلا يلبثون لَيْسَتْ منصبة عليه من جهة الإعراب، ويحتمل أن تكونَ ﴿لَّا يَلْبَثُونَ﴾ خبراً لمبتدأ محذوف، يدل عليه المعنى تقديره: وهم إذاً لا يلبثون، فوقعت إذاً بين المبتدأ وخبره، فأُلغِيَتْ اهـ. وقرأ[3] عطاء ابن أبي رباح ﴿لا يلبثون﴾ بضم اليَاءِ وفتح اللام، والباءُ مشددة، وقرأ يعقوب كذلك إلا أنه كسر الباء، وقرأ أبي ﴿وإذاً لا يلبثوا﴾ بحذف النون أعمل إذاً فنصب بها على قول الجمهور، وبأن مضمرةً بعدها على قول بعضهم: وكذا هي في مصحف عبد الله محذوفَ النون، وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم، ﴿خلفك﴾ بمعنى بعدك، وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائِي، وحفص عن عاصم ﴿خِلَٰفَكَ﴾ قال الأخفش: ﴿خِلَٰفَكَ﴾ في معنى خلفك وبعدك، وقال ابن الأنباري ﴿خِلافَك﴾ بمعنى مخالفتك، والمعنى عليه على مخالفتك، فسقط حَرْفُ الخفض، ومما يدل على أنَّ ﴿خِلاَف﴾ بمعنى بعد قول الشاعر:

عَفَتِ ٱلدِّيَارُ خِلاَفَهَا فَكَأَنَّمَا ... بَسَطَ ٱلشَّوَاطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيْرَا

يقال: شطبت المرأة الجريد: إذا شققته لتَعْمَلَ منه الحصيرَ، قال أبو عبيدة: ثم تلقِيه الشاطبة إلى المثقبة، وقرأ أبو رزين، وأبو المتوكل ﴿خُلاَّفُك﴾ بضم الخاء وتشديد اللام، ورفع الفاء، وقرأ عطاء ابن أبي رباح ﴿بَعْدَكَ﴾ مكان ﴿خلفك﴾، والأحسن أن يُجعل تفسيراً لخلفك لا قراءة لأنها تخالف سواد المصحف، وقوله: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا﴾ منصوب على المصدرية؛ أي: سننَّا ذلك الإهلاك سنة كسُنَّتِنَا في أقوام من قد أرسلنا ﴿قَبْلَكَ﴾ يا محمد ﴿مِن

---

(1) الشوكاني.

(2) البحر المحيط.

(3) زاد المسير والشوكاني والبحر المحيط.

﴿رُسُلِنَا﴾؛ أي: عادةً كعادتنا فيهم، فسنة الله تعالى فيهم أن يهلكَ كلَّ أمة أخرجَتْ رسولهم من بين أظهرهم، فالسنة لله تعالى، وإضافتها إلى الرسل؛ لأنها سُنَّت لأجلهم كَمَا يَدُلَّ عليه قوله: ﴿وَلَا تَجِدُ﴾ يا محمد ﴿لِسُنَّتِنَا﴾؛ أي: لعادتنا بإهلاك مخرجي الرسل من بينهم ﴿تَحْوِيلًا﴾؛ أي تغييراً عما كانت عليه أوَّلا؛ فإن ما أجرى الله به العادةَ لا يمكن لأحد سواه أن يغيره، ولا أن يحوله.

والمعنى[1]: أي هكذا عادتنا في الذين كفروا برسلنا، وآذوهم بخروج الرسول من بين أظهرهم، أنْ يَأْتِيَهُمُ العذاب، ولَوْلاَ أنه ﷺ رَسُولُ الرحمة، لجاءهم من النّقم ما لا قبل لهم به، ومن ثم قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ الآية.

ولما ذكر سبحانه الإلٰهيات المعادَ والجزاءَ.. أردفها بذكر أشرف الطاعاتِ، وهِيَ الصلاةُ فقال: ﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ﴾ يا محمد؛ أي: أدّ الصَّلاَة المفروضة عليكَ، وعلى أمتك ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾؛ أي: بعد دلوك الشمس، وزوالها ﴿إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ﴾؛ أي: إلى ظلمة الليل، ويشمل ذلك الصلوات الأربعَ: الظهرَ، والعصرَ، والمغربَ، والعشاءَ ﴿و﴾ أقم ﴿قرآن الفجر﴾؛ أي: صلاة الصبح بالنصب عطفاً على مفعول، أقم، أو على الإغراء، أي إلزَمْ، وسميت قرآناً؛ لأنه ركنها كما تسمى ركوعاً وسجوداً، فالآية تدل على تفسير الدلوكِ بالزوال جامعة للصلوات الخمس.

وقد اختلف العلماء في الدلوك المذكور في هذه الآية على قولين[2]:

أحدهما: أنه زوال الشمس عن كَبِدِ السماءِ، قاله عمر، وابنه، وأبو هريرة، وأبو بَرْزَة، وابن عباس، والحسن، والشعبي، وعطاء، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وأبو جعفر الباقر، واختاره ابن جرير.

والقول الثاني: أنه غروبُ الشمس، قاله علي، وابن مسعود، وأُبيُّ بن كعب، وروي عن ابن عباس.

---

(١) المراغي.
(٢) الشوكاني.

وقد[1] بيَّنَت السنة المتواترة من أقواله وأفعاله ﷺ تَفَاصيلَ هذه الأوقات على ما عليه أهل الإسلام اليومَ، ممَّا تلقوه عنه خلفاً عن سلفٍ، قرناً بعد قرن، وقد تَقَدَّمَ في سورة البقرَةِ، أنَّ المرادَ بإقامة الصلاة: أداؤها على الوجه الذي سنه الدين، والنهج الذي شرطه من توجيه القلب إلى مناجاة الرب، والخشية منه في السر والعلن، مع اشتمالها على الشرائط والأركان التي أوضحها الأئمة، المجتهدون، والصلاة لب العبادة، لما فيها من مناجاة الخَالِق، والإعراض عن كلّ ما سواه، ودعائِه وحده، وهذا هو مخُّ كلّ عبادة، وفي الحديث «أن تَعْبُدِ ٱللَّهَ كَأَنَّكَ تَراهُ فإِنْ لَم تَكُنْ تَراهُ فإِنَّه يَراكَ».

﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾؛ أي: إِنَّ صلاة الصبح ﴿كَانَ مَشْهُودًا﴾ يَشْهدُهُ ويحْضُره ملائكة الليل، وملائكةُ النهار، يَنزِل هؤلاء ويَصْعَد هؤلاء، فهو في آخر ديوان الليل، وأوَّل ديوان النهار.

وقد يكون المرادُ كما قال الرازي: أَنَّ الإِنْسَانَ يَشْهَدُ فيه آثارَ القدرة، وبدائع الحكمة في السموات والأرض، فهُناكَ الظلام الحالك الذي يزيله النور الساطع، وهناكَ يقظة النوم بعد الخمود، والغيبوبة عن الحس إلى نحو ذلك من مظاهر القدرة، في الملك، والملكوت، فكُلُّ العالم يقول بلسان حاله أو مقاله: (سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الملائكة والروح).

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ﴾؛ أي: وبعض ساعات الليل ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾؛ أي: بالقرآن؛ أي: فاسْهَرْ بتلاوته في قيام الليل، وأزل به الهجود، والنومَ، أو المعنَى ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ﴾؛ أي: وبعض ساعات الليل ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾؛ أي: فصل بالقرآن حَالَة كون تِلْكَ الصلاة ﴿نَافِلَةً﴾؛ أي: فريضة زائدة على الصلوات الخمس خاصة. ﴿لَّكَ﴾ دُونَ أمتك يعني فريضةً زائدةً على سائر الفرائض التي فرضها الله عليك، كما روي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ «ثلاث هن عليَّ فريضة، وهن سنة لكم: الوتر، والسواك، وقيام الليل». وقيل: إنَّ الوُجُوبَ صار منسوخاً في حقه كما في

(١) المراغي.

حق الأمة، فصار قيامُ الليل نَافِلةً؛ لأنَّ اللهَ سبحانه وتعالى قَالَ: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ ولم يقل: عليك.

فإن قلت: ما معنى التخصيص إذا كان زيادة في حق المسلمين كما في حقه ﷺ؟

قلت: فائدة التخصيص: أن النَّوَافِلَ كفارات لذنوب العباد، والنبي ﷺ قَدْ غُفِرَ لَه ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكانت له نافلةً، وزيادة في رفع الدرجات.

ويجوز أن تكون ﴿نافلة﴾ مصدراً كالعافية والعاقِبَةَ فَتَكُون مَفْعُولاً مطلقاً، والمعنى فتنفل نافلة لك.

فصل في الأحاديث الواردة في قيام الليل

عن المغيرة بن شعبة قال: قام رسول الله ﷺ حتى انتفخت قدماه، فقيل له: أتتكلف هذا، وقد غفر الله لك ما تَقَدَّم من ذنبك، وما تأَخَّرَ، قال: «أفلا أكون عَبْداً شَكُوراً» متفق عليه.

وعن زيد بن خالد الجهني قال: لأرمقن صلاة رسول الله ﷺ الليلةَ فتوسدت عتبته، أو فسطاطه (فَقَامَ فصلَّى ركعتين خفيفتين، ثُمَّ صلى ركعتين طويلتينِ طويلتينِ طويلتينِ ثُمَّ صلى ركعتينِ دون اللتين قَبْلَهُمَا ثُم صَلَّى ركعتين دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلَهما، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلَهما، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما، ثُمَّ أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعةً) أخرجه مسلم، وأبو داود، وهذا لفظ أبي داود.

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن أنه سأل عائشة ـ رضي الله عنها ـ: كَيْفَ كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ قالت: ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على أكثر من إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً. قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، أتنام قبل أن توتر؟ فقال: «يا عائشة إن عينيَّ تنامان ولا ينام قلبي» متفق عليه.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: (كان رسول الله ﷺ يصلّي فيما بَيْنَ أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشرة ركعةً يسلم بين كل ركعتين، ويوتر بواحدة، ويسجد سجدتين قدر ما يسجد ويقرأ أحدكم خمسينَ آيةً قبل أن يَرْفَعَ رَأْسَهُ فإذا سكت المؤذّنُ من صلاة الفجر، وتبيّن له الفجر، قَامَ فركع ركعتيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للإقامة) متفق عليه؛ وعنها قالت: (كان رسول الله ﷺ إذَا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خَفِيفَتَيْنِ) أخرجه البخاري.

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: (قمت مع رسول الله ﷺ ليلةً فقامَ فقرأ سورة البقرة، لا يمر بآية رحمةٍ إلا وقف، وسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوّذ، ثم ركع بقدر قيامه، يقول في ركوعه: سبحان ذي الجبروت والملكوت، والكبرياء، والعظمة، ثم سجد بقدر قيامه، ثم قال في سجوده مثل ذلك، ثم قام، فقرأ بآل عمران، ثم قرأ سورة النساء) أخرجه أحمد، وأبو داود، والنسائي. وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: (قام رسول الله ﷺ بآية مِنَ القرآن ليلة) أخرجه الترمذي.

وعن الأسود بن يزيد قال: سُئلت عائشة ـ رضي الله عنها ـ كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ من الليل، قالت: (كان ينام أوله ويقوم آخره، فيصلي، ثم يرجع إلى فراشه، فإذا أذّن المؤذن، وثب، فإن كانت به حاجة اغتسل، وإلا توضأ وخرج) متفق عليه.

وعن أنس بن مالك قال: (ما كنا نشاء أن نرى رسول الله ﷺ في الليل مصلياً إلا رأيناه، ولا نشاء أن نراه نائِماً إلاَّ رأيناه) أخرجه النسائي، زاد في رواية غيره، قال: (وكان يصوم من الشهر حتى نقولَ: لا يفطرُ منه شيئاً، ويفطر حتى نقولَ: لا يصوم منه شيئاً).

﴿عَسَىٰ﴾؛ أي: حق وثبت ووجب ﴿أَن يَبْعَثَكَ﴾ ويقيمك ﴿رَبُّكَ﴾ يا محمد في الآخرة، ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾، أي: قِيَاماً محموداً يحمدك فيه كل الخلائق من الأولين والآخرين، وخالقهم تبارك وتعالى، فعسى هنا تامة، وجملة أن المصدرية

مع مدخولها فاعله، قال ابن جرير: قال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس؛ ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من الأهوال في ذلك اليوم.

أخرج النسائي، والحاكم، وجماعة عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: «يجمع الله الناس في صعيد واحد يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر حفاةً عراةً كما خلقوا قياماً لا تكلم نفس إلا بإذنه ينادى يا محمد فيقول: لبَّيك وسعديك والخير في يديك، والشر ليس إليك، والمهدي من هديت، وعبدك بين يديك، وبك وإليك، ولا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، تباركت وتعاليتَ سبحانك رب البيت» فهذا هو المقام المحمود الذي ذكره الله سبحانه وتعالى.

وروى البخاري عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلةَ، والفضيلةَ، وابعثْه المقام المحمود الذي وعدتَه.. حلت له شفاعتي».

وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامَةِ ولا فخرَ، وبيدي لواء الحمد، ولا فخرَ وما من نبي يومئذٍ، آدم فمن سواه.. إلا تحت لوائي» الحديث.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ لكل نبي دعوة مستجابة، وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي، فهي نائلة منكم إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً» متفق عليه.

﴿وَقُل﴾ يا محمد داعياً ربك ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِى﴾ في كل[1] مقام تريد إدخالي فيه في الدنيا وفي الآخرة ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾؛ أي: إدخالاً صادقاً؛ أي: يستحق الداخل فيه أن يقال له: أنت صادق في قولك وفعلك، ﴿وَأَخْرِجْنِى﴾ من كل ما تخرجني منه ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾؛ أي: إخراجاً صادقاً؛ أي: يستحق الخارج منه أن يقال له:

---

(١) المراغي.

أنت صادق في قولك وفعلك.

وقيل المعنى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى﴾ في المدينة ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾، أي: إدخالاً مُرضِياً ﴿وَأَخْرِجْنِى﴾ من مكةَ إلى المدينةَ ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾؛ أي: إخراجاً مرْضِياً، وذلك[1] حين أُمر النبي ﷺ بالهجرة كما قاله ابن عباس، والحسن، أو المعنى: وأخرجني من المدينة إلى مكة غالباً عليها بِفَتْحِهَا. وقيل: الأكمل مما سبقَ أن يقال: ربّ أدخلني في الصلاة، وأخرجني منها مع الصدق والإخلاص، وحضور قلبي بذكرك، ومع القيام بلوازم شكرك. والأكمل من ذلك أن يقال: رب أدخلني في القيام بأداءِ مهمات شريعتك، وأخرجني بعد الفراغ منها إخراجاً لا يبقى عليَّ منها تبعة والأعلى مما سبق أن يقال: رب أدخلني في بحار دلائل توحيدك وتنزيهك، ثم أخرجني من الاشتغال بالدليل إلى ضياء معرفة المدلول، ومن التأمل في آثار حدوث المحدثات إلى الاستغراق في معرفة الفرد المنزه عن التغيرات، وقيل: المعنى رب أدخلني القبر إدخالاً مُرْضِياً وأخرجني منه عند البعث إخراجاً مُرْضِياً ملقىً بالكرامة.

وخلاصة ذلك[2]: رب أدخلني إِدْخالاً مُرْضِياً كإدخالي للمدينة مهاجراً، وإدخالي مكة فاتحاً، وإدخالي في القبر حين الموت، وأخرجني إخراجاً محفوظاً بالكرامة والرضا، كإخراجي من مكة مهاجراً، وإخراجي من القبر للبعث.

وقرأ الجمهور[3]: ﴿مُدْخَلَ﴾ و﴿مُخْرَجَ﴾ بضم ميمهما، وهو مقيس في مصدر أفعل الرباعي نحو أكرمته مكرماً؛ أي: إكراماً، وقرأ قتادة، وأبو حيوة، وحميد، وإبراهيم ابن أبي عبلة بفتحهما، وقال صاحب «اللوامح» وهما مصدران من دخل وخَرَج، لكنه جاء من معنى أدخلني، وأخرجني، المتقدمَين دون لفظهما، ومثلهما ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ ويجوز أن يكونا اسم المكان، وانتصابهما على الظرف، وقال غيره: منصوبان مصدرين على تقدير فعل؛ أي: أدخلني فأدخل مدخل

---

(١) المراح.
(٢) المراغي.
(٣) البحر المحيط.

صدق، وأخرجني فأخرج مخرجَ صدقٍ، والإضافة إلى الصدق لأجل المبالغة نحو حاتم الجود، قال الواحدي: وإضافتهما إلى الصدق مدح لهما، وكل شيء أضفته إلى الصدق فهو مدح.

ثم سأل الله القوة بالحجة والتسلط على الأعداء فقال: ﴿وَٱجْعَل لِّى﴾ يا إلهي ﴿مِن لَّدُنكَ﴾؛ أي: من خزائن نصرك ورحمتك ﴿سُلْطَٰنًا﴾؛ أي: برهاناً وقهراً ﴿نَّصِيرًا﴾[1] ينصرني على أعداء الدين، أو ملكاً، وعزّاً ناصراً للإسلام مظهراً له على الكفر، فأجيبت دعوته بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فإن ﴿حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أو المعنى: ﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾، أي[2]: حجة ظاهرةً قاهرةً تنصرني بها على جميع من خالفني، وقيل: اجعل لي من لدنك ملكاً وعزاً قوياً، وكأنه ﷺ عَلِمَ أنه لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل سلطاناً نصيراً. ثم أمره أن يخبر بالإجابة بقوله: ﴿وَقُلْ﴾ يا محمد للمشركين مهدداً لهم قد ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ الذي لا مِرْية فيه، ولا قبل لهم به، وهو ما بعثه الله به من القرآن والإيمان، والعلم النافع، ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ أي اضمحل بَاطِلهم، وهلك إذ لاَ ثَبَاتَ له مع الحق كما قَالَ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾؛ أي: مضمحلاً لا ثباتَ له في كل آن، والحق كان ثابتاً في كل آن، أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال: دخل النبي ﷺ مكة يَوْمَ الفتح، وكَانَ حولَ البيت ثلاث مئة وستون صنماً، فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾: - ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾.

وفي رواية للطبراني، والبيهقي عن ابن عباس أنه ﷺ جاء، ومعه قضيب فجعل يهوي به إلى كل صنم منها، فيخر لوجهه فيقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ حتى مر عليها كلها، وبقي صنم خُزَاعَةَ فَوْقَ الكعبة، وكان

---

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

من صفر فقال: «يا عليُّ ارم به» فصعد فرمى به فكسره ﴿وَنُنَزِّلُ﴾ عليك يا محمد ﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ بيان[1] مقدم على المبيَّن اعتناءً بشأنه، فإنَّ كل القرآن في تقويم دين المؤمنين واستصلاح نفوسهم، كالدواء الشافي للمرضى ﴿مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾؛ أي: ما به يستشفى من الجهل والضلالة، وتزول به أمْرَاض الشك والنفاق والزَّيْغِ والإلحاد ﴿و﴾ ما هو أيضاً ﴿رحمة للمؤمنين﴾ به الذين يعملون بما فيه من الفرائض، ويحلون حلاله، ويحرمون حرامه، فيدخلون الجَنَّةَ وينجون من العذاب.

واختلف أهل العلم في معنى كونه ﴿شِفَاءٌ﴾ على قولين[2]:

الأول: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها، وذهاب الرَّيب، وكشف الغطاء عن الأمور الدالة على الله سبحانه.

القول الثاني: أنه شفاء من الأمراض الظَّاهِرَة بالرقى، والتعوذ، ونحو ذلك، ولا مَانِعَ من حمل الشفاء على المعنيين من باب عموم المجاز، أو من باب حَمْلِ المشترك عَلَى معنييه، وقرأ الجمهور ﴿وَنُنَزِّلُ﴾ بالنون ومجاهد بالياء خفيفة، ورواها المروزي عن حفص، وقرأ زيد بن علي ﴿شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ﴾ بنصبهما ويتخرج النصب على الحال، وخبر ﴿هُوَ﴾ قوله: ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ والعامل فيه ما في الجار والمجرور من الفعل، ونظيره قراءة من قرأ ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ بنصب ﴿مطويات﴾ ثم لمَّا ذكر سبحانه ما في القرآن من المنفعة لعباده المؤمنين، ذكَرَ ما فيه لمن عداهم من المضرة عليهم، فقال: ﴿وَلَا يَزِيدُ﴾ القرآن كله، أو بعض منه الكافرين ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: الوَاضِعِينَ للأشياء في غير موضعها، الذين وضعوا التكذيبَ موضع التصديق، والشكَّ والارتياب مَوْضِعَ اليقين والاطمئنان؛ أي: لا يزيدهم مع كونه في نفسه شفاءً من الأسقام ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾؛ أي: إلاَّ خسراناً سرمدياً، وهلاكاً أبدياً بكفرهم وتكذيبهم له، لأنهم كلما سمعوا آيةً منه

---

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

ازدادوا بُعداً عن الإيمان، وازدادوا كفراً بالله تمرداً وعناداً؛ لأنه قد طُبع على قلوبهم فهم لا يفقهون كما قال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ وقال أيضاً: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾.

وفي الآية[1]: إيماء إلى أنَّ ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك المعتَرِيَةِ لهم في أثناء الاهتداءِ والاسترشاد بمنزلة الأمراض، وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك.

ثمَّ نبه سبحانه وتعالى على قبح بعض ما جُبلَ عليه الإنسان من الطبائعِ المَذْمُومَةِ، فقال: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا﴾؛ أي: أحسنا وأفضنا ﴿عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾؛ أي: على هذا الجنس بالنِّعَم التي توجب الشكر كالمال والعافية، والفتح والنصر، وفعل ما يريد ﴿أَعْرَضَ﴾ عن شكرنا عليها، وعن طاعتنا، وعبادتنا، أو اغتر بها غَافِلاً عن شكرنا، وطاعتنا ﴿وَنَـَٔا﴾؛ أي: تَبَاعَدَ عن أمرنا لاوياً ﴿بِجَانِبِهِۦ﴾ وعطفه عن اتباعه مستكبراً عن قبول الحق، معجباً بنفسه، معادياً لأهل الحق غير مقتد بهم، تعظماً لنفسه كديدنِ المستكبرين من أهل الدنيا، وعبارةُ «الخازن» هُنَا؛ أي: تباعد عنا بنفسه، وترك التَّقَرُّبَ إلينا بالدعاء، وقيل: معناه تكبر وتَعَظُّم، انتهت. وهو[2] تأكيد للإعراض؛ لأن الإعراضَ عن الشيء هو أن يوليه عرض وجهه؛ أي: نَاحِيَتَه، والنأي بالجانب: أن يلوِيَ عنه عطفه، ويولّيه ظهره، ولا يبعد أن يراد بالإعراض هنا: الإعراض عن الدعاء والابتهال الذي كان يفعله عند نزول البلوى والمحنة به، ويُراد بالنأي بجانبه: التكبر والبعد بنفسه عن القيام بحقوق النعم.

---

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

وقرأ الجمهور[1] ﴿وَنَـَٔا﴾ بفتحتين بلا إمالة، وقرأ حمزة، والكسائِي بالإمالة فيهما، وأمال شعبةُ والسوسي الهمزةَ فقط، وقرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوانَ وأبو جعفر ﴿ناء﴾ مثل باع بتأخير الهمزة، قيل: هو مقلوب ﴿نأى﴾ فمعناه بَعُدَ، وقيل: معناه نهض بجانبه، وقال الشاعر:

حَتَّىٰ إِذَا مَا ٱلْتَأَمَتْ مَفَاصِلُهْ وَنَاءَ فِيْ شَقِّ ٱلشِّمَالِ كَاهِلُهْ

أي: نهض متوكئاً على شماله ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾؛ أي: وإذا أصابته الجوائحُ، وانتابته النوائب من فقر أو مرض، أو نازلة من النوازل، وفي إسنادِ[2] المساسِ إلى الشر بعد إسناد الإنعام إلى ضمير الجلالة، إيذان بأَنَّ الْخَيْرَ مرادٌ بالذات والشر ليس كذلك ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾؛ أي: شديد اليأس من روح الله وفضله، والمعنى[3]: أنه إن فاز بالمطلوب الدنيوي، وظفر بالمقصود نسي المعبود، وإن فاته شيء من ذلك، استولى عليه الأسف، وغلب عليه القنوط، وكِلتَا الخصلتين مذمومة.

وهذا وصف للجنس باعتبار بعض أفراده ممن هو على هذه الصفة، ولا ينافيه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ ونظائره، فإن ذَلِكَ شأن بعض آخر منهم غير البعض المذكور في هذه الآية، ولا يبعد أن يقال: لا منافاة بين الآيتين، فقد يكون مع شدة يأسه، وكثرة قنوطه كثيرَ الدعاء بلسانه.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿كُلٌّ﴾؛أي: كل إنسان منا ومنكم ﴿يَعْمَلُ﴾ عمله ﴿عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾؛ أي: على طريقته التي تشاكل وتوافق حالَه التي جبل، وطبع عليها من الهدي والضلال، قال في «القاموس» الشَّاكِلَةُ الشكل، والشكل المَثَلُ والنَّظِيرُ والناحية، والنية، والطريقة، والمذهب انتهى.

وقيل: الطبيعة، وقيل: الدين، والمعنى: أَنَّ كُلَّ إنسان يعمل عمله على ما يشاكل أَخْلاَقَهُ التي ألفها، وطبع عليها، وهذا ذم للكافر، ومدح لِلْمُؤْمن ﴿فَرَبُّكُمْ﴾

---

(١) البحر المحيط والشوكاني.
(٢) روح البيان.
(٣) الشوكاني.

الذي برأكم على هذه الطبائع المختلفة، وابتلاكم بهذه الأديان المُخْتَلِفَةِ ﴿أَعْلَمُ﴾ منا ومنكم ﴿بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ﴾ وأسَدُّ، وأصوب، وأوضح ﴿سَبِيلًا﴾؛ أي: طَرِيقاً، ودِيناً فيؤتيه أجره موفوراً، وأعلم بمن هو أضل سبيلاً فيعاقبه بما يستحق؛ أي: يعلم المهتدي، والضال فيجازي كُلاًّ بعمله؛ لأنه الخالق لكم، العالم بما جُبِلْتُم عليه من الطبائع، وما اختلفتم فيه من الطرائق، فهو الذي يميز بين المؤمن الذي لا يعرض عند النعمة، ولا ييأس عند المحنة، وبَيْنَ الكافر الذي شأنه البطر للنعم، والقنوط عند النقم.

وفي الآية[1]: إشارة إلى أن الأعمال دَلاَئِلُ الأحوال، فمن وجد نفسه في خير وطاعة وشكر، فليحمد الله تعالى كثيراً، ومن وجدها في شر وفسق، وكفران، ويأس فليرجع قَبْلَ أن يخرج الأمر من يده.

وبمعنى الآية قوله سبحانه: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ (١٢١) وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٢٢)﴾ ولا يخفى ما في هذه الآية من تهديد شديد، ووعيد للمشركين. ولما أجرى الكلام في ذكر الإنسان وما جُبل عليه، ذكر سبحانه سؤال السائلين لرسول الله ﷺ عن الروح فقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾؛ أي: ويسألك اليهودُ يا محمد ﴿عَنِ﴾ حقيقة ﴿ٱلرُّوحِ﴾ الذي يحيا به البدن، هل هو جسماني أو نوراني، أو عن صفته أقديم هو أم حادث؟.

قال الفراء: الروح الذي يعيش به الإنسان لم يُخْبِر الله سبحانه به أحداً من خلقه، ولن يُعْطِ علمه أحداً من عباده، ولذا قال: ﴿قُلِ﴾ لهم يا محمد في جواب سؤالهم ﴿ٱلرُّوحُ﴾ الذي هو سبب حياة البدن بنفخه فيه ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾؛ أي: شأن من شؤونه تعالى، وفعل من أفعاله، أحدثَ بتكوينه وخلقه وإبداعه من غير مادة، وقد استأثر بعلمه، لا يعلمه إلا هو سبحانه؛ لأنكم لاَ تَعْلَمُون إلاَّ ما تراه حواسكم، وَتَتَصرفُ فيه عقولكم، ولا تعلمون من المادة إلاَّ بَعْضَ أَوْصَافِها، كالألوان، والحركات للبصر، والأصوات للسمع، والطعوم للذوق،

---

(١) روح البيان.

والمشمومات للشم، والحرارة والبرودة للمس فلا يتسنى لكم إدراك ما هو غير مادي كالروح.

وقال القرطبي: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾، أي: هو أمر عظيم، وشأن كبير من أمر الله تعالى، مبهماً له وتاركاً تفصيله، لِيَعْرِفَ الإنسان على القطع عَجْزَهُ عن علم حقيقة نفسه، مع العلم بوجودها، وإذا كان الإنسان في معرفة نفسه هكذا، كان بعجزه عن إدراك حقيقة الحَقّ تعالى أولى، وحكمة ذلك تعجيز العقل عن إدراك معرفة مَخْلُوق مجاورٍ له، دلالة على أنه عن إدراك خالقه أعجز، انتهى. أو المعنى ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾؛ أي: شيء من الأشياء التي استأثر الله سبحانه بعلمها، ولم يُعلم بها أحداً من عباده، وقيل: معنى ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾؛ أي: من وحيه، وكلامه لا من كلام البشر، فعلى هذا المراد بالروح المسؤول عنه القرآن، والقول الأول هو الظاهرُ الحق.

وفي هذه الآية[1] ما يزجر الخائضينَ في شأن الروح المتكلفينَ لبيان مَاهِيَتِهِ، وإيضاح حَقِيقَتِهِ أبلغ زجر، ويردعهم أعظم ردع، وما أحسنَ قول أحمد بن رسلان في «زبده»:

وَٱلرُّوحُ مَا أَخْبَرَ عَنْهَا ٱلْمُصْطَفَىٰ ... فَنُمْسِكُ ٱلْمَقَالَ عَنْهَا أَدَبَا

وقد أطالوا البحث في هذا المقام بما لا يقتضيه الحال، وغالبه بل كله من فضول الكلام الذي لا يأتي بنفع في دين ولا دنيا، وقد حكى بعض المحَقّقِينَ أَنَّ أَقْوَال المختلفين في الروح بلغَتْ إلى ثمانية عشرَ ومئة قول، فانظر إلى هذا الفضول الفارغ، والتعب العاطل عن النفع بعد أن عملوا أن الله سبحانه قَدِ استأثَرَ بِعِلْمِهِ، ولم يُطلع عليه أَنْبِيَاءَهُ، ولا أذن لهم بالسؤال عنه، ولا في البحث عن حقيقَتِهِ فضلاً عن أممهم المقتدين بهم، فيالله العجب!! حيث تَبْلُغُ أَقْوَالُ أهل الفضول إلى هذا الحد الذي لم تبلغه، ولا بعضه في غير هذه المسألة مما أذن الله سبحانه بالكلام فيه، ولم يُستأثر بعلمه.

---

(١) الشوكاني.

ثم أكد عَدَمَ علم أَحَدٍ بها بقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾؛ أيها الناس: مؤمنكم ولا كافركم؛ أي: وما أعطيتم ﴿مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بالنسبة إلى علم الله تعالى، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: إلا علماً قَلِيلاً تستفيدونه من طرق الحواس الخمس الظاهرة، السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس؛ أي: إن علمكم الذي علمكم الله سبحانه ليس إلا المقدارَ القليلَ بالنسبة إلى علم الخالق سبحانه، وإن أوتيَ حظاً من العلم وافراً، بل عِلمُ الأنبياء عليهم السلام ليس هو بالنسبة إلى علم الله سبحانه إلا كما يأخذ الطائر في منقاره من البحر، كما في حديث موسى والخضر عليهما السلام.

وخلاصة ذلك[1]: أنه ما أطلَعَكم من علمه إلاَّ على القليل، والذي تسألون عنه من أمر الروح مما استأثر بعلمه تبارك وتعالى، ولم يطلعكم عليه.

وقرأ عبد الله بن مسعود والأعمش[2]: ﴿وما أوتوا﴾ بضمير الغيبة عائداً على السائلين.

تنبيه: اختلف في المراد بالروح في هذه الآية على ثلاثةِ أقوالٍ:

الأول: أنَّ المرادَ بالروح هنا القرآن، وهو المناسب لما تقدمه من قوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ﴾ ولما بعدَه من قوله: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ وَلأنه سُمّيَ به في مواضع متعددة من القرآن كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ وقوله: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾، ولأن به تحصل حياةُ الأرواح والعقول، إذ به تحصل معرفة الله، وملائكته، وكتبه، واليوم الآخر، ولا حياة للأرواح إلا بمثل هذه المعارف.

والثاني: أن المرادَ بالروح هنَا جبريل عليه السلام، وهو قول الحسن، وقتادة، وقد سُمِّي جبريل في مواضعَ عِدَّةٍ من القرآن بالروح كقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ ويؤيد هذا أنه قال في هذه

---

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

الآية ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ وقال جبريل ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ﴾ فهم قد سألوا الرسول كيف جبريل في نفسه، وكيف يقوم بتبليغ الوحي.

والثالث: أنَّ المراد بالروح هنا الذي يحيا به بَدَنُ الإنسان، وهذا قول الجمهور، ويكون ذِكْرُ الآية بين ما قَبْلَهَا وما بعدها اعتراضاً للدلالة على خسارة الظالمين، وضلالهم، وأنهم مشتغلون عن تَدَبُّرِ الكتاب، والانتفاع به إلى التعنت بسؤالهم عما اقتضت الحكمة سَدَّ الطريق على معرفته، ويؤيد هذا ما روي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: مَرَّ رسُولُ الله ﷺ بنفر من اليهود فقال بعضهم: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه، يسمعكم مَا تَكْرَهُونَ، فقاموا إليه، وقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن الروح، فقام ساعةً ينظر، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُوحَى إليه، ثم قال: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ﴾ الآية، ولما ذكر سبحانه أنه ما أتاهم من العلم إلاَّ قليلا.. بيَّن أنه لو شاء أن يأخذ منهم هذا القليل.. لفعل، فقال: ﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ و(اللام) الأولى موطئة للقسم المحذوف، والثانية (لام) الجواب، وهذا الجواب ساد مسد جوابي القسم، والشرط، والمعنى: وعزتي وجلالي لو شئنا لنمحوَن بالقرآن الذي أوحينا إليك يا محمد من الصدور والمصاحف، ولا نترك له أثراً، وبقيت كما كنتَ أولاً لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴿ثُمَّ﴾ بعد ذهابه ومحوه ﴿لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا﴾ لا تجد لنفسك برده علينا ﴿عَلَيۡنَا وَكِيلًا﴾ أي كَفِيلاً يرده عليك، وناصراً لك علينا ينصرك فيحول بيننا وبين ما نريد بك، ولا قيماً لك يمنعنا من فعل ذلك بك، وعبارة البيضاوي هنا، أي: لا تجد من يتوكل علينا باسترداده مسطوراً محفوظاً اهـ؛ أي: من يتعهد، ويلتزم استردَادَه بعد رفعه كما يلتزم الوكيل ذلك فيما يتوكل عليه اهـ «شهاب».

وهذا[1] الكلام وارد على سبيل الفرض، والمحال يصح فرضه لغرض، فكيف ما ليس بمحال؟ ﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾؛ أي: إلا أن يرحمك ربك، فيرد

(١) روح البيان.

عليك، كأن رحمته تتوكل وتتكفل بالرد عليك، فالاستثناء متصل، وفي «السمين» في الاستثناء قولان: أحدهما: أنه استثناء متصل؛ لأن الرحمةَ تندرج في قوله: ﴿وَكِيلًا﴾؛ أي: إلاَّ رحمةً فإنها إن نالتكَ فَلَعَلَّها تسترده عليك، والثاني أنه مُنْقَطِعٌ فيقدر بـ(لٰكن) عند البصريين، وبـ(بل) عند الكوفيين، والمعنى[1]: أي: لكن أبقيناه إلى قرب قيام الساعةَ رحمة من ربك، فعِنْدَ ذلك يرفَعُ من الصدور والمصاحف. ﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ﴾ ولطفه سبحانه وتعالى ﴿كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾؛ أي: عظيماً إذ أرسلك للناس بشيراً ونذيراً، وأَنْزلَ عليك الكتابَ وأبْقاه في حفظك، ومصاحفك، وفي حفظ أتباعك، ومصاحفهم، وصيرك ولدَ آدم وخَتَمَ بك النبيين والمرسلينَ وأَعْطَاكَ المقام المحمودَ، وغير ذلك، ثمَّ نبه إلى شرف القرآن العظيم، وكبير خطره، فقال: ﴿قُل﴾ يا محمد للذين لا يعرفون جلالةَ قدر التنزيل، بَلْ يزعمون أنه من كلام البشر، والله ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾، أي: اتَّفقُوا، وتعاوَنُوا ﴿عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ في البلاغة وكمال المعنى، وحسن النظم، والإخبار عن الغيب، وفيهم العربُ العرباءُ، وأرباب البيان، وأهل التحقيق ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾؛ أي: بمثل القرآن؛ أي: لا يأتون بكلام مماثل مشابه له في صفاته البديعة، وهو[2] جواب قسم محذوف، دَلَّ عليه (اللام) الموطئة له في قوله: ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ﴾ وساد مسد جزاء الشرط، ولولاها.. لَكَانَ جواباً له بغير جزم، لكون الشرط ماضياً، وإنما[3] أَظْهَرَ في مقام الإضمار، ولم يَكْتَف بأن يقول: لاَ يَأْتُونَ به على أن الضميرَ راجع إلى المثل المذكور، لدفع توهم أن يَكُونَ له مثل، وللإشعار بأنَّ المرادَ نفي المثل على أي صفة كانَ.

والمعنى: قُلْ يا مُحَمَّدُ لمن يزعمون أن القرآن من كلام البشر متحدياً لهم، والله لئن اجتمعت الإنس والجن والملائكة كلهم، واتفقوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة، وحُسْن النَّظْمِ، وكمال المعنَى.. لاَ يَقْدِرُونَ على الإتيان

---

(١) المراح.
(٢) روح البيان.
(٣) الشوكاني.

بمثله ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾؛ أي: مظاهراً ومعاوناً في الإتيان بمثله؛ أي: لم يكن بعضهم ظهيراً لبعض، ولو تَعَاوَنُوا وتَظَاهَرُوا، فإنَّ هذا غير ميسور لهم، فكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذي لا نظيرَ له، ولا مثيل.

وتخصيص الثقلين بالذكر؛ لأن المنكر في كونه من عند الله تعالى منهما لا من غيرهما، لا لأن غَيْرَهُما قادر على المعارضة ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾؛ أي: وعزتي وَجَلاَلِي، لقد رَدَدْنَا وكرَّرنا وَبَيَّنَا بوجوه مختلفة توجب زيادةَ بيان ﴿لِلنَّاسِ﴾، أي: لأهل مكة ﴿فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ المنعوت بالنعوت الفاضِلَةِ ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾؛ أي: من كلّ مَعْنىً بديعٍ يشبه المثل في الغرابة ليتلقوه بالقبول.

والمعنى[1]: وعزتي وجلالي، لقد رددنا القول في هذا القرآن بوجوه مختلفة، وكرَّرْنَا الآياتِ والعبرَ، والترغيبَ، والترهيبَ، والأوامرَ، والنواهيَ، وأقاصيصَ الأولين، والجنة والنار، ليدبروا آياته، ويَتَّعِظوا بها ﴿فَأَبَىٰ﴾ وامتنع ﴿أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ من أهل مكة، ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾؛ أي: إلاَّ الجحودَ والإنكارَ، والثباتَ على الكفر، والإعراضَ عن الحق، وأنكروا كونَ القرآن كلام الله بعد قيام الحجة عليهم، واقترحوا من الآيات ما ليس لهم، وأظهر في مقام الإضمار، حيث قال: ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ توكيداً، أو توضيحاً، وقرأ الجمهور ﴿صَرَّفْنَا﴾ بتشديد الراء، والحسن بتخفيفها ذكره في «البحر» وإنما[2] جاز الاستثناء المفرغ من الموجب مع أنَّهُ لا يصح ضربت إلا زيداً، لأن لفظةَ أبىٰ هنا تفيد النفي، فيؤوَّل بالمنفِيِّ فكأنه قيل: فلم يَرْضَوا، ولم يقبلوا، ولم يختاروا إلا كفوراً.

وفي الآية فوائد: منها: أنَّ القرآن العظيم أجلُّ النِعَمِ وأعظمها، فوَجب على كل عَالم وحَافَظ أن يقوم بشكره، ويُحَافِظَ على أداء حقوقه، قبل أن يَخْرُجَ الأمر من يده. ولما تم الإقناعُ بالحجة وقُطعت ألسنتهم، وأفحِموا، ولم يَجِدُوا وسيلة للردّ، أرادوا المُرَاوَغَةَ والمُشَاغَبَةَ باقتراح الآيات، وذكَرُوا من ذلك ستَّةَ أنواع:

---

(١) المراغي. (٢) الفتوحات بتصرف.

ذكر الأول منها سبحانه بقوله: ﴿وَقَالُوٓاْ﴾؛ أي: قال مشركو مكة، ورؤساؤهم كأبي سفيان، والنضر بن الحارث ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾ يا محمد؛ أي: لن نُصَدّقك، ولن نَعْتَرِف لك بنبوتك ورسالتك، ﴿حَتَّىٰ تَفۡجُرَ﴾؛ أي: تشقّقَ ﴿لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: من أرض مكة ﴿يَنۢبُوعًا﴾؛ أي: عيناً كَثِيرةَ الماء ينبع ماؤُها، ولا يغور ولا ينقطعُ، وهو يفعول من نبعَ الماءَ و(الياء) زائدة كيعبوب من عب الماء إِذَا كَثُرَ.

والمعنى[1]: وقال رؤساء مكة وصناديدها قولَ المبهوت المحجوج المتحير: لن نصدقك حتى تستنبط لنا عيناً من أرضنا، تدفق بالماء أو تفور، وذلك سَهْلٌ يسير على الله، لو شاء فَعَلَهُ وأجابهم إلى ما يطلبون، ولكن الله علم أنهم لا يهتدون كَما قَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾، وقال أيضاً ﴿وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ﴾ الآية، وقرأ حمزة والكسائي، وعاصم ﴿حَتَّىٰ تَفۡجُرَ﴾ مخففاً مثل تقتل، وقرأ الباقون بالتشديد من ﴿فجر﴾ المضعف، ولم يختلفوا في ﴿فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ﴾ أنها مشددة، ووجه ذلك أبو حاتم بأن الأولى بعدها ينبوع وهو واحد، والثانية بعدها الأنهار، وهي جمع.

وذكر الثاني منها بقوله: ﴿أَوۡ تَكُونَ لَكَ﴾ وحدك ﴿جَنَّةٞ﴾؛ أي: بستان تستر أشجاره ما تحْتَها من العرصة؛ أي: بستان كائن ﴿مِّن نَّخِيلٖ﴾ من أشجار ﴿عنب﴾ وعبر بالثمرة، لأن الانتفاع بغيرها من الكرم قليل ﴿فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ﴾ والسواقي وتجريها أنت بقوة ﴿خِلَٰلَهَا﴾؛ أي: وسَطَها ﴿تَفۡجِيرًا﴾ كثيراً، والمراد إما إِجراء الأنهار وَسَطَها عند سقيها، أو إدامة إجرائها كما ينبىء عنه الفاء لا ابتداؤه.

وقال في «القاموس»: خلال الدار، ما حوالي جدورها، وما بين بيوتها، وخلال السحاب مخارج الماء. انتهى، والمعنى: أو يكونُ لَكَ بستانٌ فيه نخيلٌ وعنبٌ تفجر الأنهارَ خِلاَلَهُ تفجيراً لسقيه.

---

(١) المراغي.

الإعراب

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾ (الواو) استئنافية: و(اللام) موطئة للقسم ﴿قد﴾ حرف تحقيق ﴿كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة الفعلية جوابُ القسم لاَ مَحَلَّ لها من الإعراب، وجملة القسم مستأنفة، ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿كَرَّمْنَا﴾ ﴿فِي ٱلْبَرِّ﴾ جار ومجرور متعلقان بـ﴿حملنا﴾ ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ الواو حرف عطف. ﴿البحرِ﴾: اسم معطوف على ﴿ٱلْبَرِّ﴾ ﴿وَرَزَقْنَٰهُم﴾: (الواو) حرف عطف ﴿رزقنا﴾ فعل وفاعل (هم) ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به. وجملة ﴿رزقناهم﴾ معطوفة على ﴿كَرَّمْنَا﴾. ﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ متعلق بـ﴿رزقنا﴾ على كونه مفعولاً ثانياً لـ﴿رزقنا﴾؛ لأنه بمعنى أعطيناهم، ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ﴾ فعل وفاعل، ومفعول معطوف على ﴿كَرَّمْنَا﴾ ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾ متعلق بـ﴿فضلنا﴾ ﴿مِّمَّنْ﴾ جار ومجرور صفة لـ ﴿كَثِيرٍ﴾ ﴿خَلَقْنَا﴾ فعل وفاعل، والجملة الفعلية صلة لـ ﴿منَ﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: خلقناهم ﴿تَفْضِيلًا﴾ مفعول مطلق لـ ﴿فضلنا﴾.

﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾.

﴿يَوْمَ﴾ منصوب على الظرفية الزمانية متعلق بمحذوف تقديره: اذكرُ، والجملة المحذوفة مستأنفة، ﴿نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ﴾ فعل ومفعول، ومضاف إليه، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة الفعلية في محل الجر، مضاف إليه، لـ﴿يوم﴾ ﴿بِإِمَٰمِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿نَدْعُواْ﴾ ﴿فَمَنْ﴾ (الفاء) فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت دعاءنا إياهم، وأردت بيانَ حالهم بعد ذلك.. فأقول لك: ﴿مَنْ﴾ اسم شرط في محل الرفع، مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما كما هو مقرر في كتب النحو، ﴿أُوتِيَ﴾ فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿من﴾، وهو المفعول الأول لـ﴿أُوتِيَ﴾ ﴿كِتَٰبَهُۥ﴾ مفعول ثان لـ﴿أُوتِيَ﴾ لأنه بمعنى أعطي

﴿بِيَمِينِهِۦ﴾ متعلق بـ ﴿أُوتِىَ﴾ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ (الفاء) رابطة لجواب من الشرطية وجوباً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ ﴿يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل الجزم بـ ﴿من﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة (من) الشرطية، في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة، مستأنفة استئنافاً، بيانياً، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ فعل ونائب فاعل معطوف على ﴿يَقْرَءُونَ﴾ ﴿فَتِيلًا﴾ منصوب على المفعولية، المطلقة، لأنه صفة لمصدر محذوف تقديره: ظلماً قدر فتيل.

﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾.

﴿وَمَن﴾ (الواو) عاطفة (من) اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب أو هما ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونه فِعْلَ شرط لها، واسمها ضمير يعود على ﴿مَن﴾ ﴿فِى هَٰذِهِۦٓ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿كَانَ﴾ ﴿أَعْمَىٰ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿فَهُوَ﴾ (الفاء) رابطة لجواب ﴿مَن﴾ الشرطية ﴿هو﴾ مبتدأ ﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ جار ومجرور حال من المبتدأ، أو من الضمير في ﴿أَعْمَىٰ﴾. ﴿أَعْمَىٰ﴾ خبر المبتدأ، ﴿وَأَضَلُّ﴾ معطوف على ﴿أَعْمَىٰ﴾. ﴿سَبِيلًا﴾ تمييز محول من المبتدأ، منصوب بـ﴿أضل﴾، والجملة الاسمية في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ الشرطية على كونها جَوَاباً لها، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿مَن﴾ الأولى.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾.

﴿وَإِن﴾ (الواو) استئنافية ﴿إن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن تقديره: وإنه ﴿كَادُواْ﴾ فعل ناقص واسمه، وهو من أفعال المقاربة ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾ (اللام) حرف ابتداء ﴿يفتنونك﴾ فعل وفاعل، ومفعول ﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ﴾ جار ومجرور متعلق به، والجملة الفعلية في محل النصب خبر ﴿كاد﴾، وجملة ﴿كاد﴾ في محل الرفع خبر (إنْ) المخففة، وجملة (إن) المخففة مستأنفة، ﴿أَوْحَيْنَآ﴾ فعل وفاعل ﴿إِلَيْكَ﴾ متعلق به، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف

تقديره: أوحيناه إليك ﴿لِتَفْتَرِيَ﴾ (اللام) حرف جر وتعليل ﴿تفتري﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرةً جوازاً بعد لام كي، وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿عَلَيْنَا﴾ متعلق به، ﴿غَيْرَهُۥ﴾ مفعول به، والجملة الفعلية، صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور باللام، تقديره: لافترائك علينا غيره، الجار والمجرور متعلق بـ﴿يفتنون﴾ ﴿وَإِذًا﴾ (الواو) عاطفة ﴿إذاً﴾ حرف جواب وجزاء مقدر بـ ﴿لو﴾ الشرطية؛ أي: ولو فعلت ذلك الافتراء ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ (اللام) موطئة للقسم ﴿اتخذوك خليلا﴾ فعل وفاعل ومفعولان، والجملة الفعلية جواب للقسم المحذوف، وجملة القسم مع جوابه، جواب لو المقدرة، والتقدير: ولو فعلت ذلك الافتراء، والله لاتخذوك خليلاً، وجملة لو المقدرة معطوفة على جملة، قوله: ﴿وَإِن كَادُواْ﴾.

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾.

﴿وَلَوْلَآ﴾ (الواو) استئنافية ﴿لولا﴾ حرف امتناع لوجود ﴿أَن﴾ حرف نصب ومصدر ﴿ثَبَّتْنَٰكَ﴾ فعل وفاعل ومفعول في محل النصب بأن المصدرية، وجملة ﴿أَن﴾ المصدرية مع مدخولها في تأويل مصدر مرفوع على الابتداء، والخبر محذوف تقديره؛ ولولا تثبيتنا إياك موجود ﴿لَقَدْ﴾ (اللام) رابطة لجواب لولا قد حرف تحقيق ﴿كِدتَّ﴾ فعل ناقص، واسمه ﴿تَرْكَنُ﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿إِلَيْهِمْ﴾ متعلّق به ﴿شَيْـًٔا﴾ مفعولٌ مطلقٌ لأنه بمعنى الركون ﴿قَلِيلًا﴾ صفة لـ﴿شيئا﴾، وجملة ﴿تَرْكَنُ﴾ في محل النصب خبر ﴿كاد﴾ وجملة ﴿كاد﴾ جواب ﴿لولا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لولا﴾ مستأنفة.

﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾.

﴿إِذًا﴾ حرف جواب وجزاء، مقدرة، بـ﴿لو﴾ الشرطية؛ أي: ولو ركنت إليهم.. ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ﴾ (اللام) موطئة للقسم ﴿أذقناك﴾ فعل وفاعل، ومفعول أول ﴿ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مفعول ثان، ومضاف إليه ﴿وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ معطوف عليه، والجملة الفعلية، جواب للقسم المحذوف، وجملة القسم جواب ﴿لو﴾ المقدرة، وجملة (لو) المقدرة مستأنفة. ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف ﴿لَا﴾ نافية ﴿تَجِدُ﴾ فعل

مضارع، وهو من وجد الضالة، وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿لَكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَجِدُ﴾ ﴿عَلَيْنَا﴾ متعلق بـ﴿نَصِيرًا﴾. ﴿نَصِيرًا﴾ مفعول ﴿تَجِدُ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿أذقناك﴾.

﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾.

﴿وَإِن﴾ (الواو) عاطفة ﴿إِن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كَادُوا﴾ فعل ناقص واسمه ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ (اللام) حرف ابتداء ﴿يستفزونك﴾ فعل وفاعل ومفعول ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ متعلق به، والجملة الفعلية في محل النصب خبر ﴿كاد﴾، وجملة ﴿كاد﴾ في محل الرفع خبر إن المخففة، وجملة إن المخففة معطوفةٌ على جملة قوله: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ ﴿لِيُخْرِجُوكَ﴾ اللام حرف جر، وتعليل ﴿يخرجوك﴾ فعل وفاعل ومفعول منصوب بأن المضمرة بعد لام كي ﴿مِنْهَا﴾ متعلق به، وجملة أن المضمرةُ مع مدخولها في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: لإخراجك ﴿منها﴾ الجار والمجرور متعلق بـ﴿يستفزونك﴾ ﴿وَإِذًا﴾ (الواو) عاطفة ﴿إذاً﴾ حرف جواب، وجزاء، مقدر بـ﴿لو﴾ الشرطية، تقديره: ولو أخرجوك ﴿لَا﴾ نافية ﴿يَلْبَثُونَ﴾ فعل وفاعل ﴿خِلَافَكَ﴾ منصوب على الظرفية متعلق بـ﴿يَلْبَثُونَ﴾، لأنه بمعنى بعدك كما مر ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرغ ﴿قَلِيلًا﴾ منصوب على المفعولية المطلقة، لأنه صفة لمصدر محذوف تقديره: إلا لبثاً قليلاً، وجملة ﴿يَلْبَثُونَ﴾ جواب لقسم محذوف، تقديره؛ والله لا يلبثون، وجملة القسم المحذوف جواب لو المقدرة، وجملة لو المقدرة، معطوفة على جملة ﴿وَإِن كَادُوا﴾. ﴿سُنَّةَ﴾ منصوب على المفعولية المطلقة بفعل محذوف، تقديره: سن اللَّهُ ذلك سنة، والجملة المحذوفةُ مستأنفة، واختار الفراء نصبها بنزع الخافض؛ أي: كسنة الله في من قد أرسلنا قبلك، واختارَ بعضهم أن ينصب بفعل محذوف، تقديره: اتَّبع: سنة من قد أرسلنا قبلك فالأوجه ثلاثة: ﴿سُنَّةَ﴾ مضاف ﴿مَن﴾ اسم موصول مضاف إليه، ﴿قَدْ أَرْسَلْنَا﴾ فعل وفاعل صلة ﴿مَن﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: من قد أرسلناه ﴿قَبْلَكَ﴾ ظرف، ومضاف إليه متعلق بـ﴿أَرْسَلْنَا﴾ ﴿مِن رُّسُلِنَا﴾

حال من العائد المحذوف، أو من ﴿مَن﴾ الموصولة، ﴿وَلَا﴾ (الواو) عاطفة ﴿لا﴾ نافية ﴿تَجِدُ﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على محمد لـ﴿لِسُنَّتِنَا﴾ متعلق بـ﴿تَحْوِيلًا﴾ ﴿تَحْوِيلًا﴾ مفعول به لـ ﴿تَجِدُ﴾ والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿سن﴾ المحذوفة.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة ﴿لِدُلُوكِ﴾ (اللام) ظرف بمعنى بعد متعلق بـ﴿أَقِمِ﴾ أو حرف جر وتعليل متعلق به، وإنما جر بـ﴿اللام﴾ لعدم اتّحادِ الفاعل، ففاعل القيام المخاطب، وفاعل الدلوك، ﴿ٱلشَّمْسِ﴾ وزمنهما مُخْتَلِفٌ أيضاً، فزمن الإقامة متأخر عن زمن الدلوك، ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ متعلق بـ﴿أَقِمِ﴾ أو حال من الصلاة؛ أي: أقمها ممتدة إلى غسق الليل، ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ معطوف على ﴿الصلاة﴾؛ أي: وأقم صلاة الصبحِ، أو منصوب على الإغراءِ؛ أي: إلزم قرآن الفجر، أي: صلاتها. ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ ناصب واسمه ومضاف إليه ﴿كَانَ﴾ في محل ماض ناقص واسمها ضمير يعود على ﴿قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ ﴿مَشْهُودًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلَها.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف معلوم من السياق، معطوف على ﴿أَقِمِ﴾ و﴿مِن﴾ تبعيضية، والتقدير: واسهر بعض ساعات الليل ﴿فَتَهَجَّدْ﴾ (الفاء) عاطفة ﴿تهجد﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، ﴿بِهِۦ﴾ متعلق به وجملة ﴿تهجد﴾ معطوفة على تلك الجملة المحذوفة، أعني قولنا، واسهر ﴿نَافِلَةً﴾ حال من الصلاة المعلومة من السياق، ﴿لَّكَ﴾ جار ومجرور صفة لـ ﴿نافلة﴾، أي: صل به الصلاةَ حالةَ كون الصلاة ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾. ﴿عَسَىٰٓ﴾ فعل ماض تام بمعنى حق، ووجب، وثَبَت ﴿أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ﴾ ناصب، وفعل ومفعول وفاعل ﴿مَقَامًا﴾ مفعول مطلق معنوي، لـ﴿يَبْعَثَكَ﴾ لأنه بمعنى يقيمك ﴿مَّحْمُودًا﴾

صفة لـ ﴿مَقَامًا﴾ وجملة ﴿يبعث﴾ صلة ﴿أن﴾ المصدرية ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مرفوع على الفاعلية، لـ﴿عَسَىٰٓ﴾ تقديره: عسى بعث ربك إياك مَقاماً محموداً؛ أي: إقامته إياكَ من القبر، أو في الآخرة قياماً محموداً.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾.

﴿وَقُل﴾ (الواو) استئنافية ﴿قُل﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِى. . .﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿رَّبِّ﴾ منادىٰ مضاف حذف منه حرف النداء، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قُل﴾ ﴿أَدْخِلْنِى﴾ فعل دعاء ونون وقاية ومفعول به، وفاعله ضمير يعود على الله ﴿مُدْخَلَ﴾ منصوب على المفعولية المطلقة؛ لأنه مصدر ميمي لـ﴿دخل﴾ وإضافته لـ﴿صِدْقٍ﴾ من إضافة الموصوف إلى صفته، أو للبيان، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُل﴾ على كونها جوابَ النداء، ﴿وَأَخْرِجْنِى﴾ فعل دعاء، ومفعول به، وفاعله ضمير يعود على الله ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ منصوب على المفعولية المطلقة، والجملة في محل النصب معطوفة على الجملة التي قبلها، ﴿وَٱجْعَل﴾ فعل دعاء، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَدْخِلْنِى﴾. ﴿لِّى﴾ جار ومجرور في محل المفعول الثاني لاجعل ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ حال من ﴿سُلْطَٰنًا﴾ لأنه صفة نكرة قدمت عليها ﴿سُلْطَٰنًا﴾ مفعول أول لـ﴿جعل﴾ ﴿نَّصِيرًا﴾ صفة له.

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾.

﴿وَقُل﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى﴾ ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ. . .﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُل﴾. ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾. ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ﴾ ناصب واسمه ﴿كَانَ زَهُوقًا﴾ فعل ناقص، وخبره واسمه ضمير يعود على ﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾.

﴿وَنُنَزِّلُ﴾ (الواو) استئنافية ﴿نُنَزِّلُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة ﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ حال من ﴿ما﴾ الموصولة على أنه بيان مقدم، ويجوز أن تكون لابتداءِ الغاية، أو تبعيضية فهي حينئذٍ متعلقة بـ﴿ننزل﴾ كما اختاره أبو حيان ﴿ما﴾ اسم موصول، أو نكرة موصوفة في محل النصب مفعول به ﴿هُوَ شِفَآءٌ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة صلة لـ﴿ما﴾ أو صفة لها ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ معطوف على ﴿شِفَآءٌ﴾ ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ متعلق بـ﴿شِفَآءٌ﴾ أو بـ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ على سبيل التنازع، ﴿وَلَا﴾ (الواو) حالية (لا) نافية ﴿يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فعل ومفعول أول، وفاعله ضمير يعود على القرآن، ﴿إلا﴾ أداة استثناء مفرغ ﴿خَسَارًا﴾ مفعول ثان له، والجملة الفعلية في محل النصب حال من ﴿ما﴾ الموصولة.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾.

﴿وَإِذَآ﴾ (الواو) عاطفة ﴿إذا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان ﴿أَنْعَمْنَا﴾ فعل، وفاعل ﴿عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ متعلق به، والجملة الفعلية في محل الخفض مضاف إليه لإذا على كونها فعل شرط لها، ﴿أَعْرَضَ﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلْإِنسَٰنِ﴾، والجملة جواب ﴿إِذَا﴾ لا محلَّ لَها من الإعراب، وجملة إذا معطوفة على جملة قوله: ﴿وَنُنَزِّلُ﴾. ﴿وَنَـَٔا﴾ فعل ماض معطوف على ﴿أَعْرَضَ﴾. ﴿بِجَانِبِهِۦ﴾ متعلق به، ﴿وَإِذَآ﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان ﴿مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ فعل ومفعول وفاعل، والجملة في محل الخفض بإضافة إذا إليها، على كَوْنِهَا فِعْلَ شرط لَهَا، ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص، واسمه ضمير يعود على الإنسان، ﴿يَـُٔوسًا﴾ خبره، وجملة ﴿كَانَ﴾ جواب (إذا)، وجملة (إذا) معطوفة على جملة ﴿إِذَا﴾ الأولى.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة، كل يعمل إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿كُلٌّ﴾ مبتدأ، وسوّغ الابتداء بالنكرة، قصد العموم، ﴿يَعْمَلُ﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿كُلٌّ﴾. ﴿عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ متعلق به، والجملة الفعلية في محل الرفع، خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب، مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿فَرَبُّكُمْ﴾ (الفاء)

تعليلية، أو استئنافية ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ﴾ مبتدأ، وخبر ﴿بِمَن﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَعْلَمُ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها ﴿هُوَ أَهْدَىٰ﴾ مبتدأ وخبر ﴿سَبِيلًا﴾ تمييز محول عن المبتدأ، منصوب بأفعل التفضيل، والجملة الاسمية صلة ﴿من﴾ الموصولة.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ فعل وفاعل ومفعول أول، والجملة مستأنفة، أو معترضة ﴿عَنِ ٱلرُّوحِۖ﴾ متعلق به، وهو في محل المفعول الثاني لـ﴿سأل﴾ ﴿قُلِ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة ﴿ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿ٱلرُّوحُ﴾ مبتدأ ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ جار ومجرور، ومضاف إليه، خبر المبتدأ، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلِ﴾ ﴿وَمَآ﴾ (الواو) عاطفة ﴿ما﴾ نافية ﴿أُوتِيتُم﴾ فعل، ونائب فاعل ﴿مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ متعلق به ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرغ، ﴿قَلِيلًا﴾ مفعول ثان، لـ﴿أُوتِيتُم﴾ والجملة الفعلية في محل النصب معطوفة على الجملة الاسمية، أعني قوله: ﴿ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾.

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾.

﴿وَلَئِن﴾ (الواو) عاطفة و(اللام) موطئة للقسم ﴿إن﴾ حرف شرط جازم ﴿شِئْنَا﴾ فعل وفاعل في محل الجزم، بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه فعْلَ شَرْطٍ لها، وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم تقديره: ذهبنا به على القاعدة في اجتماع الشرط والقسم، من حذف جواب المتأخر منهما استغناءً عنه بجواب المتقدم، وجملة الشرط معترضة بين القسم وجوابه ﴿لَنَذْهَبَنَّ﴾ (اللام) واقعة في جواب القسم، مؤكدة للأولى، زيدت بعد الشرط، إشعاراً بِأَنَّ الجواب المذكورَ للقسم لا للشرط ﴿نذهبن﴾ فعل مضارع في محل الرفع لتجرده عن الناصب والجازم، مبني على الفَتْح والنون المشددة للتوكيد، وفاعله ضمير يعود على الله ﴿بِٱلَّذِىٓ﴾ جار ومجرور متعلق به، والجملة الفعلية جواب القسم، لاَ مَحلَّ لها من الإعراب، وجملة القسم معطوفة على

جملة قوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ ﴿أَوْحَيْنَآ﴾ فعل وفاعل ﴿إِلَيْكَ﴾ متعلق به، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره، بالذي أوحيناه إليك ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف بمعنى الواو ﴿لَا﴾ نافية ﴿تَجِدُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة معطوفة على جملة ﴿لَنَذْهَبَنَّ﴾. ﴿لَكَ﴾ جار ومجرور حال من ﴿وَكِيلًا﴾ لأنه صفة نكرة قدمت عليها، ﴿بِهِۦ﴾ متعلق بـ﴿تَجِدُ﴾ ﴿عَلَيْنَا﴾ متعلق بـ﴿وَكِيلًا﴾. ﴿وَكِيلًا﴾ مفعول به لـ﴿تَجِدُ﴾؛ أي: لا تجد من يتوكل لك علينا؛ أي: من ينصرك عَلَيْنَا باسترداده بعد رَفْعِهِ ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء ﴿رَحْمَةً﴾ مستثنى من ﴿وَكِيلًا﴾ منصوب على الاستثناء، أو على البدل من ﴿وَكِيلًا﴾ ويجوز أن يكونَ منقطعاً، و﴿إِلَّا﴾ بمعنى لكن، فيعرب ﴿رَحْمَةً﴾ مفعولاً من أجله، والتقدير: حفظناه عليك للرحمة، أو مفعولاً مطلقاً، والتقدير: لكن رَحِمْنَاك رحمةً ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ صفة لـ﴿رَحْمَةً﴾ ﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ﴾ ناصب واسمه، ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص، واسمه ضمير يعود على الفضل ﴿عَلَيْكَ﴾ حال من ﴿كَبِيرًا﴾ لأنه كان صفة لـ﴿كَبِيرًا﴾ و﴿كَبِيرًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾ وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾.

﴿قُل﴾ فعل أمر وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: (اللام) موطئة للقسم، ﴿إِنِ﴾ حرف شرط جازم ﴿ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ﴾ فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إِنِ﴾ الشرطية على كونه فِعْلَ شرط لها، ﴿وَٱلْجِنُّ﴾ معطوف على ﴿ٱلْإِنسُ﴾ ﴿عَلَىٰٓ﴾ حرف جر ﴿أَن يَأْتُوا۟﴾ ناصب وفعل وفاعل ﴿بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، والجملة في تأويل مصدر مجرور بـ﴿عَلَىٰٓ﴾ تقديره على إتيانهم بمثل هذا القرآن الجار والمجرور متعلقان بـ﴿ٱجْتَمَعَتِ﴾ أو حال من فاعل ﴿ٱجْتَمَعَتِ﴾، أي: متظاهرين، ومتعاونين عَلَى ذلك، وجواب الشرط محذوفٌ على القاعدة المشهورة عندهم، تقديره: قل إن اجتمعت الإنس والجن على ذلك لا يأتون به، وجملة الشرط معترضة بين القسم وجوابه، على كونها مقولاً لـ﴿قُل﴾ ﴿لَا يَأْتُونَ﴾

فعل وفاعل ﴿بِمِثْلِهِۦ﴾ متعلق به، والجملة الفعلية جوابُ القسم، لاَ مَحَلَّ لها من الإعراب، وجملة القسم في محل النصب مقول ﴿قُل﴾ ﴿وَلَوْ﴾ (الواو) عاطفة على مقدر تقديره: لو لم يكن بعضهم ظهيراً لبعض، لا يأتون بمثله، ولو كان بَعْضُهم الخ، وقد حذف المعطوف عليه، حَذْفاً مُطَّرِداً لدلالة المعطوف دلالةً واضحةً عليه، فإن الإتيان بمثله حيث انتفى عند التظاهر، فلأن ينتفي عند عدمه أولى، وعلى هذه النكتة، يَدُورُ ما في ﴿إن﴾ و﴿لو﴾ الوصليَّتين من التأكيد، ﴿لو﴾ حرف شرط، ﴿كَانَ بَعْضُهُمْ﴾ فعل ناقص، واسمه ﴿لِبَعْضٍ﴾ متعلق بـ﴿ظَهِيرًا﴾ ﴿ظَهِيرًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ وجواب ﴿لَّوْ﴾ محذوف معلوم مما قبلها تقديره: ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.. لا يأتون بمثله، وجملة ﴿لَّوْ﴾ مع جوابها في محل النصب معطوفة على المحذوف الذي قدرناه سابقاً، والجملة المحذوفة في محل النصب حال من فاعل ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ على كل حال مفروض، ولو في هذه الحال المنافية لعدم الإتيان بمثله فضلاً عن غَيْرِهَا، وفيه حسم لأطماعهم الفارغة، في روم تبديل بعض آياته ببعض، ذَكَرَهُ أبو السعود، والمعنى: لا يأتون بمثله حَالة كونهم غيرَ متظاهرينَ، وكَوْنِهِم متظاهرينَ ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص ﴿بَعْضُهُمْ﴾ اسمها ﴿لِبَعْضٍ﴾ متعلق بـ﴿ظَهِيرًا﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾ (الواو) استئنافية (اللام) موطئة للقسم ﴿قد﴾ حرف تحقيق ﴿صَرَّفْنَا﴾ فعل وفاعل ﴿لِلنَّاسِ﴾ متعلق بـ﴿صَرَّفْنَا﴾ وكذا قوله: ﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ يتعلق به أيضاً ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ ﴿مِن﴾ زائدة، ﴿كُلِّ مَثَلٍ﴾ مفعول ﴿صَرَّفْنَا﴾ على مذهب الكوفيين، من جواز زيادة من في الإثبات، وعلى مذهب البصريين مفعول ﴿صَرَّفْنَا﴾ محذوف: تقديره البينات، والعبر، ومن كل مثل بيان، لذلك المحذوف، والجملة الفعلية، جواب القسم، لاَ محل لَّهَا من الإعراب، وجملة القسم مستأنفة ﴿فَأَبَىٰٓ﴾ (الفاء) عاطفة ﴿أبى أكثر الناس﴾ فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿صَرَّفْنَا﴾ ﴿إِلَّآ﴾ أداة استثناء، مفرغ لأن ﴿أبى﴾ متأول بالنفي كأنه قيل: فلم يرضوا إلا كفوراً ﴿كُفُورًا﴾ مفعول به لـ﴿أبى﴾.

﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾﴾.

﴿وَقَالُوا۟﴾ (الواو) عاطفة ﴿قَالُوٓا۟﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿أبى﴾ ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ إلى قوله: ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ مقول محكي لـ﴿قالوا﴾، وإن شئت قلت: ﴿لَن نُّؤْمِنَ﴾ ناصب ومنصوب، وفاعله ضمير يعود على المشركين، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓا۟﴾ ﴿لَكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿نُّؤْمِنَ﴾ ﴿حَتَّىٰ﴾ حرف جر وغاية ﴿تَفْجُرَ﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرةً وجوباً بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿لَنَآ﴾ متعلق بمحذوف حال من ﴿يَنۢبُوعًا﴾ ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ متعلق بـ﴿تَفْجُرَ﴾ ﴿يَنۢبُوعًا﴾ مفعول به، وجملة ﴿تَفْجُرَ﴾ صلة (أن) المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حَتَّىٰ﴾ تقديره، إلى فجر ينبوع لنا من الأرض، الجار والمجرور متعلق بـ﴿نُّؤْمِنَ﴾ ﴿أَوْ﴾ حرف عطف وتنويع ﴿تَكُونَ﴾ فعل ناقص معطوف على ﴿تَفْجُرَ﴾. ﴿لَكَ﴾ خبرها مقدم ﴿جَنَّةٌ﴾ اسمها مؤخر ﴿مِّن نَّخِيلٍ﴾ صفة لـ﴿جَنَّةٌ﴾ ﴿وَعِنَبٍ﴾ معطوف على ﴿نَّخِيلٍ﴾. ﴿فَتُفَجِّرَ﴾ (الفاء) عاطفة ﴿تفجر الأنهار﴾ فعل ومفعول معطوف على ﴿تَكُونَ﴾ وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿خِلَـٰلَهَا﴾ منصوب على الظرفية المكانية متعلق بمحذوف حال من ﴿ٱلْأَنْهَـٰرَ﴾؛ أي: كائنةً خِلالها ﴿تَفْجِيرًا﴾ منصوب على المفعولية المطلقة.

التصريف ومفردات اللغة

﴿وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ من حملته حملاً إذا جعلت له ما يركبه أو حملناهم فيهما حتى لا تخسفَ بهم الأرض، ولم يغرقهم الماء اهـ «بيضاوي». أو من حملته على كذا، إذًا، أعطيته ما يركبه، وعليه فالمحمول عليه، محذوفٌ يقال: حملته على فَرَسٍ إذًا، أعطيته إياهَا لِيَرْكَبَها.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍ﴾ وفي «القاموس»: الأناس جَمْعُ الناس، وفي «المصباح»: الإنسان من الناس اسم جنس يقع على المذكر، والمؤنث، والواحد، والجمع، والأناس قيل: فُعال بضم (الفاء)، لكن يجوز حذف الهمزة تخفيفاً غَيْرَ قياسٍ، فيبقى نَاس اهـ. فَعَلَى هذا ناس وزنه عال، لأن الفاء التي

هي الهمزة، قد حذفت اهـ. ﴿بِإِمَٰمِهِمْ﴾؛ أي: كتابهم، فهو كقوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿فَتِيلًا﴾ والفَتيلُ: الخيط المستطِيلُ في شق النَّواةِ طولاً، وبه يضرب المَثَلُ في الشيء الحقير، التافه، ومثله النَّقِير والقِطْمِيرُ.

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ لَوْلاَ: هي كلمة موضوعة للدلالة على امتناع جوابِهَا، لوجود شرطها، وفي «المصباح»: ركنت على زيد اعتمدت عليه، وفيه لغات: إحداها من باب تَعِبَ وعليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ والثانية: ركن ركوناً من باب قَعَدَ، والثالثة: رَكَنَ يركن بفتحتين فيهما، وليست بالأصل بل من تداخل اللغتين؛ لأن شرط باب فعل يفعل بفتحتين أنْ يَكُونَ حلقي العين أو اللام اهـ والرُّكونُ إلى الشيء، الميل إلى ركن منه ﴿ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾؛ أي: عذاباً مضاعفاً في الحياة الدنيا ﴿وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾؛ أي: عَذَاباً مُضَاعفاً في الممات في القبر، وبعد البعث.

﴿نَصِيرًا﴾؛ أي: معيناً يدفع عنك العذابَ ﴿لَّا يَلْبَثُونَ﴾؛ أي: لا يبقون ﴿خِلَٰفَكَ﴾ بَعْدَك ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا﴾؛ أي: سنتنا بك؛ أي: عادتنا فِيكَ سنة الرُّسل قَبْلَكَ ﴿تَحْوِيلًا﴾؛ أي: تغييراً.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ دلوك الشمس: زوالها: عن دائرة نصف النهار، والدُّلُوكُ مصدر دلكت الشمس، وفيه ثلاثة أقوال:

أشهرها: أنه الزَّوالُ، وهو نصف النهار.

والثاني: أنه من الزوال إلى الغروب، قال الزمخشري: واشتقاقه من الدلك؛ لأن الإنسانَ يدلك عينَه عند النظر إليها، قلت: وهذا يفهم أنه ليس بمصدر، لأنه جَعَلَه مشتقاً من المصدر.

والثالث: أنه الغروب، وقال الراغب: دُلُوكُ الشمس ميلها للغروب اهـ. وفي «المصباح» دلكت الشيءَ دلكاً من باب قتل مَرَسْتَهُ بيدك، ودلكت الشمسُ، والنجوم دُلُوكاً من باب قعد، زَالت عن الاستواءِ ويُستعمل في الغروب أيضاً، وفي «القاموس»: دَلَكَتِ الشمس دلوكاً غربَت، أو اصفرت، ومالَت أو زالت عن كَبِدِ السماءِ.

﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ والغسق: دخول أول الليل، قاله ابن شميل، وقيل: هو سوَادُ الليْلِ وظلمته، وأصله من السيلان، يقال: غَسَقَتِ العين؛ أي: سَالَ دمعها فَكَأَنَّ الظُّلمةَ تنصب على العالم، وتسيل عليهم، ويقال: غسقتِ العين امتلأَتْ دَمْعاً، وغسق الجرحُ امتلأ دماً، فَكَأَنَّ الظلمة ملأت الوجود، وسالت عليهم، ويقال: غسق الليلُ، وأَغْسَقَ، وظلم وأظلم، ودجَى، وأَدْجَى، وغَبَشَ وأغبش نَقَلَه الفراء اهـ «سمين».

﴿إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾؛ أي: إنَّ صلاة الصبح تشهده شَواهد القدرة، وبَدَائِع الحكمة، وبهجة العَالَم العلويّ والسفليّ فمن ظلام حالك، أزالَه ضوء ساطعٌ، ونور باهرٌ، ومن نَوْم وخمود إلى يقظة، وحركة وسعي إلى الأرزاق، فسبحانَ الواحد الخلاق، فَهلْ هناك منظر أجمل في نظر الرَّائِي من ظهور ذلك النور، ينفلِت من خلال الظلام الدامس يدفعه بقوَّة ليضيء العالم، بِجَمَالِه، ويَقْظَة النوام، وحركتهم على ظهر البَسِيطَةِ، وقد كانوا في سكون، فهي حياة متجددة بعد موت، وغيبُوبة للحواسّ ﴿فَتَهَجَّدۡ﴾ التهجد الاستيقاظ من النوم للصلاة ﴿نَافِلَةٗ﴾؛ أي: فريضةً زائدةً على الصلوات الخمس المفروضة عليك، والمعروف في كلام العرب: أن الهجود عبارة عن النوم، بالليل، يقال: هجد فلان، إذا نام بالليل، ثم لما رَأَيْنا في عرف الشرع، أَنَّهُ يقال لمن انتبهَ بالليل من نومه، وقام إلى الصلاة: إنه متهَجّد وَجَبَ أن يقال: سمي ذلك متهجداً من حيث إنه ألقى الهجودَ اهـ. وفي «السمين»: والتهجد ترك الهجود، وهو النَّوْمُ وتفعُّل يأتِي للسلب نحْو تَحرَّج، وتأثَّم اهـ.

والمقام المحمود: مقام الشفاعة العظمى، حينَ فَصْلِ القضاءِ حيث لا أحد إلاَّ، وهو تَحْتَ لوائه ﷺ ﴿مُدۡخَلَ صِدۡقٖ﴾ و﴿مُخۡرَجَ صِدۡقٖ﴾ المُدْخَلُ والْمُخْرَجُ بضم الميم، فيهما مصدران ميميان بمعنى الإدخال، والإخراج، فهما كالمُجرى، والمرسى وإضافتهما للبيان، أو من إضافة الموصوف إلى صفته، اهـ «سمين». وفُسِّر الصدق بالمَرْضى، لأنَّ الصّدْقَ من أوصاف العقلاء، فإذا وُصف به غيرهم كَانَ دالاً على أنه مرضي اهـ «شهاب». ﴿سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾ والسلطان الحجة البينة

والنصير الناصر والمعين وفي «السمين» يجوز أن يَكُونَ بمعنى فاعل للمبالغة، وأنْ يَكُونَ بمعنى مَفْعُولَ، أي: مَنْصُوراً به ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ﴾ في «المختار»: زهقت نفسه خرجت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ وزهق الباطل؛ أي: زالَ وَاضْمَحلَّ، وبابهما خضع، وزهقت من ـ باب تعب ـ زهوقا لغة فيه عند بعضهم اهـ.

﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ النأي بالجانب أن يوليه عطْفَه، ويوليه ظهره، وأرَادَ به الاستكبار؛ لأن ذلك ديدن المستكبرين، وفي «المصباح»: ونأى نأياً ـ منْ باب سعى ـ إذا بَعُدَ، ويتعدى بنفسه، وبالحرف، وهو الأكثر فيقال: نأيته، ونأيت عنه، ويتعدى بالهمزة، فيقال: أنأيته ﴿شَاكِلَتِهِۦ﴾ مذهبه، وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى، والضلالة من قولهم: طريق ذو شَواكل وَهي الطريق التي تتشعب منه، والمعنى: كل إنسان يعمل حسب جوهر نفسه، فإن كانت نفسه شريفةً طاهرةً، صدَرَتْ عنه أفعالٌ جَمِيلة، وإنْ كَانَتْ نَفْسُه كدرةً خبيثةً، صدرت عنه أفعالٌ خبيثةٌ فَاسِدَةٌ ﴿يَـُٔوسًا﴾؛ أي: شديدَ اليأس، والقنوط من رحمة الله، ﴿أَهْدَىٰ﴾؛ أي: أسد طريقاً وأقوَم منهجاً ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾؛ أي: مُلْتَزِماً استرداده بَعْدَ الذهاب به كما يَلْتَزِمُ الوكيلُ ذلك فيما يتوكَّل عليه، ﴿ظَهِيرًا﴾؛ أي: معيناً في تحقيق ما يتوخَّوْنه من الإتْيَانِ بمِثلهِ ﴿صَرَّفْنَا﴾؛ أي: كرَّرْنا، ورَدَّدْنا ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾؛ أي: جُحُوداً ﴿يَنۢبُوعًا﴾ والينبوع بفتح الياءِ عين كثيرةُ الماء لا ينقطع ماؤها، ووزنه يفعول من نَبَع الماءُ كيَعْبُوب من عب الماء إذا زَخَر؛ أي: كثر موجه، ومنه: البحر الزَّاخرُ اهـ «بيضاوي»، «وشهاب». ﴿جَنَّةٌ﴾؛ أي: بُستان تستر أشجارُه ما تحتها من الأرض.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الطباق بين ﴿البر﴾، و﴿البحر﴾ في قوله: ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ حيث استعير الإمام الذي هو حقيقة في الذي يتقدَّم الناسَ في الصلاة، لكِتَابِ الأعمال؛ لأنه يرافق الإنسان، ويتقدمه يوم القيامة.

ومنها: الاستعارة التمثيلية في قوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ يُضْرَب مَثَلاً للقلة؛ أي: لا ينقصون من ثواب أعْمَالِهم مقدار الخيط الذي في شق النواة.

ومنها: التفصيل بعد الإجمال في قوله: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ الخ بعد ذكر كتاب الأعمال.

ومنها: الاستعارة المكنية في قوله: ﴿أذقناك﴾.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾. وفيه: الحذف أيضاً، فقدْ حُذِفَ العذاب تكريماً لمقام النبي ﷺ، وهو في الأصل موصوف؛ أي: عذاباً ضعفاً في الحياة، وعذاباً ضعفاً في الممات، ثُمَّ حذفَ الموصوف، وأقيمت الصّفة مقامه، وهو الضعف، ثُمَّ أضِيفت الصفة إضافةَ الموصوف، فقيل: ضعف الحياة، وضعف الممات.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ حيث أطلق الجزءَ على الكل؛ أي: قراءة الفجر، والمراد بها: الصَّلاَة، لأنَّ الْقِرَاءَة جزء منها، فالعلاقة الجزئية.

ومنها: الإظهار في مقام الإضمار، لمزيد الاهتمام، والعناية في قوله: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ بعد قوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾.

ومنها: الاستخدام في قوله: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾ حيث ذكر القرآنَ أوّلاً بمعنى صلاة الصبح، وأُعِيدَ عليه الضمير بمعنى القرآن المشهود، والاستخدامُ عند البديعيِّين ذكر الشيء بمعنًى، وعود الضمير عليه بمعنى آخر.

ومنها: المقابلة اللطيفة بين ﴿أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ و﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾، وبَيْنَ ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾.

ومنها: جناس الاشتقاق بَيْنَ أدخلني، ومدخل، وأخرجني، ومُخْرَجَ.

ومنها: التذييل في قوله: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، وهو: أن يذيّلَ النَّاظِمُ والناثر كلامه بعد تمامه، وحسن السكوت عليه بجملة تُحقِّقُ ما قبلَهَا من الكلام، وتزيده توكيداً، وتَجْري منه مجرى المثل، لزيادة التحقيق، وهذه الآية من أعظم الشواهد عليه، فالجملة الأخيرة هي التذييل الذي خرج مخرج المثل السائر.

ومنها: إسناد الخير إلى الله، والشر لغيره في قوله: ﴿أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ لتعليم الأدب مع الله تعالى.

لطيفة: ذُكِرَ أنَّ عَالِماً ممن يُنكِرُ المجاز، والاستعارة في القرآن الكريم جاء إلى شيخ فاضل عالم منكراً عليه دعوى المجاز في القرآن، وكان ذَلِكَ السائل المنكر أعمى فقال له الشيخ: ما تقول في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢)﴾؛ هل المراد بالعمى الحقيقة؟ وهي عَمَى البصر، أم المرادُ به المجاز، وهو عمى البصيرة، فبهت السائل، وانقطعت حجته.

ومنها: الزيادة والحذفُ في عدة موضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ...﴾ الآيات، مناسبة[1] هذه

---

(١) البحر المحيط.

الآيات لما قبلها: أنه تعالى لما تحداهم بأنْ يأتوا بمثل هذا القرآن، فتبين عَجْزُهم عن ذلك وإعجازه، وانضمَّتْ إليه معجزات أخر، وبيناتٌ واضحة، فلزمتهم الحجة، وغُلبوا، أخَذوا يتعللون باقتراح آيات فعل الحائر المبهوت، المحجوج، فقالوا: ما حكاه الله عنهم من الآيات المذكورة.

ثم حكى عنهم شبهة أخرى[1]، وهي استبعادُهم أن يُرسلَ الله بشراً رسولاً، فأجابهم بأنَّ أَهْلَ الأرض لَوْ كانوا ملائكةً.. لَوَجَبَ أن تكون رسلُهم من الملائكة؛ لأن الجِنس أميل إلى جنسه.

ثم سلَّى رسوله ﷺ على ما يلاقي من قومه، بأن الهدايةَ، والإيمانَ بيد الله تعالى، ولا قُدْرَةَ له على شيء من ذلك ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ وسيلقون جَزاءَهم نارَ جهنم بما كسبت أيديهم، ودنسوا به أنفسهم، من الكفر، والفجور، والمعاصي، وإنكار البعث والحساب، وهم يعلمون أَنَّ الذي خلق السمٰوات والأرضَ، قادرٌ على أن يعِيدَهم مرة أخرى، ثمَّ بيَّن أنه لو أجابهم إلى ما طلبوا من إجراءِ الأنهار والعيون، وتكثير الأَموال، واتساع المعيشة.. لما كان هناك من فائدة، ولَمَا أَوْصَلُوا النفع إلى أحد، فالإنسانُ بطبعه شحيح بخيل.

قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ...﴾ الآية، مناسبة[2] هذه الآية لما قبلها: أن المُشْرِكِينَ لما قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ فطلبوا إجراء الأنهار والعيون في بلدهم لتكثر أقواتهم، وتتسع عليهم، بيَّن تعالى أنهم لو ملكوا خَزَائِنَ رحمة الله.. لبقوا على بُخْلِهم، وشُحِّهم، ولما أقدموا على إيصال النفع لأحد، وعلى هذا، فَلاَ فَائِدة في إسعافهم بما طلبوا، هذا ما قيل في ارتباط هذه الآية، وقاله العسكري.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لمَا قبلها: أنَّ اللَّهَ[3] سبحانه وتعالى، لما ذكر فيما سَلَف ما اقترحوه من

---

(١) المراغي.
(٢) البحر المحيط.
(٣) المراغي.

الآيات، وأبَانَ لهم أن الرسل ليس من شأنهم أن يقترحوا على الله شيئاً، ذكر هنا أنه قد أنزل على موسى مثل ما اقترحتم، وأعظم منه، ولم يجد فرعون وقومه شيئاً، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر، فلا فائدة لكم فيما اقترحتموه من الآيات، وكَفَاكم الآيات العلمية التي أنزَلَها على عبده ورسوله محمد ﷺ، فإنْ لم تؤمنوا بَعْدَ ظهور تلك الحجج.. أهلكْنَاكم، كما أُهْلِكَ فرعون بالغرق، وفي ذلك تسلية لرسوله ﷺ بذكر ما جرى لموسى مع فرعون، وما جوزيَ به فرعون وقومه.

قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنَّ اللَّهَ سبحانه وتعالى لمَّا أبانَ أنَّ القرآن مُعْجِز دال على صدق الرسول بقوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ...﴾ الآية، ثُمَّ حَكَى عن الكفار أنهم لم يكتفوا بهذا المعجز، بَلْ طلبوا معجزات أخرى، وأجابهم رَبّهم بأنه لاَ حاجةَ إلى شيء سواهُ، وبأن موسى أتى فرعون وقومَه بتسع آيات، فَجَحَدُوا بها، فأُهْلِكُوا، فلَو أتاكم محمد ﷺ بتلكَ المعجزات التي اقترحتموها، ثم كفرتم بها، أُنزلَ عليكم عذاب الاستئصال، ولم يكن ذلك من الحكمة التي أرادها لعلمه أن منكم من يؤمن، ومنكم من لا يؤمن، ولكِن سيظهر من نَسْله مَنْ يكون مؤمناً.

عاد هنا إلى تعظيم حال القرآن، وجلالة قدره، وبيان أنه هو الثابتُ الذِي لا يزول، وأنه أنزلَه على نبيه مفرَّقاً، ليسهل حفظه، وتُعرف دقائق أسراره، وأنكم سيان، آمنتم به أو لم تؤمنوا، فَإن من قَبْلَكُم من أهل الكتاب إذا تُلي عليهم خروا له سجداً وبكياً، ثم أردف ذَلِكَ ببيان أنكم إن ناديتم الله، أو ناديتم الرحمٰن، فالأمران سواء، ثمَّ قَفَّى على ذلك بطلب التوسط في القرآن في الصلاة بين الجهر والخفوت، ثم أمر نبيه ﷺ أن يَقُولَ حين الدعاء: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ...﴾ الآية، أخرج[1] ابن مردويه وغيره عن ابن

(١) لباب النقول.

عباس، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ بمكَّةَ ذات يوم، فَدَعَا، فقال في دعائه: يا الله، يا رحمٰن، فقال المشركون: انْظُروا إلى هذا الصابىء، ينهانا أن ندعوَا إلٰهين، وهو يدعُو إلٰهين، فأنْزَل الله ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ . . .﴾ الآية، سببُ نزول هذه الآية: ما أخرجه البخاري وغيره، عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ مختف بمكة، وكَانَ إذا صلى بأصحابه، رفع صَوْتَه بالقرآن، وَكَانَ المشركون إذا سمعوا القرآنَ سَبُّوهُ ومن أنزلَه، ومنْ جاء به فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾؛ أي: بقراءتك، فيسمع المشركونَ فيسبوا القرآن، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابك، فلا تُسمعهم ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾، وأخرج البخاري، وغيره أيضاً عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها نزلت في الدعاء.

وأخرج ابن جرير وغيره، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ إذا جهر بالقرآن، وهو يصلي تفرقوا، وأبوا أن يَسْتَمِعوا منه، وكان الرجل إذا أراد أن يستمعَ من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو، وهو يصلّي، استَرَقَ السَّمْعَ دونهم فرقاً منهم، فإن رأى أنهم قَدْ عرفوا أنه يَسْتَمِع ذهب خشية أذاهم، فلم يَسْتَمِعْ، فإنْ خفض رسول الله ﷺ صَوْتَه. . لَمْ يَسْتَمِع الذين يستمعون منْ قراءتِهِ شَيْئاً، فأنزل الله عليه ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ فيتفرَّقُوا عنك ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ فلا يستمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك دونَهم، لعله يرعوِي إلى بعضِ ما يَسْمَعُ، فينتفع به ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾، وهذا لفظ ابن جرير، ولا تنافِيَ بَيْنَ هذه الأسباب إذ يحتمل أنَّ المشركين يسبون القرآن، ومَنْ جَاءَ به، ويؤذون مَنْ رَأَوْهُ يَسْتَمِعُ للقرآن كما أنه يحتمل أنَّ المرادَ ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي: بدعائك فى الصلاةِ، ورواية: أنَّ ذلك في التشهد، كما عند ابن جرير (ج١٥/ ص١٨٧) مبينة لمَوْضِعِه، والله أعلم.

التفسير وأوجه القراءة

والثالث منها: ما ذكره بقوله: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ﴾؛ أي: أو

حَتَّى تسقطَ علينا جرمَ السماء إسقاطاً مماثلاً لما زعمت في قولك: ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ والكاف في قوله: ﴿كَمَا زَعَمْتَ﴾ في محل النصب صفة لمصدر محذوف، كما قدرنا، وقوله: ﴿كِسَفًا﴾ جمع كسفة، كقطع، وقطعة، لفظاً، ومعنًى حال من السماء.

وخلاصة ذلك: لن نؤمنَ لك يا محمد حتى تسقط علينا جرْم السماءِ، حَالَةَ كونها متقطعة قِطعاً قِطعاً عقوبة لنا إسقاطاً مماثلاً لما زعمت، يعنون بذلك قول الله سبحانه ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وقيل: هو ما في هذه السورة من قوله: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ونحو الآية قوله: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، وكذلك سأل قومُ شعيب منه فقالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿أَوْ تُسْقِطَ﴾ بتاء الخطاب مضارع أسقط ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾ نصباً، وقرأ مجاهد، وأبو مجلز، وأبو رجاء، وحميد، والجحدري ﴿أو تَسْقُطَ﴾ بتاء الغيبة مضارع سقط ﴿السماء﴾ رفعاً.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي[2]: ﴿كسفاً﴾ بسكون السين في جميع القرآن، إلا في الرُّوم (٤٨) فإنهم حركوا السين، وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم بتحريك السين في الموضعين، وفي باقي القرآن بالتسكين، وقرأ ابن عامر هَا هُنا بفتح السين، وفي باقي القرآن بتسكينها.

قال الزجاج: مَنْ قرأ ﴿كسَفاً﴾ بفتح السينْ جَعَلَها جَمْع كِسْفَة، وهي القطعة، ومن قرأ ﴿كِسْفاً﴾ بتسكين السين فكأنهم قالوا: أسقطها طبقاً علينا، واشتقاقه من كسفت الشيء: إذا غطيته، يعنون أسقطها علينا قِطْعة واحدة.

---

(١) البحر المحيط.

(٢) زاد المسير.

والرابع منها: ما ذكره بقوله: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: أو حتى تأتيَ لنا بالله سبحانه وتعالى حالةَ كونه قبيلاً أي مقابلاً مواجهاً مرئياً لنا ﴿و﴾ بـ ﴿الملائكة﴾ حالَة كونهم ﴿قَبِيلًا﴾؛ أي: مقابلينَ مواجهينَ مرئيينَ لنا، فالقَبِيلُ بمعنى المقابل، كالعَشِير[1] بمعنى المعاشر، فهو حالٌ من الجلالة، وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها؛ أي: والملائكة قبيلاً، وقيل[2]: هو جمع القبيلة؛ أي: تأتِيَ بأصناف الملائكة قبيلةً قبيلةً، قاله مجاهد وعطاءٌ، وقيل[3]: قبيلا؛ أي: كَفِيلاً من قبله بكذا، إذا كفله، والقبيلُ والزَّعيم، والكَفِيل بمعنى واحد.

وقال الزمخشري: ﴿قَبِيلًا﴾؛ أي: كفيلاً بما تقولُ شاهداً لصحته، والمعنى أو تأتيَ بالله قبيلاً، والملائكة قبيلاً، وقرأ الأعرج ﴿قُبُلاً﴾ من المقابلة.

وخلاصة ذلك: أي أو تأتي لنا بالله، والملائكة، نُقَابِلُهم مُعَاينةً ومُواجَهةً، ونحو الآية قولُهُم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾.

والخامس منها: ما ذكره بقوله: ﴿أَوْ﴾ حتى ﴿يَكُونَ لَكَ﴾ يا محمد ﴿بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾؛ أي: من ذهب وفضةٍ كامل الحُسْن، وقرأ الجمهور ﴿مِّن زُخْرُفٍ﴾[4]، وقرأ عبد الله بن مسعود ﴿من ذهب﴾ وَلا تُحْمَلُ على أنها قراءة لمخالفة السواد، وإنما هيَ تفسيرُ. وقال مجاهد: كنا لا ندري ما الزخرف؛ حتى رأيتُ في قراءة عبد الله من ذهب.

والسادس منها: ما ذكرَهُ بقوله: ﴿أَوْ﴾ حتى ﴿تَرْقَىٰ﴾ وتصعد ﴿فِى﴾ معارج ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ ومدارجها وسلالمها، ونحن ننظر إليك، فحذف المضاف يقال: رَقَى في السلم وفي الدرجة، من باب رقِيَ رقياً، أي: صعد وعلاَ صُعُوداً وعَلَوّاً، والظاهر أن السَّماءِ هنا هي المِظَلة، وقيل: المراد: إلى مكان عالٍ، وكلُّ ما علا

---

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

(٣) البحر المحيط.

(٤) البحر المحيط.

وارتفع يسمى سماءً ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ﴾ بك؛ أي: لن نصدقك ﴿لِرُقِيِّكَ﴾؛ أي: لأجل رقيك، وصعودك فيها، وحدك، فـ ﴿االلام﴾ للتعليل، أو لن نُصَدِّقَ رُقِيَّكَ، وصُعُودَكَ فيها فـ(اللام) صلة أي زائدة.

﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ﴾ منها ﴿عَلَيْنَا كِتَٰبًا﴾ من الله فيه تصديقك ﴿نَّقْرَؤُهُۥ﴾ نحن بلُغَتنا على نهج كلامنا، من غير أن يُتلقَّى من قبلك، وكانوا يَقْصِدُون بمثل هذه الاقتراحات اللجاج والعناد، ولو كان مرادهم الاسترشادَ.. لكفاهم ما شاهدوا من المعجزات؛ أي: ولمَّا ظهر لهم كَوْنُ القرآن معجِزاً.. التمسوا من رسول الله ﷺ سِتَّةَ أنواع من المعجزات، فأمَرَ سبحانه رسولَهُ ﷺ أن يأتِيَ بما يُفيد التعجب من قولهم، والتنزيه للرب سبحانه عن اقتراحاتهم القبيحة، فقال: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد متعجباً من مقترحاتهم، ومنزهاً ربك من أن يقترحَ عليه أَحَدٌ، أو يشاركه في القدرة، قرأ[1] نافع وعاصمٌ وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي ﴿قُلْ﴾ وقرأ، ابنُ كثير، وابنُ عامر ﴿قال﴾ وكذلك في مصَاحِفِ أهل مكة والشام، ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾؛ أي: أنزِّه رَبِّي عن أن يَكُونَ له إتيان وذهابٌ، وأتعجب من اقتراحاتهم والاستفهام في قوله: ﴿هَلْ كُنتُ﴾ للإنكار بمعنى النفي؛ أي: ما كنت ﴿إِلَّا بَشَرًا﴾ لا ملكاً حتى أصعدَ إلى السماء، ﴿رَّسُولًا﴾؛ أي: مأموراً من قبل ربي بتبليغ الرسالة كسائر الرسل، لا يأتون قَوْمَهم إلا بما يظهره الله سبحانه على أيديهم من الآيات، بِحَسَبِ ما تقتضيه المصلحة من غير تفويض إليهم فيه، ولا تحكم منهم عليه.

وخلاصة ذلك[2]: قل أن يتقدم أَحَدٌ بين يديه سبحانه في أمر من أمور سلطانه وملكوته، بل هو الفعال لما يشاء، إن شاء.. أجابكم إلى ما سألتم، وإن شاءَ.. لم يجبكم، وما أنا إلا رسول إليكم، أبلغكم رسالات ربي، وأنصح لكم، وقد فعلت ذلك، وأمرُكم فيما سألتم إلى الله عز وجل، ثم أعقب ذلك

---

(١) زاد المسير.

(٢) المراغي.

بشبهة أخرى، وهي استبعادهم أن يكونَ من البشر رسولٌ فقال: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾؛ أي: وما منع مشركي مَكَّةَ، وهم من حُكيت أباطيلهم مِنْ ﴿أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾ بك، ويُصَدّقوا رسالتَك ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾؛ أي: القرآن؛ أي: ما منَعَهم من الإيمان بك حين مجيء الوحي المقرون بالمعجزات، التي تستدعي الإيمان بنبوتك، وبما نَزَل عليك من الكتاب، ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾؛ أي: إلا قولهم جهلاً ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ إنكاراً منهم أن يكونَ الرسولُ من جنس البشر، واعتقاداً منهم بأن الله سبحانَه لَوْ بعث رسولاً إلى الخلق.. لَوَجَب أن يكونَ من الملائكة، و﴿بَشَرًا﴾ حالٌ من ﴿رَّسُولًا﴾ كما في «الكشاف» ونحو الآية قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ...﴾ الآية وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا...﴾ الآية. وقال فرعونُ وملؤه: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ وكذلك قالت الأمم لرسلهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ فأجابهم الله سبحانه عن هذه الشبهة ذاكراً وجه الحق منبهاً إلى المصلحة بقوله: ﴿قُل﴾ لهم يا محمد من جهتنا جواباً لقوله: ﴿لَّوْ كَانَ﴾ ووجد ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بَدَلٌ من ﴿كَانَ﴾ فيها من البشر ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ﴾ عليها بالأقدام، كما يمشي البشر حالَةَ كونهم ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾؛ أي: مستقرينَ فيها ساكنين بها كما يسكن البشر من غير أن يعرجوا إلى السماء، وعبارة «الجمل»: أي مستوطنينَ فيها لا يَظْعَنُون عنها إلى السماء اهـ.

﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم﴾؛ أي: على الملائكة الساكنين في الأرض ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا﴾ حال من ﴿رَّسُولًا﴾ ليبيِّن[1] لهم ما يحتاجون إليه من أمور الدنيا والدين؛ لأن الجِنْسَ إلى الجنس يميل، ولما كان سكان الأرض بشراً وَجَبَ أن يكون رَسُولُهم بشراً، لِيُمْكِنَ الإفادة والاستفادة، وهم جهلوا أَنَّ التجانس يورث التّآنس، والتخالف يوجب التنافرَ.

أي: لنزلنا[2] عليهم من السماء رسُلاً من الملائكة للهداية، والإرشاد،

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

وتعليم الناس ما يجب عليهم تعلُّمه، ولكن طبيعةُ المَلَك لا تصلح للاجتماع بالبشر، فلا يسهل عليهم التخاطب والتفاهم معهم، لبعد ما بين المَلَكِ وبينهم، ومِنْ ثم لم نَبْعَثْ إليهم ملائكةً، بل بَعَثْنَا خواصَّ البشر؛ لأَنَّ الله قد وهبهم نفوساً زكيَّة، وأيدهم بأرواح قدسية، وجَعَلَ لهم نَاحِيَةً مَلَكيةً بها يستطيعون أن يتلقوا من الملائكة، وناحية بشرية بها يبلِّغون رسالات ربهم إلى عباده.

وإجمال القول في ذلك: أنه لو جعل الرسلَ ملائكةً.. لما استطاع الناس التخاطب معهم، وَلَمَا تمكنوا من الفهم منهم، فَلَزِم أن يُجْعلُوا بشراً حتى يستطيعوا أداءَ الرسالة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ وقد ثبت أن جبريلَ عليه السلام، جاء في صورة دحية الكلبيّ مراراً عدة، فقد صح أنَّ أَعْرَابِياً جاء وعليه وَعْثَاء السفر، فسأل رَسولَ الله ﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، فأجابه عليه السلام بما أجابه، ثم انصرف، ولم يعرفه أحد من الصحابة رضوانُ الله تعالى عليهم، فقال ﷺ: «هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم».

ثم ختم الكلام بما يجري مجرى التهديد فقال: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد من جهتكَ ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ وحده ﴿شَهِيدًا﴾ على أني بلَّغت ما أرسلْتُ به إليكم، وأَنَّكُم كذبتُم وعاندتُم، وقال: ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، ولم[1] يقل: بيْنَنَا تحقيقاً للمفارقة الكلية، وقيل: إنَّ إظهارَ المعجزة على وفق دعوى النبي شهادة من الله له على الصدق.

أي قل[2]: إنَّ الله تعالى لما أظهر المعجزةَ، وفْقَ دَعْوَايَ، كان ذلك شهادة منه على صدقي، ومن شَهِدَ له اللَّهُ.. فَهُوَ صادق، فادعاؤكم أنَّ الرسولَ يجب أن يكونَ ملكاً تحكم منكم وتعنُّتٌ.

وخلاصة ذلك: أن الله شاهد عليَّ وعليكم، عالم بما جئتكم به، فلو كنت

---

(١) الشوكاني.

(٢) المراغي.

كاذباً عليه.. لانْتَقَم مِنّي أشد الانتقام كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ ثم علل كونه سبحانه شهيداً كافياً بقوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ سبحانه وتعالى ﴿كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا﴾؛ أي: عالماً ببواطن أحوالهم، ﴿بَصِيرًا﴾؛ أي: عالماً بظواهرها؛ أي: أنه سبحانه محيط بأحوال عباده الظاهر منها، والباطن، وأعلم بمن يستحق الإحسان، والرِّعَايَةَ، ومن هو أهل للشقاءِ والضلال، فيجازي كلاً بما يستحق، وفي هذا إيماء إلى أنه مَا دَعَاهُمْ إلى إنكار نبوته ﷺ إلاَّ الحسد، وحب الرياسة، والتَّكَبّرُ عن قبول الحق، كما أنَّ فيه تسلية له ﷺ على ما يلقاه من الإصرار والعناد، والإمعان في إيذَائِه، ثم بيَّن سبحانه أن الإقرارَ والإنكار مستندان إلى مشيئته، فقال: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ ابتداء كلام ليس بداخل تحت الأمر؛ أي: ومن يرد الله سبحانه هِدَايته ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ إلى الحقّ، كل مطلوب ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾؛ أي: ومن يرد إضلاله ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ ينصرونهم ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ تعالى، ويهدونهم إلى الحق الذي أضلهم الله عنه، أو إلى طريق النجاة، وقوله: ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ حملاً على لفظ ﴿من﴾ وقوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ﴾ حَمْلاً على المعنى، وَوَجْهُ المناسبة في ذلك، والله أعلم: أَنَّهُ لما كان الهُدَى شيئاً واحداً غَيْر متشعِّب السبل، ناسبه التوحيدُ، ولما كان الضلال له طرق متشعبة، نحو ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ ناسبه الجَمْع ذكره في «الفتوحات» والخطاب في قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ﴾ إما للنبي ﷺ، أو لكل من يصلح له.

أي: ومن يهد الله للإيمان به، وتصديقك وتصديق ما جئتَ به من عند ربكَ، فهو المهتدي إلى الحق، المصيب سبيلَ الرشد، ومن يضلله لسوء اختياره، وتدنيسهِ نفسَهُ، وركوبه في الغواية والعصيان، كهؤلاء المعانِدينَ، فلن تجد لَهم أنصاراً ينصرونهم من دونه تعالى، ويهدونهم إلى الحق، ويمنعون عنهم العذابَ الذي يقتضيه ضلالهم.

وقوله: ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ قرأه[1] نافع، وأبو عمرو بالياء في الوصل،

(١) زاد المسير.

وحذفاها في الوقف، وأثبتها يعقوب في الوقف، وحذفها الأكثرون في الحالتين.
﴿وَنَحْشُرُهُمْ﴾؛ أي: ونجمعهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ في موقف الحساب بعد تفرقهم في القبور حَالَةَ كونهم مسحوبينَ ﴿عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾، أو ماشين عليها، فإنَّ الذي أمشاهم على أقدامهم قادِرٌ على أن يُمشيهم على وجوههم. وعن أنس رضي الله عنه أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله: قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ﴾ أيحشر الكافر على وجهه؟! قال رسول الله ﷺ: «أَلَيْسَ الذي أمشاهُ على الرجلين في الدنيا، قادراً على أن يُمْشِيَهُ على وجهه يوم القيامة»، قال قتادة حين بَلَغه: بلى وعزة رَبِّنا. متفق عليه.

وعن أبي هريرة قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القيامة ثَلاَثَةَ أصناف: صِنفاً مشاةً، وصنفاً ركباناً، وصنفاً على وجوههم» قيل: يا رسول الله، وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إنَّ الذي أمشاهم على أقدامهمْ قادرٌ على أن يُمْشِيَهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك». أخرجه الترمذي الحَدْبُ كل ما ارتفع من الأرض.

وقوله: ﴿عُمْيًا﴾ حال من ضمير وجوههم جمع أعمى؛ أي: حَالَةَ كونهم لا يبصرون ما يسر أعينهم ﴿و﴾ حَالَةَ كونهم ﴿بكماً﴾؛ أي: لا ينطقون ما يقبل منهم، جمع أبكم، وهو الذي لا يَنْطِقُ ﴿و﴾ حالة كونهم ﴿صماً﴾؛ أي: لا يَسْمَعُونَ ما يلذ مسامعَهم، جمع الأصم، وهو الذي لا يسمع، وهذه[1] هيئة يُبْعَثُونَ عليها في أقبحِ صورة، وأشنعِ منظر، قد جمع الله لهم بين عمى البصر، وعدمِ النطق، وعدمِ السمع، مع كونهم مسحوبينَ على وجوههم، كما يُفعل في الدنيا بمن يبالغ في إهانته وتعذيبه.

والمعنى: أي[2] ونجمعهم في موقف الحساب بعد تفرقهم في القبور عمياً، وبكماً، وصماً، كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون، ولا ينطقون بالحق، ويتصامُّون عن استماعه، فهم في الآخرة لا يبصرون ما تقر به أعينهم، ولا

---

(١) الشوكاني. (٢) المراغي.

يسمعونَ ما يلذ لمسامعهم، ولا يَنْطِقُونَ بما يقبل منهم، كما قال: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٧٢﴾ ثم من وراء ذلك ﴿مَّأْوَىٰهُمْ﴾؛ أي: المكان الذي يأوون إليه، ويسكنون فيه؛ أي: منزلهم ومسكنهم ﴿جَهَنَّمُ﴾، والجملة في محل نصب على الحال، أو هي مستأنفة لا محل لها أي ثم بعد أن يَتِمَّ حِسَابهم يكون منقلبهم ومصيرهم جهنم. ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ جهنم؛ أي: كلما سكن لهبها، بأن أكلت جلودَهم، ولُحُومهم، ولم يبق ما تتعلق به وتحرقه ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾؛ أي: زدناها لهباً، وتوقداً بهم، بأن نعيدهم إلى ما كانوا عليه فتستعر وتتوقد، وكأن هذا عقوبة لهم على إنكارهم الإعادةَ بعد الإفناءِ، بِتَكْرَارِها مرة بعد أخرى، ليروها عِيَاناً حيث أَنْكَرُوها برهاناً، وأدغم التاءَ في ﴿خَبَتْ﴾ في زاي ﴿زدناهم﴾ أبو عمرو، والأخوان، وورش، وأظهرها الباقون يقال: خبتِ النَّارُ تخبو خبواً، إذَا خمدتْ، وسكن لهبها. قال ابن قتيبة: ومعنى ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ تسعراً، وهو التلهب فإن قلت:[1] إن في خبو النار تخفيفاً لعذاب أهلها، فكيف يُجْمَعُ بينه وبين قوله: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾؟.

قُلْتُ: إِنَّ المرادَ بعدم التَّخْفِيف أَنَّهُ لا يَتَخَلَّلُ زمان محسوسٌ بَيْنَ الخبو والتسعر، وقيل: إِنَّهَا تخبُو من غير تخفيف عنهم، من عذابها، ثُمَّ بَيَّنَ علة تعذيبهم، لعله يرجع منهم مَنْ قضي بسعادتِهِ، فقال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿جَزَآؤُهُم﴾ الذي أَوْجَبَهُ الله لهم، واستحقوه عنده، والباء في قوله: ﴿بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ للسببية؛ أي: بسبب كفرهم بها، فلم يصدقوا بالآيات التنزيلية، ولا تفكروا في الآيات التكوينية، واسم الإشارة مبتدأ، خبره، ﴿جَزَآؤُهُم﴾ و﴿بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟﴾ خبر آخر، ويجوز[2] أن يكونَ ﴿جَزَآؤُهُم﴾ مبتدأ ثانياً، وخبرُه ما بعده، والجملة خبرُ المبتدأ الأول، ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ منكرينَ لقدرتنا أَشدّ الإنكار ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾؛ أي: تُراباً رَمِيماً، و(الهمزة) فيه للاستفهام الإنكاري، و﴿خَلْقًا﴾ في قوله: ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ مصدر من غير لفظه؛ أي: بعثاً جَدِيداً، أو حال؛ أي: مخلوقاً جديداً.

---

(١) الشوكاني.

(٢) الشوكاني.

والمعنى[1]: أي ذلك العذابُ الذي جازيناهم به من البعث على العمى والبكم والصمم هو جزاؤهم الذي يستحقونه على تكذيبهم بالبينات والحجج الَّتي جاءتهم، وعلى استبعادهم وُقُوعَ البعث، وقولهم: أبعدَ ما صرنَا إلى ما صِرْنَا إليه من البِلَى، والهلاك، والتفرق في أرجاءِ الأرض نعاد مرة أخرى؟ استنكاراً منهم، وتَعَجُباً من أن يحصل ذلك، ثم استدل على البعث، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ (الهمزة) فيه للاستفهام التقريري، داخلة على محذوف، و(الواو) عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: ألم يتفكروا ولم يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ من غير مادَّةٍ مع عظمهما، ﴿قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ في الصغر على أن المثلَ مقْحمٌ، والمراد بالخلق: الإعادَة؛ أي: من هو قادر على خلق هذا، فهو على إعادة ما هو أدنىٰ منه أقْدَرُ.

والمعنى: أي ألم يعلموا ولم يَتَدبَّرُوا أنَّ الذي خلق السموات والأرض ابتداعاً على غير مثال سابق، وأقامهما بقدرته قادرٌ على أن يَخْلق أمثالَهم من الخلق بعد فنائهم، وكيف لا يقدر على إعادتهم، والإعادة أهون من الابتداء؟.

وبعد أن أثبت أنَّ الْبَعْثَ أمر ممكن الوجود في نفسه.. أردف ذلك بأن لحصوله وَقْتاً معلوماً عنده، فقال: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ﴾؛ أي: لإعادتهم، وقيامهم من قبورهم ﴿أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ أي: غير مرتاب فيه؛ أي: أجلاً مضروباً، ومدة مقدرة لا بدَّ من انقضائها، لا يعلمها إلا هو، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾ وجُمْلَةُ ﴿جَعَلَ﴾ معطوفة على جملة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ بنفسها، فَلَيْسَ داخلاً في حيز الاستفهام، أو مستأنفة، لأنه في قوة قد رأوا لأن الاستفهامَ تقريريٌّ، والمعنى[2] قد علموا أنَّ مَنْ قدر على خلق السموات والأرض، فهو قادر على خلق أمثالهم من الإنس، وجَعَلَ لهم ولبعثهم أجلاً محققاً، لا ريب فيه هو يوم القيامة.

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

وقيل[1]: في الكلام تقديم وتأخير، أي: أولم يَرَوا أنَّ الله الذي خلق السموات والأرض، وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه؛ قادر على أن يخلُق مِثْلَهُم. ﴿فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾؛ أي: أبى المشركون، وامتنعوا من الانقياد للحق، ولم يرضوا ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾؛ أي: إلا جحوداً به، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر، للحكم عليهم بالظلم، ومجاوزة الحد؛ أي: وبعد إقامة الحجة عليهم، أَبَوا إلا تمادياً في ضلالهم، وكفرهم مع وضوح الحجة، وظهور المحجة، ثمَّ بيَّن السَّبَبَ في عدم إجابتهم إلى ما طلبوا من الجنات والعيون بأنهم لَوْ ملكوا خزائن الدنيا.. لَبَقوا على شحهم، فقال: ﴿قُل﴾ لهم يا محمد ﴿لَّوْ﴾ تملكون ﴿أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ﴾؛ أي: خزائنَ رِزْقِهِ التي أفاضها على كافة الموجودات، وأَنتم مرفوع بفعل يفسره المذكور، عَلَى أَنَّ الضميرَ المنفصلَ بدل من الضمير المتصل، وهو (الواو) لا مبتدأ؛ لأن (لو) لاَ تَدْخُلُ إلا على الفعل، والأصل لَوْ تملكون أنتم تملكون كما قدَّرنا آنِفاً (إذا)؛ أي: لو مَلَكْتُمُوها ﴿لَّأَمْسَكْتُمْ﴾ ما ملكتم عن الإنفاق ﴿خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾؛ أي: مَخَافَةَ الفقر، فلا فَائِدَةَ في إسعافكم بذلك المطلوب الذي التَمَسْتُموه. أو معنى ﴿لَّأَمْسَكْتُمْ﴾ لَبَخِلْتم[2]، من قولك للبخيل ممسك، فلا يُقَدَّر لَهُ مفعول، ﴿خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾؛ أي: مَخَافَةَ عَاقِبَة الإنفاق، وهو النفاد ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾؛ أي: جنْسُه ﴿قَتُورًا﴾؛ أي: بخيلاً منوعاً بطبعه، لأن يَبْنِيَ أمره على الحاجة، والضنة بما يحتاج إليه، وملاحظة العوض فيما يبذل، فالبخل والحرص من الصفات المذمومة، فلا بُدَّ من تطهير النفس عنهما، وتحليتها بالسَّخاءِ والقناعة، وترك طول الأمل، فإن الشَّيْطَانَ يستعبد البخيلَ، ولو كان مطيعاً، وينأى عن السخيِّ، ولو كان فاسقاً، وجنس الإنسان، وإن كان قتوراً مَخْلُوقاً على القبض واليبوسة كالتراب، إلا أن من أفراده خواص متخلقينَ بصفات الله تعالى، ومتحققين بأسرار فعاله.

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه في مدح النبي ﷺ:

---

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

لَـهُ رَاحَـةٌ لَـوْ أَنَّ مِـعْـشَـارَ جُـوْدِهَـا   عَلَىٰ ٱلْبَرِّ كَانَ ٱلْبَرُّ أَنْدَىٰ مِنَ ٱلْبَحْرِ

الراحة: باطن الكف، والمعشار بمعنى العشر.

وعبارة المراغي هنا: المراد من الإنفاق هنا: الفقرُ، كما أخرجه ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس، وروي نحوه عن قتادة، وإليه ذهب الراغبُ فقال: يقال: أنفق فلان إذا افتقر، وقال أبو عبيدة: أَنْفَقَ، وأملَقَ، وأعدَم، وأصرَم بمعنى.

أي: قل لهم أيها الرسول: لو أنكم تملكون التصرف في خزائن الله، لأَمْسَكْتُم خَشْيَة الفقر؛ أي: خشيةَ أَنْ تَزُول وتَذْهَبَ، مع أنها لا تَفْرُغُ ولا تَنْفَدُ أبداً، وقُصَارَى ذلك، أنَّكم لو ملكتم من الخير والنعم خزائن لا نهاية لها.. لبقيتم على الشح والبخل، وفي هذا إيماء إلى أن الله لا يجيبكم إلى ما طلبتم من نبيه ﷺ من بساتينٍ، وعُيون تنبعُ، لا بخلاً منه، ولكن اقتضت الحكمة أن يَكُونَ نظام الدنيا هَكَذا، ولا رقيَّ للإنسان إلا على هذا المنوال، فهو يوسع الرزق على قوم، ويضيقه على آخرين، على مقتضى الحكمة والمصلحة، ومن ثَمَّ لم يُنزل مَا اقْتَرَحْتُمُوه.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾؛ أي: بَخِيلاً مَنُوعاً بِطَبْعِهِ، كما قال: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾؛ أي: لو أنَّ لهم نصيباً في ملك الله.. لَمَا أعطَوا أَحَداً شيئاً، ولا مقدارَ نقير.

وإجمال المعنى[1]: أن اللّهَ لم يجب محمداً إلى ما طَلَبْتُم، لا هَواناً لنبيه، ولا لأنه لَيْسَ بنبي، ولا بُخلاً ـ حاشاه ـ بل لحكمة منه، فَرُبَّمَا كانت وفرة العطاءِ إذا نزلَتْ على غير وجهها مصايب على الناس، فأما أنتم فمَنْعُكم يجري على طريق البُخْل، فَلَوْ سُلِّم لكم السموات والأرضُ، وادارستموها لم تَفْهَمُوا إلا الإِمساكَ، ومن ثَمَّ لا يسلمكم مفاتيحَ خزائنه، لِئَلاَّ تمسكوا الْمَالَ لأنفسكم، ولا تنفعوا خَلْقَه.

---

(١) المراغي.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾؛ أي: وعزتي وجلالي، لقد أعطينا مُوسَى بن عمران عليه السلام ﴿تِسْعَ ءَايَٰتٍ﴾؛ أي: معجزات ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾؛ أي: واضحات الدلالة على صحة نبوته، وصِدْقِهِ وصحةِ مَا جَاءَ به من عند الله، حين أرسل إلى فرعون وقومه، فلم يُؤْمِنُوا بها كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ وقال: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾.

وقد ذكر سبحانه في كتابه العزيز ستَّ عشرةَ معجزةً لموسى عليه السلام:

١ ـ أنَّهُ أزَالَ، العقدة من لسانه؛ أي: أَذْهَبَ العُجْمَةَ عن لسانه، وصار فصيحاً.

٢ ـ انقلاب العَصَا حَيَّةً.

٣ ـ تَلَقُّفُ الْحَيَّةِ حِبَالَهُم وعصيَّهم على كَثْرتِها.

٤ ـ اليدُ البيضاءُ.

٥ ـ الطوفانُ.

٦ ـ الجَرَادُ.

٧ ـ القُمَّلُ.

٨ ـ الضفادع.

٩ ـ الدم.

١٠ ـ شق البحر.

١١ ـ انفلاق الحجر في قوله: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾.

١٢ ـ إظلال الجبل في قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾.

١٣ ـ إنزَالُ المن والسلوى عليه وعلى قومه.

١٤ و١٥ ـ الجدب ونقص الثمرات في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾.

١٦ ـ الطمس على أموالِهم من الحنطة والدقيق والأطعمة.

وقد اختلفوا[١] في المراد من هذه التسع، أخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، من طرق عدة، عن ابن عباس: أنها الْعَصَا، واليد، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنون، ونقص الثمرات.

وقيل: المراد بالآيات الأحكام، فقد أخرج أحمد، والبيهقي، والطبراني، والنسائي، وابن ماجه: أن يَهُودِيِّن قال أحدهما لصاحبه: انطلق بنا إلى هذا النبي فنسأله، فأتياه ﷺ فسألاه عن قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ فقال عليه الصلاة والسلام: «لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تَقْتُلُوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تَسْرِقُوا، ولا تَسْحروا، ولا تَأْكُلُوا الربا، ولا تَمْشُوا ببريءٍ إلى ذي سلطان لِيَقْتُلَه، وَلاَ تَقْذفُوا محصنة، وأنتم يَا يَهُود عليكم خاصة أَن لا تعدوا في السبت» فقبَّلاَ يَدَهُ ورِجْلَه، وَقَالاَ: نشهد أنك نبي، قال: «فما يمنعكما أن تسلما»؟ قَالاَ: إن دَاوُدَ دعا أن لا يَزَالُ من ذريته نبي، وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا يهود. قال الشهاب الخفاجي: وهذا هو التفسير الذي عليه المعول في الآية، ثُمَّ خاطب نَبِيَّه فقال: ﴿فَسْئَلْ﴾ يا محمد ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الذين كانوا في عَصْرِكَ، وآمنوا بكَ كعبد الله بن سلام وأصحابه عن قصة مُوسى فيما جرى بينه، وبين فرعون وقومه، لتزيدَ طُمْأنينتك، ويقينك، ولتعلم أَنَّ ذَٰلِك أمر محقق ثابت عندهم في كتابهم، وليظهر صِدْقُ ما ذكرته عند المشركين، فيكون هذا السؤال سؤال استشهاد، وهذه[٢] الجملة اعتراضية بَيْنَ العامل الذي هو ﴿ءَاتَيْنَا﴾، والمعمول الذي هو ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾؛ أي: حينَ جَاءَ موسى بني إسرائيل الذين كانوا في زمانه عليه السلام، وهذا الظرف متعلق بـ﴿آتينا﴾؛ أي: ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات حين جاء موسى بني إسرائيل، فأظهر ما أتيناه من الآيات عند فرعون، وبلَّغه ما أرسل به ﴿فَقَالَ لَهُۥ﴾؛ أي: لموسى عليه السلام: ﴿فِرْعَوْنُ﴾

---

(١) المراغي.

(٢) المراح.

اللعين ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾؛ أي: مغلوب العقل، مخلَّطاً عليه أمره، أو مَطْبُوباً؛ أي: سحروك، أو ساحراً[1] بغرائب أفعاله، قاله الفراء وأبو عبيدة، فوضع المفعولَ موضعَ الفاعل، كما تقول: هذا مشؤوم، وميمون، أي شائمٌ ويامِن.

وقيل: إن (إذ) تعليلية لا ظَرْفِيَّة، معللة للسؤال؛ أي: فاسألهم يا محمد يخبروك، لأنَّهُ جاءَهم؛ أي: جاءَ آباءَهم بهذه الآيات، وأبلغَها فِرْعَون فقال له فرعون: إني لأظنك يا موسى مخلَّط العقل، ومن ثمَّ ادعيتَ ما ادعيتَ مما لا يقول مثلَه كامل العقل حصيف الرأي.

وقيل: جملة قوله: ﴿فَسْـَٔلْ﴾ لَيسَت معترضةً بل هي مقول لقول محذوف تقديره: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ فـ ﴿قلنا﴾ له ﴿اسأل﴾ فرعون ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: فك أولاد يَعْقُوبَ من يده وأسره، أي: سلهم يا موسى من فرعون؟ وقل له: أرسل معي بني إسرائيل ولا تعذبهم، والظرف في قوله: ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾ متعلق بذلك القول المحذوف، أو بـ ﴿اسأل﴾؛ أي: حين جاء موسى بني إسرائيل، وفرعونَ وقومَه.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بصيغة الأمر لرسول الله ﷺ، أو لموسى عليه السلام، كما مر تَفْصِيلُه، وقرأ ابْنُ عَبَّاسٍ، وابن نهيك (فسأل بني إسرائيل) على صيغة الماضي؛ أي: ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات، فسأل مُوسَى فِرْعَوْنَ أن يرسل معه بني إسرائيلَ إذ جاءهم... الخ.

﴿قَالَ﴾ موسى لفرعون، والله ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يا فرعون ﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾؛ أي: ما أَنْزَلَ علي هذه الآيات التسع التي أريتكها، وأوجدها ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومالكهما حالةَ كونها ﴿بَصَآئِرَ﴾؛ أي: دلالات يستدل بها على قدرة الله تعالى، ووحدانيته، وحجة لي على حقيقة ما أدعوك إليه، وشاهدة لي على

---

(١) القرطبي.

(٢) زاد المسير.

صدقي وصحة قولي: إني رسول الله، بعثني بها رب السمٰوات والأرض، لأنه هو الذي يقدر عليها وعلى أمثالها، وهي بصائر لمن استبْصَرَ بها، وهدىً لمن اهتدى بها، يَعْرِفُ مَنْ رآها أنَّ من جاء بها فهو محق، وأَنَّها من عند الله، لا من عند غيره، إذ كَانَتْ معجزةً لا يقدر عليها إلا رب السموات والأرض، وقرأ[1] الجمهور ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ بفتح التاء على خطاب موسى لفرعون، وتبكيته في قوله عنه: إنه مسحور؛ أي: لقد علمت أن ما جئت به ليس من باب السحر، ولا أني خدعت في عقلي، بل عَلِمْتَ أنه ما أنزلها إلاَّ الله سبحانه، وما أحسن ما جاء به مِن إسناد إنزالها إلى لفظ رب السموات والأرض، إذْ هُوَ لما سأله فرعون في أول محاورته، فقال له: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ينبهه على نقصه، وإنه لا تصرف له في الوجود، وقرأ علي بن أبي طالب، وزيد بن علي، والكسائي ﴿علمت﴾ بضم التاء، أخبر موسى عن نفسه أنه ليس بمسحور كَمَا وَصَفَه فرعون، بَلْ هو يعلم أنَّ مَا أنزلَ هؤلاء الآيات إلا الله، قال[2] أبو عبيد: المأخوذ به عندنا قراءة الجمهور، أعني فتح التاء، وهو الأصح للمعنى؛ لأن موسى لاَ يقولُ: علمت أنا، وهو الداعي، وروي نحو هذا عن الزجاج.

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾؛ أي: مصروفاً عن الخير، مطبوعاً على الشر، من قولهم: ما ثبرك عن هذا؛ أي: ما صرفكَ أو هالكاً فإن الثبورَ الهلاك، وقرأ[3] أبي ﴿وإن إخالك يا فرعون لمثبورا﴾ وهي إن المخففةُ، واللام الفارقة ﴿فَأَرَادَ﴾ فرعونُ من نتائج ظنه الكاذب ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾؛ أي: أن يُخْرِجَ مُوسَى، وبني إسرائيل ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: من أرض مصر بقتلهم واستئصالهم بحيث لا يُبقي منهم أحداً فعكسنا عليه مكره ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ﴾؛ أي: فرعون في البحر ﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾ من جُندِه من القبط ﴿جَمِيعًا﴾ فأخرجناه من أرضه أفظع إخراج، ونجينا موسى وقومَه من نتائج ظنه الصادق ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾؛ أي: من بعد إغراق فرعون وقومه ﴿لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، أي: لأولاد يعقوب، ﴿ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ التي أرادَ أن

---

(١) البحر المحيط.
(٢) الشوكاني.
(٣) الفتوحات.

يستفزَّكم منها، وهي أرض مِصْرَ، إن صح أنهم دَخَلُوها بعده، أو الأرضَ مُطْلقاً، أو أرض الشام، وهي الأرضُ المُقَدَّسَةُ التي وعدتم بها ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾؛ أي: البعث بعد الموت؛ أي: البعث الموعود في الدار الآخرة، ﴿جِئۡنَا بِكُمۡ﴾؛ أي: أحييناكم، وجئنا بكم من قبوركم إلى المحشر، حَالَةَ كونكم ﴿لَفِيفٗا﴾؛ أي: مختلطينَ أنتم وهم فَيَخْتَلِطُ جميع الخلق المسلم والكافر، والبر والفاجر، ثُمَّ نحكم بينكم، ونميزُ سُعَداءَكم من أشقيائكم.

﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ﴾؛ أي: وحَالَةَ كون هذا القرآن مُلْتَبِساً بالحق، والحكمة المقتضية لإنزاله، وهي هداية الخلق، وقطع أعذارهم، أنزلناه عليك يا محمد ﴿وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ﴾؛ أي: وحَالَةَ كونه ملتبساً بالدين الحق من العقائد الصحيحة، والأحكام الحقة، نَزَلَ عليك يا محمد، أو المعنى: وبالحق أنزلناه من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، في ليلة القدر جُمْلَةً واحدةً، وبالحق نزل عليك مُنَجَّماً بحسب الوقائع.

وهذا الكلام[1] مرتبط في المعنى بقوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ﴾ الخ، وهذا على أسلوب العرب حيث ينتقلون في كلامهم من سياق المقصود إلى غيره المناسب له، ثمَّ يَرْجِعُون لِمَا كانوا بصدده اهـ شيخنا، وفي الخطيب أنه معطوف على ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا﴾ وقيل معنى قوله: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ﴾؛ أي[2]: وأنزلنا عليك القرآن متضمناً للحق، ففيه أمر بالعدل، والإنصاف، ومكارم الأخلاق، ونهيٌ عن الظلم والأفعال الذميمة، وذكرُ براهين الوحدانية، وحاجة الناس إلى الرسل لتبشيرهم، وإنذارهم، وحثهم على صالح الأعمال انْتِظَاراً لِيَوْمِ الحساب، والجزاء، ﴿وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ﴾؛ أي: وَنَزَلَ إليك محفوظاً مَحْرُوساً، لم يشب بغيره، فلم يزد فيه، ولم ينقص[3]، وقد يكون المراد، ونزل إِلَيْكَ مع الحق، وهو شديدُ القوى، الأمين المطاع في الملأ الأعلى جبريل عليه السلام، وبعد أن مَدَحَ الكتابَ، مدح من أنزل عليه، فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ أيها الرسول إلى مَنْ أرسلناك

---

(١) الفتوحات.

(٢) المراغي.

(٣) المراغي.

إليهم من عِبَادِنَا ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بالجنة مَنْ أَطَاعَنَا، فانتهى إلى أمرنا؛ أي: إلا هَادِياً ﴿وَنَذِيرًا﴾ أي: ومنذراً لمن عَصَانَا بالعقاب، فهؤلاء الجهال الذين اقترحوا عليك تلك المعجزات، وتمردوا عن قبول دينك، لا شيء عليك من كفرهم.

﴿وَقُرْءَانًا﴾ منصوب بفعل مضمر يفسره قوله: ﴿فَرَقْنَهُ﴾؛ أي: وأنزلنَا عليك قرآناً فرقناه؛ أي: فصلناه وبيناه، وقيل: فرقنا به بين الحق والباطل، وقيل: معناه أنزلناه نجُوماً لم ينزل مرة واحدةً، بدليل قوله: لتقرأه على الناس، وقد بُدىء بإنزالِهِ ليلة القدر، في رمضان، ثُمَّ أنزل نجوماً في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿فَرَقْنَهُ﴾ بتخفيف الراء أي: بينا حَلاَلَه وحرامَهُ، قاله ابن عباس، وعن الحسن: فرقنا فيه بين الحق والباطل، وقال الفراءُ: أحكمناهُ، وفصلناه كقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ وقرأ أبي، وعبد الله، وعليٌّ وابن عباس، وأبو رجاء، وقتادة، والشعبيُّ وحميد، وعمر بن فائد، وزيد بن عليّ وعمرو بن ذر، وعكرمة، والحسن بخلاف عنه بشد الراءِ، أي: أنزلناه نَجْماً بعد نجم، وفصلناه في النجوم، وقيل: معنى ﴿فرقناه﴾ بالتشديد فرقْنَا آياته بين أمر، ونهي، وحكَم وأحكام، ومواعظ، وأمثال، وقصص وأخبار، مغيبات أتَتْ، وتأتي، وقرأ أبي وعبُد الله ﴿فرقناه عليك﴾ بزيادة عليكَ ثم ذكر سبحانه العلة لقوله: فَرقْنَاهُ فقال: ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾؛ أي: أنزلناه مفرَّقاً لتقرأه على الناس على مكث؛ أي: على مهل، وتأن وتؤدة، شيئاً فَشَيْئاً، فإنه أيْسَرُ للحفظ، وأَعْونُ على الفهم؛ أي: وحكمة نزوله هكذا بعضه إثر بعض أن تقرأه على الناس بتؤدة وتأن ليسهل عليهم حفظه، ويكونَ ذلك أعون على تفهم معناه، وقد[2] اتفق القراء على ضَمّ المِيم في ﴿مكث﴾ إلا ابن محيصن، فإنه قَرَأَ بفتح الميم، وهُمَا لغتان ﴿وَنَزَّلْنَهُ﴾ في ثلاث وعشرين سنة ﴿تَنزِيلًا﴾ على قانون الحكمةِ، وحسبِ الحوادثِ، وجواباتِ السائلين، وفائدة قوله: ﴿وَنَزَّلْنَهُ تَنزِيلًا﴾ بعد قوله: ﴿فَرَقْنَهُ﴾

---

(١) البحر المحيط.
(٢) الشوكاني.

بيان أنَّ ذلك التنزيل لمقتض ـ وهو التنزيل بحسب الحوادث ـ للمصلحة، لأنهم لو أخذوا بجميع الفرائض في وقت واحد لنفروا، ولم يطيقوا، ثمَّ هددهم سبحانه على لسان نبيه ﷺ بقوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين لَكَ ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ ﴿ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾، أي آمنوا إن شئتم بهذا القرآن الذي لو اجتمعت الإنس وَالجن على أن يأتوا بمثله لم يأتوا به، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

﴿أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ إن شئتم، فإن إيمانكم بِهِ لا يزيدُه كَمَالاً، وامتناعَكم عنه لا يورثه نقصاً. ثم علل عدم المبالاة بهم، واحتقار شأنهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ وأعطوهُ ﴿مِن قَبْلِهِۦٓ﴾؛ أي: من قبل نزول القرآن؛ أي: وَإن تكفروا به أيها المشركون، فإِنَّ الْعُلَمَاءَ الذين قرؤوا الكتب السالفة من قبل نزول القرآن، وعَرفُوا أنَّ الله سيبعث نبياً في آخر الزمان، وعرفوا حَقِيقَةَ الوَحْي، وأمارات النبوة كزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، وعبد الله بن سلام، ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ هذا القرآن ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾؛ أي: يَسْقطُونَ على وجوههم حالَةَ كونهم، ﴿سُجَّدًا﴾؛ أي: ساجدين لله سبحانه وتعالى شكراً له على إنجاز وَعْدِهِ بإرسالك، وهذه الآيةُ من عزائم السَّجَدات، وإنما قَيَّدَ[1] الخُرُورَ وهو السقوط بكونه للأذقان؛ أي: عليها لأنَّ الذقن، وهو مجتمع اللحيين، أَوَّلُ ما يحاذي الأرض، قال الزجاج: لأنَّ الذقن مجتمع اللحيين، وكما يبتدىء الإنسان بالخرور للسجود، فأول ما يحاذي الأرض به من وجهه الذقن. وقيل المراد تعفير اللحية في التراب، فإن ذَٰلِكَ غاية الخضوع، وإيثار اللام في ﴿للأذقان﴾ للدلالة على الاختصاص، فكأنهم خصوا أَذْقَانَهُم بالخرور، أو خصوا الخرور بالأذقان.

والخلاصة[2]: أنكم إن لم تؤمنوا به، فقد آمن به أحسن إيمان من هو خير منكم، وفيه تسلية لرسوله ﷺ وازدراء لشأنهم.

---

(١) الشوكاني.

(٢) المراغي.

وحاصلها[1]: أنه إن لَمْ يؤمن به هؤلاء الجهال الذين لا علْمَ عندهم، ولا معرفةَ بكُتب الله، ولا بأنبيائه، فلا تبال بذلك، فقد آمن به أهل العلم، وخَشَعُوا له، وخَضَعُوا عِنْدَ تِلاَوَتِهِ عليهم، خُضُوعاً ظهر أثره البالغ بكونهم يَخِرُّون على أذقانهم سُجَّداً لله.

﴿وَيَقُولُونَ﴾؛ أي: ويقول الذين أوتوا العلم في سجودهم ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَآ﴾؛ أي: تَنزِيهاً لربنا عما يقوله الجاهلون من التكذيب، أو تنزيهاً لَه عن خلف وعده الذي في الكتب السالفة ببعث محمد ﷺ وإنزال القرآن عليه ﴿إِن كَانَ﴾ (إن) مخففة من الثقيلة أي: إن الشَّأْنَ وَالحالَ كان ﴿وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بإنزال القرآن، وبعث محمد ﷺ، ﴿لَمَفْعُولًا﴾؛ أي: منجزاً آتياً كائناً لاَ مَحَالَةَ واقعاً البتة؛ لأن الخُلْفَ نقص، والنَّقْصَ عليه تعالى محال، وقيل: الظاهر[2] أَنَّ المرادَ بالوعد، وعد الآخرة كما يدل عليه سياق الآية، من قصة موسى، وفرعون، وما قبلَها من قصة قريش في إنكار البعث، والله أعلم.

ثم ذكر أنهم خروا لأذقانهم بَاكِينَ فقال: ﴿يَخِرُّونَ﴾؛ أي: ويخر الذين أوتوا العلمَ، ويسقطونَ ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾؛ أي: على أذقانهم للسجود، لما أثر فِيهِم، من مواعظ القرآنِ حالةَ كونهم ﴿يَبْكُونَ﴾ من خشية الله تعالى، وكرر ذكر الخرور للأذقان لاختلاف السبب؛ فإن الأوّلَ: لتعظيم الله تعالى وتنزيهه، والثاني: للبكاء بتأثير مواعظ القرآن في قلوبهم، ومزيد خشوعهم، ولهذا قال: ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾؛ أي: سماع القرآن، أو القرآن بسماعهم له، أو البكاءُ، أو السجود، أو المتلو. ﴿خُشُوعًا﴾؛ أي: تواضعاً لله كما يزيدهم علماً، ويقيناً بالله تعالى؛ أي: يزيدهم لين قلب، ورطوبة عين، فالبكاء مُسْتَحَب عند قراءة القرآن، وفي «الفتوحات»: وتكرر الخرورِ لاختلاف حاليه بالبكاء والسجود، وجاءت الحال الأولى اسماً لدلالته على الاستمرار، والثانية فِعلاً لدلالته على التجدد والحدوث اهـ «سمين».

---

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

وقد جاء في مدح البكاء من خشية الله تعالى أخبار كثيرةٌ[1]:

فقد روى الترمذي عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله تعالى، وعين باتَتْ تَحْرُسُ في سبيل الله تعالى».

وأخرج مسلم، والنسائي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يلِجُ النارَ رجل بَكَى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولاَ اجتمعَ على عبد غبارٌ في سبيل الله ودخان جهنم».

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وغيرهما عن عبد الأعلى التميمي، أنه قال: إن من أوتي من العلم ما لم يبكه.. لخليق أنْ قَدْ أوتيَ من العلم ما لا ينفعه؛ لأنَّ الله تعالى نعَتَ أَهْلَ العلم فقال: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾.

ثم رَد على المشركين المنكرينَ إطلاقَ اسْم الرحمٰن عليه عز وجل فقال: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ﴾؛ أي: قل يا محمد لمشركي قومك الذين أنكروا اسم الرحمٰن، ادعوا اللهَ؛ أي: سموا أيها القومُ مَعْبُودَكم الحَقَّ باسم الله إن شئتم، أو باسم الرحمٰن، إن شئتم؛ أي: قولوا في دعائه إن شئتم: ياالله، وإن شئتم قولوا: يا رحمٰن ﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾؛ أي: أي اسم من هذين الاسْمَين تدعوه به، فهو من أسمائه ﴿فَلَهُ﴾؛ أي: لأنَّ له سبحانه أسماء هي ﴿الْأَسْمَاءُ﴾ الكثيرة، ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ لدلالتها على الكمال والجلال فمعنى حسن أسماء الله تعالى كونها مفيدة لمعاني التَّحْمِيدَ، والتَّقْديسَ، والتمجيدُ، والتَّعْظِيمُ؛ أي: فبأي اسمين منهما تسمونه فهو حسن، لأنَّ كل أسمائه حسنى؛ إذ فيها التعظيم، والتقديس لأعظم موجود، وهو خالق السموات والأرض، وهذان الاسمان منها.

قال البيضاوي: والدعاء[2] في الآية بمعنى التسمية، وهو يتعدى إلى مفعولين، حذِفَ أولهما استغناء عنه، وأو للتخيير، والتنوين في أياً، عوض عن المضاف إليه، و(ما) صلة لتأكيد ما في أي من الإبهام، والضمير في ﴿فَلَهُ﴾

---

(١) المراغي.

(٢) البيضاوي.

للمسمى، لأن التسمية له، لا للاسم، وكان أصل الكلام: أيًّا ما تدعوا فهو حَسَنٌ وضع مَوْضِعَه فله الأسماء الحسنى للمبالغة، وللدلالة على أنها إذا حسنت أسماؤه كلها، حسن هذان الاسمان اهـ. فمعنى[1] ﴿ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾؛ أي: سموا المعبود بحق بالله، أو بالرحمٰن، فإنهما من الأسماء الحسنى، وإذا حَسُنت أسماؤه كلُّها، فهذان الاسمان منها، والحسنى مؤنث الأحسن الذي هو أفعل التفضيل، لا مؤنث أحسن المقابل لامرأة حسناء، كما في «القاموس»: وجملتُها تسعة وتسعونَ اسماً كما في الحديث الصحيح، بروايات متعددة عن علي، وأبي هريرة رضي الله عنهما «إن لله عز وجل تسعة وتسعين اسماً من أَحْصَاهَا دخل الجنة، هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمٰن الرحيم...» إلى آخر ما سرده الترمذي في جامعه، وقد شرحناها كلها شرحاً شافياً، في كتابنا «هَدية الأذكياء على طيبة الأسماء» وهو مطبوع منتشر فراجعه إن شئت.

وقرأ طلحة بن مصرف[2]: ﴿أيا من﴾ فاحتمل أن تكون ﴿من﴾ زائدة على مذهب الكسائي، واحتملَ أن يكونَ جمع بين أداتي شرط على وجه الشذوذ.

ثم أمر رسوله ﷺ بالتوسط في القراءة، فلا يجهر صوته، ولا يخافِتْ به، فقال: ﴿وَلَا تَجْهَرْ﴾ يا محمد ﴿بِصَلَاتِكَ﴾؛ أي: لا ترفع بقراءتك في الصلاة في المسجد الحرام، فيسمعها المشركونَ فيسبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء بِهِ ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾؛ أي: بقراءة صلاتك؛ أي: لا تسرها عن أصحابكَ، فلا تسمعهم القرآنَ حتى يأخذوه عنك، فَهُوَ على حَذْفِ المضاف، للعلم بأن الجهرَ، والمخافتَةَ من نعوت الصوت، لا من نُعُوت الصلاة؛ لأن الصَّلاَة أفعال، وأذكار، فهو من إطلاق الكل وإرادة الجزء.

﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: واطلب بين الجهر والمخافتة ﴿سَبِيلًا﴾؛ أي: أمراً وسطاً، فإنَّ خير الأمور أوساطها، والتعبير[3] عن ذلك بالسبيل باعتبار أنه أمرٌ

---

(١) الفتوحات.

(٢) البحر المحيط.

(٣) روح البيان.

يتوجَّه إليه المتوجهون، ويؤمه المقتدون، فيوصلهم إلى المطلوب، روي أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ كان يَخفت، ويقول: أناجي ربي وقد علم حاجتي، وعمر ـ رضي الله عنه ـ يَجْهَرُ بها، ويقول: أطردُ الشيطان، وأوقظُ الوسنانَ، فلما نزلت هذه الآية، أمر رسول الله ﷺ أبَا بَكْرٍ أن يرفعَ قليلاً وعُمرَ أن يَخْفِض قليلاً.

ولما أمر الله سبحانه رسولَه أنْ لا يناديه إلا بأسمائه الحُسْنَى، علمه كيفية التَّحْمِيد بقوله: ﴿وَقُلِ﴾ أيها الرسول في ثَنَاءِ ربك ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ اللائق، والشكرُ الدائِمُ مستحق ﴿لِلَّهِ﴾ سبحانه وتعالى، ذي الجلال والإكرام، ﴿ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ﴾ ولم يَجْعَل لنفسه ﴿وَلَدًا﴾ ذكراً ولا أنثى، لأن الوِلاَدَةَ من صفات الأجسام والحوادث لا غيرُ، وهو رَدٌّ على اليهود والنصارى وبني مدلج حيث قالوا: عزير ابن الله، والمسيح ابن الله، والملائكة بَنَاتُ الله، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذلك علواً كبيراً ﴿و﴾ الذي ﴿لم يكن له شريك في الملك﴾؛ أي: في ملك العالم؛ أي: في الألوهية، فإن الكل عبيده، والعبد لا يصلح أن يكون شريكاً لسيده في ملكه، وهو رد على الثنوية القائلين بتعدد الإلٰه ﴿و﴾ الذي ﴿لم يكن له ولي﴾؛ أي: ناصر ينصره ﴿مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾، والهوان؛ أي: لم يوالِ أحداً من أجل مذلة به، ليدفعها بموالاته، فإِنَّهُ محالٌ أن يذل فَيَحْتَاج إلى أحد يتعزز به، ويدفع عنه المذلة، إذ لَهُ العِزَّةُ كلها، فَلَيْسَ له مَذَلَّةٌ، ولا له احتياج إلى وليٍّ يدفع الذل عنه، وهو رد على المجوس والصابئين في قولهم: لَوْلاَ أولياء الله لذل الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وفي «الأسئلة المقحمة»: كيف[1] جعل عدم الولد علة استحقاق الحمد؟.

الجواب: إن هَذَا لَيْسَ بتعليل لوجوب الحمد، إنّما هو بيان من يقع له الحمدُ، كما تقول: الحمد لله، الأول الآخر، الحمد لله رب العالمين انتهى.

وفي «الكشاف»: كيف رتب الحمد على نفي الولد، والشريك، والذل، أي: مع أنه لم يكن من الجميل الاختياري؟.

قلت: إنَّ مَنْ هذا وصفه هو الذي يقدر على إيلاء كل نِعْمَةٍ فهو الذي

---

(١) روح البيان.

يستحق جنس الحمد، وقال بعضهم: وترتيب الحمد على عدم اتخاذ الولد؛ لأنَّ من كان هذا وصفهُ فهو القادر ولا شَكَّ على إسباغ النعم، وإيلائها، أما صاحب الولد، فهو مستهدف للتَّلَهي بولده عن غيرهم، والاشتغال بهم عن سواهم ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾؛ أي: عظمه تَعْظِيماً، أو قل: الله أكبر من اتخاذ الولد، والشريك، والولي.

والحاصل: أن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بثلاث صفات[1]:

١ ـ أنه لم يتخذ ولداً، فإنَّ من اتخذ الولدَ يمسك جميعَ النِعَمِ لولده، ولأن الوَلَدَ يقوم مقام الوالد بعد انقضاء أجله وفنائه، تنزه ربنا عن ذلك، ومن كان كذلك لم يستطع الإنعام في كل الحالات، فلا يستحق الحمد على الإطلاق.

٢ ـ أنه ليس له شريك في الملك؛ إذ لو كان له ذلك، لم يعرف أيهما المستحق للحمد، والشكر، ولَكَان عاجزاً ذا حاجة إلى معونة غيره، ولم يكن منفرداً بالملك والسلطان.

٣ ـ أنه لم يكن له ولي من الذل؛ أي: لم يوال أحداً من أجل مذلة به يدفعها بموالاته.

والخلاصة: أنه ليس له ولد يحبس نعمه عليه، وليس له شريك يقف أعماله في الملك، ولا ناصر يدفع العدو المذل له، وإذا تنزه ربنا عن ذلك، فقد أمن الناس نضوب موارده، وأصبحت أبوابه مفتحة لكل قاصد، فلتغترف ـ أيها العبد ـ من مناهله، ولتعلم أنه لا يحابيك لأجل أهلك ولا نسلك، ولا دينك، ولو كنت ابن نبيٍّ من الأنبياء، أو عظيم من العظماء. ومعنى ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾؛ أي: وعظّم ربك أيها الرسول بما أمرنَاكَ أن تعظمه به من قول، أو فعل، وأطعه فيما أمرك به، ونهاك عنه، وتكبيره تعالى وتنزيهه يكون:

١ ـ بتكبيره في ذاته باعتقاد أنه واجب الوجود لذَاتِهِ، وأنه غني عن كل موجود.

---

(١) المراغي.

٢ ـ بتكبيره في صفاته، باعتقاد أنَّه مستحق لكل صفات الكمال، منزَّهٌ عن صفات النقص.

٣ ـ بتكبيره في أفعاله، فتعتقد أنه لا يجري شيء في ملكه إلاَّ وفق حكمته، وإرادته.

٤ ـ بتكبيره في أحكامه، بأن تعتقدَ أنه مَلِكٌ مطاع، له الأمر والنهي، والرَّفْعُ والخَفْضُ، وأنه لا اعْتِرَاضَ لأحد عليه في شيء من أحكامه، يُعِزُّ من يشاء، ويذل مَن يشاء.

٥ ـ تكبيرُه في أسمائه، فلا يذكرَ إلا بأسمائه الحسنى، ولا يوصف إلا بصفاته المقدسة.

ثم ينبغي للعبد بَعْد أَنْ يبالغَ في التكبير، والتنزيه، والتحميد، والطاعة، مقدارَ عقله وفهمه، أن يَعْتَرِفَ أن عَقْلَهُ وفهمه لا يفي بمعرفة جلال الله، ولسانه لا يفي بشكره، وأعضاءه لا تفي بخدمته، فَكَبر الله عن أن يكُونَ تكبيرهُ وَافياً بكنه مجده، وعزته، وروي أن قول العبد: الله أكبر خير من الدنيا وما فيها، والتكبير[1]: أكبر لفظة للعرب في معنى التعظيم، والإجلال، وأكد بالمصدر تحقيقاً له، وإبلاغاً في معناه، وابتدئت هذه السورة بتنزيه الله تعالى، واختتمت به.

روى أحمد في «مسنده» عن معاذ الجهني: أَنَّ رسولَ الله ﷺ كان يقول: «آية العز ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾» الآية، وعن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء» وأخرج عبد الرزاق عن عبد الكريم ابن أبي أمية، قال: كان رسول الله ﷺ يعلِّمُ الغلام من بني هاشم إذا أفصح سبع مرات ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا . . .﴾ إِلَى آخر السورة.

وأخرج ابن جرير عن قتادة، قال: ذكر لنا أَنّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يُعَلّم أهله هذه الآية ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا . . .﴾ إلى آخرها، الصغير من أهله والكبير.

---

(١) البحر المحيط.

وأسأل الرحمة قبل الموت، وعند الموت، وبعد الموت، إنه تعالى ناشر العظام، بعد الموت، وسامع الصوت، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم آمين.

الإعراب

﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾.

﴿أَوْ﴾ حرف عطف وتنويع ﴿تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ﴾ فعل ومفعول به معطوف على ﴿تَفْجُرَ﴾ وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿كَمَا﴾ (الكاف) حرف جر (ما) مصدرية، ﴿زَعَمْتَ﴾ فعل وفاعل ومفعول الزعم محذوف تقديره: كما زعمت إسقاطَها، والجملة الفعلية صلة (ما) المصدرية (ما) مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بالكاف والجار والمجرور صفة لمصدر محذوف تقديره: أو تسقط السماء إسقاطاً كائناً كزعمك؛ أي: كالإسقاط الذي زعمته، ﴿عَلَيْنَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿تُسْقِطَ﴾ ﴿كِسَفًا﴾ حال من ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾ ﴿أَوْ تَأْتِىَ﴾ فعل مضارع معطوف على ﴿تُسْقِطَ﴾ وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿بِٱللَّهِ﴾ متعلق بـ ﴿تَأْتِىَ﴾، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ معطوف على الجلالة ﴿قَبِيلًا﴾ حال من الجلالة ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾.

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾.

﴿أَوْ يَكُونَ﴾ فعل ناقص معطوف على ﴿تَفْجُرَ﴾. ﴿لَكَ﴾ خبره مقدم ﴿بَيْتٌ﴾ اسمه مؤخر ﴿مِّن زُخْرُفٍ﴾ جار ومجرور صفة لـ ﴿بَيْتٌ﴾ ﴿أَوْ تَرْقَىٰ﴾ فعل مضارع معطوف على ﴿تَفْجُرَ﴾ منصوب بفتحة مقدرة، للتعذر، وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿تَرْقَىٰ﴾ ﴿وَلَن﴾ (الواو) عاطفة ﴿لَن نُّؤْمِنَ﴾ ناصب وفعل منصوب، وفاعله ضمير يعود على المشركين، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ﴾ ﴿لِرُقِيِّكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿نُّؤْمِنَ﴾ و(اللام) إما تعليلية، أو بمعنى (الباء) السببية ﴿حَتَّىٰ﴾ حرف جر وغاية، ﴿تُنَزِّلَ﴾ منصوب بأن مضمرةً، وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿عَلَيْنَا﴾ متعلق به ﴿كِتَٰبًا﴾ مفعول به، وجملة ﴿نَّقْرَؤُهُۥ﴾ صفة لـ ﴿كِتَٰبًا﴾،

وجملة ﴿تُنَزِّلَ﴾ في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حَتَّىٰ﴾ تقديره: إلى تنزيلك علينا ﴿كِتَٰبًا﴾ ﴿نَّقۡرَؤُهُۥ﴾ والجار والمجرور متعلق بـ ﴿نُّؤۡمِنَ﴾.

﴿قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾.

﴿قُلۡ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة ﴿سُبۡحَانَ رَبِّي...﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿سُبۡحَانَ رَبِّي﴾ منصوب على المفعولية المطلقة، بفعل محذوف وجوباً، تقديره: أسبحه سبحاناً، والجملة المحذوفة في محل النصب مقول ﴿قُلۡ﴾. ﴿هَلۡ﴾ حرف استفهام للاستفهام الإنكاري، ﴿كُنتُ﴾ فعل ناقص واسمه ﴿إِلَّآ﴾ أداة استثناء مفرغ ﴿بَشَرًا﴾ خبر كنت أو حال و﴿رَّسُولًا﴾ نعت أو خبر ثان لـ ﴿كُنتُ﴾، والجملة الاستفهامية في محل النصب مقول ﴿قُلۡ﴾.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾.

﴿وَمَا﴾ (الواو) استئنافية (ما) نافية ﴿مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾ فعل ومفعول أول ﴿أَن يُؤۡمِنُوٓاْ﴾ ناصب وفعل، وفاعل، والجملة في تأويل مصدر منصوب على كونه مفعولاً ثانياً لـ﴿مَنَعَ﴾ تقديره: وما منع الناس إيمانَهم ﴿إِذۡ﴾ ظرف لما مضى من الزمان، متعلق بـ﴿يُؤۡمِنُوٓاْ﴾ ﴿جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ فعل ومفعول وفاعل، والجملة في محل الجر، مضاف إليه، لـ﴿إِذۡ﴾ تقديره: وما منع الناس إيمانَهم، وقت مجيء الهدى إياهم ﴿إِلَّآ﴾ أداة استثناء مفرغ، ﴿أَن﴾ حرف نصب ومصدر ﴿قَالُوٓاْ﴾ فعل وفاعل في محل النصب، بأن المصدرية، والجملة الفعلية مع أن المصدرية، في تأويل مصدر، مرفوع على الفاعلية، لـ﴿مَنَعَ﴾ تقديره: وما منع الناس إيمانَهم وَقْتَ مجيء الهدى إياهم، إلا قولهم: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ مقول محكي لـ﴿قَالُوٓاْ﴾ وإن شئت قلت: ﴿أَبَعَثَ﴾ (الهمزة) للاستفهام الإنكاري ﴿بَعَثَ ٱللَّهُ﴾ فعل وفاعل، ﴿بَشَرًا﴾ حال من ﴿رَّسُولًا﴾ لأنه نعت نكرة قدمت عليها، ﴿رَّسُولًا﴾ مفعول به، والجملة الاستفهامية في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾.

﴿قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴿٩٥﴾﴾.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة ﴿لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿لَّوْ﴾ حرف شرط ﴿كَانَ﴾ فعل ناقص ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ جار ومجرور خبر ﴿كَانَ﴾ ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ اسمها مؤخر، وجملة ﴿كَانَ﴾ فعل شرط لـ﴿لَّوْ﴾ لا محلَّ لَهَا من الإعراب ﴿يَمْشُونَ﴾ فعل وفاعل، والجملة صفة لـ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾ حال من فاعل ﴿يَمْشُونَ﴾ ﴿لَنَزَّلْنَا﴾ (اللام) رابطة لجواب ﴿لَّوْ﴾ الشرطية، ﴿نزلنا﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب ﴿لَّوْ﴾ الشرطية، وجملة ﴿لَّوْ﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾ ﴿عَلَيْهِم﴾ متعلق بـ﴿نزلنا﴾ وكذا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ متعلق به أيضاً ﴿مَلَكًا﴾ حال من ﴿رَسُولًا﴾ و﴿رَسُولًا﴾ مفعول ﴿نزلنا﴾.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة، ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ فعل وفاعل، و(الباء) زائدة في فاعل ﴿كَفَىٰ﴾ ﴿شَهِيدًۢا﴾ تمييز لفاعل ﴿كَفَىٰ﴾، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿بَيْنِي﴾ ظرف، ومضاف إليه متعلق بـ﴿شَهِيدًۢا﴾ ﴿وَبَيْنَكُمْ﴾ معطوف على ﴿بَيْنِي﴾ ﴿إِنَّهُۥ﴾ ناصب واسمه ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص، وفاعله ضمير يعود على الجلالة ﴿بِعِبَادِهِۦ﴾ متعلق بـ ﴿خَبِيرًۢا﴾ ﴿خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ خبران لـ﴿كَانَ﴾ وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر (إن)، وجملة (إن) في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾ على كونها تعليلية.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾.

﴿وَمَن﴾ (الواو) استئنافية ﴿مَن﴾ اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما، أو في محل النصب، مفعول مقدم لـ ﴿يَهْدِ﴾ ﴿يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ فعل وفاعل مجزوم بـ﴿مَن﴾ على كونه فِعْلَ شرط لها، ﴿فَهُوَ﴾ (الفاء) رابطة لجواب (من) الشرطية، وجوباً لكون الجواب جملة اسميةً، (هو) مبتدأ ﴿ٱلْمُهْتَدِ﴾ خبره مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة

اتباعاً لرسم المصحف العثماني، لأنه اسم منقوص، والجملة الاسمية في محل الجزم، بـ﴿مَنْ﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وَجُمْلَةُ ﴿من﴾ الشرطية مستأنفة، ﴿وَمَن﴾ (الواو) عاطفة ﴿مَن﴾ اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب كما مر آنفاً ﴿يُضْلِلْ﴾ فعل مضارع، مجزوم بـ ﴿مَنْ﴾ على كونه فِعْلَ شرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾ ﴿فَلَن﴾ (الفاء) رابطة لجواب (من) الشرطية وجوباً لكونه مقروناً بـ﴿لن﴾ ﴿تَجِدَ﴾ فعل مضارع منصوب بـ ﴿لن﴾ وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿لَهُمْ﴾ متعلق بـ ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ وراعى في الضمير معنى ﴿من﴾ وفي قوله: ﴿فَهُوَ﴾ لفظها ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ مفعول به لـ﴿تَجِدَ﴾ ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ جار ومجرور حال ﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ وجملة ﴿لن تجد﴾ في محل الجزم بمن الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة (من) الشرطية معطوفة على جملة (مَن) الأولى على كونها مستأنفةً ﴿وَنَحْشُرُهُمْ﴾ فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ظرف متعلق به ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ حال من (الهاء) في ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ أحوال أيضاً من ضمير ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ ﴿مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مبتدأ، وخبر، والجملة الاسمية مستأنفة ﴿كُلَّمَا﴾ اسم شرط غير جازم، في محل النصب على الظرفية الزمانية، متعلق بالجواب الآتي ﴿خَبَتْ﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿جَهَنَّمُ﴾، والجملة فَعْلُ شرط لـ ﴿كُلَّمَا﴾ ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ فعل وفاعل ومفعولان، والجملة جواب ﴿كُلَّمَا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿كُلَّمَا﴾ مستأنفة.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم﴾ مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ (الباء) حرف جر ﴿أنهم﴾ ناصب واسمه ﴿كَفَرُوا۟﴾ فعل وفاعل ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ متعلق به، وجملة ﴿كَفَرُوا۟﴾ في محل الرفع خبر ﴿أن﴾، وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر مجرور بالباء تقديره: بسبب كفرهم ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الجار والمجرور متعلق بـ﴿جَزَآؤُهُم﴾، ويجوز أن يكون ﴿جَزَآؤُهُم﴾ بدلاً من ﴿ذَٰلِكَ﴾ و﴿بِأَنَّهُمْ﴾ هو الخبر، ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿كَفَرُوا۟﴾ ﴿أَءِذَا كُنَّا﴾ إلى آخر الآية مقول ﴿قَالُوٓا۟﴾ وإن شئت قلت:

الهمزة للاستفهام الإنكاري، ﴿إذا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان، مضمن معنى الشرط ﴿كُنَّا﴾ فعل ناقص واسمه ﴿عِظَامًا﴾ خبره، ﴿وَرُفَاتًا﴾ معطوف عليه، والجملة في محل الخفض بـ﴿إذا﴾ على كونها فِعْلَ شرط لها، والظرف متعلق بالجواب الآتي ﴿أَءِنَّا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري مؤكدة، للأول ﴿إنا﴾ ناصب واسمه ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾ خبر ﴿إن﴾ و(اللام) حرف ابتداء ﴿خَلْقًا﴾ حال من الضمير المستكن في ﴿مبعوثون﴾ ﴿جَدِيدًا﴾ نعت له ولك أن تجعل ﴿خَلْقًا﴾ مفعولاً مطلقاً من معنى الفعل؛ أي: نبعث بَعْثاً جديداً، وجملة ﴿أَءِنَّا﴾ جواب إذا الشرطية، وجملة إذا الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓا﴾.

﴿۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾.

﴿أَوَلَمْ﴾ (الهمزة) فيه للاستفهام التقريري داخلة على محذوف، و(الواو) عاطفة على ذلك المحذوف، تقديره: ألم يتفكروا، ولم يروا، والجملة المحذوفة جملة إنشائية، لا محلَّ لها من الإعراب، أو مستأنفة ﴿لم يروا﴾ فعل وفاعل، وجازم، والجملة معطوفة على الجملة المحذوفة، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ ناصب واسمه ﴿ٱلَّذِى﴾ صفة للجلالة ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الموصول، ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، والجملة الفعلية صلة الموصول، ﴿قَادِرٌ﴾ خبر ﴿أن﴾ وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر سَادّ مسدَّ مفعول، ﴿رأى﴾ ﴿عَلَىٰٓ﴾ حرف جر ﴿أَن يَخْلُقَ﴾ ناصب وفعل منصوب وفاعله ضمير يعود على الله ﴿مِثْلَهُمْ﴾ مفعول به، وجملة ﴿أن﴾ المصدرية مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ﴿عَلَىٰٓ﴾ تقديره: على خلقه مثلهم الجار، والمجرور متعلق بـ﴿قَادِرٌ﴾ ﴿وَجَعَلَ﴾ (الواو) عاطفة ﴿جَعَلَ﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الله ﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور في محل المفعول الثاني، لـ ﴿جعل﴾ ﴿أَجَلًا﴾ مفعول أول، لـ﴿جعل﴾ ﴿لَّا﴾ نافية ﴿رَيْبَ﴾ في محل النصب اسمها ﴿فِيهِ﴾ خبرها، وجملة ﴿لَا رَيْبَ﴾ في محل النصب صفة لـ﴿أَجَلًا﴾، أي: أجلاً غير مرتاب فيه، وجملة ﴿جَعَلَ﴾ معطوفة على جملة قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ لأنه في تقدير: قد رأوا، والمعنى: قد علموا بالدلائل العقليلة، أن من قدر على خلق السمٰوات والأرضَ

هو قادر على خلق أمثالهم، وجعل لهم أجلاً محققاً لا ريب فيه، ﴿فَأَبَىٰ﴾ (الفاء) عاطفة ﴿أبى الظالمون﴾ فعل وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿جعل﴾ ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرغ لأن ﴿أبى﴾ متأول بالنفي، فكأنه قيل: فَلَم يَرْضُوا ﴿كُفُورًا﴾ مفعول به.

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾.

﴿قُل﴾ فعل أمر وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة، ﴿لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿لَّوْ﴾ حرف شرط ﴿أَنتُمْ﴾ تأكيد للضمير المتصل بالفعل المحذوف، وجوباً بعد ﴿لو﴾ الشرطية يفسره المذكور بعده على سبيل الاشتغال تقديره: لو تملكون ﴿أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ فعل وفاعل ﴿أَنتُمْ﴾ تأكيد لضمير الفاعل، والجملة الفعلية فعل شرط لـ﴿لو﴾ لاَ مَحَلَّ لها من الإعراب، ﴿تَمْلِكُونَ﴾ فعل وفاعل، والجملة مفسرة للمحذوفة، لا محل لها من الإعراب، وفي «الفتوحات» قوله: ﴿لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنَّ المسألة من باب الاشتغال، فـ﴿أنتم﴾ مرفوع بفعل مقدر يفسره هذا الظاهر، لأن ﴿لَّوْ﴾ لا يليها إلا الفعل ظاهراً، أو مضمراً فهي كـ﴿إن﴾ في قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ والأصل: لو تملكون فحذف الفعل لدلالة ما بعده عليه، فانفصل الضمير، وهو الواو إذ لا يمكن بقاؤه متصلاً بعد حذف رافعه.

والثاني: مرفوع بـ﴿كان﴾ وقد كثر حذفها بعد ﴿لَّوْ﴾ التقدير: لو كنتم تملكون، فحذف كَان فانفصل الضميرُ وتملكون في محل نصب بكان المحذوف، وهو قول ابن الصائغ اهـ «سمين» ﴿خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ﴾ مفعول به، ومضاف إليه، ﴿إِذًا﴾ حرف جواب وجزاء مهمل ﴿لَّأَمْسَكْتُمْ﴾ (اللام) رابطة لجواب ﴿لو﴾ الشرطية ﴿أمسكتم﴾ فعل وفاعل، والجملة جواب ﴿لو﴾ لا محل لها من الإعراب ﴿خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ مفعول لأجله، ومضاف إليه ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ فعل ناقص واسمه وخبره و﴿الواو﴾ فيه حالية، وجملة ﴿كان﴾ في محل النصب حال من فاعل ﴿أمسكتم﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾ (الواو) استئنافية (اللام) موطئة للقسم، (قد) حرف تحقيق ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ﴾ فعل وفاعل ومفعولان، ومضاف إليه ﴿بَيِّنَٰتٍۖ﴾ صفة ﴿ءَايَٰتٍۭ﴾ والجملة الفعلية جوابُ القسم لاَ محل لها من الإعراب، وجملة القسم مستأنفة، ﴿فَسْـَٔلْ﴾ (الفاء) فاء الفصيحة، إن كَانَ الخطاب لمحمدٍ، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت إيتاءَنَا الآيات لموسى، وأردتَ استخبارَ بني إسرائيل عنهَا. . فأقول لك: ﴿اسأل﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ مفعول أول، والثاني محذوف تقديره: عنها، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لجواب إذ المقدرة، وجملة إذ المقدرة، مستأنفة، وإن كَانَ الخطاب لموسى، فـ﴿الفاء﴾ عاطفة لقول محذوف؛ تقديره: فقلنا له: اسأل فرعون بني إسرائيل، ﴿اسأل﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾ والمفعول الأول محذوف تقديره: فاسأل فرعون ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ مفعول ثان، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لذلك القول المحذوف، والقول المحذوف معطوف على جملة ﴿ءَاتَيْنَا﴾. ﴿إِذْ﴾ ظرف لما مضى من الزمان، متعلق بـ ﴿ءَاتَيْنَا﴾ على الوجه الأول، وبالقول المقدر على الوجه الثاني ﴿جَآءَهُمْ﴾ فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على موسى، والجملة الفعلية في محل الجر، مضاف إليه لـ(إذ) ﴿فَقَالَ﴾ ﴿الفاء﴾ عاطفة ﴿قال﴾ فعل ماض ﴿لَهُۥ﴾ متعلق به ﴿فِرْعَوْنُ﴾ فاعل، والجملة في محل الجر معطوفة على جملة ﴿جاء﴾ ﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ مقول محكي لـ﴿قال﴾، وإن شئت قلت: ﴿إِنِّى﴾ ناصب، واسمه ﴿لَأَظُنُّكَ﴾ (اللام) حرف ابتداء ﴿أظنك﴾ فعل ومفعول أول، وفاعله ضمير يعود على فرعون، ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ منادىٰ مفرد العلم، وجملة النداء معترضة بين مفعولي ظن على أنها مقول ﴿مَسْحُورًا﴾ مفعول ثان لظن، وجملة الظن في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على موسى، والجملة مستأنفة ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿لَقَدْ﴾ (اللام) موطئة للقسم ﴿قد﴾ حرف تحقيق، ﴿عَلِمْتَ﴾ فعل وفاعل، والجملة الفعلية جواب للقسم المحذوف، وجملة القسم المحذوف في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿مَا﴾ نافية ﴿أَنزَلَ﴾ فعل ماض ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ في محل النصب مفعول به ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرغ ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ فاعل، ومضاف إليه، ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ﴿بَصَآئِرَ﴾ حال من ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾؛ أي: أنزلها بصائر، وإنما احتجنا إلى هذا التقدير؛ لأن ما بعد إلا لاَ يكون معمولاً لما قبلها، وأجازه بعضهم، فهي حال من هؤلاء، وجملة ﴿أَنزَلَ﴾ من الفعل، والفاعل، سادة مسد مفعولي ﴿علم﴾ معلقة عنها بما النافية، ﴿وَإِنِّي﴾ (الواو) عاطفة ﴿إني﴾ ناصب، واسمه ﴿لَأَظُنُّكَ﴾ (اللام) حرف ابتداء ﴿أظنك﴾ فعل ومفعول أول وفاعله ضمير يعود على موسى ﴿يَٰفِرْعَوْنُ﴾ منادى مفرد العلم ﴿مَثْبُورًا﴾ مفعول ثان لـ﴿ظن﴾، وجملة ﴿ظن﴾ في محل الرفع خبر (إن)، وجملة (إن) معطوفة على جملة ﴿عَلِمْتَ﴾ على كَوْنِهَا جَوَابَ القسم.

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾.

﴿فَأَرَادَ﴾ (الفاء) عاطفة ﴿أراد﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يَعُودُ على فرعون، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿قَالَ﴾ ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾ ناصب وفعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على فرعون ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ متعلق به، والجملة الفعلية في تأويل مصدر منصوب على المفعولية، تقديره: فأراد استفزازهم من الأرض ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ﴾ (الفاء) عاطفة ﴿أغرقناه﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة ﴿أراد﴾ ﴿وَمَن﴾ (الواو) واو المعية ﴿مَن﴾ اسم موصول في محل النصب على كونه مفعولاً، ويجوز عطفه على الضمير ﴿مَّعَهُۥ﴾ ظرف اعتباري، متعلق بمحذوف صلة لـ ﴿مَن﴾ الموصولة ﴿جَمِيعًا﴾ حال من ﴿مَن﴾ الموصولة.

﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾.

﴿وَقُلْنَا﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿أغرقنا﴾. ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ جار ومجرور، ومضاف إليه متعلق بـ﴿قلنا﴾ ﴿لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ متعلق به أيضاً ﴿ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾

مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ﴾ فعل وفاعل ومفعول به، على السعة، والجملة في محل النصب مقول القول ﴿فَإِذَا﴾ (الفاء) عاطفة ﴿إذا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان، ﴿جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ﴾ فعل وفاعل، ومضاف إليه، والجملة الفعلية في محل الخفض، بإضافة ﴿إذا﴾ إليها على كَوْنِهَا فِعْلَ شرط لها ﴿جِئْنَا﴾ فعل وفاعل ﴿بِكُمْ﴾ متعلق به ﴿لَفِيفًا﴾ حال من ضمير المخاطبين، والجملة الفعلية جواب ﴿إذا﴾ لا محلَّ لهَا من الإعراب، وجملة إذا في محل النصب معطوفة على جملة ﴿ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ﴾ على كونها مقول ﴿قلنا﴾.

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾.

﴿وَبِٱلْحَقِّ﴾ (الواو) استئنافية ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بـ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾، أو حال من الفاعل، أي: حالةَ كوننا ملتبسينَ بالحق أو من المفعول،؛ أي: حَالةَ كونه مُلْتَبِساً بالحق ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة مستأنفة، ﴿وَبِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بـ﴿نَزَلَ﴾ أو حال من فاعل ﴿نَزَلَ﴾؛ أي: ملتبساً بالحق ﴿نَزَلَ﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على القرآن، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ ﴿وَمَآ﴾ (الواو) عاطفة (ما) نافية ﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرغ ﴿مُبَشِّرًا﴾ حال من كاف المخاطب ﴿وَنَذِيرًا﴾ معطوف عليه.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾.

﴿وَقُرْءَانًا﴾ (الواو) عاطفة ﴿قرآنا﴾ منصوب على الاشتغال بفعل محذوف وجوباً، تقديره: وفرقنا قرآناً، والجملة المحذوفة، معطوفة على جملة ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة جملة مفسرة للمحذوف، لا محلَّ لها من الإعراب، ﴿لِتَقْرَأَهُۥ﴾ (اللام) حرف جر وتعليل ﴿تقرأه﴾ فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ متعلق به ﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ جار ومجرور حال من الفاعل، أي: حالَةَ كونك متمهلاً، ومتأنياً، وقارئاً شيئاً بعد شيء، رعايةً لمصالح العباد، ومعايشهم، والجملة الفعلية مع أن المضمرة في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: لقراءتك إياه ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾، ﴿تَنزِيلًا﴾ منصوب

على المفعولية المطلقة، والجملة معطوفة على جملة ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾.

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة ﴿ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾ إلى قوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ مقول محكي لـ﴿قُلْ﴾ وإن شئت قلت: ﴿ءَامِنُوا۟﴾ فعل وفاعل ﴿بِهِۦٓ﴾، متعلق به ﴿أَوْ﴾ حرف عطف، وتفصيل ﴿لَا﴾ ناهية جازمة ﴿تُؤْمِنُوٓا۟﴾ فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لَا﴾ الناهية، والجملة معطوفة على جملة ﴿ءَامِنُوا۟﴾، وجملة ﴿ءَامَنُوا۟ بِهِۦٓ﴾ في تأويل مصدر من غير سابك لإصلاح المعنى مرفوع على كونه مبتدأ خبره محذوف، تقديره: إيمانكم به، وعدم إيمانكم به سواء، عندنا، لا نبال بكم، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ ناصب واسمه ﴿أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ فعل ونائب فاعل ومفعول ثان ﴿مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ ظرف، ومضاف إليه، متعلق بمحذوف حال من واو الجماعة، والجملة الفعلية صلةُ الموصول ﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان ﴿يُتْلَىٰ﴾ فعل مضارع مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على القرآن ﴿عَلَيْهِمْ﴾ متعلق به، والجملة الفعلية في محل الخفض بإضافة إذا إليها، على كَوْنِهَا فِعْلَ شرط لها، ﴿يَخِرُّونَ﴾ فعل وفاعل ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾ متعلق به ﴿سُجَّدًا﴾ حال من فاعل ﴿يَخِرُّونَ﴾، وجملة ﴿يَخِرُّونَ﴾ جواب إذا لاَ مَحَلَّ لها من الإعراب، وجملة ﴿إِذَا﴾ من فعل شرطها وجوابها في محل الرفع خبر، ﴿إِنَّ﴾ وجملةُ ﴿إِنَّ﴾ مسوقة لتعليل ما قبلها، على كونها مقول ﴿قُلْ﴾ أي: إن لم تؤمنوا به، فقد آمن به من هو خير منكم.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾.

﴿وَيَقُولُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿يَخِرُّونَ﴾. ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي لـ ﴿يقولون﴾ وإن شئت قُلْتَ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ منصوب على المفعولية المطلقة بفعل محذوف وجوباً، تقديره: نسبح ربنا تسبيحاً ﴿إِن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن؛ أي: إنَّه ﴿كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ فعل ناقص واسمه ﴿لَمَفْعُولًا﴾

(اللام) حرف ابتداء ﴿مَفْعُولًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾ وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿يقولون﴾ ﴿وَيَخِرُّونَ﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿يَخِرُّونَ﴾ الأول ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾ متعلق به ﴿يَبْكُونَ﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل النصب حال من فاعل ﴿يَخِرُّونَ﴾ ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ فعل ومفعولان، وفاعله ضمير مستتر فيه يعود على القرآن، أو البكاء، أو السجود، والجملة في محل النصب على الحال، معطوفة على ﴿يَبْكُونَ﴾ أو حال من فاعل ﴿يَبْكُونَ﴾.

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾.

﴿قُلِ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة ﴿ادْعُوا اللَّهَ﴾ إلى قوله: ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿ادْعُوا اللَّهَ﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلِ﴾ ﴿أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على ادعوا الله ﴿أَيًّا﴾ اسم شرط جازم منصوب على المفعولية بـ ﴿تَدْعُوا﴾ ﴿مَا﴾ زائدة زيدت تأكيداً للإبهام المفهوم من أياً، ونوّنت؛ أي تعويضاً عما فاتها من الإضافة، ﴿تَدْعُوا﴾ فعل وفاعل مجزوم بـ﴿أَيًّا﴾ على كونه فِعْلَ شرط لها، وعلامة جزمه حذف النون، وجواب الشرط محذوف تقديره: فهو حسن دل عليه ما بعده، وجملة الشرط مع جوابه، في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿فَلَهُ﴾ (الفاء) رابطة الجواب، ﴿له﴾ خبر مقدم ﴿الْأَسْمَاءُ﴾ مبتدأ مؤخر، ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ صفة له، والجملة الإسمية في محل الجزم على كونها جواباً لـ﴿أي﴾ ﴿وَلَا﴾ (الواو) عاطفة (لا) ناهية جازمة ﴿تَجْهَرْ﴾ مجزوم، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة معطوفة على جملة ﴿قُلْ﴾. ﴿بِصَلَاتِكَ﴾ متعلق بـ﴿تَجْهَرْ﴾. ﴿وَلَا تُخَافِتْ﴾ جازم ومجزوم، وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿بِهَا﴾ متعلق به، والجملة معطوفة على جملة النهي، ﴿وَابْتَغِ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة معطوفة على جملة ﴿قُلِ﴾ ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ ظرف، ومضاف إليه متعلق به، ﴿سَبِيلًا﴾ مفعول به.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾.

﴿وَقُلِ﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ﴾ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب مقول القول، ﴿ٱلَّذِى﴾ صفة للجلالة ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ جازم، وفعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الموصول، والجملة صلة الموصول.. ﴿وَلَمْ يَكُن﴾ فعل ناقص، وجازم ﴿لَّهُۥ﴾ خبره مقدم ﴿شَرِيكٌ﴾ اسمه مؤخر ﴿فِى ٱلْمُلْكِ﴾ متعلق بـ﴿شَرِيكٌ﴾، وجملة ﴿يَكُن﴾ معطوفة على جملة الصلة، ﴿وَلَمْ يَكُن﴾ جازم، وفعل ناقص، ﴿لَّهُۥ﴾ خبره مقدم ﴿وَلِىٌّ﴾ اسمه مؤخر ﴿مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ متعلق بـ﴿وَلِىٌّ﴾ والجملة معطوفة على جملة الصلة، ﴿وَكَبِّرْهُ﴾ فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿تَكْبِيرًا﴾ مفعول مطلق مؤكد لعامله، والجملة معطوفة على جملة ﴿قُلْ﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿كِسَفًا﴾ يقرأ[1] بفتح السين وسكونها فَمَن فتح السين: جعله جمع كسفة نحو قطعة، وقطع، وكسرة، وكسر، ومن سكن جَعَلَهُ جمع كسفة، أيضاً على حَدّ سِدْرَةٍ وسدر، وقَمْحَةٍ وقَمْحٍ، وجوَّز أبو البقاء فيه وجهين آخرين:

أحدهما: أنه جمعٌ على فَعَل بفتح العين، وإنما سُكّن تَخْفِيفاً، وهذا لا يجوز، لأنَّ الفتحةَ خفيفةٌ يحتملها حرف العلة، حيث يقدِّر فيه غيرها، فكيف بالحرف الصحيح؟.

والثاني: أنه فِعْلُ بمعنى مفعول كطِحْنٍ بمعنى مطحون، فصار في السكون ثلاثةُ أوجه: وأصل الكسف: القطع، يقال: كَسفْتُ الثَّوْبَ قطعتَه، وفي الحديث: في قصة سليمان مع الصافنات الجياد، أنه كسف عَرَاقِيبَها، أي: قَطَعَها، وَقَالَ الزجاج: كَسَفَ الشّيءَ بمعنى غطاه، قِيل: وَلاَ يُعْرَف هذا لغيره، وانتصابه على الحال، فإنْ جعلْناهُ جَمْعاً كان على حذف مضاف، وإن جَعَلْنَاه فعلاً بمعنى مفعول لم يحتج إلى تقدير، وحينئذ فيقال: لِمَ لَمْ يؤَنّث؟ ويجابُ بأنَّ تأنيثَ السماء غير حقيقي، أو بأنها في معنى السقف .اهـ سمين. ﴿لِرُقِيِّكَ﴾ والرُّقيُّ: الصعود،

---

(١) الفتوحات.

يقال: رقِيَ بالكسر يَرْقَى بالفتح، رُقِيّاً على فعول، والأصل: رقوى فأُدغم بَعْد قلب الواو ياءً، ورَقْياً بزنة ضَرْبِ اهـ «سمين». وَقَوْلُه: بالكسر؛ أي: في المحسوسات كما هنا، وأما في المعاني: فهو من باب سَعَى يقال: رقى في الخير والشرّ، يرقى بفتح القاف في الماضي، والمضارعِ، وأمَّا رقى المريضَ بمعنى عَوَّذه، فهو من باب رَمَى يقال: رقاه يرقيه إذا عوذه، وتلا عليه شيئاً من القرآن، وفي «المصباح»: رقيْتُهُ أَرْقِيه ـ من باب رَمَى ـ رَقْياً عَوَّذْتُهُ بالله، والاسم الرقيا: بوزن فَعْلَى، والمرة رقية، والجمع رُقى، مثْلُ مُدْيَة ومُدى، ورقيت في السلم، وغيره أرقى ـ من باب تعب ـ رُقياً على زنة فُعُول ورَقْياً على زنة فلس أيضاً، وَرقا الطائر يرقو ارتَفَعَ في طيرانه اهـ.

﴿زُخْرُفٍ﴾، أي: ذهب، وهُوَ المرادُ هنا، ولها مَعان شَتَّىٰ منها حسن الشيء، وزُخْرفِ الكلام أباطيلُه المموَّهة، وزخرفُ الأرض ألوان نباتها، والجَمْعُ زَخَارِفُ، وزخْرفَ الشَّيءَ حسَّنه وَزَيَّنه، والكلام موَّهه بالكذب ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ أي: سكن لهبها، وأصل خبت خَبَوَتْ بوزن قَعَدَت، تحركت الواو وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فالتقى ساكنان: الألف، وتاءُ، التأنيث، فحذفت الألفُ لالتقاء الساكنين، فوزنهُ الآن فَعَتْ بوزن رمت، لحذف لامه وفي «القاموس» في باب الواو: وخَبتْ النارُ، والحرب خبواً وخبوّاً سكنتْ وطَفئَتْ وأخبَيْتُها أطفأْتُها اهـ وفي «المصباح» خَبَتِ النار خبواً من باب قعد خمد لهبها، ويعدى بالهمزة، وفي «السمين»: وخبت النار تخبُوا إذا سكن لهبها، فإذا ضَعُفَ جَمْرُها قيل: خمدتْ فإذا طفئت بالجملة، قيل: همَدَتْ وكل من خمدتْ، وهمدت من باب: قَعَدَ كما في «المصباح»: والسعير اللهب ﴿وَرُفَتًا﴾؛ أي: تراباً وفي «القاموس»: رفته يرفته وَيَرْفِتُه كسره، ودقه، وانكسر، ودَقَّ لازم متعد، وانْقَطَعَ كأرفت إرفاتاً في الكلّ، وكغراب الحطامُ اهـ.

﴿بَصَآئِرَ﴾؛ أي: عبراً وبيّنات جمعُ بصيرة ﴿مَثْبُورًا﴾؛ أي: هَالِكاً أو مصروفاً عن الخير، وفي «المصباح»: وثبر الله الكافرَ ثبوراً من بَاب قَعَدَ أَهْلكه وثبر، هو يتعدى، ويَلْزَمُ قوله ﴿أن يَسْتَفِزَّهم﴾ في «القاموس»: فَزَّعَني عَدَلَ، والظبي فَزِعَ وفز فلانٌ عن موضعه، منْ باب ضربَ فزازاً أزعجه، واستفزه استخفه، وأخرجه

من داره وأفزته أفزَعته اهـ. ﴿لَفِيفًا﴾ قيل: هو مصدر لف، يَلُفُّ لفِيفاً نحو النذير، والنكير، من لَفَّ الشيءَ يلفه لفاً، والألَفُّ المتداني الْفَخِذَيْنِ أو عظيمُ البَطْنِ، وقيل: هو اسم جَمْعٍ لا واحدَ له من لفظه، والمعنى: جئنا بكم جميعاً، واللَّفيفُ أيضاً الجمع العظيم من أخلاط شَتَّى من شريف، ودنيء، ومطيع، وعاص، وقوي، وضعيف، وكل شيء خلَطتْه بغيره فقد لففته.

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ والحَقّ هو الثابتُ الذي لاَ يَزُولُ، والقرآن مشتمل على كثير من ذلك، كدلائل التوحيد، وتعظيم الملائكة، ونبوة الأنبياء، وإثبات البعث، والقيامة، وفي «الشهاب»: والحقُّ فيهما ضد الباطل، لكن المرادُ بالأول: الحكمة الإلهيةُ المقتضيةُ لإنزاله، وبالثاني: ما يشتمل عليه من العقائد والأحكام ونحوها اهـ. و﴿فَرَقْنَٰهُ﴾؛ أي: أنزلناه مفرَّقاً مُنَجَّماً ﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ والمُكْثُ «بالضم والفتح» التُّؤَدَةُ، والتَّأَنّي، والمُكْثُ أيضاً التَّطَاوُلُ في المدة ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾ جَمْعُ ذقن، وهو مجتمعُ اللَّحْيَيْنِ.

﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الحُسْنَى مؤنَّثُ الأحسن الذي هو أفعل التفضيل، لا مؤنث الأحسن، المقابل لامرأة حسناء، كما في «القاموس»: يعني: أنَّ أَحْسَن لا يستعمل بمعنى أصل الفعل، وإنما استعمل بمعنى التفضيل، والحُسْنى بالضم ضدُّ السُّوءَى، وقد وصف الجَمْعُ الذي لاَ يَعْقِلُ بما تُوصف به الواحدة، كقوله: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ وهو فصيح، ولو جاء على المطابقة للجمع.. لكان التركيب الحسن على وزن الأُخر، كقوله: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ لأن جمع ما لا يعقل يخبر عنه، ويوصف بوصف المؤنثات، وإنْ كان المفرد مذكراً اهـ. ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾؛ أي: ولا تسر بها، يقال: خَفَتَ الصوت من بابي ضرب، وجلس إذا سكن، ويعدَّى بالباء، فيقال: خفَت الرجل بصوته إذا لم يرفعه، وخَافَت بقراءته، مخافَتَةً إذا لم يرفع صوتَه بها، وخَفَتَ الزرع، ونَحْوهُ مات فهو خافت اهـ. «مصباح» و«مُختار». وفي «السمين»: والمخافَتَةُ المسارة بحيث لا يسمع الكلام، وضربته حَتَّى خَفَتَ؛ أي: لم يسمع له صوت اهـ. تخافت القوم إذا تساروا ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾، أي: مشارك له في ملكه، وسلطانه، وربوبيته؛ فهو فعيل بمعنى مفاعل، كالعشير بمعنى المعاشر، والمثيل بمعنى المماثل، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ

﴿وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾، والوليّ الناصر، ينصره، ويمنعه، ويحفظه من إذلال من يذله، والذل: الهَوان والصّغارُ.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضُرُوباً من البلاغة، وأنواعاً من الفَصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الحصر في قوله: ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾.

ومنها: الاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾.

ومنها: التكرار في قوله: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِّ﴾.

ومنها: الطباق بين ﴿مَن يَهْدِ﴾ ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ وبين ﴿مُبَشِّرًا﴾ ﴿وَنَذِيرًا﴾ وبين ﴿تَجْهَرْ﴾ و﴿تُخَافِتْ﴾.

ومنها: الالتفات من الغيبة إلى التكلم في قوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ اهتماماً بأمر الحشر.

ومنها: الجناس الناقص بين ﴿مَّحْسُورًا﴾ و﴿مَثْبُورًا﴾ لتغير بعض الحروف.

ومنها: المقابلة اللطيفة في قوله: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ في مقابلة قول فرعون ﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾.

ومنها: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ للتفخيم، فإنه لو تَرَكَ الإظهارَ وَعَدَلَ إلى الإضمار كما يقتضيه السياق فقال: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ لم يكن فيه من الفخامة ما فيه الآن، ويسميه بعضهم بالتصريح.

ومنها: الاستطراد في قوله: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ على قاعدة أسلوب كلامهم، وهو: أن يستطرد المتكلم بذكر شيء لم يسق له كَلاَمُه، أولاً ثُمَّ يعود إلى كلامه الأول، فقد ذكر سبحانه أوّلاً القرآن، وأنَّ الإِنْسَ والجِنَّ عاجزون عن الإتيان بمثله، وفصاحته وبلاغته، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، ثُمَّ انتقل إلى ما في منطوياته من مُثُل، وعبر، وبصائرَ، وانساقَ الكلامُ إلى تعنت الكافرين،

وتماديهم في اللجاج، وصدودهم في الغي، والمكابرة، وطمس الحقائق، وإنكار الوقائع، ثمَّ أورد شاهداً على ذلك ما لاقاه موسَى من مكابرة فرعونَ وملئه، وضَرَبَ مثلاً في المغبَّة التي نالها فرعون ومن معه ثُمَّ عاد إلى الموضوع الذي شَرَعَ فيه، وهو كون القرآن نازلاً بالحق، وإليه هادفاً.

ومنها: القصر الإضافي في قوله: ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ والقصر: هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، وينقسم إلى حقيقَي، وإضافي فالحقيقي ما كان الاختصاص فيه بحسب الحقيقة، والواقع نحو لا: كاتب في المدينة، إلا علي، والإضافي ما كان الاختصاص فيه بحسب الإضافة إلى شيء معين، نحو ما علي إلاَّ قائم؛ أي: له صفة القيام، لا صفة القعود، و(ما) هنا كذلك، لأنَّ المعنى: ما أرسلناك إلاَّ بصفة التبشير، والإنذار، لا بصفة الهداية، لأنَّ الهداية، والإضلال علينا.

ومنها: التكرير المعنوي في قوله: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ وقوله: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ فقد كرر الخرور للذقن، وهو السقوط: على الوجه لاختلاف الحالين، فالأول خرورهم في حال كونهم ساجدين، والثاني خرورهم في حال كونهم باكينَ.

ومنها: الإتيان بالحال الأول اسماً وهو قوله: ﴿سُجَّدًا﴾ للدلالة على الاستمرار، والحال الثانية، فعلاً، وهي قوله: ﴿يَبْكُونَ﴾ للدلالة على التجدد والحدوثِ، فكأنَّما بكاؤهم يتجدد بتجدد الأحوالِ الطارئةِ، والعِظاتِ المتتالية.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾؛ أي: بقراءة صلاتك من إطلاق الكل، وإرادة الجزء، والعلاقة الجزئية.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ حيث استعار السبيلَ الذي هو محلُّ المرور للصوت الوسط، بين الجهر، والمخافتة بجامع أنَّ كلاً منهما أمر يتوجه إليه المتوجهون، ويؤمه المقْتَدُونَ فيوصلُهم إلى المطلوب.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

مجمل ما حوته هذه السورة من الموضوعات

١ ـ الإسراء منْ مكة إلى بيت المقْدِس.

٢ ـ تاريخ بني إسرائيل في حالتي الارتقاء والانحطاط.

٣ ـ حكم وعظات للأمة الإسلامية، يجب أن تراعيها حتى لا تذهب دولها، كما ذهبت دولة بني إسرائيل.

٤ ـ بيانُ أنَّ كل ما في السموات، والأرض مسبح لله تعالى.

٥ ـ الكلام في البعث مع إقامة الأدلة على إمكانه.

٦ ـ الرد على المشركين الذين اتَّخَذوا مع الله آلهة مِنَ الأوثان، والأصنام.

٧ ـ الحكمة في عدم إنزال الآيات التي اقترحوها على محمد ﷺ.

٨ ـ قصص سجود الملائكة لآدم، وامتناع إبليس من ذلك.

٩ ـ تَعْداد بعض نِعَمِ الله على عباده.

١٠ ـ طلب المشركين من الرسول ﷺ أَنْ يُوافِقَهم في بعض معتقداتهم، وإلحافُهم في ذلك.

١١ ـ أمر النبي ﷺ بإقامة الصلاة، والتهجُّد في الليل.

١٢ ـ بيان إعجاز القرآن، وأنَّ الْبَشَر يستحيل عليهم أنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ.

١٣ ـ قصص موسى مع فرعون.

١٤ ـ الحِكمة في إنزالِ القرآن منجماً.

١٥ ـ تنزيه الله تعالى عن الولد والشريك والناصر والمُعين.

والله أعلم

* * *

سورة الكهف

مكية كلها، قال القرطبي: في قول جميع المفسرين، وروي عن فرقة: أن أول السورة نزل بالمدينة إلى قوله: ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾، وقيل[1]: إلا قوله ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ والقول الأول أصح، وهي مئةٌ وإحدى عشرة آيةً، وكلماتها ألف وخمس مئة وسبع وسبعون كلمةً، وحروفها ستة آلاف وأربع مئة وستون حرفاً.

المناسبة: ومناسبتها لِما قبلها من وجوه[2]:

١ ـ أن سورة الإسراءِ افْتُتِحَتْ بالتسبيح، وهذه بالتحميد، وهما مقترنان في سائر الكلام، في نحو ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، ونحو: سبحان الله وبحمده.

٢ ـ تشابه خِتام السَالِفَةِ وافتتاح هذه فإن كلاً منهما حمد.

٣ ـ أنه ذكر في السَّابقة قوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ والخطاب فيها لليهود، وذكر هنا قصة موسى نبي بني إسرائيل مع الخضر عليهما السلام، وهي تدل على كثرة معلومات الله التي لا تُحصى، فكانت كالدليل على ما تقدم.

٤ ـ أنه جاء في السورة السابقة ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ ثم فصَّل ذلك هنا بقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ إلى قوله: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾.

فضلها: وقد ورد في فضلها أحاديث[3]:

---

(١) البيضاوي.
(٢) المراغي.
(٣) الشوكاني.

منها: ما أخرجه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي وغيرهم عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «مَنْ حفظ عَشْر آيات من أول سورة الكهف عصم منْ فتنة الدجال».

وأخرج أحمد، ومسلم، والنسائي، وابن حبان، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ العشرَ الأواخر من سورة الكهف، عُصم من فتنة الدجال».

وأخرج البخاري ومسلم، وغيرهما عن البراء قال: قرأ رجل سورة الكهف، وفي الدار دابة فجعلت تنفر فَنَظَر فإذا ضَبَابة ـ أو سحابة ـ قد غشيته، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «اقرأ فلانُ، فإن السكينة نزلت للقرآن» وهذا الذي كان يقرأ هو أسيد بن حضير، كما بينه الطبراني.

وأخرج الترمذي، وصححه عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الكهف، عُصِمَ من فتنة الدجال»، وفي قراءة العشر الآيات من أولها أو من آخرها أحاديث.

وأخرج ابن مردويه، والضياءُ ـ في «المختارة» ـ عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ الكهف يوم الجمعة.. فهو مَعْصُومٌ إلى ثمانية أيام من كل فِتْنَةٍ تكون، فإن خَرَجَ الدجال عُصم منه».

وأخرج الطبراني في «الأوسط» والحاكم، وصححه، وابن مردويه، والبيهقي، والضياء عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ سورة الكهف، كانت له نُوراً من مَقَامِهِ إلى مكة، ومن قرأ عَشْرَ آيات مِنْ آخرها ثُمَّ خَرَجَ الدجال.. لم يضره».

وأخرج الحاكم، وصححه من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة.. أضاءَ له من النور ما بين الجمعتين» وأخرجه البيهقي أَيْضاً في «السنن» من هذا الوجه، ومن وجه آخر، وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سورة الكهف في يوم

الجمعة، سطع له نُورٌ من تحت قدمه إلى عنان السماء، يضيءُ له يوم القيامة، وغفر له ما بين الجمعتين».

وأخرج ابن مردويه عن عائشةَ قالت: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بِسُورة مَلأ عظمتها ما بين السماء والأرض، ولكاتبها من الأجر مثل ذلك، ومن قرأها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وزيادة ثلاثة أيام، ومن قرأ الخمس الأواخر منها عند نومه، بعثه الله من أيِّ الليل شاءَ؟» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «سورة أصحاب الكهف».

وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن مغفل، قال: قال رسول الله ﷺ: «البيت الذي تقرأ فيه سورة الكهف لا يدخله شَيْطَانٌ تلك الليلة». وفي الباب أحاديث، وآثار، وفيما أوردناه كفاية مغنية.

الناسخ والمنسوخ فيها: قال أبو عبد الله محمد بن حزم في كتابه «الناسخ والمنسوخ»: وقد أجمع المفسرون على أن لا منسوخ في سورة الكهف، إلا السدي وقتادة فإنهما قَالاَ: فيها آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ﴾ الآية (٢٩) ناسخها قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ انتهى.

والله أعلم

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾.

المناسبة

مناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها[1]: أنه لما قال: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ

---

(١) البحر المحيط.

نَزَّلَ﴾ وذكر المؤمنين به أهل العلم، وأنه يزيدُهم خشوعاً، وأنه تعالى أَمَرَ بالحمد له، وأنه لم يتخذ ولداً: أمره تعالى بحمده على إنزال هذا الكتاب السالم من العِوَجِ، القيم على كل الكتب، المنذر من قال اتخذ الله ولداً، المبشر المؤمنين بالأجر الحسن، ثم استطرد إلى حديث كفار قريش، والتَفَتَ من الخطاب في قوله: وكبِّره تكبيراً، إلى الغيبة في قوله: ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ لما في ﴿عَبْدِهِ﴾ من الإضافة المقتضية تشريفه، ولم يجىء التركيب: أنزل عليك.

أسباب النزول

سبب نزولها[1]: ما أخرجه ابن جرير من طريق ابن إسحاق، عن شيخ من أهل مصر، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: بعثَتْ قُرَيْشُ النضر بن الحارث، وعقبة ابن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة، فقالوا لهما: سلاهم عن محمد، وصفا لهم صِفَته، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعِنْدَهُم مَا ليس عِنْدَنَا من علم الأنبياء، فَخَرَجَا حتى أتيا المدينة، فَسَألاَهُمْ فقالوا: سلوه عن ثلاث، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل، فالرجل متقوِّل، فروا فيه رأيكم، سلوهُ عن فتية ذَهَبُوا في الدهر الأول، ما كان من أمرهم؟ فإنه كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلَغَ مشارقَ الأرض ومغارِبَها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح، ما هي؟ فأقبلا حتى قَدِما على قريش، فقالا: قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، فجاؤوا رسول الله ﷺ فسألوه فقال: أخبركم غَداً بما سألتم عنه، ولم يَقُل: إن شاء الله.. فانصرفوا فاستلبث الوحي خمسةَ عَشَرَ يوماً، ولا يأتيه جِبْرِيل حتى أرجفَ كفارُ قريش، وقَالُوا: إنَّ مُحَمَّداً قد تركه رئيه الذي كان يأتيه من الجن، وقال بعضهم: قد عجز عن أكاذيبه، فشقَّ ذلك على رسول الله ﷺ فَلَمَّا انْقَضَى الأمد، جاءه الوحي بجواب الأسئلة وغيرها، فجاءه جبريل بسورة أهل الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وبيانُ أمر الفتية، والرجل الطوَّاف، وأَنْزَلَ بعد ذلك ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ...﴾ الآية.

---

(١) لباب النقول والبحر المحيط.

وروي في هذا السبب[1]: أنَّ الْيَهُودَ قالت: إن أجابكم عن الثلاثة، فليس بنبي، وإن أجاب عن اثنتين، وأمسك عن الأخرى فهو نبي، فأنزل الله سُورَةَ أهل الكهف، وأَنْزَلَ بعد ذلك ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ﴾، وأخرج[2] ابن مردويه عن ابن عباس قال: اجتمع عُتْبَةُ بن ربيعة، وشيبة بن ربيعةَ، وأبو جهل بن هشام، والنضر بن الحارث، وأمَيَّة بن خلف، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وأبو البحتري في نفر من قريش، وكان رسول الله ﷺ قد كبر عليه ما يَرى من خلاف قومه إياه، وإنكارهم ما جاء به من النَّصيحة، فأحزنه حزناً شديداً، فأنزل الله سبحانه ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ...﴾ الآية.

التفسير وأوجه القراءة

﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾؛ أي: المدح والثناءُ والشكر كله مستحق ﴿لِلَّهِ﴾ سبحانه وتعالى؛ لأن وجودَ كلٍّ شيءِ نعمة من نعمه تعالى، فلا منعم إلا هو، قال[3] القيصري رحمه الله تعالى: الحمد قوليٌّ، وفعليٌّ، وحاليٌّ، أما القولي: فحمد اللسان، وثناؤه عليه بما أثنى به الحق على نفسه على لسان أنبيائه عليهم السلام، وأما الفعلي: فهو الإتيان بالأعمال البدنية من العبادات والخيرات ابتغاءً لوجه الله تعالى، وتوجهاً إلى جنابه الكريم، وأما الحالي: فهو الذي يكون بحسب الروح والقلب، كالاتصاف بالكمالات العلمية، والعملية، والتخلق بالأخلاق الإلٰهية؛ لأن النَّاسَ مأمورون بالتخلق بلسان الأنبياء، صلوات الله عليهم، لتصير الكَمَالاَت مَلَكة نفوسهم وذواتِهم ﴿ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ﴾ محمد ﷺ، وفيه[4] إشعارٌ بأنَّ شَأنَ الرسول أن يكون عبداً للمرسل، لا كما زعمت النصارى في حق عيسى ـ عليه السلامُ ـ ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ أي القرآنَ الحقيقَ باسم الكتاب.

علّم[5] سبحانه عباده كيف يحمدونه على إفاضة نعمه عليهم، ووصْفُهُ

---

(١) البحر المحيط.
(٢) لباب النقول.
(٣) روح البيان.
(٤) روح البيان.
(٥) الشوكاني.

بالموصول يشعر بعليَّةِ ما في حيز الصلة لِمَا قَبْلَه، ووجه كون إنزال الْكِتَابِ ـ وهو القرآن ـ نِعْمَة على رسوله ﷺ، كونه اطَّلَعَ بواسطته على أسرار التوحيد، وأحوال الملائكة، والأنبياءِ، وعلى كيفية الأحكام الشرعية التي تَعَبَّدَه اللهُ وتعبَّد أُمَّته بها، وكذلك العباد، كان إنزالُ الكتاب على نبيهم نعمةً لهم، لِمثْل ما ذكرناه في النبي ﷺ، و(الواو) في قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ﴾؛ أي: الكتاب ﴿عِوَجَا ۜ﴾؛ أي: اخْتِلافاً في اللفظ، وتَنَاقُضاً في المعنى، أو ميلاً عن الحق، حاليَّة، فالجملة حال أولى من الكتاب كما قاله الأصبهاني، ولكنها حال سببية؛ أي[1]: أنزله غير جاعل له عِوَجاً؛ أي شَيْئاً من العوج بنوع اختلال في النظم، وتناف في المعنى، أو عدول عن الحق إلى الباطل.

والخلاصة: لا خلل في لفظه، ولا في معناه، واختار حَفْصٌ عن عاصم السكت على ﴿عوجاً﴾ وهو وَقْفَةٌ لَطِيفَةٌ من غير تنفس لئلا يُتَوَهَّمُ أنَّ ما بعده صفة له، وقوله: ﴿قَيِّمًا﴾؛ أي: مُسْتَقِيماً مُعْتَدِلاً لا إفراطَ فيه، ولا تَفْرِيطَ، أو قَيّماً بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد، فيكون وصفاً له بالتكميل بعد وَصْفه بالكمال حال ثانية من الكتاب مؤكدة للأولى، فهي حال مترادفة، أو من الضمير في ﴿له﴾ فهي متداخلة. ومعنى لا إفراط فيه؛ أي: فيما اشتمل عليه من التكاليف، حتى يشق على العباد، ومعنى لا تفريط فيه؛ أي: بإهمالِ ما يحتاج إليه، حتى يحتاج إلى كتاب آخر كما قال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾.

وقال العلماء[2] باللغة والتفسير: في هذه الآية تقديم وتأخير، تقديرها: أنزل على عبده الكتاب قيماً، ولم يجعل له عوجاً، وقال الكرماني: إذا جعلتهُ حالاً ـ وهو الأظهر ـ فليس فيه تقديم ولا تأخير، والصحيح أنهما حالان من الكتاب الأولى جملة، والثانية مفرد، انتهى ذكره في «البحر»، وقرأ أبو رجاءٍ وأبو المتوكل، وأبو الجوزاءِ، وابن يعمر، والنخعي، والأعمش، قِيَماً بكسر القاف وفتح الياء، وقرأ الجمهور ﴿قَيِّمًا﴾ بتشديد الياء وفتح القاف، كما سبق في سورة الأنعام.

---

(١) روح البيان. (٢) زاد المسير.

﴿لِّيُنذِرَ﴾ ويخوف؛ أي: أنزل على عبده الكتاب لِيُنْذر الكتابُ أو محمدٌ بما فيه الذين كفروا بالله ورسوله، فحذف[1] المفعول الأول، اكتفاءً بدلالة القرينة، واقتصاراً على الغرض المسوق إليه، ﴿بَأْسًا﴾؛ أي: عذاباً ﴿شَدِيدًا﴾ صادراً ﴿مِن لَّدُنْهُ﴾؛ أي: من عنده تعالى، نازلاً من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم، وهو إما عذاب الاستئصال في الدنيا، أو عذاب النار في العقبى، أو كلاهما، وإنما قال: ﴿من لدنه﴾؛ لأنه هو المعذب دونَ الغير ﴿وَيُبَشِّرَ﴾ ذلك الكتاب، أو محمدٌ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: المصدّقين ﴿ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: الأعمالَ الصالحة وهي ما كانت لوجه الله تعالى ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾ أي بأن لهم في مقابلة إيمانهم وأعمالهم المذكورة ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ وثواباً جسيماً هو الجنة، وما فيها من النعيم حَالَةَ كونهم ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ﴾؛ أي: في ذلك الأجر الحَسَن ﴿أَبَدًا﴾ من غير انقطاع، وانتهاء وتغير حال، نصب على الظرفيةِ لـ ﴿ماكثين﴾ وتقديم الإنذار على التبشير، لتقدم التَّخْلِيةِ على التحلية.

وقرأ أبو بكر[2]: ﴿من لدنه﴾ بإسكان الدال إسكان الباء من سبع مع إشمامها الضمَّ، ليدل على أَصْلِهِ، وكسر النون لالتقاء الساكنين، وكسر الهاء للإتباع، وروى أبو زيد عن جميع القراءِ فتحَ اللام وضمَّ الدال وسكون النون، وقرأ[3] حمزة والكسائي ﴿يبْشر﴾ بفتح الياء، وسكون الموحدة، وضم الشين، وقرأ الجمهور[4]: ﴿وَيُبَشِّرَ﴾ بالنصب عطفاً على ﴿لِّيُنذِرَ﴾ وقرىء بالرفع.

والمعنى: حمد الله سبحانه نفسه على إنزاله كِتَابَه العزيز إلى رسوله ﷺ؛ لأنه أعظمُ نعمةٍ أنزلها على أهل الأرض، إذ أخرجَهُمْ به من الظلمات إلى النور، وَجَعَلَهُ كتاباً مستقيماً لا اعوجاجَ فيه، ولا زيغَ، بل يهدي إلى الحق، وإلى صراط مستقيم.

وخلاصة ذلك: أنه تعالى أنزلَ الكتاب على عبده محمد ﷺ مستقيماً لا

---

(١) البيضاوي.

(٢) البيضاوي.

(٣) المراح.

(٤) البحر المحيط.

اختلاف فيه ولا تفاوت، بل بعضه يصدق بعضاً، وبعضه يشهد لبعضٍ، ولا اعوجاجَ فيه، ولا ميلَ عن الحق. ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا﴾؛ أي: ليخوف الذين كفروا به عذاباً شديداً، صادراً من عنده تعالى؛ أي: نكالاً في الدنيا، ونارَ جهنم في الآخرة. ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: ويبشر المصَدّقِينَ الله ورسوله، الذِينَ يمتثلون أوامرَه ونواهِيَه بأن لهم ثواباً جزيلاً منه على إيمانهم به، وعَمَلِهم الصالح في الدنيا، وذلك الثواب الجزيل هو الجنة التي وعدها الله المتقينَ، خالدين فيها أبداً، لا ينتقلون منها ولا يُنَقَّلُون.

﴿وَيُنذِرَ﴾ الكتابُ أو محمدٌ أيضاً خاصة ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ بأساً شديداً من لدنه ذكر[1] المُنْذَرِينَ دون المُنْذَرِ به، بعكس الأول استغناءً لتقديم ذكره؛ أي: وليحذر من بين هؤلاء الكفار مَنْ قالوا هذه المقالةَ الشَّنْعاءَ: إن الله اتَّخذَ ولداً، وهؤلاء ثلاث طوائف:

١ ـ المشركون الذين قالوا: الملائكة بنات الله.

٢ ـ اليهود القائلون: عزيرٌ ابن الله.

٣ ـ النصارى القائلون: المسيحُ ابن الله.

وإنما خص هؤلاء مع دخولهم في الإنذار السّابِقِ لفظاعة حَالِهم، وشَنَاعة كُفْرهم وضَلاَلِها ﴿مَّا لَهُم﴾؛ أي: ما لهؤلاء القائلين ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: باتخاذه تعالى ولداً ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾؛ أي: بُرهان وحجة بل هو قول لم يصدر عن علم يؤيده، ولا عقل يظاهره، ﴿وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾؛ أي: ولا لأسلافهم الذين قلدوهم في تلك المقالة به علم؛ أي: على اتّخاذه تعالى ولداً برهانٌ وحجةٌ؛ أي: وكذلك ليس لآبائهم الذين قالوا مثل هذه المقالة، وهم القدوة لهم به من علم، والمعنى: أي: ليس لهم، ولا لأحد من أسلافهم الذين قَلَّدوه علم بهذا القول، أهو صواب أو خطأ، بل إنما قَالُوه رمياً عن جهالة من غير فكر ونظر فيما يجوز على الله، ويَمْتَنِع، و﴿من علم﴾ مرفوع على الابتداء، و﴿من﴾ مزيدة لتأكيد النفي ﴿كَبُرَتْ﴾؛ أي:

---

(١) النسفي.

عَظُمتْ مقالتهم هذه في الكفر، لما فيها من التَّشْبِيهِ والتشريك، وإيهام احتياجه إلى ولد يعينه، ويخلفه، إلى غير ذلك من الزيغ من جهة كونها ﴿كَلِمَةً﴾ تمييز، وتفسير للضمير المبهم الذهني في كَبُرَتْ مثل ربه رجلاً ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ صفة للكلمة تفيد اسْتِعْظام اجترائهم على التفوه بها، والمراد بتلك الكلمة هي قولهم: اتخذ الله ولداً فـ﴿كَلِمَةً﴾[1] بالنصب على التمييز، وبالرفع على الفاعلية فعل النصب يكون فاعل ﴿كَبُرَتْ﴾ مضمراً مفسراً بما بعده، وهو للذم، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: كبرت الكلمة كلمةً خارجةً من أفواههم، والمخصوص بالذم تِلْكَ المقالة الشنعاء، والنصب أقوَى وأبلَغُ، وفيه معنى التعجب؛ أي: ما أكبرها كَلِمةً ﴿إِن يَقُولُونَ﴾؛ أي: ما يقولون في هذا الشأن ﴿إِلَّا كَذِبًا﴾؛ أي: إلاَّ قَوْلاً كَذِباً لا يكاد يدخل تحت إمكان الصدق فـ﴿كذباً﴾ صفة لمصدر محذوف.

والمعنى: أي[2] عَظمتْ مَقَالتهم هذه في الكفر، حيث لم يكتفوا بخطورها بالبال، وتَرَددها في الصدور، بل تَلَفَّظُوا بها على مرأى من الناس ومسمع، وكثير مما يوسوس به الشيطانُ، وتحدّثُ به النفس لا يتلفظ به، بل يُكتفى بما يعتقده القلب، فكيف سَاغَ لهم أن يَتَجَرَّؤوا على التلفظ بهذا المنكر، الذي لا مستندَ له من عقل ولا نقل.

ثم أكد هذا الإنكار، وبيَّن أنه كما لا علمَ لهم ولا لآبائهم به لا علم لأحد به، لأنه لا وجودَ له، وما هو إلا محض اختلاف بقوله: ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾؛ أي: ما يقولون إلاَّ قَوْلاً لاَ حقيقة له بحال، وقرىء[3] ﴿كَبُرَتْ﴾ بسكون الباء، وهي في لغة تميم، وقرأ[4] الجُمْهُور ﴿كَلِمَةً﴾ بالنصب، وقرأ ابن مسعود، والحسن، ومجاهد، وأبو رزين، وأبو رجاء، ويحيى بن يعمر، وابن محيصن، وابن أبي عبلة ﴿كَلِمَةً﴾ بالرفع، قال الفراء: مَنْ نصب أضمر؛ أي: كَبُرَتْ تلك

---

(١) المراح.
(٢) المراغي.
(٣) البحر المحيط.
(٤) زاد المسير.

الكلمة كلمة، ومَنْ رفع لم يضمرْ شَيْئاً كما تقول: عظم قولك، وقال الزجاج: مَنْ نَصَبَ فالمعنى كَبُرَتْ مقالتهم: اتخذ الله ولداً، وكلمةً منصوب على التمييز، ومَنْ رفع فالمعنى: عَظُمَت كلمة هي قولهم اتَّخَذَ الله ولداً، ومعنى قوله: ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾؛ أي: إنَّها قول بالفَم، لا صِحَّة لها، ولا دَليلَ عليها. ذكره ابن الجوزي.

﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿بَاخِعٌ﴾، أي: مهلك ﴿نَفْسَكَ﴾ وقاتلُها ﴿عَلَىٰ آثَارِهِمْ﴾؛ أي: على إعراضِهِم وتوليهم عن الإيمان بك؛ أي: فلعلك يا محمد متبع نفسك وَراءَهم أو مجهدها، أو متعبها، أو مهلكها، وقاتلها غماً وهماً على تولّيهم، وإعراضهم عن الإيمان بك، ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾؛ أي: بهذا القرآن، وجواب الشرط محذوف دَلَّ عليه الترجِّي تقديره: إن لم يؤمنوا بهذا الحديث فلا تبال بهم، ولا تحزنْ عليهم، ولا تذهب نَفْسَك ﴿أَسَفًا﴾ عليهم، وحزناً على عدم إيمانهم، فهو مفعول له، لـ﴿بَاخِعٌ﴾ أو مصدر في موضع الحال، والأسف أشد الحزن كما في «القاموس».

وقرأ الجمهور[1] ﴿بَاخِعٌ﴾ بالتنوين ﴿نَفْسَكَ﴾ بالنصب، وقرىء ﴿باخع نفسك﴾ بالإضافة، والإشارة بهذا الحديث إلى القرآن قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾ وفي «الصحاح» الحديث ضد القديم، ويُستعمل في قليل الكلام وكثيره.

والحاصل: أن لعل[2] هنا للاستفهام الإنكاري، المتضمن معنى النهي، أي لا تبخع نفسك من بعد توليهم عن الإيمان، وإعراضهم عنه أسفاً وحسرة عليهم؛ أي: إنك قد اشتد وجدك عليهم، وبلغت حالاً من الأسى والحَسْرة، صرت فيها أشبه بحال من يحدث نفسه أن يبخعها أسى وحَسْرة عليهم، وما كان من حقك أن تَفْعَلَ ذلك إن عليك إلا البَلاَغُ وليس عليك الْهِدَايَةُ ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾.

---

(١) البحر المحيط.   (٢) المراغي.

وقد جاء مثل هذا النهي في آيات كثيرة، كقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣﴾ وقوله: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ وقوله: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾.

وخلاصة ذلك: أبلغهم رسالة ربك، فمَنِ اهتدى فلنفسه، ومن ضلَّ فإنَّما يضل عليها، ولا تذهب نفسك عليهم أسًى وحسرةً، فإنما أنت منذرٌ ولَسْتَ عليهم بمسيطر، إن عليك إلا البلاغ، ثم ذكر سبحانه سَبَبَ إرشاده إلى الإعراض عنهم بغير ما يَقْدِرُ عليه من التبليغ بالبشارة والنذارة، وهو أنه تعالى جعل ما على الأرض زينة لها ليختبر المُحْسِنَ والمسيءَ، ويجازيَ كلاً بما يستحقُّ، فقال: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ من حيوان، ونبات، ومعادن ﴿زِينَةٗ لَّهَا﴾، ولأهلها ﴿لِنَبۡلُوَهُمۡ﴾؛ أي: لنعاملهم معاملةَ مَنْ يختبر حتى يَظْهَرَ ﴿أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ في تَرْكِ الدنيا، ومُخَالفة هَوَى نفسه، طلباً لِلّهِ ومرضاته؛ أي: أيهم أَطْوَعُ لله، وأشدُّ استمراراً على خدمته، وأيهم أقْبَحُ عملاً في الإعراض عن الله وما عنده من الباقيات الصالحات، والإقبال على الدنيا وما فيها من الفانيات الفاسدات.

قال في «الإرشاد»[1]: أي استفهامية مرفوعة بالابتداءِ، و﴿أَحۡسَنُ﴾ خبرها، و﴿عَمَلٗا﴾ تمييز، والجملة في محل النصب معلقة لفعل البلوى لِمَا فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته؛ أي: إنَّا[2] جَعَلْنَا ما على الأرض زينة لها، لنختبر حالهم في فهم مقاصد تلك الزينة، والاستدلال بها على وجود خالقها، والإخبات إليه، والطاعة له فيما أمر به، والبعد عما نهى عنه، فَتَقُومُ الحجة عليهم، فمن اعتبر بتلك الزينة، وفهم حكمتها، حاز المثوبةَ، وَمَن اجترأ على مخالفة أمره، ولم يَفْهَمْ أَسْرَارها وَمَقاصِدها اسْتَحق العُقُوبة.

وخلاصة ذلك: أنَّا جعلنا ما على الأرض زينةً لها، لنعاملهم معاملةَ من يختبرون، فنجازي المحسنينَ بالثواب، والمسيئين بالعقاب، ويمتاز أفراد الطبقتين بعضهم عن بعض بحسب درجات أعمالهم.

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.

رُوِيَ: أن النَّبِيَّ ﷺ قال: «إن الدنيا نضرة حلوة، والله مُسْتَخْلِفُكُم فيها فينظرَ كيف تعملون» وقال: «إن أخوفَ ما أخافُ عليكم ما يُخْرِجِ الله لكم من زهرةِ الدنيا» قيل: وما زهرةُ الدنيا؟ قال: «بركات الأرض». وروى البخاري أَنَّ عُمَرَ كان يقول: اللهم إنا لا نستطيع إلاَّ أن نفرح بما زيَّنته لنا، اللهم إني أسألك أن ننفقه في حقه.

﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ﴾ فيما سيأتي عند تناهي عمر الدنيا، ﴿مَا عَلَيْهَا﴾ أي: ما على الأرض من المخلوقات قاطبة ﴿صَعِيدًا﴾، أي: ترابا ﴿جُرُزًا﴾؛ أي: لاَ نَبَات فيه، وسنَةٌ جُرُزٌ لا مطرَ فيها؛ أي: وإن الأرض وما عليها بائد فان، وإن المرجعَ إلى الله، فَلاَ تأسَى، ولا تحزن لما تَسْمَعُ وترى، ونحو الآية ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ وقوله: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾.

وإجمال المعنى: أنَّ ما على الأرض سَيَصِيرُ تُرَاباً سَاذجاً بَعْدَما كان يَتَعَجَّبُ من بهجته النظارة، وتسر برؤيته العيون، فلا تحزن لما عاينت من تكذيب هؤلاء، لما أنزلَ عليك من الكتاب، فإنا جَعَلْنَا ما على الأرض من مختلف الأشياءِ زينة لها لنختبر أعمال أَهْلِها، فنجازيهم بحسب ما هم أهل له، وإنا لمفنون ذلك بعد حين، وفي هذا تسلية لرسوله ﷺ، وكأنه قيل: لا تَحْزَنْ فَإِنَّا ننتقم لك منهم.

وخلاصة النظم: لا تَحْزَنْ يا محمد مِمَّا وقع من هؤلاء من التكذيب، فإِنَّا قد جعلنا ما على الأرض زينة لاختبار أعمالهم، وإنا لمذهبُونَ ذلك عند انقضاء عمر الدنيا، فَمُجازُوهُم إنْ خَيْراً.. فخيرٌ، وإنْ شراً.. فشرٌ.

ملخص قصة أهل الكهف كما أُثِرَ عن العرب

رُوِيَ أَنَّ النَّصارَى عَظُمَتْ فيهم الخَطَايَا، وطغَتْ ملوكهم، حتى عَبدُوا الأصنام، وأكْرَهُوا النَّاسَ على عبادتها، وأصدر الملك دقيانوس الأوامر المشددة في ذلك، ومعاقبةَ من يخالفه، وَأَرَادَ أن يُلزم فتيةً من أشراف قومه عبادتها، وَتَوعَّدَهُم بالقتل، فأبوا إلا الثبات على دينهم، فَنَزَع ثيابهم، وحُلِيَّهم، ولكنَّه رحم شَبَابهم، فأمهلهم لعلهم يتوبون إلى رُشْدهم، وهكذا ذَهَبَ الملك إلى مدن أخرى، ليحث أهلها على عبادتها، وإلا قتلوا.

أمَّا الفتية: فإنهم انْطَلَقُوا إلى كهف قريب من مَدِينتهم، أفْسُوس أو طرْسوس، في جَبَلٍ يدعى نيخايوس، وأخذوا يَعْبُدُون اللَّهَ فيه حتى إذا هجم عليهم دَقْيَانوس وقتلَهم ماتوا طائعين، وقد كانوا سبعة، فَلَما مَرُّوا في الطريق إلى الكهف، تبعهم رَاع ومعه كلبُهُ فجَلَسُوا هناك يعبدون اللهَ، وكان من بينهم امرؤ يُدْعَى تَمْلِيخَا يبتاعُ لهم طعامهم، وشَرَابَهم، يبلغهم أخبار دَقْيَانُوس الذي لا يزال مجداً في طَلَبهم، حتى إذا عاد منْ مطافه، ووَصَل إلى مدينتهم، بحث عن هؤلاء العباد والنساك ليَذْبَحهم، أو يسجدوا للأصنام، فسَمِعَ بذلك تَمْليخا بَيْنَما كان يشتري لهم الطعام خفْيَةً، فأخبرهم، فبكوا ثُمَّ ضرب الله على آذانهم، فناموا، وتذكرهم دقيانوس، فهدد آباءَهم، إن لم يحضروهم، فدلوه عليهم، وقالوا: إنَّهُمْ في الكهف، فتوجه إليهم، وسده عليهم لِيَمُوتُوا هناك، وينتهي الأمر على ذلك.

وقد كان في حاشية الملك رجلان يكتمان إيمانهما، وهما: بيدروس، وروناس فكتبا قصةَ هؤلاء الفتية سراً في لوحين من حجر، وجعلاهما في تابوت من نحاس، وجَعَلاَ التَّابُوتَ في البنيان، ليكون ذلك عظة واعتباراً، وذكرى لمن سَيَجِيىءُ من بعد.

ثم مضت قرون يتلو بعضها بَعْضاً، ولم يبق لـ: دقيانوس ذكرٌ وَلاَ أثر، وبعدئذٍ ملك البلادَ ملك صالح يسمى بيدروس، دام ملكه (٦٨) سنة، وانقسم الناس في شَأْنِ البعث والقيامة فِرْقَتَيْنِ، فرقة مؤمنة به، وأخرى كافرة، فحزن الملك لذلك حزناً شديداً، وضرع إلى الله أن يري الناس آية يرشدهم بها إلى أن الساعة آتية لا ريب فيها، وقد خطر إذ ذاك ببال راع يسمى أولياس، أن يهدم باب الكهف، ويبني به حظيرة لغنمه، فلما هدمه استيقظوا جميعاً، فجلسوا مستبشرين، وقاموا يصلون، ثم قال بعضهم لبعض: كم لبثتم نياماً؟ قال بعضهم: لبثنا يَوْماً أو بَعْضَ يوم، وقال آخرون: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾ الورق الفضة ﴿هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ وليحضر لنا جَانباً منه، فذهب تَمْلِيخَا، كما اعتاد من قبل ليشتري لهم الطعامَ، وهو متلطف

في السؤال مختف حذراً من دقيانُوس.

وبينما هو ماش سَمِعَ اسْمَ المسيح ينادى بهِ في كل مكان، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، وقال: عجباً لِمَ لَمْ يذبح دقيانوس هؤلاء المؤمنين، وبقي حائراً دهشاً، وقال: ربما أَكُون في حلم، أو لعل هذه ليستْ مَدِينَتِنَا، فسأل رجلاً ما اسم هذه المدينة؟ قال: أفسوس، وفي آخر مطافهِ تقدم إلى رجل، فأعطاه وَرِقاً ليشتري به طعامَه، فدهش الرجل من نوع هذا النقد، الذي لم يَرَهُ من قبل، وأَخَذَ يقلبُهُ ويعطيه إلى جيرته، وهم يعجبون منه، ويقولون له: أهذا من كنز عثرت عليه؟ فإنَّ هَذِهِ الدَّرَاهِمَ من عهد دقيانوس، وقد مضَتْ عليه حقبة طويلة، ثُمَّ أَخذُوه، وقَادُوه إلى حَاكمَي المدينة، فَظَنَّ في بادىء الأمر أنهم ساقوه إلى دَقْيَانُوس، ولكن لما عرف أنه لم يؤت به إليه، زَالَ عنه الكَرْبُ، وجفت مدامعه، ثمَّ سأَلَهُ حَاكِمَا المدينة ـ وهما: أرْيُوس، وطنطيوس ـ أينَ الكنز الذي وجدت يا فَتَى؟ وبعد حوار بينه وبينهما، ذكر لهما خبر الفتية، ودَقْيَانُوس، وأنَّ حديثهما كان أَمْسَ وإن كان لديكما ريب من أمري فها هو ذا الكهف، فاذهبا معي لتريا صدق ما أَقولُ، فَسَارَا مَعَهُ حَتَّى وصلا إلى باب الكهف، وتقدَّمهما تَمْلِيخَا فأخبرهما بالحديث كله، فداخلهما العَجَبُ حينَ عَلِمَا أنهم نَامُوا تِسْعاً وثلاث مئة سنة، وأَنَّهُم أفاقوا ليكونوا آية للناس.

ثم دخل أريوس فَرأَى تابوتاً من نحاس مَخْتُوماً بخاتم، وبدَاخِلِهِ لَوْحَانِ مكتوبٌ عليهما قصَّة هؤلاء الفتية، وكَيْف هربوا من دَقْيانوس حرصاً على عقيدتهم، ودينهم، فسد عليهم بالحجارة، ولما رأى أريوس، ومن معه هذا القصص، خروا لله سجداً، وأرسَلُوا بَرِيداً إلى ملِكِهم أَن عجل واحضر لترى آية الله في أمر فتية بُعثوا بعد أن نَامُوا تسعاً وثلاث مئة سَنَة، ثمَّ سار المَلِكُ، ومعه ركب من حاشيته وأهل مدينَتِهِ حتى أتوا مدينة أفنوس، وكَانَ يوماً مشهوداً، وحينَ رَأى الفتية خر ساجداً لله تعالى، ثُمَّ اعتنقهم، وبكى، وهم لا يزالون يسبحونَ ثُمَّ قال الفتية له: أَيُّهَا الملك، نستودعك الله، ونعيذك من شر الإنس والجن، ثمَّ رجعوا إلى مضاجعهم، وقُبضَتْ أرواحهم، فأمر الملك أن يُجْعَل كل منهم في

تابوت من ذهب، وحينَ جَنَّ الليلُ، ونَامَ، رآهم في منامه يقولون له: اتركنا كما كُنَّا في الكهف، نَنَامُ على التراب، حتى يوم البعث، فأَمَرَ الملك أن يُوضَعُوا في تابوت من ساج، وأن لا يدخل عليهم أحدٌ بعد ذلك، وأن يُبنى على بَابِ الكهف مسجد يصلِّي فيه الناس، وجعل لهم ذلك اليومَ عيداً عظيماً. ذلك هو القصص الذي جعله النصارى دليلاً على البعث، أمَّا القرآن الكريم، فإنه يَقُولُ: إن آياتِي على البعث، وإعادة الأرواح بعد الموت لَيْسَتْ مقصورة على هذا القصص وَحْدَهُ، فآياتي عليه لا تعد ولا تحصى، فاقرؤوا صحائفَ هَذَا الوجود، ولا تقصروا أمركم على صحائف أهل الكهف والرقيم، واجْعَلُوا أنظاركم تتجه إلى ما حَواه الكون، لا إلى ما كُتِبَ في القصص، والحكايات، وإنْ كَانَت فيها الدلائل والآيات.

إجمال القرآن لقصص أصحاب الكهف

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ (أم): هي[1] المنقطعة المقدرة بـ(بل)، والهمزة التي للإنكار مع ملاحظة معنى النهي فيها عند الجمهور، وبـ(بل) وحدها عند بعضهم، والتَّقْدِير: بل أحسبت، أو بل حسبت، ومعناها الانتقال من حديث إلى حديث آخر، لا لإبطال الأول والإضراب عنه كما هو معنى (بل) في الأصل، والمعنى أنَّ الْقَوْمَ لَمَا تَعَجَّبُوا من قِصَّةِ أصحاب الكهف، وسألوا عنها الرسول ﷺ على سَبِيلِ الامتحان قال سبحانه: بل أظننت يا محمدُ ﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾ الكهف الغار الواسع في الجَبَل، فإنْ لم يكن واسعاً فَغَارٌ ﴿وَ﴾ أَصْحَابَ ﴿الرقيم﴾ هو كلبهم بلغة الروم قال في «القَامُوس»: الرقيمُ ـ كأمير: قرية أصحاب الكهف، أو جَبَلُهم، أو كلبهم، أو الوادي، أو الصَّحْراءُ، أو لوح رصاص أو حَجَري نُقش وَرُقّم فيه نسبهم، وأسماؤهم، ودِينهم ومم هربوا، وجُعِلَ على باب الكهف، فالرقيم عَرَبيٌّ، فعيل بمعنى مفعول؛ أي: بَلْ أظننت يا محمد أنهم ﴿كَانُوا۟﴾ في بقائِهم على الحياة مدة طويلة من الدهر ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾؛ أي: من بين آياتنا، ودلائل

---

(١) الشوكاني.

قدرتِنا ﴿عَجَبًا﴾؛ أي: آية ذات عجب وضعاً موضع المضاف، أو وصْفاً لذلك بالمصدر مبالغة، والعجيب ما خَرَجَ عن حد أشكاله، ونظائره وهو خَبر لكانوا، و﴿مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ حال منه.

والمعنى[1]: أن قصتهم، وإن كانت خارقة للعادات، ليست بعجيبة بالنسبة إلى سائر الآيات، فإن الله تعالى آيات عجيبة، قصتهم عندها كالنزر الحقير؛ أي: لا تحسب[2] أيُّها الرسول أنَّ قِصَّةَ أصحاب الكهف والرقيم، المذكورةَ في الكتب السَّالفة حين استمروا أَحْياءً أمداً طويلاً عَجيبةٌ بالإضافة إلى ما جعلناه على ظهر الأرض من الزينة، فَلَيْسَتْ هي بالعجب وحدها من بين آياتنا، بل زينة الأرض وعجائِبها أبدع وأعجب منْ قصة أصحاب الكهف، فإذَا وَقَف عُلماء الأديان الأخرى لَدَى أمثالها، دهشين حائرينَ، فأنا أَدْعوك وأمتك إلى ما هو أعظم منها، وهو النظر في الكون وعجائبه من خلق السمٰوات والأرض، واختلاف الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر، والكواكب، إلى نحو أولئك من الآيات الدالة على قدرة الله، وأنه يفعل ما يشاء، لا معقب لحكمه، قال الزجاج: أعْلَمَ الله سبحانه أن قصَّة أصحاب الكهف ليست بعجيبة من آيات الله؛ لأن خلق السمٰوات والأرض وما بينهما أعجب من قصتهم.

وقوله: ﴿إِذْ أَوَى﴾ ظرف لـ﴿عجباً﴾ أو مفعول لاذكر محذوفاً؛ أي[3]: اذكر يا محمد قِصَّةَ حين صار وأتى، وانضم، والتجأ ﴿ٱلْفِتْيَةُ﴾ والشبان من أشراف الروم، أكرههم دَقْيَانُوس مَلِكَهم على الشرك، فأبوا، وهربوا ﴿إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ هو جَيْرُومُ في جبلهم بنجلوس، واتَّخذُوه مأوى، والفتية جمع فتى، وهو الشاب القوي الحدث ﴿فَقَالُوا۟﴾؛ أي: قالت الفتية في دعائهم: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ﴾؛ أي: أعطنا من عندك، أي من خزائن رحمتك الخاصَّةِ المكنونة عن عيون أهل المُعادَاةِ، فمن ابتدائية متعلقة بـ ﴿آتنا﴾ ﴿رَحْمَةً﴾ خاصة تستوجب المغفرة والأمن

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) روح البيان.

من الأعداءِ ﴿وهيء لنا﴾؛ أي: يسر لنا، وأصلحْ وَرَتِّبْ، وأتْمِمْ لنا ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾ الذي هو مهاجرة الكفار، والمثابرة على الطاعة ﴿رَشَدًا﴾؛ أي: إصابةً للطريق الموصل إلى المطلوب، واهتداء إليه، وكِلاَ الجارَّين متعلق بـ ﴿هيىء﴾ لاختلافهما في المعنى.

أي: اذْكُر أيها الرسول حين أوى أولئك الفتية إلى الكهف، هرباً بدينهم من أن يفتنهم عباد الأصنام، والأوثان، وقَالُوا: إذ ذلك ربنا يسر لنا بما نبتغي من رضاك، وطاعتك رشداً من أمرنا وسداداً إلى العمل الذي نحب، وارزقنا المغفرة، والأمن من الأعداء.

﴿فَضَرَبْنَا﴾ فعقب هذا القول ﴿ضربنا﴾ وألقينا ﴿عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ حجاباً يمنع من أنْ تصِل إلَى أسماعهم الأصواتُ المُوقِظَةُ من نومهم حَالَةَ كونهم مستقرينَ ﴿فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾؛ أي: سنينَ ذوات عدد كثيرة، وهي ثلاث مئة وتسع سنين، ويستفادُ من وصف السنين بالعدد الكثرة، وقيل[1]: منه التقليل؛ لأنَّ الكثيرَ قليل عند الله سبحانه ﴿ثُمَّ﴾ بعد تلك السنين الكثيرة ﴿بَعَثْنَٰهُمْ﴾؛ أي: أيقظناهم من تلك النومة الثقيلة الشَّبِيهَةِ بالموت، وفيه دليل على أن النَّوْمَ أخو الموت في اللوازم من البعث، وتعطيل الحياة، والالتحاق بالجمادات، ﴿لِنَعْلَمَ﴾ ونختبر ﴿أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾؛ أي: أي الفريقين المختلفين في مدة لبثهم بالتقدير، والتفويض، وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن أحدَ الحِزْبَيْنِ الفتية، والآخر الملوك الذين تَدَاوَلُوا الْمَدِينَةَ مَلِكاً بعد ملك، وذلك لأنَّ اللامَ للعهد، ولا عَهْدَ لغيرهم، والتَّصحيح ما سيأتي قريباً، وأيُّ مبتدأ خبره قوله: ﴿أَحْصَىٰ﴾ فعل[2] ماض، وهو الصحيح لا أفعل تفضيل، لأنَّ المقصود بالاختبار إظهارُ عجز الكل عن الإحصاءِ رأساً لا إظهار أفضل الْحِزْبَيْنِ وتمييزُه عن الأدنى مع تحقق أصل الإحصاءِ فيهما؛ أي ضبط ﴿لِمَا لَبِثُوٓاْ﴾؛ أي للبثهم فما مصدرية ﴿أَمَدًا﴾؛ أي: غاية وزمناً، فالمراد بالأمد هنا المدة، وهو مفعول به ﴿لأحصى﴾، والجار

(١) الشوكاني.
(٢) روح البيان.

والمجرور حال منه قدمت عليه لكونه نكرة؛ أي: لنختبر أي الحزبين أَحْصَى وَضَبَطَ أَمَداً ومدة للبثهم فيظهَرُ لهم عجزهم، ويفوِّضوا ذَلك إلى العليم الخبير، ويتعرَّفُوا حَالَهم، وما صنع الله بهم من حفظ أبدانهم، وأديانهم، فيزدادوا يقيناً بكمال قدرته وعلمه، ويستبصروا أمر البعث، ويكون ذلك لطفاً لمؤمني زمانهم، وآية بيِّنةً لكفارهم، وقرأ[1] أبو الجوزاءِ وأبو عمران، والنخعي ﴿ليعلم﴾ بضم الياء على ما لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُه، ويعني بالحزبين المؤمنين والكافرين من قوم أصحاب الكهف؛ أي: لنعلم أهؤلاء أحصى للأمد، أو هؤلاء، فكأنه وقع بينهم تنازع في مدة لبثهم في الكهف، بعد خروجهم من بينهم، فبعثهم الله ليبين ذلك ويظهر، والظاهر أنَّ المرادَ بالحزبين نفس أصحاب الكهف، لا أهل المدينة؛ لأنهم لَمَّا تَيَقظوا اخْتَلَفُوا في أنهم كم لبثوا، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم، قالوا ربكم أعلم بما لبثتم، فالحزبان هما: هذان، وكأنَّ الذينَ قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم، هم الذين علموا أنَّ لُبْثَهم قد تطاول اهـ من «الفتوحات».

وقرأ أبو جعفر، وشيبة، والزهري[2]: ﴿وهيء﴾ ﴿ويهيء﴾ بيائين من غير همز، يعني أنه أبدل الهمزة الساكنةَ ياء، وفي كتاب ابن خالويه الأعشى عن أبي بكر، عن عاصم، و﴿هي﴾ لنا ﴿ويهي﴾ لكم لا يُهمز انتهى. فَاحْتَمَلَ أن يكونَ أبدل الهمزةَ ياءً، واحتمل أن يكونَ حذفها، فالأول: إبدالٌ قياسي، والثاني: مختلف فيه، ينقاس حذف الحرف المبدل من الهمزة في الأمر أو المضارع إذا كان مجزوماً.

وقرأ أبو رجاء ﴿رُشْدا﴾ بضم الراء وإسكان الشين، وقرأ الجمهور ﴿رَشَداً﴾ بفتحهما، قال ابن عطية: وهي أرجح لِشَبَهِهَا بفواصل الآيات قبل وبعد، وهذا الدعاء منهم كان في أمر دنياهم، وألفاظه تقتضي ذلك، وينبغي لكل مؤمن أن يَجْعَل دعاءَه في أمر دنياه هذه الآية، فإنها كافية. ثم شرعَ في تفصيل ما أجمل

(١) زاد المسير.
(٢) البحر المحيط.

في قوله: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ﴾ فقال: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾؛ أي: نخبرك يا محمد، ونبين لك ﴿نَبَأَهُم﴾؛ أي: خبر أصحاب الكَهف، والرقيم ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ صفة لمصدر محذوف؛ أي: نقص قصاً متلبساً بالحق والصدق، وفيه إشارة إلى أن القصاص كثيراً ما يَقُصون بالباطل، ويزيدون، وينقصون، ويغيرون القِصَّةَ كل واحد يعمل برأيه، موافقاً لطبعه وهَوَاهُ، وما يقص بالحق إلا الله تعالى، ثُمَّ فصَّل ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾؛ أي: إن أَصْحَابَ الكهف والرقيم ﴿فِتْيَةٌ﴾؛ أي: شبان أحداث ﴿ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ بالتحقيق لا بالتقليد، صفة لِفتْيَةٌ، والجملة مستأنفة بتقدير سؤال ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ عَلَى ﴿هُدًى﴾ بالتثبيت على الإيمان والتوفيق للعمل الصالح، والانقطاع إلى الله، والزهد في الدنيا، وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، وقد جَرَت[1] العادة أن الفتيانَ أقْبَلُ للحق، وأهدى للسبل من الشيوخ الذين قَدْ عتوا، وانغمسوا في الأديان الباطلة، ومِنْ ثَمَّ كَانَ أكثر الذين استجابوا لله ورسوله ﷺ شباناً، وبَقِيَ الشُّيُوخُ على دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليلُ، ونحو الآيةِ قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾، وقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾، وقوله: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾.

تنبيه: في أي زمان كان قصص أهل الكهف؟ رجَّح ابن كثيرٍ أن قصص أهل الكهفِ كَانَ قبل مجيء النصرانيَّةِ لا بعدها، كما رواه كثيرٌ من المفسرين متبعين ما أُثِرَ عَنِ العرب، والدليل على ذلك أنَّ أَحْبَارَ اليهود، كانوا يحفظونَ أخبارَهم، ويعنون بها، فقد رُوي عن ابن عباس، أَنَّ قُرَيْشاً بعثوا إِلَى أحبار اليهود بالمدينة يطلبون منهم أشياءَ يمتحنون بها رسول الله ﷺ فبعثوا إليهم أن يسألوه عن خبر هؤلاء الفتية، وعن خبر ذي القرنين، وعن الروح، وفي هذا أعظم الأدِلَّةِ على أَنَّ ذَلِكَ كان محفوظاً عند أهل الكتاب، وأَنَّه مُقَدَّمٌ على النصرانية.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، أي: قوَّينا قلوبَهم بالصبر على هجر الأهل، والأوطان، وفراق الخلان، والأخدان، والجراءة على إظهار الحق، والرد على

(١) المراغي.

دقيانوس الجبار، وألهمناهم قوةَ الْعَزِيمَةِ، وَشددنا قلوبَهم بنور الإيمان، ﴿إِذْ قَامُواْ﴾ ظرف منصوب بربطنا؛ أي: ربطنا على قلوبِهم حِينَ قاموا بين يَدَي الجبار دِقْيَانُوس إذ عاتبهم عَلَى تركهم عبادة الأَصنام، فإنه كان يَدْعُو الناس إلى عبادة الطواغيت، فثبَّت الله تعالى هؤلاء الفتيةَ، حتى عَصَوا ذلك الجبار، وأقروا بربوبية الله تعالى، وصرحوا بالبراءة من الشركاء، ﴿فَقَالُواْ﴾؛ أي: قَالتِ الفتية ﴿رَبُّنَآ﴾؛ أي: مالكُنا، وخالقُنا ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: رب العالَم، ومالكه، وخالقه، والصنم جزء من العالم، فهو مخلوق لا يصلح للعبادة ﴿لن ندعو﴾؛ أي: لن نعبد أبداً ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ سبحانه وتعالى ﴿إِلَٰهًاۖ﴾؛ أي: مَعْبُوداً آخَرَ لا استقلالاً، ولا اشتراكاً، والعدول عَنْ أن يقال: (رباً) للتنصيص على رد المخالفينَ حيث كانوا يُسمون أَصْنَامهم آلهة.

أي: لن ندعو من دون رب السموات والأرض إلٰهاً لا عَلى طريق الاستقلال، ولاَ عَلَى سبيل الاشتراك، إذ لا رب غيره، ولا معبود سواه، وقد أشاروا بالجملة الأولى إلى توحيد الألوهية، والخلق، وبالجملة الثانية إلى توحيد الربوبية والعبادة، وعبدة الأصنام يقرون بتوحيد الأولى، ولا يقرون بتوحيد الثانية، بدليل قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾، وقوله سبحانه حكايةً عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾، وكانوا يقولون في تلبيتهم في الحج: لبَّيك لاَ شريكَ لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملَك.

ثم علَّلوا عَدَم دعوتهم لغيره تعالى بقولهم: ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ﴾؛ أي: والله لَئِنْ عَبَدْنا غَيْرَه تعالى لقد قُلْنا: ﴿إِذًا﴾؛ أي: حين عبدنا غَيْرَهُ قولاً ﴿شَطَطًا﴾ كذبا وزوراً، وإذا حرف جواب وجزاء مهمل، يقدر بـ ﴿لو﴾، أي: لو دعونا من دونه إلٰهاً، والله لقد قلنا قولاً خارجاً عن حد العقول مفرطاً في الظلم.

وفي هذا: إيماء إلى أنَّهم دعوا لعبادة الأصنام، ولِيموا على تركها، ثم حكى سبحانه عن أهل الكهف مقالةَ بعضهم لبعض فقال: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأ، وفي التعبير باسم الإشارة تحقير لهم. ﴿قَوْمُنَا﴾ عطف بيان يعنون أهلَ بلدهم.

﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ سبحانه وتعالى خبر المبتدأ ﴿ءَالِهَةٗۖ﴾؛ أي: أَصْنَاماً يعبدونها ﴿لَّوۡلَا﴾ حرف تحضيض؛ أي: هلا ﴿يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم﴾؛ أي: على عبادة الأصنام ﴿بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ﴾؛ أي: بحجة وَاضِحَةٍ تصلح للتمسك بها، وفيه تبكيت لهم، لأن الإتيانَ بحجة على عبادة الأصنام محال.

أي: إن قومنا هؤلاء، وإن كَانُوا أكبر منا سناً وأكثرَ تَجْرُبَةً، قد أشركوا مع الله غيره، فهلا أتوا بحجة بينة على صدق ما يقولون، كما أَتَيْنَا على صدق ما ندَّعي بالأدلة الظاهرة، وإِنَّهُمْ لأظلم الظالمين، فيما فعلوا، وفيما افتروا، ومن ثَمَّ قال: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾؛ أي: من أشد ظُلْماً ﴿مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾ واختلق ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾، والاستفهام فيه إنكاري بمعنى النفي؛ أي: لا أظلم ممن افترى على الله الكذب، ونسب إليه الشريك، وزعم أن له ولداً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فإنَّ[1] الحُكْمَ بثبوت الشيءِ مع عدم الدليل عليه ظلم وافْتِراء على الله، وهذا من أعظم الدلائل على فَسادِ القول بالتقليد.

والمعنى: أنَّه[2] أظلم من كُلّ ظالم، وعذابه أعظم من كل عذاب؛ لأن الظُّلْمَ موجب للعذاب، فيكون الأعظم للأظلم، ثم قال بعض الفتية لبعض منهم، وَقْتَ اعتزالهم عن قومهم ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ﴾ وعبادتَهم ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾، أي: إلاَّ عبادته سبحانه وتعالى، أَوْ وَإذا اعتزلتموهم ومعبوديهم إلا الله؛ أي: وإذ أردتم اعتزالَهم، ومفارقتهم، واعتزالَ الشيء الذي يعبدونه ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي: إلا عبادتَهُ.

وعلى التقديرين: فالاستثناء متصل على تقدير كونهم مشركين كأهل مكة، ومنقطع على تقدير تمحضهم في عبادة الأوثان، ﴿فَأۡوُۥٓاْ﴾؛ أي: التجئوا ﴿إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾، وصيروا إليه، واجعلوه مأواكم.

قال الفراء[3]: هو جواب إذ، ومعناه اذهبوا إليه، واجعلوه مأواكم، وقيل:

---

(١) المراح.

(٢) روح البيان.

(٣) الشوكاني.

هو دليل على جوابه؛ أي: إذ اعتزلتموهم اعتزالاً اعتقادياً، فاعتزلوهم اعتزالاً جسمانِيّاً، وإذا أردتم اعتزالهم فافعلوا ذَلِكَ بالالتجاءِ إلى الكهف، وفيه إشارةٌ إلى أن الاعتزالَ الاعتقادي يوجب الاعتزال الجسمانيَ، ﴿يَنشُرۡ لَكُمۡ﴾؛ أي: يبسط لكم ويوسعُ عَلَيْكُم ﴿رَبُّكُم﴾؛ أي: مالك أَمْركُم ﴿مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾؛ أي: من تَفَضُّله، وإنعامه في الدارين ﴿وَيُهَيِّئۡ لَكُم﴾؛ أي: يسهل لكم ﴿مِّنۡ أَمۡرِكُم﴾ الذي أنتم بصدده من الفرار بالدين ﴿مِّرۡفَقٗا﴾؛ أي: ما ترتفقون، وتنتفعون به غداً، وجزمهم بذلك لخلوص يقِينِهم عن شوب الشك، وقوة وُثُوقِهم.

أي: وإذ[1] فارقتموهم، وخالفتموهم في عبادتهم غَيْرَ الله، ففارقوهم بأبدانكم، والجؤوا إلى الكهف، وأخلصوا لله العبادة في مكان تتمكنون منها بلا رقيب، ولا حسيب، وإنَّكُمْ إن فعلتم ذلك، فالله تعالى يبسط لكم الخير من رحمته في الدارين، ويسَهّل لكم من أمر الفرار بدينكم، والتوجُّهِ إليه في عبادتكم ما ترتفقون وتنتفعون به، أخرج الطبراني وابن المنذر عن ابن عباس قال: ما بعث الله نَبيّاً إلا وهو شابٌّ. وقرأ ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ۝٦٠﴾، ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ﴾ وَقرأ[2] أبو جعفر، والأعرج وشيبة، وحميد، وابن سعدان، ونافع، وابن عامر، وأبو بكر، في رواية الأعشى، والبِرجميِّ، والجعفي عنه، وأبو عمرو في رواية هارونَ، بفتح الميم وكسر الفاء، وهو مصدر جَاءَ شاذّاً، كالمرجع والمحيض، فإن قِيَاسَه الفتح، وقرأ ابن أبي إسحاق، وطلحة، والأعمش، وباقي السبعة بكسر الميم وفتح الفاءِ؛ أي: رِفقاً.

ثم بيَّن سبحانه حالَهم بعد أن أووا إلى الكهف، فقال: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ﴾ يا محمد، أو يا مَنْ يصلح للخطاب ويتأتى منه الرؤية، وليس المراد به الإخبار بوقوع الرؤية تَحْقِيقاً بل الإنباء بكون الكهف بِحَيْثُ لو رأيته ترى الشمس ﴿إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ﴾ أي تَتَزَاوَرُ وتَتَنَحَّى وتميل بحذف إحدى التائين، من الزور بفتح الواو، وهو الميل ﴿عَن كَهۡفِهِمۡ﴾ الذي.. أووا إليه، فالإضافة لأدنى ملابسة

---

(١) المراغي..

(٢) البحر المحيط.

﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾؛ أي: جهة[1] ذات يمين الكهف عند توجه الداخل إلى قعره؛ أي: جانبه الذي يلي المغربَ، فلا يقع عليهم شعاعها، فيؤذيهم؛ لأنَّ الْكَهْفَ كَانَ جنوبياً؛ أي: كانت ساحته داخلة في جانب الجنوب، أو زَوَّرها الله عنهم، وصَرَفَها على منهاج خرق العادة، كرامةً لهم، وحقيقتها: الجِهة ذات اسم اليمين؛ أي: الجهة المسماة باسم اليمين، ﴿وَإِذَا غَرَبَت﴾؛ أي: تَرَاها عند غروبها. ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾، أي: تقطعهم وتَتركهم ﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾؛ أي: جهة ذات شمال الكهف، أي: جانبَهُ الذي يلي المشرق، وجملة قوله: ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ في محل نصب على الحال؛ أي: والحال أنهم في فجوة متسع من ذلك الكهف، ووسطه، فيصيبهم نَسِيمُ الهواءِ وبرده.

وخلاصة ذلك[2]: أنهم طُولَ نهارهم لا تصيبهم الشمس في طلوعها، ولا في غروبها، إذ كان باب الكهف في مقابلة بنات نعش، فهو إلى الجهة الشمالية، والشمس لا تسامت ذلك أبداً، لأنَّها لا تصل إلى أبعد من خط السرطان، وكل بلاد بعده إلى جهة الشَّمَالِ تكون الشمس من وَرائها لاَ أَمَامَها، فيكون الظِلُّ مَائِلاً جهةَ الشمال طولَ السنة، كما يعلم ذلك من علم الفَلَكِ، وإيضاحُ ذلك أنه لو كان باب الكهف في ناحية الشرق، لَمَّا دخل إليه شيء منهَا حين الغروب، ولو كَانَ من ناحية الجنوب، لما دخل منها شيء حين الطلوع ولا الغروب، وما تزاوَرُ الفيء لا يميناً ولا شمالاً، ولو كان جهة الغرب لما دخلَتْهُ وقْتَ الطلوع، بل بعد الزوال، ولا تزال فيه إلى الغروب.

تنبيه: وهنا إشكالٌ لأنه قد تقدَّمَ في القصة أنَّ المَلِكَ الظالم الذي فرُّوا منه بَنَى على باب الكهف سَدّاً، وقال: لكي يموتوا جوعاً وعطشاً، وأنَّ السد اسْتَمَرَّ عليهم مدة لبثهم نياماً، وأنَّ الملك الصالح اجْتَمَعَ بهم حينَ تَيَقَّظُوا، وبَنَى على باب الغار مسجِداً، بَعْدَ موتهم، وصريحُ هاتين الآيتين يَرُدُّ هذا ويُبْطِلُه، إذ لو كان

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.

بابُ الغار قَدْ سُدَّ كما ذكر، لم يَسْتَقِمْ قوله: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ﴾ إلخ فَليُتَأَمَّل ولْيُحَرَّر، وقرأ[1] الحرْمِيان ـ نافع وابن كثير ـ وأبو عمرو: ﴿تزَّاوَر﴾ بإدغام تاء تتزاوَرُ في الزاي، وقرأ الكوفيون، والأعمش، وطلحة، وابن أبي ليلى، وابن مُناذر، وخلفٌ، وأبو عبيد، وابن سعدان، ومحمد بن عيسى الأصبهاني، وأحمد بن جبير الأنطاكي، بتخفيف الزاي، إذا حذفوا التاءَ، وقرأ ابن أبي إسحاق وابن عامر، وقتادة، وحُميدٌ، ويعقوبُ، عن العمري ﴿تَزْوَرُّ﴾ على وَزن تحمر، وقرأ الجَحْدرِيُّ، وأبو رجاء، وأيُّوبُ السختيانيُّ، وابنُ أبي عبلة، وجابر، وورد عن أيوب ﴿تَزْوَارُّ﴾ على وزن تحمار، وقرأ ابنُ مسعود، وأبو المتوكل ﴿تَزْوَأَرُّ﴾ بهمزة قبل الراء، على وزن قَولهم: ادهأمَّ واشْعَأل فراراً من التقاء الساكنين، وكلُّها بمعنى الزور، بمعنى المَيل، وقرأ الجمهور ﴿تَقْرِضُهم﴾ بالتاء، وقرأت فرقةٌ بالياء؛ أي: يقرضهم الكهف، وللمفسرين[2] في تعيين مكان الكهفِ أقوال، فقيل: هو قريب من إيلْيَاءَ ـ بيت المقدس ـ ببلاد الشام، وقال ابن إسحاق عند نينوى ببلاد الموصل، وقيل: ببلاد الروم، ولم يقم إلى الآن الدَّليل على شيء من ذلك، ولو كَانَ لنا في معرفة ذَلِكَ فائدة دينِية.. لأَرْشدنا اللَّهُ إليه، كما قال ﷺ: «ما تركتُ شيئاً يقرِّبُكم إلى الجنة ويباعدكم من النار، إلا وقد أعلمتكم به».

وخلاصة ذلك: أي إن هدايتهم إلى التوحيد، ومخالفتهم قومهم، وآباءهم، وعدَم الاكتِراث بِهِم وبملكهم مع حداثتهم، وإيواءهم إلى كهف تلك صفته، بحيث تَزَاورُ الشمس عنهم طالعةً، وتقرضهم غاربة، وإخبَارَكَ بقصصهم، كل ذلك ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى الكثيرة في الكوْن الدالَّة على كمال قدرته، وعلى أنَّ التَّوحيد هو الدين الحق، وعَلَى أن اللَّهَ يكرم أهله.

والمعنى[3]: أي ما صنع الله بهم من تزوار الشمس وقرضها حالَتَي الطلوع والغُروب، مع كونهم في موقع شعاعها من آيات الله العجيبة الدالة على كمال

---

(١) البحر المحيط.
(٢) المراغي.
(٣) روح البيان.

علمه، وقدرته، وحقّيةِ التوحيد، وكرامة أهله عنده، ثُمَّ بيَّن أن هدايتهم إلى التوحيد كانت بعناية الله ولطفه، فقال: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: من يُوفِّقهُ الله للاهتداء بآياته، وحجَجه إلى الحق، كأصحاب الكهف. ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ الذي أصاب سَبيل الحق، وفاز بالحظ الأوفر في الدارين، فَلَنْ يقدر على إضلاله أحد، والمراد: إما الثناء عليهم، بأنهم المهتدون، أو التنبيه على أن أمثال هذه الآية كثيرة، ولكنِ المنتفع بها من وفَّقه الله للاستبصار بها، كأصحاب الكهف، وقوله: ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ بدون ياء في الرسم؛ لأنها من ياءات الزوائد، وهي لا تُثْبَتُ فيه، وأما في النطق فعند الوقف تُحذف عند الجميع، وعند الوصل بعض السبعة يَحْذِفُها، وبعضُهم يثبتها اهـ شيخنا.

وفي هذا[1]: إيماء إلَى أن أصحابَ الكهف أصابُوا الصَّوابَ ووُفِّقوا لتحقيق ما أَمَّلُوا من نشر الرحمة عليهم، وتهيئة المِرْفق لهم، ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾؛ أي: ومن يضلله الله لسوء استعداده، وصرف اختياره إلى غير سبل الهدى والرشاد، ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾؛ أي: نَاصِراً يَهْدِيه إلى الحق، كدقيانوس وأصحابه؛ أي: فلَنْ تجد له أبداً خَليلاً، ولا حليفاً يُرشده لإصابة سبل الهداية، ويخلصه من الضلال؛ لأن التّوْفِيق والخذلان بِيَد الله، يوفق من يشاءُ من عباده، ويخذل من يشاءُ، وفي هذا تسلية لرسوله ﷺ وإرشادٌ له إلى أنه لا ينبغي له أَنْ يحزن على إدبار قَوْمِهِ عنه، وتكْذِيبِهم إياهُ، فإن اللَّهَ لو شاءَ.. لَهداهُم وآمنوا.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾؛ أي: وتحسب أيها الرسول أو أيُّها الْمُخاطَب أصحاب الكهف، وتَظُنُّهم لو رَأَيْتَهُم ﴿أَيْقَاظًا﴾؛ أي: منتبهين لانفتاح أَعْيُنِهم على هَيْئةِ الناظر ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾؛ أي: نيام جَمْعُ راقد كقاعد، وقعود؛ أي: والحال أنهم راقدُون نائمون؛ أي: ولو رأيتهم.. لَظَنَنْتَهُم في حال يقظة لانفتاح أعيُنهم، كأنهم ينظرون إلَى من أمامهم، والحالُ أنهم: نَائِمُون لما بهم من الحال الخاصة بالنوم، كاسترخاء المَفَاصِل، والأعضاءِ، ولا سيما العَيْنَان والوَجْه ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾؛ أي:

---

(١) المراغي.

ونقلب هؤلاء الفتية في حالِ رَقْدَتِهم بأَيْدِي الملائكةِ، أو بيد القُدْرَة ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ نُصِبَ على الظرفية؛ أي: جهة تلي أَيْمانهم ﴿وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾؛ أي: جهة تلي شمائلهم، كيلا تأكل الأرض ما يليها من أبدانهم، على طول الزمان؛ أي: نُحَوِّلُهم في رقدتهم مَرَّة للجنب الأيمن، ومَرَّة للجنب الأيسر، كي ينالَ رُوحُ النَّسِيم جَمِيعَ أبدانهم، ولا يتأثر ما يلي الأرض منها بطول المكث، والمراد بذات اليمين وذات الشمال هنا يمينهم وشمالهم أنفسهم، بخلاف ما تقدم، فَإِنَّ المرادَ به يمين الكهف وشِمَالُه كما مر ﴿وَكَلْبُهُم﴾؛ أي: وكَلْبُ أولئك الفتية، وهو كلب راع قد تَبِعَهُمْ عَلَى دينِهم، واسمه قطمير ﴿بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ حكاية حال ماضية؛ أي: وكلبهم مُلْق يَدَيْهِ على الأرض مَبْسُوطتين غير مقبوضتين ﴿بِٱلْوَصِيدِ﴾؛ أي: بموضع الباب من الكهف والذراع[1] مِنَ المرفق إلى رأس الأصبع الوسطى قال في «القاموس»: الوصيد الفناءُ وَالعتبة. انتهى قال السدي: الكهف لا يكونُ له عتبة، ولا باب، وإنما أَرَادَ أَنَّ الكَلبَ منه موضع العتبة من البيت ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على أهل الكهف، أي: لو شاهدت يا محمد، أو أيها المخاطب في رقدتهم التي رَقَدُوها في الكهف ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ﴾؛ أي: لأدبرتَ ﴿فِرَارًا﴾ منهم، والفِرَارُ الهَربُ، وهو منصوب على المصدرية مِن معنى ما قبله، إذ التولية، والفرار مَعْنَاهُما واحد؛ أي: ولَّيت توليةً، وفررت فراراً. ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾؛ أي: ولملئت[2] نفسك حِينَ اطّلاعَكَ عليهم خوفاً وفزعاً، فكل مَنْ رَآهمْ فَزِعَ منهم فزعاً شديداً لأنَّ الله سبحانه قَدْ ألبسهم هيبة ووَقاراً كي لا يصل إِلَيْهِمْ وَاصِل ولا تلمسهم يد لامس، حتى يبلغَ الْكِتَابُ أجله، وتوقظهم من رقدتهم قُدْرَته وسلطانه في الحين الذي أراد أن يجعلهم فيه عبرة لِمَنْ شَاءَ من خلقه، وآية لمن أراد الاحْتِجَاج عليهم من عباده، وليَعْلَمُوا أَنَّ وعد الله حق، وأَنَّ السَّاعَةَ آتية لا ريب فيها.

وقرأ الجمهور[3]: ﴿ونقلبهم﴾ بالنون مزيدَ اعتناءِ الله بهم، حيث أسند

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.
(٣) زاد المسير.

التقليب إليه تعالى، وأنَّه الفاعل ذلك، وحكى الزمخشريُّ أنه قرىء ﴿ويقلِّبهم﴾ بالياء مشدّداً؛ أي: يقلبهم الله، وَقَرَأَ أبو رجاء ﴿وتقلبهم﴾ بتاء مفتوحة، وسكون القاف، وتخفيف اللام المكسورة مضارع قلب مخففاً، وقرأ أبو الجوزاء، وعكرمة: ﴿ونقلبهم﴾ مثلها إلا أنه بالنون، وقرأ الحسن فيما حكى ابن جني، و﴿تقلبهم﴾ مصدر تقلب منصوباً بفعل مقدر، كأنه قيل: وترى، أو تشاهد، تقلبهم، وعنه أيضاً أنه قرأ كَذَلك إلاَّ أنه ضم الباء فهو مصدرٌ مرتفعٌ بالابتداءِ، قاله أبو حاتم، وقرأ أبو جعفر الصادق ﴿وكالبهم﴾؛ أي: صاحب كَلْبِهم كما تقول لابن، وتامِر؛ أي: صاحب لبن وتمر.

وقرأ ابن وثَّاب، والأعمش، وأبو حصين (لو اطلعت) بضم الواو، وصلاً، وقرأ الجمهور بِكَسْرِها، وقد ذكر ضمها عن شَيْبَةَ، وأبي جعفر، ونافع، وقرأ عاصم، وابن عامر، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، ﴿وَلَمُلِئْتَ﴾ خفيفةً مهموزة، وقرأ ابن عباس، وابن كثير، ونافع، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة، ﴿وَلَمُلِّئْتَ﴾ بتشديد اللام مهمزاً، وقرأ أبو جعفر، وشيبة بتشديد اللام، وإبدال الياء من الهمزة، وقرأ الزهريُّ بتخفيف اللام والإبدال، وتقدم الخلاف في ﴿رعباً﴾ في آل عمران، وقرَأَ هنا بضم العين أبو جعفر وعيسى ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: وكما[1] أرقدنا هؤلاء الفتيةَ في الكهف، وحَفِظْنَا أجسامهم من البلى على طول الزمان، وثيابهم من العفنِ على مر الأيام بقُدْرَتِنا. ﴿بَعَثْنَٰهُمْ﴾ من رقدتهم، وأيقظناهم من نومهم، لنعرِّفهم عظيمَ سلطاننا، وعجيبَ فعلنا في خلقنا، ليزدادوا بصيرة في أمرهم الذي هم عليه، من براءتهم من عبادة الآلهة، وإخلاصهم العبادَةَ لله الواحد القهار، إذا تبيَّنوا طول الزمان عليهم، بهيئتهم حين رقدوا، و﴿لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: وليقع التساؤل بينهم، والاختلاف، والتنازع في مدة اللبث لما يترتب على ذلك من انكشاف الحال، وظهور القدرة الباهرة، والاقتصار على علة السؤال لا ينفي غيرها، وإنَّمَا أفرَدَهُ لاستتباعه لسائر الآثار، وجملة قوله: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ مبيِّنة لما قبلها من التساؤل بينهم؛ أي: كم مدة لبثكم في النوم؟ قَالُوا:

---

(١) المراغي.

ذلِكَ لأنهم رأوا في أنفسهم غَيْرَ مَا يعهدونه في العادة.

أي: وكذلك بعثناهم لتكونَ عاقبة أمرهم أن يسأل بعضهم بعضاً، فيقول قائل منهم لأصحابه: كم لبثتم؟ ذاك أنهم استنكروا من أنفسهم طُولَ رَقْدتهم ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾؛ أي: قال بعضهم جواباً عن سؤال من سأل منهم: لبثنا يوماً أو بعض يوم، ظناً منهم أنَّ الأمْرَ كذلك، قال المفسرون: إنهم دَخَلُوا الكهف غُدوةً وبعثهم الله سبحانه آخرَ النهارَ، فلذلك قَالُوا يوماً، فلما رأوا الشَّمْسَ قالوا: أو بعض يوم، وكان قد بقيتْ بقية من النهار، ﴿قَالُوا۟﴾؛ أي: قال[1] بعض آخر منهم بما سنحَ لهم من الأدلة، أو بإلهام من الله ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾؛ أي: أَنْتُمْ لا تعلمون مدة لبثكم؛ لأنها مُتَطَاوِلَةٌ ومقدارها مُبْهَمٌ، وإنما يعلمها الله تعالى، وبه يتحقق التحزب إلى الحزْبَيْنِ المَعْهُودَيْنِ فيما سَبَقَ، وهذا من الأدب البارعِ في الرد على الأولين بأحْسن أسلوب، وأجمل تعبير، وحين عَلِموا أنَّ الأمر مُلْتَبِسٌ عليهم، عَدَلُوا إلى الأهم في أمرهم، وهو احتياجهم إلى الطعام والشراب فقالوا: ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾؛ أي: بدراهمكم ﴿هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ وهي: طرسوس ـ بفتح الراء ـ كما جزَمَ بذلك فخر الدين الرازي، قالوه إعراضاً عن التعمق في البحث عن مدة لبثهم؛ لأنه مُلْتَبِسٌ لا سبيل لهم إلى علمه، وإقبالاً على ما يهمهم بحسب الحال، كما ينبىء عنه (الفاء)، والوَرق: الفضةُ مضروبةً أو غَيْرَ مضروبة.

وفي قولهم: ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ إشارة[2] إلى أنَّ القَائِلَ كَانَ قد أحضرها ليناولها، بعض أصحابه، وإلى أن التأهب لأسباب الْمَعَاش بحمل الدراهم، ونحوها لمن خرج من منزله، لا ينافِي التَّوَكُّلَ على الله كما جاء في الحديث «اعْقلْهَا وتوكَّل» وقرأ أبو[3] عمرو، وحمزة، وأبو بكر، والحسن، والأعمش، واليزيديُّ، ويعقوب في رواية، وخَلَفٌ، وأبو عبيد، وابن سَعْدَان: ﴿بورْقِكُم﴾ بإسكان الراء، وقرأ باقي

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) البحر المحيط.

السبعة، وزيدُ بن عليّ بكسرها، وقرأ أبو رجاء بكسر الواو، وإسكان الراء، وإدغام القاف في الكاف، وكذا إسماعيل عن ابن محيصن، وعن ابن محيصن أيضاً كذلك إلا أنه كسر الراءَ لِيَصِحّ الإدغامُ، وقال الزمخشري: وقرأ ابن كثير ﴿بورقكم﴾ بكسر الراء، وإدغام القاف في الكاف انتهى، وهو مخالفٌ لما نَقَل النَّاسُ عنه، وحكى الزجاج قراءة بكسر الواو، وسكون الراءِ دُون إدغام، وقرأ عليٌّ بن أبي طالب ﴿بوارقكم﴾ على وزن فاعل جَعَلَهُ اسمَ جَمْع كبَاقِرِ، وجائل.

﴿فَلْيَنظُرْ﴾ ذلك الأحد ﴿أَيُّهَآ﴾؛ أي: أي أهل المدينة ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾؛ أي: أطيب طعاماً وأحل مكسباً، قال الضحاك: وكان أكثرُ أموالهم غُصُوباً أو أرخص سعراً، وقيل[1]: يجوز أن يعودَ الضميرُ إلى الأطعمة المدلول عليها في المقام؛ أي: فليبصرُ أي الأطعمة أجود وألذ ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ﴾؛ أي: بقوت، وطعام، وهو ما يقوم به بدن الإنسان، ﴿مِّنْهُ﴾؛ أي: من ذلك الأزكى طعاماً ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾؛ أي: وليترفق في دخول المدينة، وفي شرائه، وفي إيابه منها، ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ﴾؛ أي: وَلاَ يخبرن بِمَكَانِكُم ﴿أَحَدًا﴾ من أهلها، ثمَّ ذكروا تعليل الأمر والنهي السالفين بقولهم: ﴿إِنَّهُمْ﴾؛ أي: ليبالغ في التلطف وعدم الإشعار لأن أَهْلَ المدينَةِ ﴿إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: إن يطلعوا عليكم، ويظفروا بكم، والضمير[2] للأهل المقدر في أَيُّها ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾؛ أي: يقتلوكم بالرَّجْم، وهو الرمي بالحجارة، إن دمتم على ما أَنْتُمْ عليه، وهو أخبث القتلة، وكان ذلك من عادَتِهِم، ولهذا خصَّه من بين أنواع ما يقع به القتل، ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ﴾؛ أي: يردوكم إلى ملتهم التي كنتم عليها قبل أن يهديكم الله تعالى، أو يدخلوكم فيها كُرهاً من العَوْدِ بمعنى الصيرورة؛ أي[3]: إن الكُفَّار إن علموا بمكانكم، ولم تفعلوا ما يريدون منكم، بَلْ ثبتم على إيمانكم، إمَّا أَنْ يقتلوكم رمياً بالحجارة، وكَانَ ذلك هو المتسع في الأزمنة الغابرة فيمن يُعلن خلاف ما عليه الجماهير في الأمور الدينية والسياسية التي لها شأن في الدولة، وإما أن يعيدوكم إلى مِلة

---

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

آبائكم التي هُم مستمسكون بها، ﴿وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا﴾؛ أي: وإن دَخلْتُم في دينهم، وملّتهم، ولو بالإكراه، والإلجاء لن تفوزوا بخير ﴿أَبَدًا﴾، أي: لاَ في الدنيا، ولا في الآخرة، لأنكم وَإنْ أكرهتم ربما اسْتَدرَجَكُم الشيطان بذلك إلى الإجابة حَقِيقَة، والاستمرارُ عليها، فيكون قد كتب عَلَيْكُمْ الشقاء عند ربكم، والخذلان الذي لا خذلان بعده.

وفي «الكرخي»: واستُشكل الحُكْمُ عليهم بعدم الفلاح، مع الإكراه المستفاد من ﴿إِن يَظۡهَرُواْ﴾ إذ المُكْرَهُ لا يؤاخَذُ بما أكره عليه، لخبر «رُفِعَ عن أمَّتِي» الخ، وأُجِيبَ بأنَّ المؤاخذة به كانت في غير هذه الشريعة بدليل ﴿وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ﴾ وَخبر «رُفِعَ عن أمتي» الخ اهـ وقرأ الحسن، ﴿وليتلطف﴾ بكسر لام الأمر، وعن قُتَيْبَةَ الميال، ﴿ولِيُتَلَطَّفْ﴾ بضم الياء مبنياً للمفعول، وقرأ أبو صالح، ويزيدُ بن القعقاع، وقُتيبةُ ﴿ولا يشعرن بكم أحد﴾ ببناء الفعل للفاعل، ورفع ﴿أحدٌ﴾ وقرأ زيد بن عليٍّ ﴿يُظْهَروا﴾ بضم الياء مبنيّاً للمفعول.

الإعراب

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمٗا﴾.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة ﴿ٱلَّذِيٓ﴾: صفة للجلالة ﴿أَنزَلَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الموصول، والجملة صلة الموصول ﴿عَلَىٰ عَبۡدِهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَنزَلَ﴾ ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: مفعول به ﴿وَلَمۡ﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة ﴿لَمْ يَجْعَل﴾: جازم ومجزوم وفاعله ضمير يعود على الله ﴿لَّهُۥ﴾: جار ومجرور، في محل المفعول الأول ﴿عِوَجَاۜ﴾: مفعول ثان له، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة ﴿قَيِّمٗا﴾: حال من ضمير له، وهي حال مؤكدة، ويجوز أن تكونَ (الواو) حالية، والجملة الفعلية حال أولى من ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ ﴿قَيِّمٗا﴾: حال ثانية منه متداخلة، والتقدير: أنزله غير جَاعل له عوجاً قيماً.

﴿لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ۝٣﴾.

﴿لِّيُنذِرَ﴾: (اللام) حرف جر وتعليل ﴿ينذر﴾: منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام كي، وفاعله ضمير يعود على محمد، أو على ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ و﴿ينذر﴾ يتعدى إلى مفعولين أولهما محذوف، تقديره: لينذر الذين كفروا به ﴿بَأْسًا﴾: مفعول ثان له ﴿شَدِيدًا﴾: صفة لـ﴿بَأْسًا﴾، والجملة الفعلية مع أَنْ المضمرة في تأويل مصدر مجرور بـ(اللام) والجار والمجرور متعلق بـ﴿أَنزَلَ﴾ والتقدير: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب لإنذاره الذين كفروا به بأساً شديداً، ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: فعل ومفعول أول، وفاعله ضمير يعود على محمد، أو على الكتاب، والجملة معطوفة على جملة ﴿ينذر﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾: صفة للمؤمنين ﴿يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الموصول ﴿أَنَّ﴾: حرف نصب ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور، خبرُها، مقدم ﴿أَجْرًا﴾ اسمها مؤخر ﴿حَسَنًا﴾: صفة ﴿أَجْرًا﴾ وجملة ﴿أن﴾ من اسمها وخبرها في تأويل مصدر منصوب على كونه مفعولاً ثانياً لـ﴿يبشر﴾ على رأي من يرى أن ﴿يبشر﴾ يتعدى لمفعولين، وقيل: هو في تأويل مصدر، منصوب بنزع الخافض، والخافض المحذوف متعلق بـ﴿يبشر﴾ والتقدير: ويبشرُ المؤمنينَ بكون أجر حسن لهم، ﴿مَّٰكِثِينَ﴾: حال من (الهاء) في ﴿لَهُمْ﴾ ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿مَّٰكِثِينَ﴾ و﴿أَبَدًا﴾: ظرف متعلق بـ﴿مَّٰكِثِينَ﴾ أيضاً.

﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾.

﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ﴾: فعل ومفعول أول معطوف على ﴿ينذر﴾ الأول وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿قَالُوا۟﴾: فعل وفاعل صلة الموصول، والمفعول الثاني محذوف تقديره بأساً شديداً ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾ ﴿مَّا﴾ نافية ﴿لَهُم﴾ جار ومجرور خبر مقدم ﴿بِهِۦ﴾ متعلق بـ﴿عِلْمٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿عِلْمٍ﴾: مبتدأ مؤخر، ﴿وَلَا﴾ (الواو) عاطفة (لا) زائدة زيدت لتأكيد نفي ما قبلها، ﴿لِءَابَآئِهِمْ﴾: جار ومحرور معطوف على الجار والمجرور في ﴿لَهُمْ﴾ والجملة الاسمية مستأنفة مسوقة لتقرير جهالتهم، وأنهم

يقولون مَا لاَ يَعْرِفُون، ﴿كَبُرَتْ﴾: فعل ماض لإنشاء الذم، وفاعله ضمير مبهم مستتر فيه وجوباً مفسر بالنكرة، المذكورة ﴿كَلِمَةً﴾: منصوب على التمييز لفاعل ﴿كبر﴾، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: هي؛ أي: تلك الكلمة، وجملة ﴿كَبُرَتْ﴾ في محل الرفع خبر مقدم للمخصوص بالذم المحذوف، والجملة الاسمية جملة إنشائية، سيقت لإنشاء الذم، لاَ مَحَلَّ لَهَا من الإعراب، ﴿تَخْرُجُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على كلمة ﴿مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تَخْرُجُ﴾ والجملة صفة لـ﴿كَلِمَةً﴾ ﴿إِن﴾: نافية ﴿يَقُولُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ ﴿كَذِبًا﴾: صفة لمصدر محذوف تقديره: إلا قولاً كذباً.

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ⑥﴾.

﴿فَلَعَلَّكَ﴾: (الفاء): استئنافية ﴿لعل﴾: حرف ترج ونصب، وهي من أخوات إن و(الكاف) اسمها ﴿بَاخِعٌ﴾: خبرها ﴿نَّفْسَكَ﴾: مفعول به لـ﴿بَاخِعٌ﴾ وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ متعلق بـ﴿بَاخِعٌ﴾ وجملة ﴿لعل﴾ مستأنفة. ﴿إِن﴾: حرف شرط ﴿لَّمْ يُؤْمِنُوا۟﴾: جازم وفعل وفاعل، والجملة في محل الجزم بـ﴿إِن﴾ الشرطية على كَوْنِهَا فِعْل شرط لها ﴿بِهَٰذَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يُؤْمِنُوا۟﴾ ﴿ٱلْحَدِيثِ﴾: بدل من اسم الإشارة ﴿أَسَفًا﴾: مفعول لأجله منصوب بـ﴿بَاخِعٌ﴾ أو منصوب على أنه مصدر واقع موقع الحال، وجواب الشرط محذوف دل عليه الترجي، والتقدير: إن لم يؤمنوا بهذا الحديث، فلا تحزن، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات، وجملة الشرط مستأنفة.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ⑦﴾.

﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل وفاعل، وجملة ﴿جَعَلْنَا﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل النهي المقصود من الترجي، ﴿مَا﴾: في محل النصب مفعول أول لـ﴿جعل﴾ ﴿عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾: جار ومجرور صلة لـ﴿مَا﴾ أو صلة لها ﴿زِينَةً﴾: مفعول ثان لـ﴿جعل﴾ وإن كان بمعنى خلقنا، فتكون ﴿زِينَةً﴾ حالاً من ﴿ما﴾ الموصولة ﴿لَّهَا﴾: جار ومجرور، صفة

لـ﴿زِينَةً﴾. ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾: (اللام): حرف جر وتعليل ﴿نبلوهم﴾ فعل ومفعول منصوب بـ(أن) مضمرةً بعد لام كي، وفاعله ضمير يعود على الله، ﴿أَيُّهُمْ﴾: (أي): اسم استفهام مبتدأ و(الهاء): مضاف إليه ﴿أَحْسَنُ﴾: خبر المبتدأ ﴿عَمَلًا﴾: تمييز محول عن المبتدأ منصوب باسم التفضيل، والجملة الاسمية في محل النصب سادة مسد مفعولَيْ ﴿نبلو﴾ لأنه في معنى نعلم، وقد عُلّق عن العمل بـ﴿أي﴾ الاستفهامية، ويجوز أن تكون (أي) موصولة بمعنى الذي وتعرب بدلاً من (الهاء) في ﴿نبلوهم﴾ والتقدير: لنبلو الذي هو أحسن، و﴿أَحْسَنُ﴾: خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هو ﴿أَحْسَنُ﴾ والجملة صلة (لأي) الموصولة، وتكون الضمة في (أي) ضمة بناء؛ لأن شَرطَهُ موجود، وهو أن تضاف، ويحذف صَدْرُ صِلَتِها، وجملة ﴿نبلوهم﴾ في تأويل مصدر مجرور بـ(لام) التعليل الجار والمجرور متعلق بـ﴿جَعَلْنَا﴾ والتقدير: إنا جعلنا ما على الأرض زينةً لها لبلاء من عليها أيهم أحسن عملاً.

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾.

﴿وَإِنَّا﴾: (الواو): عاطفة (إنا): ناصب واسمه ﴿لَجَاعِلُونَ﴾: خبره مرفوع بـ(الواو) و(اللام): حرف ابتداء، وجملة ﴿إن﴾ معطوفة على جملة ﴿إن﴾ الأولى ﴿مَا﴾ موصولة أو موصوفة في محل النصب مفعول أول لـ﴿جاعلون﴾ ﴿عَلَيْهَا﴾ صلة لـ﴿مَا﴾ أو صفة لها ﴿صَعِيدًا﴾: مفعول ثان لـ﴿جاعلون﴾. ﴿جُرُزًا﴾: صفة لـ﴿صَعِيدًا﴾. ﴿أَمْ﴾: منقطعة تقدر بـ(بل)، وبهمزة الإنكار، ﴿حَسِبْتَ﴾: فعل وفاعل ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾: ناصب واسمه، ومضاف إليه ﴿وَالرَّقِيمِ﴾: معطوف على ﴿الْكَهْفِ﴾. ﴿كَانُوا﴾: فعل ناقص واسمه ﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾ حال من ﴿عَجَبًا﴾ ﴿عَجَبًا﴾: خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ في محل الرفع خبر (أنَّ) وجملة (أنَّ) في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي حسب، وجملة حسب مستأنفة، والاستفهام المستفاد من أم للإنكار، والنفي، واليس المراد نفي العجب عن قصة أهل الكهف، فهي عجب كما ذكرنا، ولكن الْقَصْدُ نفيَ كونها أعجب الآيات.

﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠﴾.

﴿إِذۡ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بمحذوف تقديره: اذكر إذ أوى ﴿أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ﴾: فعل وفاعل والجملة في محل الجر، مضاف إليه، لـ﴿إِذۡ﴾ والجملة المحذوفة مستأنفة ﴿إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَوَى﴾. ﴿فَقَالُواْ﴾: (الفاء) عاطفة ﴿قالوا﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿أَوَى﴾ ﴿رَبَّنَآ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿رَبَّنَآ﴾: منادىً مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالُواْ﴾ ﴿ءَاتِنَا﴾: فعل ومفعول أول لأنه بمعنى أعطنا، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل النصب مقول ﴿قالوا﴾ على كونها جَوَابَ النداء ﴿مِن لَّدُنكَ﴾: جار ومجرور حال من ﴿رَحۡمَةٗ﴾. ﴿رَحۡمَةٗ﴾: مفعول ثان لـ﴿رَبَّنَآ﴾ ﴿وَهَيِّئۡ﴾: فعل دعاء، وفاعله ضمير يعود على الله ﴿لَنَا﴾ متعلق بـ﴿هيء﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿ءَاتِنَا﴾. ﴿مِنۡ أَمۡرِنَا﴾: جار ومجرور حال من ﴿رَشَدٗا﴾. ﴿رَشَدٗا﴾: مفعول به.

﴿فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ١١﴾.

﴿فَضَرَبۡنَا﴾: (الفاء): عاطفة ﴿ضربنا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿قالوا﴾ ﴿عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ﴾ متعلق به، ومفعول ﴿ضربنا﴾ محذوف تقديره: حجاباً مانِعاً من السماع، ﴿فِي ٱلۡكَهۡفِ﴾: حال من ضمير آذانهم، لأن المضاف جزء من المضاف إليه، ﴿سِنِينَ﴾: منصوب على الظرفية الزمانية، وعلامة نصبه الياء والظرف متعلق بـ﴿ضربنا﴾. ﴿عَدَدٗا﴾: نعت لـ﴿سِنِينَ﴾ لأنه فَعَلٌ بمعنى مفعول، أي: سنين معدودة.

﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ١٢﴾.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف ﴿بَعَثۡنَٰهُمۡ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿ضربنا﴾ ﴿لِنَعۡلَمَ﴾: (اللام): حرف جر وتعليل، أو عاقبة ﴿نعلم﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرةً بعد لام كي، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة الفعلية مع أن

المضمرة في تأويل مصدر مجرور باللام، تقديره: لعلمنا أي الحزبين إلخ الجار والمجرور متعلق بـ﴿بعثنا﴾ ﴿أَيُّ﴾: اسم استفهام مبتدأ مرفوع ﴿ٱلْحِزْبَيْنِ﴾: مضاف إليه، ﴿أَحْصَىٰ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿أي﴾ والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب سادة مسد مفعولي علم؛ لأنها معلقة عنها باسم الاستفهام ﴿لِمَا﴾: اللام حرف جر ﴿ما﴾ مصدرية ﴿لَبِثُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية صلة ﴿ما﴾ المصدرية ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ(اللام) الجار والمجرور متعلق بمحذوف نعت لـ﴿أَمَدًا﴾ ولكنه لما قُدّمَ عليه جُعِلَ حَالاً ﴿أَمَدًا﴾: مفعول أحصى، والتقدير: أحصى أمدا للبثهم.

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾.

﴿نَّحْنُ﴾: مبتدأ ﴿نَقُصُّ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلق بـ﴿نَقُصُّ﴾ ﴿نَبَأَهُم﴾: مفعول به ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: حال من فاعل ﴿نَقُصُّ﴾ أو من مفعوله، وهو النبأ، و(الباء) للملابسة ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾: ناصب واسمه وخبره، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لسرد قصتهم ﴿ءَامَنُوا۟﴾: فعل وفاعل ﴿بِرَبِّهِمْ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية صفة لـ﴿فِتْيَةٌ﴾. ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾: فعل وفاعل ومفعولان، والجملة في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿ءَامَنُوا۟﴾.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾.

﴿وَرَبَطْنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿زدناهم﴾ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: متعلق بـ﴿ربطنا﴾ ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بـ﴿ربطنا﴾ ﴿قَامُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ(إذ) ﴿فَقَالُوا۟﴾: (الفاء): عاطفة ﴿قالوا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿قاموا﴾ ﴿رَبُّنَا﴾: مبتدأ ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: خبر. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ والجملة الاسمية في محل النصب

مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾ ﴿لَن نَّدۡعُوَاْ﴾: ناصب ومنصوب وفاعله ضمير يعود على المتكلمين، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾. ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾: جار ومجرور حال من ﴿إِلَٰهٗاۖ﴾. ﴿إِلَٰهٗاۖ﴾: مفعول ﴿نَّدۡعُوَاْ﴾. ﴿لَّقَدۡ﴾: (اللام): موطئة للقسم ﴿قد﴾ حرف تحقيق ﴿قُلۡنَآ﴾ فعل وفاعل، والجملة جواب القسم، وجملة القسم في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾. ﴿إِذٗا﴾: حرف جواب، وجزاء، مهمل دال على شرط مقدر، تقديره: إن دعونا إلٰهاً من دونه.. لقد قلنا قولا شططا. ﴿شَطَطًا﴾: منصوب على المفعولية المطلقة؛ لأنه صفة لمصدر، محذوف؛ أي: قَوْلاً ذا شطط، أي إفراط وظلم.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۢ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥﴾.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: مبتدأ. ﴿قَوۡمُنَا﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان منه، ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾: فعل وفاعل ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾: حال من ﴿ءَالِهَةٗۖ﴾. ﴿ءَالِهَةٗۖ﴾: مفعول ثان لـ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾، والأول محذوف تقديره: اتخذوا الأصنام آلهةً من دونه، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب، مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾، وهذه الجملة إخبار في معنى الإنكار، ويجوز أن يكونَ ﴿قَوۡمُنَا﴾: هو الخبر، و﴿ٱتَّخَذُواْ﴾: حالاً. وفي «السمين»: و﴿ٱتَّخَذُواْ﴾: يجوز أن يتعدى لواحد، بمعنى عملوا؛ لأنهم نحتوها، بأيديهم، ويجوز أَنْ يَكُونَ متعدياً لاثنين بمعنى صيَّروا، ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ هو الثاني قدم و﴿ءَالِهَةٗۖ﴾ هو الأول، وعلى الوجه الأول، يجوز في ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أنْ يتعلق بـ﴿اتخذوا﴾، وأن يتعلق بمحذوف حالاً من ﴿ءَالِهَةٗۖ﴾ إذ لو تأخر.. لجاز أن يَكُونَ صفة ﴿لآلهة﴾ اهـ. ﴿لَّوۡلَا﴾: حرف تحضيض مضمن معنى الإنكار، ﴿يَأۡتُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَيۡهِم﴾: حال من ﴿سلطان﴾ ﴿بِسُلۡطَٰنِۢ﴾: متعلق بـ﴿يَأۡتُونَ﴾ ﴿بَيِّنٖۖ﴾: صفة لـ﴿سلطان﴾، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾. ﴿فَمَنۡ﴾: (الفاء) استئنافية ﴿من﴾: اسم استفهام للاستفهام الإنكاري في محل الرفع، مبتدأ ﴿أَظۡلَمُ﴾: خبره ﴿مِمَّنِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَظۡلَمُ﴾ والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾ على

كَوْنِها مستأنفة ﴿ٱفۡتَرَىٰ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنِ﴾، والجملة صلة الموصول ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلق بـ﴿ٱفۡتَرَىٰ﴾ ﴿كَذِبٗا﴾: مفعول به لـ﴿ٱفۡتَرَىٰ﴾.

﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾.

﴿وَإِذِ﴾: (الواو): عاطفة ﴿إذ﴾: ظرف لما مضى من الزمان، متعلق بالجواب الآتي، ﴿ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل مضاف إليه، لـ﴿إذ﴾ ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ﴾: (الواو) عاطفة (ما) معطوف على (الهاء) في ﴿ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ﴾ إن كانتْ موصولةً، أو موصوفةً، ويصح كَوْنُها مصدرية، والتقدير: وعبادتهم. ﴿يَعۡبُدُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة لـ﴿ما﴾ أو صفة لها، والعائد، أو الرابطُ محذوف، تقديره: وما يعبدونه ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء ﴿ٱللَّهَ﴾: مستثنى متصل من ﴿ما﴾ أو من العائد المحذوف على تقدير: كونهم مشركين، ومنقطع على تقدير تمحضهم في عبادة الأوثان، ﴿فَأۡوُۥٓاْ﴾: فعل وفاعل و(الفاء) رابطة لجواب ﴿إذ﴾ الشرطية، وجوباً كما قاله الفراء، نظير قولك: إذ فعلت فافعل كذا ﴿إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية جواب ﴿إذ﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إذ﴾ الشرطية من شرطها وجوابها في محل النصب، معطوف على جملة قوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قالوا﴾.

﴿يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾.

﴿يَنشُرۡ﴾: فعل مضارع مجزوم بالطلب السابق ﴿لَكُمۡ﴾: متعلق به ﴿رَبُّكُم﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾ على كونهَا جواب الطلب ﴿مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾: جار ومجرور، صفة لمفعول محذوف تقديره: نجاحاً من رحمته، ﴿وَيُهَيِّئۡ﴾: فعل مضارع معطوف على ﴿يَنشُرۡ﴾. ﴿لَكُمۡ﴾: متعلق بـ﴿يهيىء﴾ ﴿مِّنۡ أَمۡرِكُم﴾: حال من ﴿مِّرۡفَقٗا﴾ لأنه صفة نكرة تقدمت عليها ﴿مِّرۡفَقٗا﴾: مفعول به.

﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ﴾.

﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ﴾: فعل ومفعول به، وفاعله ضمير يعود على محمد، أو على

أيّ مخاطب، والجملة مستأنفة ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان مجرد عن معنى الشرط متعلق بـ﴿ترى﴾ ويجوز أن تكونَ شرطية مُتَعَلّقة بما بعدها ﴿طَلَعَت﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلشَّمْسَ﴾، والجملة في محل الجر، مضاف إليه، لـ﴿إِذَا﴾ ﴿تَّزَاوَرُ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الشمس، ﴿عَن كَهْفِهِمْ﴾: متعلق به ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾: ظرف، ومضاف إليه، والإضافة فيه من إضافة المسمى إلى الاسم، والظرف متعلق بـ﴿تَّزَاوَرُ﴾، وجملة ﴿تَّزَاوَرُ﴾: في محل النصب حال من الشمس، أي: وترى الشمس وقت طلوعها، متزاورة عن كهفهم، ذات اليمين؛ أي: جهةَ يمين الكهف، ﴿وَإِذَا غَرَبَت﴾: ظرف مجرد عن معنى الشرط، أضيف إلى الجملة، معطوف على قوله: ﴿إِذَا طَلَعَت﴾ على كونه متعلقاً بـ﴿ترى﴾ ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلشَّمْسَ﴾. ﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾: ظرف متعلق بـ﴿تقرض﴾، والجملة الفعلية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿تَّزَاوَرُ﴾ على كونها حالاً من ﴿ٱلشَّمْسَ﴾ ﴿وَهُمْ﴾: مبتدأ ﴿فِى فَجْوَةٍ﴾: خبره ﴿مِّنْهُ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿فَجْوَةٍ﴾، والجملة في محل النصب حال من هاء ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: خبره، والجملة مستأنفة ﴿مَن﴾: اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الجواب، أو الشرط، أو هما ﴿يَهْدِ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿من﴾ على كونه فعل الشرط لها، ﴿فَهُوَ﴾: (الفاء) رابطة الجواب ﴿هو﴾ ﴿ٱلْمُهْتَدِ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونها جوابٌ لهَا، والجملة الشرطية مستأنفة، ﴿وَمَن﴾: (الواو) عاطفة ﴿من﴾ اسم شرط مبتدأ، والخبر جملة الجواب كما مر آنفاً، ﴿يُضْلِلْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿مَن﴾ على كونه فِعْل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على الله ﴿فَلَن﴾ (الفاء) رابطة الجواب وجوباً لاقترانه بـ﴿لن﴾. ﴿لن تجد﴾: ناصب ومنصوب وفاعله ضمير يعود على محمد، أو على من يصلح للخطاب، ﴿لَهُۥ﴾ متعلق به

﴿وَلِيًّا﴾: مفعول به لـ﴿تَجِدَ﴾ لأنه من وجد بمعنى أصاب ﴿مُّرْشِدًا﴾: صفة ﴿وَلِيًّا﴾، والجملة الفعلية في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونها جواب شرط لها، وجملة ﴿من﴾ الشرطية معطوفة على جملة ﴿من﴾ الأولى.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾: فعل ومفعولان، وفاعله ضمير يعود على محمد، أو على أي مخاطب، والجملة مستأنفة، ﴿وَهُمْ﴾: (الواو) حالية ﴿هم﴾: مبتدأ ﴿رُقُودٌ﴾: خبره، والجملة في محل النصب حال من ضمير ﴿تحسبهم﴾ ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾: (الواو) عاطفة ﴿نقلبهم﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله سبحانه، ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾: ظرف متعلق بـ﴿نقلبهم﴾ ﴿وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾: معطوف عليه، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿تحسبهم﴾ ﴿وَكَلْبُهُم﴾: (الواو) حالية ﴿كَلْبُهُمْ﴾: مبتدأ ﴿بَاسِطٌ﴾: خبره ﴿ذِرَاعَيْهِ﴾: مفعول ﴿بَاسِطٌ﴾ ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ متعلق بـ﴿بَاسِطٌ﴾ والجملة الاسمية في محل النصب حال من (هاء) ﴿نقلبهم﴾ ﴿لو﴾ شرطية مبنية على سكون مقدر، منع من ظهوره اشتغال بحركة التخلص من التقاء الساكنين، ﴿اطَّلَعْتَ﴾: فعل وفاعل فعل شرط، لـ﴿لو﴾ ﴿عَلَيْهِم﴾ متعلق به ﴿لَوَلَّيْتَ﴾: (اللام) رابطة لجواب ﴿لو﴾. ﴿وليت﴾ فعل وفاعل جواب شرط لـ﴿لو﴾ ﴿مِنْهُمْ﴾ متعلق بـ﴿فِرَارًا﴾ ﴿فِرَارًا﴾: مفعول مطلق من معنى الفعل قبله؛ لأنه مرادفه في المعنى، ويجوز أن يُعْرَبَ مصدراً في موضع الحال، أي فاراً، وجملة ﴿لو﴾ الشرطية مستأنفة، ﴿وَلَمُلِئْتَ﴾: (الواو) عاطفة، (اللام): واقعة في جواب ﴿لو﴾، ﴿ملئت﴾ فعل ونائب فاعل ﴿مِنْهُمْ﴾ متعلق بـ﴿رُعْبًا﴾ ﴿رُعْبًا﴾: تمييز محول عن نائب الفاعل، ورجح أبو حيان أن يكونَ مَفْعُولاً ثانياً لـ﴿ملئت﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة قوله ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ (الواو) استئنافية ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف

تقديره: بَعَثْنَاهُم بعثاً كائناً كإنامتنا إياهم المدة الطويلة في كون كل منهما آية من آياتنا ﴿بَعَثْنَهُمْ﴾: فعل وفاعل، ومفعول، والجملة مستأنفة ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ﴾: (اللام) حرف جر، وتعليل ﴿يتساءلوا﴾ فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾ مضمرةً بعد لام كي ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف متعلق بمحذوف حال، من (واو) الفاعل تقديره: حالةَ كَوْنِهِم متنازعينَ بينهم، والجملة الفعلية صلة ﴿أن﴾ المضمرة ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: وكذلك بعثناهم لتساؤلهم بَيْنَهم ﴿قَالَ قَآئِلٌ﴾: فعل، وفاعل ﴿مِّنْهُمْ﴾: صفة لـ﴿قَآئِلٌ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، استئنافاً بيانياً، مسوقة لبيان التساؤل بينهم، ﴿كَمْ﴾ اسم استفهام في محل النصب مفعول مقدم وجوباً ﴿لَبِثْتُمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة ﴿لَبِثْنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَآئِلٌ﴾ ﴿يَوْمًا﴾: ظرف متعلق بـ﴿لَبِثْنَا﴾ ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: معطوف على ﴿يَوْمًا﴾ و﴿أَوْ﴾ فيه للشك ﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ﴾: مبتدأ، وخبر، والجملة الاسمية في محل النصب، مقول ﴿قالوا﴾ ﴿بِمَا﴾ متعلق بـ﴿أَعْلَمُ﴾ ﴿لَبِثْتُمْ﴾: فعل وفاعل صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد، أو الرابط محذوف تقديره: بما لبثتموه ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ﴾: (الفاء) عاطفة على محذوف ﴿ابعثوا﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على محذوف تقديره: فاتركوا التساؤل، وخذوا فيما هو أهم وأجدى، لنا في موقفنا هذا، فابعثوا ﴿أَحَدَكُم﴾: مفعول به ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾ متعلق بـ﴿ابعثوا﴾ أو حال من أحدكم، والباء للملابسة؛ أي: ملتبساً بها، ومُصَاحِباً لها ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾: صفة لـ﴿ورقكم﴾ ﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ متعلق بـ﴿ابعثوا﴾.

﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾.

﴿فَلْيَنظُرْ﴾: (الفاء) عاطفة و(اللام) لام الأمر ﴿ينظر﴾ فعل مضارع مجزوم بـ(لام) الأمر، وفاعله ضمير يعود على الأحد، والجملة معطوفة على جملة ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ﴾ على كونها مقولا لـ﴿قالوا﴾ ﴿أَيُّهَآ﴾ ﴿أي﴾ اسم استفهام؛ مبتدأ مرفوع، و(الهاء) ضمير المؤنثة، مضاف إليه ﴿أَزْكَىٰ﴾: خبر المبتدأ ﴿طَعَامًا﴾: تمييز محول عن المبتدأ، منصوب باسم التفضيل، والجملة الاسمية في محل

النصب سادة مسد مفعولي ﴿ينظر﴾ معلق عنها باسم الاستفهام، ويجوز أن يكون، أي: اسماً موصولاً في محل النصب مفعول ﴿ينظر﴾، والضمة فيه ضمة بناء لا إعراب ﴿أَزْكَىٰ﴾: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: أيها هو أزكى طعاماً كما مر نظيره، في ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾. ﴿فَلْيَأْتِكُم﴾: (الفاء) عاطفة، و(اللام) لام الأمر ﴿يأتي﴾ فعل مضارع مجزوم بـ(الام) الأمر، وعلامة جزمه حذف الياء، وفاعله ضمير يعود على ﴿الأحد﴾، و(الكاف) في محل النصب مفعول به، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿فَلْيَنظُرْ﴾. ﴿بِرِزْقٍ﴾ متعلق بـ﴿يأت﴾ ﴿منه﴾ صفة لـ﴿رزق﴾ ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة و﴿اللام﴾ لام الأمر ﴿يتلطف﴾ فعل مضارع مجزوم بـ﴿لام﴾ الأمر، وفاعله ضمير يعود على ﴿الأحد﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿فَلْيَأْتِكُم﴾ ﴿وَلَا﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة ﴿لا﴾ ناهية جازمة، ﴿يُشْعِرَنَّ﴾: فعل مضارع في محل الجزم بـ﴿لا﴾ الناهية مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، الثقيلة، وفاعله ضمير يعود على ﴿الأحد﴾ ﴿بِكُمْ﴾ متعلق بـ﴿يُشْعِرَنَّ﴾ ﴿أَحَدًا﴾: مفعول به، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾.

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾.

﴿إِنَّهُمْ﴾: ناصب واسمه ﴿إن﴾: حرف شرط جازم، ﴿يَظْهَرُوا﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿إن﴾ على كونه فِعْل شرط لها، ﴿عَلَيْكُمْ﴾ متعلق بـ﴿يَظْهَرُوا﴾ ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾: فعل وفاعل، ومفعول مجزوم، بـ﴿إن﴾ الشرطية على كَوْنِهِ جَوَابَ شرط لها؛ ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ﴾: فعل وفاعل، ومفعول معطوف على ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ ﴿فِي مِلَّتِهِمْ﴾ متعلق بـ﴿يُعِيدُوكُمْ﴾ أي: يردوكم إلى ملتهم التي كنتم عليها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾ على كونها مستأنفة «مسوقة» لتعليل قوله: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ ﴿وَلَن﴾: (الواو) عاطفة ﴿لن﴾ حرف نصب ﴿تُفْلِحُوا﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿لن﴾ ﴿إِذًا﴾: حرف جواب وجزاء مهمل، مقدر بـ(أن) أو بـ(لو) الشرطيتين ﴿أَبَدًا﴾: ظرف مستغرق للزمان المستقبل منصوب بفتحة ظاهرة متعلق بـ﴿تُفْلِحُوا﴾، والجملة الفعلية في محل الجزم معطوفة على جملة الجواب.

﴿عِوَجَا﴾ وفي «القاموس» وغيره من معاجم اللغة، عوج بكسر الواو، ويعوج بفتحها ـ من باب تعب ـ عِوجاً، العود، ونحوه انحنى، والإنسان ساء خلقه، فهو أعوج، والعوج بكسر، ففتح الاسم من عَوِجَ: الالتواء، وعدم الاستقامة، ولم تفرّق هذه المعاجم بينهما، وفي «الأساس» ـ يقصد أساس البلاغة ـ: يقال في العود: عوج بفتحتين، وفي الرأي عِوَج بكسر، ففتح ففرِّق بينهما، وهذا هو الحق بدليل الآية، فالعوج بكسر ففتح في المعاني، كالعوج بفتحتين في الأعيان، فالعوج في الآية بكسر ففتح، الانحراف، والميل عن الاستقامة، فلا خلل في لفظه، ولا تَنَاقُض في معناه. ﴿قَيِّمًا﴾؛ أي: مستقيما[1] معتدلاً، لا إفراط فيما اشتمل عليه من التكاليف، حتى يشق عَلَى الْعِبَادِ، ولا تفريط فيه بإهمال ما تمس الحاجة إليه، أو قَيّماً بمصالح العباد، فيكون وصفاً للكتابِ بالتكميل بعد وصفه بالكمال أو قيماً على الكتب السابقة، مصدقاً لها شاهداً بصحتها.

وفي «القاموس» و«التاج» و«اللسان»: القيم[2] على الأمر متوليه، كقيم الوقف، وغيره، وقيم المرأة زوجها، وأمر قيم مستقيم، والديانة القيمة؛ المستقيمة، وفي التنزيل: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾؛ أي: دِين الأمة القيمة، ويتعدى بـ(الباء) وبـ(على) ﴿والبأس الشديد﴾ العذاب في الآخرة ﴿مِن لَّدُنْهُ﴾ أي من عنده.

﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾، أي: قَاتِلها ومهلكها قاله ابن عباس، وأنشد قول لبيد:

لَعَلَّكَ يَوْمَاً إنْ فَقَدْتَ مَزَارَهَا ... عَلَىٰ بُعْدِهِ يَوْمَاً لِنَفْسِكَ بَاخِعُ

يقال: بخَعَ الرجل نَفْسَه يبخعها ـ من باب نَفَعَ ـ بخَعاً، وبُخُوعاً أهلكها وجداً.

وقال الليث[3]: بَخَعَ الرجل نَفْسَه قتلها من شدة وجده، وأنشدَ قولَ الفرزدق:

---

(١) المراغي.

(٢) القاموس واللسان.

(٣) البحر المحيط.

أَلاَ أَيُّهَذَا ٱلْبَاخِعُ ٱلْوَجْدُ نَفْسَهُ   لِشَيْءٍ نَحَتْهُ عَنْ يَدَيْهِ ٱلْمَقَادِيْرُ

أي: نحَّته بشد الحاء فخفف.

﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾؛ أي: من بعدهم؛ أي: من بعد توليهم عن الإيمان، وتباعدهم عنه.

﴿صَعِيدٗا﴾؛ أي: تراباً، أو فتاتاً يَضْمَحلُّ بالرياح، لا اليابس الذي يرسب. ﴿جُرُزًا﴾ بضمتين والجرز: الذي لا نَباتَ فيه فهو حائل البهجة، بَاطِلُ الزينة، ويقال[1]: سنة جُرُزٌ، وسنون أَجْرَازٌ لاَ مَطَرَ فيها، وأَرْضٌ جُرُز، وأَرْضُونَ أَجْرَازٌ لا نبات بها، وجُرِزَت الأرض إذا ذَهَب نباتُها بقحط، أو جرادٍ، وجَرَزَ الجَرَادُ الأرض أكل ما فيها، والجرُوزُ المرأة الأكولة: قال الرَّاجز:

إِنَّ ٱلْعَجُوْزَ حَيَّةٌ جَرُوْزَا   تَأْكُلُ كُلَّ لَيْلَةٍ قَفِيْزَا

اهـ «سمين». وجرزه الزمان اجتاحه.

﴿أَمۡ حَسِبۡتَ﴾ أم: حرف يدل على الانتقال من كَلامٍ إلى آخر. وهو بمعنى ﴿بل﴾، وهمزة الاستفهام الإنكاري؛ أي: بَل أحسبْتَ والخطاب في الظاهر للنبي ﷺ، والمراد غيره كما سبق نظيره.

﴿أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ﴾ والكَهْف النَّقْبُ المُتَّسِع في الجبلْ فإن لم يكن مُتَّسعاً، فهو غار، والجمع كهوف في الكثرة، وأكهف في القلّةِ ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾ لوح حجري رقمت فيه أَسْمَاؤهم كالألواح الحجرية المصرية، التي يذكر فيها تاريخ الحوادث، وتراجم العُظماء، وفي «القاموس» الرَّقيمُ: الكتاب المرقُوم، ورقم يرقم من باب نَصَر الكتاب بيَّنه، وأعجبه بوضع النقط، والحركات، وغير ذلك وَرَقَم الثوب خططه، والبعير كواهُ، والخبز نَقَشَه، ويقولون: فُلاَنٌ يَرْقُم على الماء لمن يكون ذا حذق في الأمور.

﴿عَجَبًا﴾ والعَجبُ: كل ما يتعجب منه لحسنه، أو قبحه، والتعجب انْفِعَال يَحْدث في النفس، عند الشعور بأمْرٍ خَفِيَ سَبَبُه، ولهذا يقال: إذا ظهر السَّبب

---

(١) الفتوحات.

بطل العجب، ولا يطلق على الله أنه متعجب إذ لاَ شيء يخفى عليه. ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ﴾، أي نزلوه، وسكنوه، والتَجؤا إليه، يقال: أَوَى إلى مَنْزله من باب شَرب إذا نزله بنفسه، وسكنه، والمأوى لكل حيوان سكنه .اهـ من «المصباح» و«القاموس».

والفتيةُ جَمْعُ فَتيّ كصبي وصِبْيَةٍ اهـ «بيضاوي» وفي «المصباح» مثله، وفي «القاموس» وفَتِيٌ كغني، الشاب من كل شيء اهـ. وقد كانوا من أَبْنَاءِ أشراف الروم، وعظمائهم لهم أطواق وأسْوِرَةٌ من الذهب. ﴿وَهَيِّئۡ لَنَا﴾؛ أي: يسرْ لنا ﴿رَشَدٗا﴾: والرشد بفتحتين، وضم فسكون: الهداية إلى الطَّرِيق الموصل للمطلوب ﴿فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ﴾؛ أي: أنمناهم نوماً شديداً من ضربت على يده، إذا منعته من التصرف، وإرادة هذا المعنى على طريق الاستعارة التبعية، كما سيأتي في مبحث البلاغة ﴿عَدَدٗا﴾؛ أي: ذوات عدد، والمراد: التكثير؛ لأن القليلَ لا يحتاج إلى العد غالباً.

﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ﴾؛ أي: أيقظناهم، وأثرناهم من نومهم ﴿أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ﴾ والحزبان: هما الحزب القائل: لبثنا يوماً، أو بعض يوم، والحزب القائل: ربكم أعْلَمُ بما لبثتم.

﴿أحصى أمدا﴾ فعل ماض لا اسم تفضيل، كما قيل: يقال: أَحْصَى الشيء إذا حَفِظَهُ، وضَبَطَهُ، قَالَ الزمخشري: فإن قلت فما تَقُولُ فيمن جعله أفعل التفضيل؟

قلت: ليس بالوجه السديد، وذلك أن بناءه من غير الثلاثي ليس بقياس اهـ. والأمد مُدَّةٌ لها حد ونهاية، ﴿نَبَأَهُم﴾ النَّبأُ الخبر العظيم ﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾، أي: بالصدق ﴿وَرَبَطۡنَا﴾ والربط: الشَدُّ، وَرَبَطت الدابةَ: شددتها بالرباط، والمربط الحبل، وربط الله على قلبه؛ أي: قوّى عزيمته ﴿إِذۡ قَامُواْ﴾؛ أي: وقفوا بين يدي ملكهم الجبار، دقيانوس ﴿إِلَٰهٗاۖ﴾؛ أي: مَعْبُوداً آخرَ لا استقلالاً، ولا اشتراكاً، ﴿شَطَطًا﴾ وقال الفراء: إشتط في الشؤم جاوز القدر، وشط المنزل إذا بعد شطوطاً، وشط الرجل، وأشط جار، وشطَّتِ الجارية شطاطاً، وشطاطة طالت.

﴿اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾؛ أي: نحتوا أصناماً وعبدوها، والسُّلْطَان الحُجَّةُ. وَالبَيِّن: الواضح ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ والاعتزال والتعزل تجنب الشيء بالبدن أو بالقلب.

﴿مِّرْفَقًا﴾ بكسر الميم، وفتح الفاء، وبالعكس، وقد قرىء بِهِمَا ما ترتفقُون به من غداء وعشاء، أي: تنتفعون قال في «أساس البلاغة»: (وارتفقت به) انتفعت ومالي فيه مَرْفقٌ ومِرْفَقٌ، وما فيها مرفَقٌ منْ مَرَافِق الدار نحو المتوضأ، والمطبخ، وقيل: بالكسر في الميم لليد وبالفتح للأمر، وقد يستعمل كل منهما موضعَ الآخر حكاه الأزهري عن ثعلب.

﴿تَّزَٰوَرُ﴾؛ أي: تمايل: أصلُهُ تَتَزَاوَرُ: فخفف بإدغام التاءِ في الزاي، أو حَذْفِها ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾: تقطعهم، وتتجاوز عنهم، فَلاَ تصيبُهم البتةَ مأخوذ من معنى القَطِيعَةِ قال الكسائي: يقال: قرضت المكانَ إذا عدلت عنه، ولم تقربه ﴿فَجْوَةٍ﴾: مُتَّسع من الفجاء، وهو تباعد ما بين الفخذين، ويقال: رَجلٌ أفجأ، وامرأةٌ فَجْوَاءُ وجمع الفجوة، فجاء لقصعة وقصاع ﴿أَيْقَاظًا﴾: جمع يقظ بضم القاف وكسرها، وهو المُنْتبِه، وجمعه أيقاظٌ كعضد، وأَعْضاد، ويَقَاظ كرجل، ورجال. ورجل يقظان، وامرأةٌ يَقْظَى ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾: جمع راقد، أي: نائم كقعود وقاعد، وجُلُوس وجالس ﴿الوصيد﴾: فناءُ الكهف ﴿رُعْبًا﴾؛ والرعب: الخَوْفُ يَمْلأُ الصدر.

﴿بِوَرِقِكُمْ﴾ الورق بفتح (الواو) وكسر الراء ﴿الفضة﴾ مَضْرُوبة كانت أو غَيْرَ مضروبة ﴿أَيُّهَآ أَزْكَىٰ﴾ أي: أطيب وأجود، وفي «القاموس»: زكا يزكو زكاء وزكواً الزَرْع نما، والأرض طابت. والزكيُّ مَا كَانَ نَامِياً طَيّباً صَالِحاً ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾؛ أي: يتكلف اللطف في المعاملة، كي لا تَقع خصومة تجر إلى معرفته، ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ﴾؛ أي: لا يفعلن ما يؤدي إلى شعور أحد من أهل المدينة بكم، ﴿إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: إن يطلعوا عَلَيْكُم ويعلموا بمكانكم.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: التكرير في قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ فإنَّ نفيَ العوج معناه: إثبات الاستقامة، وإنما جنح إلى التكرير: لفائدة منقطعة النظير، وهي التأكيدُ والبيان، فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة، مجمع على استقامته، ومع ذلك، فإن الفاحِصَ المدقق قد يجد له أدنى عوج، فلما أثبت له الاستقامة، أزال شبهة بقاء ذلك الأدنى، الذي يدق على النظرة السطحية الأولى.

ومنها: المطابقة في هذه الآية فَقد طابق سبحانه بين العوج، والاستقامة، فجاء الكلام حسناً، لا مجَالَ فيه لمنتقد.

ومنها: الطباق بين ﴿يبشر﴾ و﴿لِّيُنذِرَ﴾ وبينَ ﴿يَهْدِ﴾ و﴿يُضْلِلْ﴾ وبين ﴿أَيْقَاظًا﴾ و﴿رُقُودٌ﴾ وبين ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ و﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾.

ومنها: نفي الشيء بإيجابه في قوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ وله تسمية أخرى وهي عكس الظاهر، وهو من مستطرفات علم البيان، وهو أن تَذْكُرَ كلاماً يدل ظاهره على أنه نفي لصفة موصوف، وهي نفي للموصوف أصلاً، ولقائل أن يقول: إنَّ اتِّخَاذ الله ولداً هو في حد ذاته محال، فكيف ساغ قوله: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾؟

قلنا: إن الوَلَدَ في حدّ ذاته محالٌ لا يَسْتَقِيمُ تعلق العلم به، ولكنه ورد على سبيل التهكم، والاستهزاءِ بهم.

ومنها: الإطناب بذكر الخاص في قوله: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ﴾ بعد ذكر العام في قوله: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ لشناعة دعوى الولد لله. وفيه من بديع الحَذْف، وجَلِيل الفصاحة حذف المفعول الأول في قوله: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾؛ أي: لينذر الكافرين بَأْساً شديداً، ثم ذكر المفعول الأول، وحذف الثاني في قوله ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤﴾؛ أي: عذاباً شديداً، فحذف العذاب لدلالة الأول عليه، وحذف من الأول المنذرِين لدلالة الثاني

عليه، وهذا من ألطف الفصاحة، فيكون في الكلام احتِبَاك.

ومنها: الاستعارةُ التمثيلية في قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ حَيْث شبَّهَ حالهُ ﷺ مع المشركين، وهو آسف من عدم هدايتهم بحال من فارقته أحبته، فَهَمَّ بقتل نفسه، أو كاد يهلك وجداً وحزناً عليهم.

ومنها: المجازُ في قوله: ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ فإن الجرزَ حقيقة في الأرض التي قطع نباتُها، فجعله هنا وصفاً لما عليها من النبات، فكَأَنَّهُ مجازٌ، علاقته المجاورة ذكره في «الفتوحات».

ومنها: الاستعارة التصريحية التَّبَعِيَّةُ في قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ شبهت الإِنَامَة الثقيلة بضرب الحِجَابِ على الآذان، كما تضرب الخيْمة على السكان، ثمَّ استُعير الضرب للإنامة، ثم اشْتقَّ من الضرب بمعنى الإنامة ﴿ضربنا﴾ بمعنى: أنمنا على طريق الاستعارة التّصريحية التبعية.

ومنها: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ﴾ للتنصيص على وصفهم، وسنهم، فكانوا في سن الشباب مرداً، وكانوا سبعة، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: إذ أووا.

ومنها: الطباق المعنوي بين ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ لأن معنى الأول: أنمناهم، والثاني: أيقظناهم.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ لأن الربط في الأصل: هو الشد بالحبل، والمراد هنا: شددنا على قلوبهم، كما تشد الأوعية، بالأوكية؛ أي: قوينا على قلوبهم، بالصَّبْرِ على هجر الأوطان، والفرار بالدين إِلى الكهوف، والغيران، وافتراش صعيدها، وجسرناهم على قول الحق، والجهرية أَمَامَ دقيانوس الجبار.

ومنها: الجِنَاسُ الناقص بين ﴿قَامُواْ﴾ و﴿قَالُواْ﴾.

ومنها: التشبيه في قوله: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾؛ لأن التشبيهَ هُنا جاءت الأداة فيه فعلاً من أفعال الشك واليقين، تقول: حسبت زيداً في جرأته الأسد،

وعمراً في جوده الغمام، وفي الآية: تشبيه أهل الكهف في حال نومهم بالأيقاظ في بعض صفاتهم، لأنه قيل: إنَّهُمْ كانوا مفتَّحي العيون في حال نومهم.

ومنها: حكاية الحال الماضية في قوله: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ لأن اسم الفاعل هنا بمعنى الماضي، وعمل في ذراعيه النصب على إرادة حكاية الحال الماضية، كما قاله الكسائي، ومن تبعه؛ أي: إنه تقدَّر الهيئة الواقعة في الزمن الماضي، واقعة في حال التكلم، والمعنى: يبسط ذراعيه، فيصح وقوع المضارع مَوْقِعَه بدليل أن الواو في ﴿وَكَلْبُهُم﴾ واو الحال، ولذا قال سبحانه: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ بالمضارع الدالِّ على الحال، ولم يقلْ وقلبناهم بالماضي.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضعَ.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾...﴾ الآيتين[1]، جَاءَت هاتان الآيتان إرشاداً، وتأديباً من الله سبحانه لِرَسُوله ﷺ يعلمه بأنه إذَا أراد أن يخبرَ عن شيء سيفعله في مستقبل الأيام، أن يقرن قولَهُ بمشيئة علاَّم الغيوب، الذي يعلم ما كان وَما سَيكونُ.

---

(١) لباب النقول.

وجاءتا معترضتين أثناءَ القصة؛ لما تضمَّنتاه من تعليم عبادِهِ تفويض الأمور كلها إليه، سبحانه، وبيان أنه لا يَحدث في مُلْكِهِ إلا ما يشاء.

قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أَنَّ الله سبحانَهُ لما ذكر قَصَص أهل الكهف، ودل اشْتِمَال القرآن عليه على أنه وحي من علام الغيوب.. أمر سبحانه رسولَه ﷺ بالمُواظبة على درسه وتلاوته، وَأن لا يكترث بقول القائلين له ائت بقرآن غير هذا، أو بدِّله، ثُمَّ ذكر ما يلحق الكافرين من النكال، والوبال يوم القيامة، وما ينال المتقينَ من النعيم المقيم، كفَاءَ ما عَمِلوا منْ صَالِح الأعمال.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ...﴾ الآيتين، رُوي أن هاتين الآيتين نزلتا حين سألت قريشٌ رسول الله ﷺ عَنِ الروح، وعن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين فَقَال عليه الصلاة والسلام: «غداً أُخْبِركم» ولم يَسْتَثْنِ - لم يقل إنْ شاء الله - فأبطأ عليه الوحي خمسة عشرَ يوماً، فَشق ذَلك عليه، وكذبته قريش.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا...﴾ سبب نزوله: ما أخرجه ابن مردويه، من طريق جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: نزلت هذه الآية في أُميَّة بن خلف الجمحي، وذلك أنه دعا النبيَّ ﷺ إلى أمر كَرِهَهُ الله من طرد الفقراءِ عنه وتقريب صناديد أهل مكة، فنزلت هذه الآية ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا ...﴾ الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال: دخل عيينة بن حصن على النبي ﷺ، وعنده سلمان، فقال عيينة: إذا نحن أتيناك فأخرج هذا، وأدخلنا، فنزلت الآية.

التفسير وأوجه القراءة

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: وكما أنمناهم، وبعثناهم بعد طُول رقدتهم كهيئتهم حينَ رقدوا لِيتساءلوا بينهم، فيزدادوا بصيرة بعظيم سلطانه تعالى، ومعرفة حسن دفاع

الله عن أوليائه ﴿أَعْثَرْنَا﴾؛ أي: أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على أحوال أهل الكهف الفريق الذين كانوا في شك من قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، وفي مرية من إنشاءِ أجسام خَلْقه كهيئتهم يوم قبضهم بعد البلى ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾؛ أي: ليعلم الفريق الذين أعثرناهم على أحوالِهم العجيبة، وهم الملك ورعيته ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ تعالى بالبعث للروح، والجثة معاً ﴿حَقٌّ﴾؛ أي: صدق لا شك فيه، بطريق أن القادرَ على إنامتهم مدة طويلة، وإبقائهم على حالهم بلا غذاء، قادر على إحياء الموتى، قال بعض العارفين: الْيَقَظة بَعْدَ النوم علامة على البَعْثِ بعد الموت. ﴿و﴾ ليوقنوا ﴿أن الساعة﴾؛ أي: القيامة مع مَا فِيهَا من الحساب والجزاء آتية ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾؛ أي: لا شك في مجيئها، إذ لا حُجَّة لمن أنكرها إلا الاستبعاد، ولكن وُقُوع ذلك الأمر العظيم، وعلمهم به مما يخفف من غلوائهم، ويكبح جماح إنكارهم، ويردهم إلى رشدهم.

ذلك أن حال هؤلاء الفتية في تلك الحقبة الطويلة، وقد حُبست عن التصرف نفوسهم، وعُطلت مشاعرهم وحواسهم، وحفظت من التحلل والتفتت أبدانهم، وبقيت على ما كَانَتْ عليه من الطراوة والشباب، ثُمَّ رجعت بعدئذٍ تلك المشاعر والحواس إلى حَالِهَا، وأُطلقت النُّفوس من عقالها، وأُرسلَتْ إلى تدبيرِ أبدانها، فرأت الأمورَ كما كانت، والأعوانَ هم الأعوان، ولم تُنْكِر شيئاً عهدته في مدينتها، ولم تَتَذكر حبسها المَدَى الطويل عن التصرف في شؤونها، وحال الذين يقومون من قبورهم بَعْدَما تعطلت مشاعرهم، وحُبست نفوسهم، من واد واحد في الغرابة، ولا ينكر ذلك إلا جاهل، أو معاندٌ، ووقوع الأول يزيل الارتياب في إمكان وقوع الثاني، ولا يبقى بَعْد ذلك شك في أن وعد الله حق، وأنَّ الله سيبعث من في القبور، فيرد عليهم أرواحَهم، ويُجَازيهم جزاء وِفاقاً بحسب أعمالهم، إنْ خيراً فَخَيْرٌ، وإنْ شرّاً فشر، وهو الحكم العدل اللطيف الخبير.

والظرف في قوله: ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ﴾ متعلق بـ﴿أَعْثَرْنَا﴾؛ أي: وكذلك أعثَرْنَا الناس ـ بيدروس وقومه ـ على أصحاب الكهف، حين يتنازعون، أي: يتنازع الناس

بَعْضُهم بَعْضاً فيما ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾؛ أي: في[1] أمر بعثهم، فمن مقرٍ به وجاحد له، وقائل تبعث الأرواح دُونَ الأجساد، ففرح الملك، وفرحوا بآية الله على البعث، وزال ما بينهم من الخلاف في أمر القيامة، وحمدوا الله إذ رأوا ما رأوا مِمَّا يثبتها ويزيل كل ريب فيها.

والمعنى: أي[2] أعثرنا عليهم وقت التَنَازُع والاختلاف بين أولئك الذين أعثرهم الله في أمر البعث، وقيل: في أمر أصحاب الكهف، في قدر مكثهم، وفي عددهم، وفيما يفعلونه بهم بعد أن اطلعوا عليهم ﴿فَقَالُواْ﴾؛ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿ٱبْنُواْ عَلَيْهِم﴾؛ أي: على أصحاب الكهف ﴿بُنْيَٰنًا﴾ يسترهم عن أعين الناس لئلا يتطرق الناس إليهم، وذلك أن الملك وأصحابه لما وقفوا عليهم، وهم أحياءٌ أمات الفِتْية، فانقسموا في شأنهم فريقين: فريق يقول: نسد عليهم باب الكهف، ونذرهم حيث هم، وفريق يقول: نَبْنِي عَلَيْهِم مسجداً يصلي فيه الناس، وقد غلب هذا الفريقُ الفريقَ الأول في الرأي، كما سيأتي.

ثم قال سبحانه حَاكِياً لِقَوْلِ المتنازعين فيهم، وفي عددهم، وفي مدة لبثهم، وفي غير ذلك مما يتعلق بهم، ﴿رَّبُّهُمْ﴾؛ أي: رب أصحاب الكهف ﴿أَعْلَمُ بِهِمْ﴾؛ أي: أعلم بعددهم، وبمدة لبثهم من هؤلاء المتنازعين فيهم، قالوا ذلك تفويضاً للعلم إلى الله سبحانه، وقيل: هذه الجملة مُعْتَرِضَةٌ من كلام الله تعالى، رَدّاً لِقَوْل الخائضين فيهم، ممن أُعثروا عليهم، أو ممن كان في عهده ﷺ من أهل الكتاب، في بيان أنسابهم، وأسمائهم، وأحوالهم، ومدة لبثهم؛ أي: دعوا ما أنتم فيه من التنازع، فإنّي أعلم بهم منكم.

وقال بعض المفسرين[3]: والظرف في قوله: ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ﴾ متعلق بـ﴿اذكر﴾ مقدراً، وقال: هو الأظهر، والأنسب لترتيب (الفاء) الآتية عليه، ويكون كلاماً مُنْفَصِلاً عما قبله، ويُؤَيِّدهُ أن الإعثار، ليس في زمن التنازع، بل

---

(١) المراغي.

(٢) الشوكاني.

(٣) روح البيان.

قبله، والمتنازعون هم: قوم بيدروس، والمعنى: أي: واذكر يا محمد قصةَ حين يتنازع قوم بيدَروس فيما بينهم، في تدبير أمر أصحاب الكهف، حين توفاهم الله ثانياً بالموت كيف يخفون مكانهم، وكيف يستر الطريق إليهم، ﴿فَقَالُوا۟﴾؛ أي: بعض أهل المدينة ﴿ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم﴾؛ أي: على باب كهفهم ﴿بُنْيَـٰنًا﴾ كي لا يعلم أحد تربتهم، وتكونَ محفوظة من تطرق الناس، كما حفظت تربة رسول الله ﷺ بالحظيرة، قائلينَ: ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾؛ أي: بحالهم وشأنهم، لاَ حاجةَ إلى علم الغير بمكانهم.

ويمكن[١] أن يجاب عن صاحب هذا القول، بأن يقال: إن أولئك القوم ما زالوا متنازعين فيما بينهم، قرناً بعد قرن، منذ أووا إلى الكهف، إلى وقت الإعثار، ويؤيد ذلك، أن خَبَرَهم كَانَ مَكْتُوباً على باب الغار، كتبه بعض المعاصرين، وهم من المؤمنين الذين يخفون إيمانهم من دقيانوس ملكهم كما قاله المفسرون.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾؛ أي: على أمر أهل الكهف، وتدبير شأنهم، وهم[٢]: الملك والمسلمون، أو أولياء أصحاب الكهف، أو رؤساءُ البلدِ، وقرأ الحسن، وعيسى الثقفي ﴿غُلِبُوا﴾ بضم الغين، وكسر اللام ذكره في «البحر». ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾؛ أي: لنبنيَّن على باب كهفهم مسجداً يصلي فيه المسلمون، ونستبقي آثارَهم بسبب ذلك المسجد، قال الزجاج: وهذا يدل على أنَّه لما ظهر أمرهم، غلب المؤمنون بالبَعْثِ والنشور؛ لأنَّ الْمَسَاجِدَ للمؤمنين؛ أي: كانت الكَلِمَةُ لهم، وكَانَ كلامهم هو النافذُ، لأن مَلِكَ الوقت كان مِن جملتهم، وكان مسلماً، وأما المَلِكُ الذي خرجوا هاربينَ منه.. فقد مات في مدة نومهم .اهـ شيخنا.

فصل

وقد ذكر العلماء: أن اتخاذَ القبور مساجد منهي عنه، أشدَّ النهي، حتى ذكر

---

(١) الشوكاني.   (٢) المراح.

ابن حجر في كتابه «الزواجر»: أنه من الكبائر، لما روي في صحيح الأخبار من النهي عن ذلك، روى أحمدُ، وأبو داودَ، والترمذي، وابن ماجه، عن ابن عباس: أنَّ النبي ﷺ قال: «لعنَ الله تعالى زائرات القبور، والمتخذينَ عليها المساجد، والسُّرج» وَزَادَ مسلم «ألا وإن من كان قبلكم، كانوا يتخذون قُبُورَ أنبيائهم مساجد، فإنّي أنهاكم عن ذلك».

وروى الشيخان، وأحمد، والنسائي، قوله ﷺ: «إن أولئكَ إذا كان فيهم الرجل الصالح، فمات، بنوا على قبره مسجداً، وصوَّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق يوم القيامة».

وروى أحمد والطبراني: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد» إلى نحو ذلك من الآثار الصحيحة.

اللهم ألهم المسلمين رُشْدَهم، وثبتهم في أمر دينهم، ولا تَجْعَلْهُم يحذون حذو من قبلهم، حذوَ القُذَّة بالقُذَّة، وأرجِعْهم إلى مثلِ ما كان يفعله المسلمون في الصدر الأول وَمَا بعده، فرجاله هم الأسوة، وقد صَحَّ أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لما وجد قبر دَانِيال في عهده بالعراق، أمر أن يسوى بالأرض، وأن تدفنَ تِلْكَ الرقعة التِي وجدوها عنده، وفيها شيء من الملاحم وغيرها من الأخبار.

ولما ذَكَرَ سبحانه القصة، ونزاع المُتَخَاصِمِينَ فيما بينهم، شرع يقص عَلَيْنا ما دَارَ في عهد النبي ﷺ من الخِلاَفِ في عدد أصحاب الكهف. فقال: ﴿سَيَقُولُونَ﴾ الخ، والضمائر[1] في الأفعال الثلاثة للخائضين في قصتهم في عهد النبي ﷺ من أهل الكتاب والمسلمين، لكن لا على وجه إسناد كل قول إلى كل منهم، بل على التوزيع، سألوا رسول الله ﷺ عن أصحاب الكهف، فأخر الجوابَ إلى أن يُوحى إليهِ فيهم، فنزلت إخباراً بما سَيَجْري بينهم من اختلافهم

---

(١) روح البيان.

في عددهم، وَأَنَّ المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم.

قيل: وإنما أتى[1] بالسين في هذا، لأن في الكلام طيّاً وإدماجاً، تَقْدِيرُه: فإذا أجبتهم عن سؤالهم عن قصة أهل الكهف، فسلهم عن عددهم، فإنهم سيقولون، ولم يأت بهم في باقي الأفعال، لأنها معطوفة على ما فيه السين، فأُعطيت حكمه من الاستقبال .اهـ «سمين»؛ أي: سيقول عبيد الله[2] اليهود لَكَ يا محمد عند سؤالك إياهم عن عدد أصحاب الكهف: هم؛ أي: أصحاب الكهف: ﴿ثَلَـٰثَةٌ﴾؛ أي: ثلاثة أشخاص، وقرأ ابن محيصن، ﴿ثلاث﴾ بإدغام الثَّاء في التاء، وحسن ذلك لقرب مخرجهما، وكونهما مهموسين؛ لأنَّ الساكِنَ الذي قبلَ (الثَّاء) من حروف اللين فحسن ذلك، ذكره في «البحر»، وجملة قوله: ﴿رَّابِعُهُمْ﴾؛ أي: جاعلهم أربعة، بانضمامه إليهم، ﴿كَلْبُهُمْ﴾ في محل نصب على الحال من (ثلاثة)؛ أي: حالة كون كَلْبِهِم جاعلهم أربعة بانضمامه إليهم.

﴿وَيَقُولُونَ﴾؛ أي: النصارى، وإنما لم يأت بالسين فيه؛ اكتفاء بعطفه على ما هي فيه: هم ﴿خَمْسَةٌ﴾؛ أي: أصحاب الكهف خمسة أشخاص، وقرأ شبل بن عباد، عن ابن كثير، بفتح ميم خمسة، وهي لغة كَعَشَرة، وقرأ ابن محيصن بِكَسْرِ الخاء والميم، وبإدغام التاء في السين، وعنه أيضاً: إدغام التنوين في السين، بغير غنة ذكره في «البحر». وجملة قوله: ﴿سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ في محل نصب على الحال من خمسة؛ أي: حالة كونه جاعلهم ستة كلبهم بانضمامه إليهم، ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: يقول كلا الفريقين ما قالوا من العدد رجماً بالغيب، أي: ظنّاً بالغيب؛ أي: بما خفيَ عنهم من غير دليل، ولا برهان، وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين معاً؛ أي: يقول كلا الفريقين ما قالوا حَالَةَ كونهم راجمين بالغيب؛ أي: ظانين بالخبر الخفي عنهم، أو على المصدرية منهما، فإن الرجم والقول واحد؛ أي: يرجمون ذلك رجماً بالغيب؛ أي: يقولونه قولاً بالغيب.

---

(١) الفتوحات.

(٢) روح البيان.

والحاصل: أن المقصودين بالرجم بالغيب هم كلا الفريقين، القائلينَ بأنهم ثلاثة، والقائلينَ بأنهم خَمْسَةٌ، ﴿وَيَقُولُونَ﴾؛ أي: المسلمون هم ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

وقرىء: ﴿وثامنهم كالبهم﴾؛ أي: صاحب كلبهم، وهذا هو الحقُّ، بدليل أنه تعالى حكم على القولين السابقين بأنَّهما رجم بالغيب، فأرشد ذلك إلى أن الحال في الأخير بخلافه، وأنهم إنما قالوه عن ثبات علم، وطمأنينة نفس، بطريق التلقن من الوحي؛ لأن الوحي مقدم على المقالة المذكورة على ما يدل عليه السين، فعرفوا ذلك بإخْبَار الرسول ﷺ عن جبريل عليه السلام.

و(الواو)[1] الداخلة على الجملة الثالثة هي (الواو) التي تدخل على الجملة الواقعة صفة، كما تدخل على الجملة الواقعة حالاً عن المعرفة، في قولك: جاءني رجل ومعه آخرُ، ومررت بزيد وفي يده سيف، وفائدتها: توكيد لصوق الصفة بالموصوف، والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابتٌ مستقرٌ، وهذه (الواو) هي التي أذنت بأن الذين قالوا: سبعة وثامنهم كلبهم، قالوه عن ثبات علم، ولم يَرْجموا بالظن كما رجم غيرهم، دليله أن الله تعالى أتبع القولَين الأَوَّلَيْنِ قوله: ﴿رجماً بالغيب﴾، وأتبع القول الثالثَ قوله: ﴿قُل﴾ يا محمد ـ تحقيقاً للحق، ورداً على الأولين ـ: ﴿رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ منكم؛ أي: عالم بعدد أصحاب الكهفِ، وقد أخبرَكم بها، بقول: سبعة، وثامنهم كلبهم.

والمعنى: هو سبحانه أَقْوَى علماً، وأَزْيَدَ في الكيفية، فإنَّ مَراتِبَ اليقين متفاوتة في القوة، ولا يَجُوزُ أن يكونَ التفضيلُ بالإضافة إلى الطائفتين الأولين، إذ لا شِرْكَة لهما في العِلْم، اهـ «كرخي» ثم أثبت علم ذَٰلِكَ لقليل من الناس فقال: ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ﴾؛ أي: ما يَعْلَمُ ذواتهم فضلاً عن عددهم، أو ما يعلم عددهم فهو على حذف مضاف، ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ من الناس قد وفقهم الله تعالى، وهم القائلون: هم سبعة، وثامنهم كلبهم.

---

(١) النسفي.

روى قتادة عن ابن عباس أنه قال: أنا من القليل الذي استثنى الله تعالى، كانوا سبعة سوى الكلب.

وفي هذا[1]: دلالة على أن المهمَّ ليس هو معرفة العدد، بل المهم الاعتبار بذلك القصص، وبما يكون نافعاً لعقولنا، وتطهيراً لأخلاقنا، ورقياً في حياتنا الدنيوية، والأخروية، وفي «الفتوحات»: المثبت في حق الله تعالى هو الأعلمية بالمعنى الذي عَرَفْتَه، وفي حق القليل العالمية، فلا تعارض، وهذا هو الحق، لأنَّ العلم بتفاصيل كائنات العالم وحوادثه في الماضي والمستقبل لا يحصل إلا عند الله تعالى، أو عند مَنْ أخبره الله تعالى عنها، اهـ رخى».

وبعد أن ذكر سبحانه هذا القَصَصَ نهى رسوله ﷺ عن شيئين: المراء في أمرهم، والاستفتاء في شأنهم، فقال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾، والفاء لتفريع[2] النهي على ما قبله؛ أي: إذا عرفت جهل أصحاب القولين الأولين، فَلاَ تُجادِلْهُمْ، ولا تنازعهم ﴿فِيهِمْ﴾؛ أي: في شأن أصحاب الكهف ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾؛ أي: إلاَّ جِدَالاً ظاهراً غير متعمق فيه، ونزاعاً سهلاً ليناً، وهو أن تقصَّ عليهم ما في القرآن من غير تكذيب لهم، في تعيين العدد، ولا تصريح لهم بجهلهم، وتفضيح لهم، فإنه مِمَّا يُخل بمكارم الأخلاق التي بُعث لإتمامها، ولا يترتب على ذلك كبير فائدة؛ لأن المَقْصد من القصة هو العظة والاعتبار، ومعرفة أن البعث حَاصِلٌ لاَ محالةَ، وهذا لا يتوقف على عدد معين، بل تقول هذا التعيين لا دليل عليه، ونحو الآية قوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾؛ أي: ولا تسأل في شأن أصحاب الكهف ﴿مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾؛ أي: أحداً من أهل الكتاب، فإنَّهم لا علم لهم بذلك إلا ما يقولونه من تلقاء أنفسهم رجماً بالغيب من غير استناد إلى دليل قاطع، ولا نص صريح، وقد جاءك ربك بالحق الذي لا مريةَ فيه، فهو الحكَمُ المقدم على كل ما تقدم من الكتب والأقوال

---

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

السالفة، وفي الآية[1] دليل على مَنْعِ المسلمين من مراجعة أهل الكتاب في شيء من العلم.

وقوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾ نهي تأديب؛ أي: ولا تقولَنَّ يا محمد ﴿لِشَاْىْءٍ﴾؛ أي: لأجل شيء تعزم عليه فيما يستقبل من الزمان، ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ﴾ الشيء ﴿غَدًا﴾؛ أي: فيما يستقبل من الزمان مطلقاً، فيدخل فيه الغد، وهو اسم لليوم الذي بعد يومك، دُخولاً أولياً، فَإِنَّهُ نزل حين قالت اليهود لقريش، سلُوهُ عن الروح، وعن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، فسألوه ﷺ فقال: «ائتوني غداً أخبركم» ولم يستثن؛ أي: لم يقل إن شاء الله، وتَسْمِيته استثناءً لأنه يشبه الاستثناء في التخصيص، فأبطأ عليه الوحي أياماً حتى شق عليه، وكذبته قُرَيْش، وقالوا ودَّعه ربه وأبغضه، كما مر في أسباب النزول، ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: إلاَّ قائلاً إن شاء الله تعالى، فهو استثناء مُفَرَّغٌ من النهي؛ أي: لا تقولن لشيء: إنّي فاعل ذلك غداً في حالٍ من الأحوال، إلاَّ في حال تلبسك بالتعليق بالمشيئة على الوجه المعتاد، كأن تقول: إن شاء الله.

والمعنى: أي ولا تقولَنَّ أيها الرَّسولُ لشيء: إنّي سأفعل ذلك غداً إلاَّ أن تقولَ: إن شاءَ الله، ذاك أنه رُبَّما ماتَ المرء قبل مجيء الغد، أو ربما عاقه عائق عن فعله، فَإذا لم يقل: إن شاء الله.. صَارَ كاذباً في ذلك الوعد، ونَفَر الناس منه.

قال ابن الجوزي[2]: وفائدة الاستثناء أن يخرج الحالف من الكذب، إذا لم يفعل ما حلف عليه، كقوله: في قصة موسى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾، ولم يصبر، فسلم من الكذب لوجود الاستثناء في حقه اهـ.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾ يا محمد؛ أي: واذكر مشيئة رَبّكَ؛ أي: قل إن شاء الله ﴿إِذَا

(١) المراغي.

(٢) زاد المسير.

﴿نَسِيتَۚ﴾ المشيئة، أولاً؛ أي[1]: واذكر مشيئة رَبِّكَ إذَا فرطَ منك نسيان، ثم تذكرت ذلك، وهذا أمر بالتدارك حين التذكرِ سواءٌ أطال الفصل أم قصر. أو المعنى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ﴾ بالتسبيح والاستغفار، وغيرهما ﴿إِذَا نَسِيتَۚ﴾ كلمة المشيئة، وهذا مبالغة في الحث على ذكر هذه الكلمة.

وقد حقق الله سبحانه له ذلك حيث آتاه من علم غيوب المرسلين وخبرهم مَا كَانَ أوضحَ في الحجة، وأقربَ إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف.

وخلاصة ذلك: اطمعْ من ربك أن يهديك لأقرب مما أرشدكَ إليه خيراً، ومنفعة في ضمن ما ألقى إليكَ من الأوامر، والنواهي، وقد استجاب الله دعاءه، فهداه فيما أنزل عليه ما هو خير منفعة، وأجدى فائدة للمسلمين، في دنياهم وآخرتهم، وآتاهم من الخير العميم ما جعلهم به خير أمة أخرجت للناس، وقيل[2]: الإشارة إلى قوله: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَۚ﴾؛ أي: عسى أن يهديني ربي عند هذا النسيان لشيء آخر، بدل هذا المنسيّ، وأقرب منه رشداً، وأدنى منه خيراً وَمَنْفَعَةً، والأولى أَوْلَى.

ثم بيّن سبحانه ما أجمل في قوله: ﴿فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ﴿١١﴾﴾ فقال: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ﴾؛ أي: لبث الفتية في كهفهم أحياء نياماً حين ضَرَبْنا على آذانهم، ﴿ثلاث مئة سنين﴾ فَقَطْ؛ أي: ثلاث مئة سَنَةٍ فقط، على حساب أهل الكتاب الذين علَّموا قومَكَ السؤَال عن شأنهم؛ لأنَّ السّنِينَ عندهم شَمْسِيَّةٌ ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾؛ أي: وازْدَادَ أصحاب الكهف في لبثهم تسع سنوات على ثلاث مئة على حساب قومك الذين سألوك عن ذلك، فجملة ما لبثوا في كهفهم على حساب قومك، ثلاث مئة سنة وتسع سنوات، لأنَّ السنين عندهم قمريةٌ، ولا شكّ[3] أنَّ في هذا البيان معجزة لرسوله ﷺ النبي الأمي، الذي لم يقرأ، ولم

---

(١) المراغي.

(٢) الشوكاني.

(٣) المراغي.

يكتب، ولم يدرس الحساب، ولا الهندسةَ ولا الفلكَ، فمن أين له أن كل مئة سنة شمسية، تزيدُ ثلاث سنين قمرية، وكلَّ ثلاث وثلاثين سنةً شمسيةً تزيد سنةً قمريةً، وكل سنة شمسية تزيد عَشَرَةَ أيامٍ، وإحدى وعشرين ساعةً، وخُمس ساعة على السنة القمرية.

والسنة الشمسية[١]: مُدَّةُ وصول الشمس إلى النقطة التي فارقتها من ذلك البرج، وذلك ثلاث مئة وخمسة وستون يوماً وربع يوم.

والسنة القمرية: اثنا عشر شهراً قمرياً، ومدتها ثلاث مئة وأربعة وخمسون يوماً وثلث يوم، وقرأ الجمهور ﴿مئة﴾ بالتنوين، فسنين بدل أو عطف بيان لثلاث مئة لا تمييز[٢]، وإلا لكان أقل مدة لبثهم عند الخليل ست مئة سنة، لأن أقلَّ الجمع عنده اثنان، وعند غيره تسع مئة، لأن أقله ثلاثةً عندهم، هذا على قراءة ﴿مئةٍ﴾ بالتنوين، وأمَّا على قراءة الإضافة، فأقيم الجمع مقام المفرد؛ لأنَّ حق المئة أن يضاف إلى المفرد، وجه ذلك: أن المفردَ في ثلاث مئة درهم في المعنى جمع، فحسن إضافته إلى لفظ الجمع، كما في الأخسرينَ أَعْمَالاً فإنه مُيِّز بالجمع.

وقرأ حمزة[٣]، والكسائي، وطلحة، ويحيى، والأعمش، والحسن، وابن أبي ليلى، وخلف، وابن سعدان، وابن عيسى الأصبهاني، وابن جبير الأنطاكي: ﴿مئة﴾ بغير تنوين مضافاً إلى سنينَ، أوقع الجمْعَ موقع المفرد، كما مر آنفاً، وقرأ أُبَيٌّ ﴿سنة﴾ وكذا في مصحف عبد الله، وقرأ الضحاك: ﴿سنون﴾ بالواو على إضمار، هي سنون، وقَرأ الحسن، وأبو عمرو، في رواية اللؤلؤي عنه ﴿تَسْعا﴾ بفتح التاء كما قالوا عشر، ثم أكد أن المُدَّة المضروبة على آذانهم، هي هذه المدة، فَقَالَ: ﴿قُلِ﴾ لهم يا محمد إذا نازعوك فيما ذكرنا: ﴿اللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِمَا لَبِثُواْ﴾؛ أي: بمدة لبثهم، وقد أخبرنا بمدَّتِه، فهو الحق الذي

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

(٣) البحر المحيط.

لا يحومُ حوله شك، وقال البغويُّ: وهذه الجملة مرتبة على محذوف تقديره: إن الأمر في مُدة لبثهم كما ذكرنَا، فإن نازعوك فيها فأجبهم، و﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾؛ أي: بالزمان الذي لبثوا فيه، لأن علم الخفيَّاتِ مختص به تعالى، ولذلك قال: ﴿لَهُۥ﴾ سبحانه وتعالى خاصة ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، أي: علْمُ ما غَاب عن أهل الأرض، والسموات فيهما، يعني: أنه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء من أحوال أهلها، فإنه العَالِمُ وحده به، فكيف يخفى عليه حال أصحاب الكهف، لا يعزب عنه علم شيء منه، فسلِّموا له علم ما لبثت به الفتية في الكهف، وإذا علم الخفي فيهما، فهو بعلْم غيره أدرى.

ومن ذلك العلْمِ الغائب على كثير من العقول، حساب السنة الشمسية والقمرية، فقد غيَّبَه الله عن بعض الناس، ولم يطلع عليه إلاَّ العارفين بحساب الأفلاك، ومنْ ثم يَعجبون من أمر نبيهم، ويعلمون أنَّ هذا مَبْدأُ زينة الأرض وزخرفها.

وفائدة تأخير بيان مدة لُبثهم[1]: الدلالة على أنهم تَنَازَعُوا فيها أيضاً، كما تَنَازَعُوا في عددهم على أن هذا البيان من الغيب الذي أخبر الله به نبيه ﷺ لِيكونَ مُعْجِزة له، وجاءَ قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ تذييلاً لِسَابقهِ لِيَكُونَ محاكياً قوله في حكاية عددهم ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾.

ثم زاد في المبالغة والتأكيد، فجاء بما يدل على التعجب من إدراكه للمبصرات والمسموعات فقال: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ﴾ سبحانه وتعالى ﴿وَأَسْمِعْ﴾ به تعالى؛ أي: ما أبصر الله سبحانه وتعالى بكل موجود، وأسمعه بكل مسموع، فهو لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهذا أمر عظيم من شأنه أن يُتَعَجَّبَ منه، وقَدْ وَرَدَ مثل هذا في الحديث «سُبْحَانَكَ ما أحلمك عمن عصاك، وأقربك ممن دعاك، وأعطفك على من سألك».

فأفاد هذا التركيب التعجب من علمه سبحانه وتعالى، ودل على[2] أن شَأْنه

---

(١) المراغي. (٢) الشوكاني.

سبحانه في علمه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه إدراك المدركين، وأنَّهُ يستوي في علمه الغائب والحاضر، والخفي والظاهر، والصغير والكبير، واللطيف والكثيف، وكأن أَصْله: ما أبصره وما أسمعه، ثم نقل إلى صيغة الأمر للإنشاء، و(الباء) زائدة عند سيبويه، وخالفه الأخفش، والبحث عنه مقرر في علم النحو، وسنذكر طَرَفاً منه في مبحث الإعراب، وقرأ عيسى ﴿أسمع به وأبصر﴾ على الخبر فِعْلاً مَاضِياً لا على التعجب؛ أي: أبصر عباده بمعرفته، وأسمعهم، و(الهاء) كناية عن الله تعالى ﴿مَّا لَهُم﴾؛ أي: ما لأهل السموات والأرض، وقيل: لأهل الكهف، وقيل: لمعاصري محمد ﷺ من الكفار ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ سبحانه وتعالى ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ يَلي أمورهم، وناصر ينصرهم، ومدبر يدبر شؤونهم، فكيف يعلمون هذه الواقعة من غير إعلامه تعالى، وفي هذا بيان لغاية قدرته، وأن الكُلَّ تَحْتَ قهره. ﴿وَلَا يُشْرِكُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿فِي حُكْمِهِۦٓ﴾ وقضائه، أو في علم غيبه ﴿أَحَدًا﴾ من مَخْلُوقَاتِهِ، فله خاصة الخلق والأمر، لا معقِّب لحكمه، وليس له وزير ولا نصير، ولا شريك، تعالى الله وتقدست أسماؤه.

أي: لا[1] يجعل الله تعالى أحداً من الموجودات العلوية والسفلية شريكاً لذاته العلية في قضائه الأزلي إلى الأبد، لعزته وغناه، قال الإمام: المعنى أنه تعالى لما حكى أنَّ لُبْثَهُمْ هو هذا المقدار.. أَرَادَ أنه ليس لأحد أن يَقُولَ بخلافه، انتهى.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿وَلَا يُشْرِكُ﴾ بالياء على النفي، وقرأ مجاهد بالياء، والجزم قال يعقوب: لا أعرف وجهه. وقرأ ابن عامر، والحسن، وأبو رجاءَ وقتادة، والجحدري، وأبو حيوة، وزيد، وحميد بن الوزير، عن يعقوب، والجعفي، واللؤلؤي، عن أبي بكر، ﴿ولا تشرك﴾ بالتاء والجزم على النهي، والمعنى: ولا تشرك أيها الإنسان ﴿وَٱتْلُ﴾، أي: واقرأ يا محمد ﴿مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾؛ أي: ما أُنزل إليك ﴿مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾؛ أي: من القرآن بيان للموحَى

(١) روح البيان. (٢) البحر المحيط.

إليه، للتقرب إلى الله تعالى بتلاوته، والعمل بموجبه، والاطلاع على أسراره، ولا تسمع لقولم، ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ﴾، والفرق[1] بين التلاوة والقراءة: أن التلاوة قراءة القرآن متابعة كالدراسة، والأوراد الموظفة، والقراءة أعم؛ لأنها جمع الحروف باللفظ لا اتباعها، قِيلَ[2]: ويحتمل أن يكون معنى قَوْلِهِ: ﴿وَٱتۡلُ﴾ واتبع أمراً، من التُّلُوّ لا من التلاوة.

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾؛ أي: لكلمات الله سبحانه وتعالى؛ أي: لا مغير للقرآن؛ أي: لا قادِرَ على تبديله، وتغييره غيره تعالى كقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ فَهُوَ عَامٌّ مَخْصُوصٌ فافهم، فإن قلت[3]: مُوجَب هذا أن لاَّ يتطرق النسخ إليه؟.

قلت: النسخ في الحقيقة ليس بتبديل؛ لأن المنسوخَ ثابت في وقته إلى وقت طريان الناسخ، فالناسخ المغاير، فكيف يكون تبديلاً، وقِيلَ: معناه لا مغير بما أوعد الله بكلماته أهل معاصيه، وقيل: معناه لا مُغَيّرَ بأوامره ونواهيه، وبوعده لأولياه، ووعيده لأعدائه.

﴿وَلَن تَجِدَ﴾ أبد الدهرِ، وإن بَالَغْتَ في الطلب ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ تعالى ﴿مُلۡتَحَدٗا﴾؛ أي: ملجأً وحرزاً تعدل إليه عند نزول بلية، قال الزجاج: لن تجد مَعْدلاً عن أمره ونهيه، أي: إنك إن لم تتبع القرآنَ وتتله، وتعمل بأحكامه لن تجد معدلاً تعدل إليه، ومكاناً تميل إليه.

وحاصل معنى الآية: أي[4] واتل أيها الرسولُ الكتاب الذي أوحي إليك، والزم العمل به، واتَّبعْ ما فيه من أمر ونهي، وإن أحداً لاَ يستطيع أن يغير ما فيه من وعيد لأهل معاصيه، ومن وعد لأهل طاعته، فإن أَنْتَ لم تتبعه، ولم تأتَمَّ به، فنالك وعيد الله الذي أوعد المخالفين حدوده، فلن تجد من دونه موئلاً، ولا ملجأ تلتجيء إليه؛ إذ قدرة الله محيطةٌ بك، وبجميع خلقه، لا يقدرُ أَحَدٌ على

---

(1) روح البيان.
(2) الشوكاني.
(3) الخازن.
(4) المراغي.

الهرب من أمر أرادَهُ به.

وفي[1] أمره تعالى أن يتلو ما أوحي إليه، وإخباره أنه لا مبدّلَ لكلماته، إشَارةٌ إلى تبديل المتنازعينَ في أهل الكهف، وتحريف أخبارهم، وهذه الآية آخر قصَّةِ أهل الكهف.

ثمَّ شَرَعَ سبحانه في نوع آخر، كما هو دأب الكتاب العزيز فقال: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾؛ أي: احبسها وثبتها مصاحبة ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾، ويذكرونه ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾؛ أي: في أول النهار وآخره، والمراد الدوام؛ أي: مداومين على الدعاءِ في جميع الأوقات، أو بالغداةِ لطلب التوفيق والتيسير، والعشي لطلب عفو التَّقْصِير، وقال ابن عمر، ومجاهدٌ، وإبراهيم: ﴿والعشي﴾ إشارةٌ إلى الصلوات الخمس، وقال قتادة: إلى صلاة الفجر، وصلاة العصر.

وقرأ نَصْرُ بن عاصم، ومالك بن دينار، وأبو عبد الرحمٰن، وابن عامر: ﴿بالغدوة﴾ بالواو، واحتجوا بأنها في المصحف كذلك مكتوبة بالواو قَالَ النَّحَّاس: وهذا لا يلزم لكتبهم الحياة والصلاة بالواو، ولا تكادُ العرب تقول: الغدوة، وجملة قوله: ﴿يُرِيدُونَ﴾ بدعائهم في تلك الأوقات ﴿وَجْهَهُۥ﴾ تعالى، ورضاه، حال من الضمير المستكن في يدعون؛ أي: يدعون ربهم حَالَةَ كونهم مريدين بدُعائهم، وعبادتهم، وجهه تعالى ورضاه، لا شيئاً آخر من أعراض الدنيا.

والمعنى: أي احبسْ نفسك وثبتْها مع فقراءِ الصحابة، كعمار بن ياسر، وصهيب، وبلال، وابن مسعود، وأضرابهم ممن يدعون ربَّهُمْ بالغداة والعشي بالتسبيح، وصالح الأعمال، ابتغاء مرضاة الله، لا يريدون عرضاً مِن أَعْرَاضِ الدنيا، ولا شَيْئاً من لذاتها ونعيمها.

/ رُوي: أن عيينة بن حصن الفزاري، أتى النبي ﷺ قَبْلَ أن يسلمَ، وعنده جماعة من فقراءِ أصحابه، فيهم سلمان الفارسي، وعليه شملة قد عرق فيها، وبيده خوص يشقه، ثم ينسجه، فقال له: أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات

---

(١) الشوكاني.

مُضَر وأشرافها، فإن أسلمنا أسلم النَّاسُ، وما يَمْنَعُنَا من اتباعك إلا هؤلاء، فنحّهم حتى نتبعك أو اجعل لهم مجلساً، فنزلت هذه الآية كما مَر في أسباب النزول، ونحو الآية قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾، ومقال هؤلاء شبيه بمقالة قوم نوح ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ ثم أمره سبحانه بمراقبة أحوالهم فقال: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ﴾؛ أي: ولا تلتفت عيناك، ولا تنصرف ولا تمل ﴿عَنْهُمْ﴾ إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة، وهَذَا نهيٌ[1] للعينين، والمراد صاحبهما، يعني نهيه عليه السلام عن الازدراء بفقراء المسلمين، لرثاثة زيهم، طموحاً إلى زيّ الأغنياءِ، وقيل: معناه: لا تحتقرهم عيناك، حَالَة كونك يا محمد ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: تطلب مجالسة الأغنياء والأشراف، وصحبة أهل الدنيا، وفي إضافة الزينة إلى الحياة الدنيا تحقير لشأنها، وتنفير عنها.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ﴾ على نسبة الفعل إلى العينين، وقَرَأَ الحسن: ﴿تعد﴾ عينيك بالتشديد، والتخفيف من عدَّى أو أعدى، وقرأ الأعمش، وعيسى: ﴿ولا تعد﴾ بالتشديد ﴿وَلَا تُطِعْ﴾ يا محمد، أي: لا توافق في تنحية الفقراء عن مجلسك، ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾؛ أي: من جعلنا قلْبه غافلاً عن ذكرنا، كعُيينة بن حصن، وقيل: أميَّة بن خلف، والغفلة: معنًى يمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة الأمور؛ أي: جَعَلْنا قَلْبه في فطرتِه الأولى غافلاً عن الذكر، ومختوماً عن التوحيد، كرؤساء قريش، وفيه تنبيه على أنَّ الدَّاعِي له إلى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات، وانهماكه في المحسوسات، حتى خفيَ عليه أن الشَّرَف بحلية النفس لا بزينة الجسد، وأنه لو أطاعَهُ كان مثله في الغباوة؛ أي: ولا تطع من أغفلنا قَلْبَه عن ذكرنا، أي: عن تَوْحِيدِنَا ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾؛ أي: شَهْوَتَه في عبادة الأصنام ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ﴾ وشأنه، وعملُه ﴿فُرُطًا﴾؛ أي: ضَائِعاً لا ينتفع به في الدنيا والآخرة.

وفي «التأويلات النجمية»: وكان أَمْرُه في متابعة الهوى هلاكاً وَخُسْرَاناً،

---

(١) روح البيان.

(٢) أبو البقاء.

وقيل: متجاوزاً عن حَدّ الاعتدال، وقرأ أبو مجلز[1]، وعمر بن فائد، وموسى الأسواريّ، وعمرُو بن عبيد ﴿أَغفَلنَا قَلبَهُ عَن ذِكرِنَا﴾ بفتح لام أغفلنا، ورفع باءِ القلب بإسناد الإغفالِ إلى القلب على معنى: حسبنا قلبه غافلينَ عن ذِكْرنا إياه بالمؤاخذةِ وَالْمُجَازَاة. ومعنى الآية ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ﴾ الخ؛ أي[2]: ولا تصرف بصرِكَ، وَنفسك عنهم رغبة في مُجَالَسَةِ الأغنياء لعلهم يؤمنون.

وخلاصة ذلك: النهيُ عن احتقارهم، وصرف النظر عنهم إلى غيرهم، لسوء حالهم وقبح بزتهم، روي أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: ـ لما نزلت الآيةُ ـ «الحمد لله الذي جعل في أمتي مَنْ أُمرتُ أن أَصْبِرَ نَفسي مَعه» ثم هذا النهي بقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا﴾ الخ؛ أي: ولا تطع في تنحية الفقراء عن مجلسك مَنْ جَعَلْنا قلبَهُ غَافِلاً عن ذكر الله وتوحيده، لسُوءِ استعداده، واتباع شهوته، وإسرافه في ذلك غايةَ الإسراف، وتدسِيَتِهِ نَفْسَهُ حتى ران الكفر والفسوقُ والعصيانُ على قلبه، وتمادَى في اجتراح الآثام والأوزار، وبعد أن أمر رسولَه ﷺ أَنْ لا يلتفتَ إلى قول أولئك الأغنياء، الذين قَالُوا: إن طردت أولئك الفقراء آمنَّا بك، أمره أَنْ يَقُول لهم ولغيرهم على طريق التهديد والوعيد، هذا هو الحق من ربكم، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، وقد أشار إلى ذلك بقوله: ﴿وَقُلْ﴾ أيها الرسول لأولئك الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا، واتَّبعوا أهواءهم، هذا الذي أوحي إلي هو ﴿الْحَقُّ﴾ حَالَةَ كونه كائناً ﴿مِن﴾ عند ﴿رَبِّكُمْ﴾ ومالك أمركم، لا من قبل نفسي، وهو الذي يجب عَلَيْكُم اتبَاعه، والعمل به، فقد جاء الحقُّ، وانزاحَتْ العلل، فلم يبق إلاَّ اختياركم لأنفسكم، ما شئتم مما فيه النَّجَاة أو الهلاك، ﴿فَمَن شَاءَ﴾ أنْ يُؤْمِن به ويدخل في غمار المؤمنين، ولا يتعلل بما لا يصلح أَنْ يكون معذرة له، ﴿فَلْيُؤْمِن﴾ به، لأن الحَقَّ قد وضح، واختفى الباطل ﴿وَمَن شَاءَ﴾ أن يكفر به، وينبذه وَرَاء ظهره، ﴿فَلْيَكْفُرْ﴾، ولست بطارد ـ لأجل أهوائكم ـ من كان للحق متبعاً، وبالله وبما أنزل عليَّ مؤمناً، فالله تعالى لم يأذن لي في طرده لأجل أن يدخُلَ في الإيمان جمع من الكفار، وهذه الجملة وَرَدت مورد تهديد، لا مورد

(١) البحر المحيط.

(٢) المراغي.

تخيير، ولذلك عقَّبه بقوله: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾.

وخلاصة ذلك[1]: أنَّني في غنىً عن متابعتكم، وإنني لا أبالي بكم، ولا بإيمَانِكم، وأمر ذَلِكَ إليكم، وبيد الله التوفيق، والخِذْلان، والهَدى، والضلال، وهو لا يَنْتَفِع بإِيمانِ المؤمنين، ولا يضره كُفْرُ الكافرين كما قال: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ﴾ وقرأ[2] أبو السِمالِ قعنب ﴿وقل الحَقُّ﴾ بفتح اللام، حَيث وَقَعَ. قال أبو حاتم: وَذَلِك رديء في العربية انتهى. وعنه أيضاً ضم اللام حيث وَقَعَ كَأَنَّهُ إتباع لحركة القاف، وقرأ أيضاً الحقُّ بالنصب، قال صاحبُ «اللَّوامح» هو على صفة المصدر المقدر؛ لأنَّ الفِعْلَ يدل على مصدره، وإن لم يُذكر، فينصبه معرفة كنصبه إيَّاهُ نكرة، والتقدير: وَقُلِ القول الحقَّ، وقرأ الحسن، وعيسى الثقفي بكسر لامي الأمر.

ولما هدد السامعينَ بأن يختاروا لأنفسهم ما يَجدُونه غَداً عند الله، أتبعه بذكرِ الوعيد على الكفر والمعاصي، والوعد على الأعمال الصالحة، وبدأ بالأولِ فقال: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا﴾ راجع[3] لقوله: ﴿وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الخ راجع لقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن﴾ فهو لف ونشر مشوش؛ أي: إنَّا أعددنا وهيأنا، ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: للكافرين ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾؛ أي: ناراً عظيمةً عجيبةً، أحاط بهم سورها، وجدرانها، وفُسْطَاطها، فلا مخلص لهم منها؛ أي: إنا قد أعددنا لمن ظلم نفسه، وأنف من قبول الحق، ولم يؤمن بما جاء به الرسول ناراً، يحيطُ بهم لهيبها، المستعر من كل جانب، كما يحيط السُّرَادِقُ والفسطاطُ بمن حل فيه، فلا مخلص منه، ولا ملجأ إلى غيره، وإيثارُ صيغة الماضي للدلالة على التحقُّق، ﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ﴾ من العطش؛ أي: وإن يستغث هؤلاء الظالمون يَوْمَ القيامة، وهم في النار، فيطلبوا الماءَ لشدة ما هم فيه من العطش لحر جهنم، كما قال في سورة الأعراف حكاية عنهم: ﴿أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ﴾، أي: كدري

---

(1) المراغي.

(2) البحر المحيط.

(3) الفتوحات.

الزيت، أو كالفِضَّةِ المذابَةِ ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ وينضجها، والشيُّ: الإنضاج بالنار من غير إحراق، كما سيأتي في مبحث التصريف؛ أي: إذا قرب إلى الفم ليشربَ سقطت فروة وَجْهه؛ أي: يؤتى لهم بماء غليظ كدريّ الزَّيْت وعكره؛ إذا قرب إليهم للشرب سقطت جلود وجوههم، ونضجت من شِدَّةِ حره.

روى أحمد، والترمذي، والبيهقي، والحاكم عن أبي سعيد الخدري: أن النبيَّ ﷺ قَالَ: «المهل كعكر الزيت» - بفتحتين - ما بقي في أسفل الإناء، «فإذا قُرِّب إليه سقطت فروة وجهه» وعن ابن عباس قال: أسود كعكر الزيت.

والمعنى: أنَّه يُنضج به جميع جلودهم. ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ ذلك الماءُ الموصوف؛ لأن المقصودَ بشرب الماء تسكين الحرارة، وهذا يبلغ في الإحراق مبلغاً عَظِيماً، فالمخصوص بالذم محذوف تقديره: هُوَ؛ أي: ذلك الماء المستغاث به كما قدرنا ﴿وَسَآءَتْ﴾ النار، وقبحت ﴿مُرْتَفَقًا﴾؛ أي[1]: متكأ، ومنزلاً، وأصل الارتفاق نصب المرفق، تحت الخد، وهو تمييز محول عن الفاعل، والأصل: قبح مرتفقها، فحوِّل الإسناد إلى النار، ونصب مرتفقاً على التمييز مبالغة وتأكيداً؛ لأن ذِكْرَ الشيء مبهماً ثُمَّ مفسراً أوقع في النفس من أن يُفسَّرَ أولاً، وأعربه بَعْضُهم مَصْدراً بمعنى الارتفاق، فعبر عن الإضرار والعذاب بالمرتفق الذي هو المنتفع به، أو نَفْسُ الانتفاع على سبيل المشاكلة، لقوله في الجنة: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ وإلاَّ فأي ارتفاق في النار؟!

والمعنى: أي ما أقبحَ هذا الشراب الذي هو كالمهل، فهو لا يطفىء غلة، ولا يُسَكن حرارة الفؤاد، بَلْ يزيد فيها إلى أقصى غاية، وما أسوأ هذه النارَ منزلاً ومرتَفَقاً، ومُجْتَمَعاً للرفقة مع الكفار والشياطين، وجاءَ في الآية الأخرى ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ ثم ثنى بِذِكْرِ السعداء فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وصدقوا بالْحَقّ الذي أوحي إليك، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الأعمال؛ أي: جمعوا بَيْنَ عَمَلِ القلب، وعَملِ الأرْكانِ، والصالحات؛ جمع صالحة وهي[2] في الأصل صفة، ثمَّ غلب استعمالها فيما حسَّنَه الشرع من الأعمال، فلم تحتج إلى

---

(١) روح البيان.

(٢) الفتوحات.

موصوف، ومثلها الحسنة فيما يتقرب به إلى الله تعالى. ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ﴾ منهم ﴿عَمَلًا﴾ مفعول أحسنَ، والتنوين فيه للتقليل، والأجر: الجزاءُ عَلَى العمل؛ أي: لا نبطل ثواب من أخْلَصَ منهم عملاً، ووضع الظاهر موضع المضمر، إِذْ حق العبارة أن يقال: إنَّا لا نضيع أجرهم، للدلالة على أن الأَجْرَ إنما يُستحق بالعمل دون العلم، إذْ بِهِ يستحق ارتفاع الدرجات، والشرفُ، والرُّتَب، وقرأ عِيسَى الثقفي ﴿إنا لا نضيِّع﴾ من ضيع عداه بالتضعيف، والجمهور من أضاع عدوه بالهمزة.

والمعنى: أي[1] إن الذين آمنوا بالحق الذي يُوحى إليك، وعملوا ما أمرهم به ربهم، فالله لا يضيع أَجْرَهم على ما أحسنوا من الأعمال، ولا يَظْلِمُهُم على ذلك نقيراً ولا قطميراً، ثُمَّ بيَّن ما أعدَّ لهم من النعيم بقوله:

١ - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بالصفات السابقة، ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾؛ أي: بساتين إقامة وخلود، يعني تخلد هي، ويخلد فيها صاحبها، ويجوز[2] أن يكون العدن: اسماً لموضع معين من الجنة، وهو وسطها، وأشرف مكان فيها، وقوله: جَنَّات لفظ جمع، فَيُمْكِن أن يكونَ المراد ما قاله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾، ويمكن أن يَكُونَ نصيب كل واحد من المكلفينَ جنة على حدة.

٢ - ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ﴾؛ أي: من تحت مساكنهم، وقصورهم ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الأربعة من الخمر، واللبن، والعسل، والماءِ العذب، وذلك لأن أفضل البساتين في الدنيا البساتين التي تجري فيها الأنهار؛ أي: إنَّهُ لهم جنات يقيمون فيها، تجري من تحت غرفها الأنهار.

٣ - ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾؛ أي: يُلْبسُون في تلك الجنات، وحكى الفراء ﴿يَحْلَوْنَ﴾ بفتح الياء وسكون الحاء، وفتح اللام من حليت المرأة، إذا لبست الحلي، وهي ما تتحلى وتتزين به من ذهب وفضة وغير ذلك من الجواهر. ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ قيل:

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

﴿من﴾ زائدة بدليل سقوطها في سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وقيل: ابتدائية، وأساور جمع أسورة، وهي جمع سوار، وهي زينة تلبس في الزند من اليد، وهي من زينة الملوك، يعني في الزمن الأول، وتنكيرها لتعظيم حسنها، قال في «بحر العلوم»[١]: وتنكير أساور للتكثير والتعظيم، ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ ﴿من﴾ بيانية صفة لأساور، وتنكيره لتبعيده من الإحالة به، وظاهر[٢] الآية: أنها جميعها من ذهب، وجاء في آية أخرى ﴿مِّن فِضَّةٍ﴾، وفي أخرى ﴿مِن ذَهَبٍ﴾، ولؤلؤ فيجمَع بَيْنَها بأنهم يحلون بالأساور الثلاثة، إما على سبيل المعاقبة، أو على سبيل الجمع كما تفعله نساء الدُّنْيا، فيكونُ في الواحد منهم سوار من ذهب، وآخر من فضة، وآخر من لؤلؤ، وَقَرَأَ أبان عن عاصم، من: ﴿أسوره﴾ من غير ألف، وبزيادة هاء، وهو جمع سوار.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوءُ» أخرجه البخاري ومسلم، وغيرهما.

٤ ـ ﴿وَيَلْبَسُونَ﴾ فيها ﴿ثِيَابًا خُضْرًا﴾؛ أي: ذوات خُضْرة؛ لأن[٣] الخُضْرَةَ أحسن الألوان، وأَكْثَرُها طراوة، وأحبها إلى الله تعالى، ولأنها هي اللون الموافق للبصر، وقرأ أبان: ﴿ويلبسون﴾ بكسر الباء وعبارة «المراغي» هنا: واختير اللون الأخضر، لأنه أرفق بالأبصار، ومن ثَمَّ جعله الله لونَ النبات والأشجار، وجعل لون السماء الزرقة؛ لأنه نافع لأبصار الحيوان أيضاً، وقد قالوا: أربعة مذهبة للهم والحزن: الماء، والخضرة، والبستان، والوجه الحسَنْ. ﴿مِّن سُندُسٍ﴾ بيان لتلك الثياب، صِفَةٌ لها، وهو ما رق من الديباج ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ وَهُوَ ما غلظ منه، والدِّيبَاج: الثوب الذي سدَاه ولحمته إبْريسمٌ وحريرٌ، وإنما جمع بين النوعين للدلالة على أن لبسهما مما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين، وقرأ ابن محيصن: ﴿واستبرقَ﴾ بوصل الألف وفتح القاف حَيْثُ وقع جعله فِعْلاً ماضياً على وزن استفعل من البريق، ويكون استفعلَ فيه موافقاً للمجرد الذي هو برق، ذكره في «البحر».

---

(١) روح البيان. (٢) السمرقندي. (٣) المراغي.

فإن قيل: ما السبب في أنه تعالى قال في الحُلي ﴿يُحَلَّوْنَ﴾ بالبناء للمفعول، وفي اللباس: ﴿يلبسون﴾ بالبناء للفاعل؟

قلنا: بنى في الأول للمفعول إيذاناً[1] بكرامتهم، وأن غيرهم يَفْعل بهم ذلك، ويزينهم به، بخلاف اللبس، فإن الانسان يَتَعاطاهُ بنفسه شريفاً أو حقيراً، وقدم التحلي على اللباس؛ لأنه أشهى للنفس اهـ «سمين».

وقال بعضهم: لا شك[2] أن لباسَ السّتْرِ يلبسه المرء بنفسه، ولو كان سُلْطَاناً.. فلذا أُسند إليه، وأما لباس الزينة فغيره يزيِّنه به عادة كما يشاهد في السلاطين والعرائس، ولذا أُسند إلى غيره على سبيل التعظيم والكرامة.

٥ - ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾؛ أي: حَالَةَ كونهم متكئين في الجنة، وجالسينَ فيها، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ والسرر متربعين عليها، وفي «الجمل»: مُتَّكِئِينَ: حال عاملها محذوف؛ أي: ويجلسون متكئين؛ أي: متربعينَ ومضطجعينَ جمع أريكة، وهي: السَّرِير في الحجال، ولا يسمى السرير وحده أريكة، إلاَّ إذَا كان في الحجال والحجالُ: جمع حَجَلة، وهي بيت يزيَّن بالثياب للعروس، وخص[3] الاتكاء؛ لأنه هيئة المتنعمين والملوك على أسِرَّتهم؛ أي: يتكئون فيها على سرر مزدانة بالستور، وفي هذا دليل على منتهى الراحة والنعيم، كما يَكُونُ ذلك في الدنيا، وأصل ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ مؤتكئين؛ لأنه من اتكأ، أصله: أوتكأ، كما سيأتي في مبحث التصريف إن شاء الله تعالى.

وقد اشتملت الآية[4] على خمسة أنواع من الثواب كما أَشَرْنا إليها بالأرقام، الأول: لهم جنات عدن، الثاني: تجري من تحتهمْ... إلخ، الثالث: يُحلَّوْنَ فيها، الرابع: ويلبسون ثِيَاباً... إلخ، والخامس: متكئين فيها... إلخ اهـ شيخنا.

﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾ الذي أثابهم الله به بأنواعه الخمسة المتقدمة، والثواب فاعل والمخصوص بالمدح محذوف، تقديره: هي؛ أي: الجنات ﴿وَحَسُنَتْ﴾؛ أي:

---

(١) الفتوحات.
(٢) روح البيان.
(٣) روح البيان.
(٤) الفتوحات.

الجنات ﴿مُرْتَفَقًا﴾؛ أي: مقراً، ومنْزلاً، ومجتمعاً لِعِبَادِهِ الصالحين، وقيل: ﴿حسنت﴾؛ أي: الأرائك ﴿مُرْتَفَقًا﴾؛ أي: متكأً ومقعداً، ومنزلاً للاستراحة.

والمعنى: أي نعمت الجنة لهم جزاءً وفاقاً على جميل أعمالهم، وحسنت منزلاً، ومقيلاً، ونحو الآية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾.

الإعراب

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْۖ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: (الواو): استئنافية، أو عاطفة ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف ﴿أَعْثَرْنَا﴾: فعل وفاعل ومفعوله محذوف تقديره: أعثرنا عليهم قومهم، ﴿عَلَيْهِمْ﴾ متعلق به، والتقدير: أعثرنا عليهم إعثاراً مثل: إنامتنا إياهم، وبعثنا إياهم، والجملة الفعلية مستأنفة، أو معطوفة على جملة قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾. ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾: (اللام): حرف جر وتعليل، ﴿يعلموا﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرةً بعد لام كي، والجملة في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: لعلمهم أن وعد الله حقٌّ، الجار والمجرور متعلق بـ﴿أَعْثَرْنَا﴾. ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: ناصب واسمه وخبره، وجملة ﴿أَنَّ﴾ في تأويل مصدر ساد مسَدَّ مفعولي علم؛ أي: ليعلموا حقية وعد الله، ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾: ناصب واسمه ﴿لَا﴾: نافية ﴿رَيْبَ﴾ اسمها ﴿فِيهَآ﴾: جار ومجرور خبرها، وجملة ﴿لَا﴾ في محل الرفع خبر ﴿أن﴾ المشددة، وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر معطوف على مصدر أن الأولى تقديرهُ: ليعلموا حقية وعد الله، وعدم وجود الريب في الساعة، ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان، متعلق بـ﴿أَعْثَرْنَا﴾ ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾: فعل وفاعل في محل الجر، مضاف إليه، لـ﴿إِذْ﴾. ﴿بَيْنَهُمْ﴾ متعلق به ﴿أَمْرَهُمْ﴾: مفعول به منصوب بـ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ لأن تنازعَ إذا كان بمعنى التجاذب ينصب مفعولاً وقيل: منصوب بنزع الخافض أي في أمرهم.

﴿فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾.

﴿فَقَالُواْ﴾: (الفاء) عاطفة ﴿قالوا﴾ فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَعْثَرْنَا﴾ ﴿ٱبْنُواْ عَلَيْهِم﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ﴾ مقول محكي لـ﴿قالوا﴾، وإن شئت: قُلْت ﴿ٱبْنُواْ﴾: فعل أمر وفاعل ﴿عَلَيْهِمْ﴾ متعلق بـ﴿ٱبْنُواْ﴾ ﴿بُنْيَٰنًا﴾: مفعول به ومنصوب على المصدرية، والجملة في محل النصب مقول ﴿قالوا﴾ ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ﴾: مبتدأ وخبر ﴿بِهِمْ﴾ متعلق بـ﴿أَعْلَمُ﴾ والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قالوا﴾ إن كان من كلامهم، أو جملة مستأنفة، إنْ قلنا إِنه من كلام الله ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة ﴿غَلَبُواْ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول ﴿عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ متعلق بـ﴿غَلَبُواْ﴾ ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: (اللام) موطئة للقسم ﴿نتخذن﴾ فعل مضارع مبني على الفتح، لاتصاله بنون التوكيد، وفاعله ضمير يعود على المتكلمين ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور حال من ﴿مَّسْجِدًا﴾. ﴿مَّسْجِدًا﴾: مفعول به، والجملة الفعليةُ جواب القَسم، وجملة القسم في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

﴿سَيَقُولُونَ﴾ (السين) حرف استقبال أتى بها للإشارة إلى أنَّ النزاعَ في أمرهم، حصل في زمن النبي ﷺ؛ أي: في المستقبل البعيد بالنسبة لقصتهم، ﴿يقولون﴾ فعل وفاعل، والضمير يعود إلى الخائضين في قصتهم، زمن النبي ﷺ من أهل الكتاب والمؤمنين، والجملة الفعلية مستأنفة، قال أبو حيان: وجاء[1] بسين الاستقبال؛ لأنه كان في الكلام طيٌّ، وإدماج، والتقدير: فإذا أجبتهم عن سؤالهم، وقصصت عليهم قصة أهل الكهف، فسلهم عن عددهم، فإنهم إذا سألتهم، سيقولون، ولم يأت بالسين فيما بعده؛ لأنه معطوف على المستقبل، فدخل في

---

(١) الفتوحات.

الاستقبال، أو لأنه أريد به معنى الاستقبال، الذي هو صالح له، ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هم ثلاثة أشخاص، والجملة الاسمية في محل النصب، مقول القول ﴿رَّابِعُهُمْ﴾: مبتدأ ﴿كَلْبُهُمْ﴾: خبره، والجملة في محل الرفع، صفة لـ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾؛ أي: هم ثلاثة، موصوفون بكون جاعلهم، أربعة كلبهم بانضمامه إليهم، ﴿وَيَقُولُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿سَيَقُولُونَ﴾ ﴿خَمْسَةٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هم خمسة أشخاص، والجملة في محل النصب مقول القول ﴿سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: مبتدأ، وخبر، والجملة في محل الرفع، صفة لـ﴿خَمْسَةٌ﴾ تقديره: هم خمسة أشخاص، موصوفون بكون جاعلهم ستة كلبهم بانضمامه إليهم ﴿رَجْمًا﴾: منصوب على المفعولية المطلقة بفعل محذوف، تقديره: يرجمون ذلك رجماً بالغيب؛ أي: يرمون رَمياً بالخبر الخفي المظنون، أو على الحال من فاعل يقولون، أي: يقولون ذلك حالة كونهم رَاجِمينَ بالغيب؛ أي: قائلينَ بما غاب عنهم، ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿رَجْمًا﴾، ﴿وَيَقُولُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿سَيَقُولُونَ﴾ ﴿سَبْعَةٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم سبعة أشخاص، ﴿وَثَامِنُهُمْ﴾: (الواو) زائدة، زيدت تشبيهاً[1] للجملة الواقعة صفة للنكرة، بالجملة الواقعة حالاً عن المعرفة، في نحو قولك: جاء زيد، ومعه رجل آخر، لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف، ودلالة على أن اتصافه بها، أمر ثابت، مستقر في الأذهان، وهذا القول ما اختاره الزمخشري، وابن هشام من الأقوال المتلاطمة في هذه (الواو) التي لا طَائِلَ تحتها. ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل الرفع صفة لـ﴿سَبْعَةٌ﴾ تقديره: ويقولون هم سبعة أشخاص، موصوفون بكون جاعلهم ثمانية كلبهم بانضمامه إليهم.

﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾.

﴿قُل﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة ﴿رَّبِّيٓ

---

(١) الفتوحات.

﴿أَعۡلَمُ﴾: مبتدأ، وخبر ﴿بِعِدَّتِهِم﴾ متعلق بـ﴿أَعۡلَمُ﴾، والجملة في محل النصب مقول القول، ﴿مَّا﴾ نافية ﴿يَعۡلَمُهُمۡ﴾: فعل، ومفعول ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ ﴿قَلِيلٌۗ﴾ فاعل، والجملة مستأنفة، ﴿فَلَا﴾: (الفاء) فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط، مقدر، تقديره: إذا عرفت أنه لا يعلَمُهم إلا قليل مِنْهُمْ، وَأردت بيانَ ما هو اللازم لَكَ.. فأقول لك: لا تمار فيهم، ويَصِحُّ أن تَكُونَ (الفاء) تفريعية، كما في «روح البيان» كما مر عنه ﴿لا﴾ ناهية جازمة ﴿تُمَارِ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وهي الياء والكسرة قبلَها دليل عليها، وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿فِيهِمۡ﴾ متعلق به ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ ﴿مِرَآءً﴾: مفعول مطلق ﴿ظَٰهِرًا﴾: صفة له، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة، ﴿وَلَا﴾: (الواو) عاطفة، ﴿لا﴾ ناهية جازمةٌ ﴿تَسۡتَفۡتِ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وهي الياء، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة قوله ﴿فَلَا تُمَارِ﴾ ﴿فِيهِمۡ﴾ متعلق به، ﴿مِّنۡهُمۡ﴾: حال من ﴿أَحَدًا﴾ لأنه صفة نكرة، قدمت عليها ﴿أَحَدًا﴾: مفعول به.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾.

﴿وَلَا﴾ (الواو) عاطفة، أو استئنافية، ﴿لا﴾ ناهية جازمة ﴿تَقُولَنَّ﴾: فعل مضارع في محل الجزم بـ﴿لا﴾ الناهية مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة قوله، ﴿فَلَا تُمَارِ﴾ أو مستأنفة ﴿لِشَاْيۡءٍ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تَقُولَنَّ﴾؛ أي: لأجل شيء تقدم عليه، وتهتم به، وقيل: (اللام) بمعنى في ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه ﴿فَاعِلٌ﴾ خبره ﴿ذَٰلِكَ﴾: مفعول فاعل ﴿غَدًا﴾: منصوب على الظرفية متعلق بفاعل ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ من أعم الأحوال؛ أي: لا تقل لشيء في حال من الأحوال، إلا في حال تلبسك بالتعليق، بالمشيئة ﴿أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: ناصب وفعل وفاعل، والجملة الفعلية في تأويل مصدر منصوب على الاستثناءِ، ولكن

على حذف مضاف، والتقدير: لا تقولن ذلك في وقت من الأوقات إلا وقت مشيئة الله، فحذف الوقت، وهو مراد، أو على الحال، والتقدير: لا تقولنَّ أفعل غداً إلاَّ حالة كونك قَائِلاً إنْ شاءَ الله، أو إلا حالة كونك متلبساً بقول إن شاء الله كما في «العُكْبُري».

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾.

﴿وَٱذْكُر﴾ (الواو): عاطفة ﴿اذكر ربك﴾: فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾ ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان مجرد عن معنى الشرط، ﴿نَسِيتَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه، لـ﴿إِذَا﴾ تقديره: واذكر مشيئة رَبّكَ وقت نسيانك إياها، عند تذكرك بها، ﴿وَقُلْ﴾: فعل أمر وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة معطوفة على جملة اذكر ﴿عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ. . .﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿عَسَىٰٓ﴾: فعل ماض من أفعال الرجاء، واسمها ضمير مستتر فيها: تقديره: هو يعود على الرب، والأوْلَى أَنْ يَكُونَ ﴿رَبِّى﴾ اسمها مؤخراً، ﴿أَن﴾ حرف نصب ومصدر ﴿يَهْدِيَنِ﴾ فعل مضارع منصوب بـ﴿أن﴾، وعلامة نصبه فَتْحَة ظاهرة في آخره، والنون نون الوقاية، وياء المتكلم المحذوفة اجتزاءً عنها بكسر نون الوقاية في محل النصب مفعول به، وفاعله لفظة ﴿رَبِّى﴾ أو ضمير يعود على الرب لتقدمه رتبة، ﴿لِأَقْرَبَ﴾ متعلق بـ﴿يَهْدِيَنِ﴾ ﴿مِنْ هَٰذَا﴾ متعلق بـ﴿أقرب﴾ ﴿رَشَدًا﴾: تمييز ﴿لِأَقْرَبَ﴾ أي: لشيء أقرب إرشاداً للناس، أو مفعول مطلق؛ أي: يهديني هدايةً فيكونُ ملاقياً لعامله بهذا المعنى، والأول أقرب، وجملة يهديني مع أن المصدرية في تأويل مصدر منصوب على الخبرية، لـ﴿عَسَىٰٓ﴾، ولكنه في تأويل اسم الفاعل، لِيَصِحَّ الإخبار به، والتقدير: وقل عسى ربي هادياً لي لأقربَ من هذا رشداً.

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ﴾.

﴿وَلَبِثُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ ﴿فِى كَهْفِهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿لبثوا﴾ ﴿ثَلَٰثَ﴾ منصوب على الظرفية متعلق بـ﴿لبثوا﴾ ﴿مِا۟ئَةٍ﴾ مضاف إليه، ﴿سِنِينَ﴾ عطف بيان لثلاث مئة،

ولا يصح أن يكون تمييزاً؛ لأن تمييزَ المئة يُجَرُّ، وجره بالإضافة والتنوين مانع منها، نعم قرىء في السبعة بالإضافة، وعليه فـ﴿سِنِينَ﴾ تمييز غير أنه قليل؛ لأن تمييز المئة، الكثير فيه الإفراد، كما قال ابن مالك:

وَمِـئَـةٌ وَٱلأَلْـفُ لِـلْـفَـرْدِ أَضِـفْ   وَمِـئَـةٌ بِـٱلْـجَـمْـعِ نَـزْراً قَـدْ رَدِفْ

﴿وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾.

﴿وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿لَبِثُوٓا۟﴾ ﴿قُلِ﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب مقول القول ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَعْلَمُ﴾ ﴿لَبِثُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة لـ﴿ما﴾ أو صفة لها، والعائد، أو الرابط محذوف تقديره: بالزمن الذي لبثوه ﴿لَهُۥ﴾ خبر مقدم ﴿غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مبتدأ مؤخر، ومضاف إليه، ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، والجملة مستأنفة ﴿أَبْصِرْ﴾: فعل تعجب، لفظه لفظ الأمر، ومعناه الخبر، والباء في ﴿بِهِۦ﴾ زائدة في الفاعل إصلاحاً للفظ ﴿وَأَسْمِعْ﴾: معطوف على ﴿أَبْصِرْ﴾، وجملة التعجب جملة إنشائية، لا محلَّ لها من الإعراب.

﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾.

﴿ما﴾: نافية ﴿لَهُم﴾: جار ومجرور خبر مقدم ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: حال من ولي ﴿مِّن﴾ زائدة ﴿وَلِيٍّ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، تقديراً، والجملة الاسمية مستأنفة ﴿وَلَا﴾ (الواو) عاطفة ﴿لا﴾ نافية ﴿يُشْرِكُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله ﴿فِى حُكْمِهِۦٓ﴾، متعلق بـ﴿يُشْرِكُ﴾ ﴿أَحَدًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية.

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾.

﴿وَٱتْلُ﴾ (الواو) استئنافية ﴿اتل﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة ﴿ما﴾ موصولة أو موصوفة في محل النصب مفعول به

﴿أُوحِىَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على ما، والجملة صلة لـ﴿ما﴾ أو صفة لها ﴿إِلَيْكَ﴾ متعلق بـ﴿أُوحِىَ﴾ ﴿مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾: جار ومجرور حال من ﴿ما﴾ الموصولة ﴿لَا﴾ نافية ﴿مُبَدِّلَ﴾ في محل النصب اسمها ﴿لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾: جار ومجرور خبر ﴿لا﴾، وجملة لا في محل النصب حال من ﴿رَبِّكَ﴾ لأن المُضافَ كالجزء من المضاف إليه، ﴿وَلَن تَجِدَ﴾ (الواو) عاطفة ﴿لن تجد﴾: ناصب ومنصوب، وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: حال من ﴿مُلْتَحَدًا﴾ ﴿مُلْتَحَدًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿لا﴾ على كونها حالاً من ﴿رَبِّكَ﴾.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾: فعل ومفعول به، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَٱتْلُ﴾. ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ﴾: ظرف، ومضاف إليه متعلق بـ﴿اصبر﴾ ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الموصول ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾ متعلق بـ﴿يَدْعُونَ﴾ ﴿وَٱلْعَشِىِّ﴾: معطوف على ﴿الغداة﴾ ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة الفعلية في محل النصب حال من الموصول، أو من فاعل ﴿يَدْعُونَ﴾ ﴿وَلَا تَعْدُ﴾: جازم ومجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة ﴿عَيْنَاكَ﴾: فاعل وعلامة رفعه الألف، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ ﴿عَنْهُمْ﴾ متعلق بـ﴿تَعْدُ﴾ ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾: فعل ومفعول به، ومضاف إليه ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ صفة لـ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة الفعلية في محل النصب حال من ضمير المخاطب في ﴿عَيْنَاكَ﴾ لأن المضاف جزء من المضاف إليه.

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾.

﴿وَلَا تُطِعْ﴾ (الواو): عاطفة ﴿لا تطع﴾: جازم ومجزوم، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ﴾ ﴿مَنْ﴾ اسم موصول في محل النصب مفعول به ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾: فعل وفاعل ومفعول ﴿عَن

﴿ذِكۡرِنَا﴾ متعلق به، والجملة صلة من الموصولة، ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنۡ﴾؛ والجملة معطوفة على ﴿أَغۡفَلۡنَا﴾ ﴿وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾: فعل ناقص واسمه، وخبره، وجملة ﴿كَانَ﴾: معطوفة على جملة ﴿أَغۡفَلۡنَا﴾ على كونها صلة لـ﴿مَنۡ﴾ الموصولة.

﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾.

﴿وَقُلۡ﴾: (الواو) عاطفة ﴿قل﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة معطوفة على جملة قوله ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ﴾. ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ إلى قوله: ﴿فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿ٱلۡحَقُّ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، تقديره؛ هذا الذي أوحي إليَّ الحَقُّ ﴿مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾: حال من الحق، والجملة في محل النصب مقول القول، لـ﴿قل﴾ ﴿فَمَن شَآءَ﴾: (الفاء) استئنافية، أو فصيحة ﴿من﴾ اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما ﴿شَآءَ﴾: فعل ماض في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونه فِعْل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾ ﴿فَلۡيُؤۡمِن﴾: (الفاء) رابطة لجواب من الشرطية، وجوباً لكونه جُمْلةً طَلَبِيَّةً و(اللام) لام أمر وجزم ﴿يؤمن﴾: فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾، والجملة في محل الجزم بـ﴿من﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿من﴾ الشرطية في محل النصب مقول لـ﴿قل﴾ على كونها مستأنفة، أو مقولاً لجواب إذا المقدرة. ﴿وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾: جملة شرطية معطوفة على جملة من الأولى، ﴿إِنَّآ﴾: ناصب واسمه ﴿أَعۡتَدۡنَا﴾: فعل وفاعل ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ متعلق به ﴿نَارًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قَبْلَها ﴿أَحَاطَ﴾: فعل ماض ﴿بِهِمۡ﴾ متعلق به ﴿سُرَادِقُهَاۚ﴾: فاعل وجملة ﴿أَحَاطَ﴾ في محل النصب صفة لـ﴿نَارًا﴾؛ ولكنها صفة سببية.

﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ٢٩﴾.

﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ﴾: (الواو) استئنافية ﴿إن يستغيثوا﴾: جازم وفعل وفاعل مجزوم على كونه فِعْلَ شرط، وعلامةُ جزمه حذف النون ﴿يُغَاثُواْ﴾: فعل، ونائب فاعل مجزوم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه جواباً لها، وعلامة جَزْمِهِ حَذْفُ النون ﴿بِمَآءٍ﴾ متعلق بـ﴿يُغَاثُواْ﴾ ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾: صفة أولى لـ﴿ماء﴾، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية مستأنفة ﴿يَشْوِى﴾: فعل مضارع ﴿ٱلْوُجُوهَ﴾: مفعول به، وفاعله ضمير يعود على ﴿الماء﴾، والجملة الفعلية في محل الجر صفة ثانية لـ﴿ماء﴾ أو حال منه لتخصصه بالصفة ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾: فعل وفاعل وهو من أفعال الذم، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: هو أي: ذلك الماء المستغاث به، وجملة ﴿بِئْسَ﴾ في محل الرفع خبر للمخصوص بالذم المحذوف، والجملةُ الاسميةُ، جملة إنشائية لا محلَّ لهَا منَ الإعراب. ﴿وَسَآءَتْ﴾: فعل ماض، وهي لإنشاء الذم، وفاعله ضمير يعود على النار، ﴿مُرْتَفَقًا﴾: تمييز محول عن فاعل ﴿ساء﴾ والأصل: ساءَ مرتفقها فحول الإسناد من المضاف إلى المضاف إليه، ثم حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامَه، فجيء بضمير الرفع، فاستتر في الفعل، ثم جيء بالمضاف المحذوف تمييزاً، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: هي؛ أي: النار، والجملة معطوفة على جملة ﴿بِئْسَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾: ناصب واسمه ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿ءَامَنُواْ﴾ ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه ﴿لَا﴾: نافية ﴿نُضِيعُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله ﴿أَجْرَ﴾: مفعول به ﴿مَنْ﴾: مضاف إليه ﴿أَحْسَنَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾ ﴿عَمَلًا﴾: مفعول به، أو تمييز محول عن الفاعل، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر، ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل الرفع خبر أول، لـ﴿إن﴾ الأولى، والرابط الضمير المستتر في أحسن أو، الرابط تكرر الظاهر بمعناه، لأن حقَّ العبارةِ أجرهم، ويجوز أنْ تكون جملة ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ مُعْتَرِضَةً وخبر، ﴿إن﴾ الأولى جملة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٣١﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ أول ﴿لَهُمۡ﴾: خبر مقدم للمبتدأ الثاني، ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾: مبتدأ ثان مؤخر، والجملة من المبتدأ الثاني، وخبره خبر للمبتدأ الأول، والجملة من المبتدأ الأول وخبره في محل الرفع خبر ثان، لـ﴿إن﴾ الأولى أعني: إن الذين آمنوا، أو خبر لها، إن قلنا: جملة ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ معترضةً ﴿تَجۡرِي﴾: فعل مضارع ﴿مِن تَحۡتِهِمُ﴾ متعلق به ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل الرفع صفة لـ﴿جَنَّٰتُ﴾؛ أو في محل النصب حال من ﴿جَنَّٰتُ﴾ ﴿يُحَلَّوۡنَ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ثان، لـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ ﴿فِيهَآ﴾ متعلق بـ﴿يُحَلَّوۡنَ﴾ أو حال من واو ﴿يُحَلَّوۡنَ﴾ أي: حَالَةَ كونهم كائنين فيها ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾ ﴿مِنۡ﴾ زائدة.

﴿أَسَاوِرَ﴾: مفعول ثان لـ﴿يُحَلَّوۡنَ﴾، وهو مَمْنُوعٌ من الصرف لصيغة منتهى الجموع، أو جار ومجرور صفة لـ﴿أَسَاوِرَ﴾. ﴿مِن ذَهَبٖ﴾ صفة لـ﴿أَسَاوِرَ﴾ ﴿وَيَلۡبَسُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿يُحَلَّوۡنَ﴾. ﴿ثِيَابًا﴾: مفعول به ﴿خُضۡرٗا﴾: صفة أولى لـ﴿ثِيَابًا﴾ ﴿مِّن سُندُسٖ﴾: جار ومجرور صفة ثانية لـ﴿ثِيَابًا﴾ أو حال من ﴿ثِيَابًا﴾ لتخصصه بالصفة، ﴿وَإِسۡتَبۡرَقٖ﴾: معطوف على ﴿سُندُسٖ﴾ ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾: حال إما من الضمير في ﴿تَحۡتِهِمُ﴾ أو من الضمير في ﴿يُحَلَّوۡنَ﴾ أو ﴿يلبسون﴾ ﴿فِيهَآ﴾: جار ومجرور حال أيضاً من الضمير في ﴿يُحَلَّوۡنَ﴾، أو ﴿يلبسون﴾ وهي حال متداخلة ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ﴾ متعلق بـ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ ﴿نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ﴾: فعل وفاعل وهو من أفعال المدح، والمخصوص بالمدح محذوف تقديره: هي؛ أي: الجنات، والجملة الفعلية خبر للمخصوص بالمدح، والجملة الاسمية جملة إنْشَائِية لا محل لَهَا من الإعراب، ﴿وَحَسُنَتۡ﴾: فعل ماض لإنشاء المدح، معطوف على نعم، وفاعله ضمير يعود على الجنات ﴿مُرۡتَفَقًا﴾: تمييز لفاعل ﴿حسن﴾ محول عن الفاعل، والتقدير: حسن مرتفقها، والمخصوص بالمدح محذوف، تقديره: هي؛ أي: الجنات.

﴿أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أطلعنا عليهم قَوْمَهُمْ، وأظهرناهم، وأعثر يتعدى بالهمزة، وأصل العثار في القدم، وفي «الأساس»: وعثر على كذا اطلع عليه، وأعثره على كذا أطلعه، وأعثره على أصحابه دَلَّه عليهم، ويقال للمتورط: وقع في عاثور، وفلان يبغي صاحبه العواثير، وأصله حفرة تحفر للأسد، وغيره يعثر بها، فيطيح فيها، ويقال: عثر عثوراً، وعثاراً: إذا سقط لوجهه، ويقال في المَثَل: «من سلك الجَدَد أمن العثار» ثم استُعمل في الاطلاع على أمر من غير طلب له.

﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ والساعة: يوم القيامة، حين يبعث الله الخلائق جميعاً للحساب والمجازاة، والتنازع والتَّخاصُم ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: رمياً بالخبر الخفي، وإتياناً به، والرجم القول بالظن والحدس، ويقال: لكل ما يخرص رجم فيه، وحديث مرجوم، ومرجَّم، وفي «المصباح» الرَّجَمُ بفتحتين الحجارة، ورجمته رجماً من باب قتل، ضربته بالرجم، وهي الحجارة الصغار، ورجمته بالقول، رميته بالفحش، قال تعالى: ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: ظناً: من غير دليلٍ، ولا برهان، كقول زهير بن أبي سلمى يصف الحرب:

وَمَا الحربُ إلاَّ ما عَلِمتُمْ وذُقْتُم   وما هُو عَنْهَا بالحَديث المُرَجَّمِ

أي: المظنُون، والغيب ما غاب عن الانسان، فالْمُراد أن يرميَ الانسان ما غاب عنه، ولا يعرفه بالحقيقة، كما يقال: فلان يرمي بالْكَلاَمِ رمياً؛ أي: يَتكلم من غير تدبر، والمراد هنا القول بالظن والتخمين.

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾؛ أي: لا تجادل، يُقَال: مارى يماري مماراةً، ومراءً؛ أي: جادل وفي «القاموس» مَارَى مراء ومماراةً جَادَلَ، ونَازَع، ولاج وتماريا تجادلا وامترى في الشيء شك، والمرية بكسر الميم، والمرية الجدل؛ يقال: ما في ذلك مرية، أَيْ: جدل وشك.

﴿مُلْتَحَدًا﴾؛ أي: ملتجأ تجنح إليه لائذاً، إن هممت بالتبديل للقرآن، وفي «المصباح» قال أبو عبيدة: ألحد إلحاداً جادل، وماري، ولحد جَارَ، وظلم،

وأَلْحَدَ في الحرم، استحل حرمته وانتهكها، والمُلْتَحدُ بالفتح اسم الموضع، وهو: الملجأ. وفي «القاموس»: التحد عن الدين بمعنى ألحد، والتحد إلى كذا مال، والتحد إلى فُلاَن التجأ ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ في «المختار» الصبر: حبس النفس عن الجزع، وبابه: ضرب وصبره حبسه، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ اهـ.

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ﴾؛ أي: لا تَنْصَرِف يقال: عداه إذا جاوَزه، ومنه قولهم: عدا طورَه، وجاءني القوم عَدا زيداً، فحق الكلام، أنْ يُقَالَ: بالنصب؛ أي: لا تعد عينيك، وإنما عَدَلَ إلى الرفعِ لأنه أراد صاحب العينين، فَهُوَ من المَجازِ كما سيأتي في البلاغة ﴿فُرُطًا﴾ بضمتين؛ أي: مجاوزاً الحدَّ. قال ابن عطية: الفرط يُحْتَمَلُ أن يكونَ بمعنى التفريط، والتضييع للذي يجبَ أن يَلْزَم، ويحتمل: أن يكونَ بمعنى الإفراط والإسراف اهـ «سمين».

والظاهر: أنه مصدر أفرط كما في «المختار» وعبارته: وأَفْرَطَ في الأمر: جاوز فيه الحَدَّ اهـ. وعليه فيكون مصدراً سَمَاعِياً، لا قِيَاسياً، وفي «المختار» أيضاً: وأَمْرٌ فُرُطٌ بضمتين؛ أي: مجاوز فيه الحد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ اهـ ثُمَّ قال: وفرط إليه مِنْهُ قول سبق، وبابه نصر اهـ.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾؛ أي: أعددنا، وهيأنا ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين اختاروا الكفرَ بالله، والْجَحد له، والإنكار لأنبيائه ناراً عظيمة ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ﴾؛ أي: اشتمل عليهم، والسُّرادق واحد السرادقات، قال الجوهري: وهي التي تمد فوق صحن الدار وكل بيت من كرسف؛ أي: قطن فهو سرادق، ومنه قول رؤبة:

يَـا حَـكَـمُ بْـنَ ٱلْـمُـنْـذِرِ بْـنِ جَـارُوْدْ   سُـرَادِقُ ٱلْـمَـجْـدِ عَـلَـيْـكَ مَـمْـدُوْدْ

وفي «الفتوحات»: والسرادق قيل: هو ما أحاط بشيء، كالمضرب والخباء، وقيل للحائط المشتمل على شيء: سرادق، قاله الهرويُّ، وقيل: هو الحجرة، تكون حولَ الفُسطاط، وقيل: هو ما يمد على صحن الدار، وقال الراغب: السُّرادق فارسيٌّ معرب، وليس في كلامهم اسم مفرد، ثالث حروفه ألف بعدها حرفان إلا هذا، وقيل: هو دخان يحيط بالكفار، قَبْلَ دخول النار، **وقيل**: حائط من نار يطيف بهم، وفي «الكشاف»: شبه ما يحيط بهم من النار

بالسرادق، وهو الحُجْرَةُ الَّتي تكون حول الفسطاط اهـ.

﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ﴾ الياء فيه منقلبةٌ عن واو، إذِ الأصل يستغوثوا، فنقِلَتْ كسرة الواو للساكن قبلها، ثم قلبت ياء لمناسبة الكسرة.

﴿المهل﴾ بضم الميم اسم يجمع معدنيات الجواهر، كالفضة، والحديد، والصفر، مَا كَانَ منها ذائباً، والقطران الرقيق، والزيت الرقيق، والسم، والقيح، أو صديد الميت خاصة، وما يَتَحات عن الخُبْزِ من الرماد، وقيل: هوكعكر الزَّيْتِ؛ أي: ما بقي في الإناء منه.

والخلاصة: هو اسم جامع لكل المستقذرات التي تغشى منها النفس، وتتألم وتنفر ﴿يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ﴾؛ أي: ينضجها إذا قدم ليشرب لشدة حرّه، والشيُّ: الإنضاج بالنار من غير إحراق، ﴿مُرۡتَفَقًا﴾؛ أي: مُتَّكأً يقال: بَاتَ فلان مرتفقا؛ أي: مُتَّكِئاً على مرفق يده، وأصل الارتفاق الاتكاء على المرفَق مع نصب الساعد، وهي هيئة المتحزن والمتحسر ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾؛ أي: جنات إقامة، واستقرار، يقال: عدن بالمكان إذا أَقَام فيه، واسْتَقر، ومنه المعدن لاستقرار الجواهر فيه. ﴿أَسَاوِرَ﴾ جَمْعُ أسورة، والأسورة جَمْعُ سوار، كأَحْمِرَةِ جمع حمارٍ، فالأساور جمع الجمع.

﴿السندس﴾ ما رق من الديباج، ﴿الاستبرق﴾ ما غلظ من الديباج، والاستبرق يونانِيَّةٌ والسندس فارسية، وقيل: هندية ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ أصله موتكئين من اتَّكأ أصله، اوتكأ، والاتكاء: التحامل على الشيء ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ﴾ جمع أريكَةٍ، وفي «القاموس»: الأريكة ـ كسفينة ـ سرير في حَجَلة، أو كل ما يتكأ عليه من سرير، ومنصَّة، وفراش، أو سرير متخذ مزين في قبة، أو بيْتٍ، فإن لم يكن فيه سريرٌ.. فهو حجلة، والجمع أرائك اهـ.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الاستعارة المكنية في قوله تعالى: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ﴾ فَقَدْ شَبَّه

أَمْرَهم بشيء كثر النزاع حولَه، ثم حذف ذلك الشيء، واستُعير النِّزَاعُ القائم حولَه.

ومنها: الاستعارة المَكْنِيَة في قوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ فقد شبه الغَيْب، والخفاء بشيء يرمى بالحجارة، واستُعير الرجم له.

وفي «الفتوحات»: والرجم بمعنى الرمي، وهو: استعارة للتكلم بما لم يَطَّلع عليه لخفائه، عنه تشبيهاً له بالرمي بالحجارة التي لا تصيب غَرَضاً اهـ.

ومنها: صيغة التعجب في قوله: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾.

ومنها: المجاز العقليّ في قوله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ﴾؛ لأنه أسندَ فعلَ عَدَا، أي: تجاوز إلى العينين، ومن حقه: أن يسندهما إليه؛ لأن عَدَا متعد بنفسه، وإنَّما جنح إلى المجاز؛ لأنه أبلغ من الحقيقة، فكأنَّ عينيه ثابتتان في الرنوّ إليهم، وكأنما أدْرَكتَا ما لا تدركان، وأحستا بوجوب النظر، إلى هؤلاء، وصبر النفس، ورياضتها على ملازمتهم، وقيل: هو من باب التضمين، فقدْ ضَمَّنَ عدا معنى نَبَا، وعلا من قولهم: نبت عينه عنه إذا اقتحمتهُ ولم تعلق به.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ وبين قوله: ﴿فَلْيُؤْمِن﴾ ﴿فَلْيَكْفُرْ﴾.

ومنها: المشاكلة[1] في قوله: ﴿يُغَاثُوا﴾ إذ لاَ إغاثةَ لَهُمْ بالماء المذكور، بل إتيانهم به، وإلْجَاؤهم لشُرْبه غاية الإضرار، والإغاثة هي الانقاذ من الشدة، فَكَأَنَّهُ قال: يضروا ويعذبوا بماء. الخ وعبر عن هذا الإضرار بالإغاثة مشاكلة لقوله: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا﴾ اهـ شيخنا.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا﴾، وفي قوله: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾.

ومنها: الجناس المماثِلُ في قوله: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا﴾.

ومنها: اللف والنشرُ المشوش في قوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ فإنه راجع

---

(١) الفتوحات.

لِقَوْلِهِ ﴿وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾، وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فإنه راجع لقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن﴾.

ومنها: التهكم في قوله: ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ فقد سمى أعلى أَنْوَاعِ العذاب إغاثةً، والإغاثة هي: الإنقاذُ من العذاب تهكماً بهم، وتشفياً منهم، والتهكم: فن طريف من فنونهم.

ومنها: التشبيه[1] المؤكد في قوله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ فقد شبه النار المحيطة بهم، بالسرادق المضروب على مَن يحتوِيهم، وأضيف السُّرادِق إلى النار، فَذَلِكَ هو التشبيه المؤكَّدُ، وهو أنْ يُضافَ الْمُشَبَّهُ إلى المشبه به، كقول بعضهم:

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

فقد أضاف الأصيلَ، وهو المشبه إلى الذهب، وهو المشبَّهُ به، كما أضاف الماءَ الذي هو المشبه إلى اللجين، الذي هو المشبه به.

ومنها: التشبيه المرسل الْمُفصل في قوله: ﴿بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ لذكر الأداة، ووجه الشبه، وقيل: وجه الشَّبه فيه الثخن والرداءة في كلٍ كما في «الفتوحات».

ومنها: المقابلة البديعةُ بَيْنَ الجنة في قوله: ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾، والنار في قوله: ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ فَقَدْ ذَكَر الارْتِفَاقَ في النار مقابلةً كقوله: فيما بعد في وصف الجنة ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عِدَّة مواضعَ.

والله أعلم

* * *

---

(١) إعراب القرآن.

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ...﴾ الآيات، مناسبةُ هذه الآيات لما قبلَها: أنَّ الله سبحانه وتعالى لَمَّا أمر[1] نبيَّه بِصَبْرِ نفسه مع فُقَراءِ المؤمنين، وعدم طاعة أولئك الأغنياءِ من المشركينَ، الذينَ طلبوا منه ﷺ طَرْدَ هؤلاءِ الصعاليك،

---

(١) المراغي.

وأن يُعيِّن لَهُمْ مَجْلِساً، وللسادة مجلساً آخرَ، حتى لا يُؤْذُوهم بمنَاظِرهم ورَوَائِحِهم المستقذرة، وحتَّى لاَ يُقَالَ: إنَّ السَّادَةَ ومواليهم يَجْتَمِعُون في صعيد واحد، ويتحدثون وإياهم حديث الند للند، وفي ذلك امتهان لكبريائهم، وخفض من عزتهم.. أردف ذلك بمثلٍ يستبين منه أن المَال لا ينبغي أن يكونَ موضع فخار؛ لأنه ظل زائل، وأنه كثيراً ما يصير الفقيرُ غنياً، والغني فقيراً، وإنَّما الذي يَجِبُ أن يَكُونَ أساس التفاخر وعمدة التفاضل، هو: طاعة الله وعبادتُه، والعمل على ما يرضيه في دار الكرامة، حيث لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لَمَّا[1] أبانَ أن الدنيا ظل زائل، وأنه لا ينبغي أن يغتَرَّ أَحَد بزخرفها ونَعيمها، بل يجب أن يكونَ موضع التفاخرِ العمل الصالح الذي فيه رضا الله، وانتظار مثوبته في جنات تجري من تحتها الأنهار.. أردف ذلك بذكرِ أحوال يوم القيامة، وما يكون فيها من أخطار وأهوال، وأنه لا ينجي منها إلاَّ اتباعُ ما أمر به الدين، وترك ما نَهَى عنه مما جاء على لسان الأنبياءِ والمرسلين، لا الأموالُ التي يفتخرُ بها المشركون على المؤمنينَ.

التفسير وأوجه القراءة

قوله: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ﴾ هَذَا المثل ضربه الله تعالى لمن يتعززُ ويفتخرُ بالدنيا، ويستنكف عن مجالسةِ الفقراءِ، فهو على هذا مُتَّصِل بقوله: ﴿واصبر نفسك﴾ ﴿وَٱضۡرِبۡ﴾ هنا بمعنى اجعل، يتعدى إلى مفعولَيْن ﴿لَهُم﴾ متعلّق به ﴿مَّثَلٗا﴾ مفعول ثان، ﴿رَّجُلَيۡنِ﴾ مفعول أول، أي واجعلْ يا محمد رجلَين موصوفَين بالصفات الآتية، ﴿مَّثَلٗا﴾ وشبها لهؤلاء المشركين بالله الذين سألوك أن تطرد الذين يدعون ربَّهم بالغداة والعشيِّ، وللمؤمنين المكابدينَ لمشاق الفقر؛ أي: مثل حَالَ هؤلاء الكافرين والمؤمنين بحال[2] رَجُلين شريكين في بني إسرائيل، أحدهما

---

(١) المراغي. (٢) المراح.

كافر اسمه قطروس، والآخر مؤمِن اسمه يَهُوذا، أو تمليخا، لهما ثمانية آلاف دينار، فاقتسماها فاشترى أحدهما أرضاً بألف دينار، فقال صاحبه: اللَّهُم إن فلاناً قد اشترى أرضاً بألف دينار، وإني أشتري منك أرضاً في الجنة بألف دينار، فتصدق بها، ثم إن صاحبه بنى داراً بألف دينار، فقال هذا: اللهمَّ إن فلاناً بنى داراً بألف دينار، وإنّي اشتريت منك داراً في الجنة، بألف دينار، فتصدَّقَ بها، ثم تزوَّج صاحبُهُ امرأة، وأنفقَ عليها ألفَ دينار، فقال هذا: اللَّهُمَّ إني أخطب إليك امرأةً من نساء الجنة بألف دينار، فتصدَّقَ بها، ثُمَّ إن صاحبه اشترى خدماً، ومَتَاعاً بألف دينار، فقال هذا: اللهم إني أشتري منك خدماً ومتاعاً في الجنة بألف دينار، فَتَصدق بِهَا، ثم أصابته حاجة شديدة، فَقالَ: لو أتيت صاحبي لعله ينالني منه معروف، فجلس على طريق، حتى مر به في حَشَمه، فقام إليه، فنظر إليه صاحبُهُ، فعرفَهُ فقال له: فلان؟ قال: نَعَمْ، فَقَالَ: ما شأنك؟ قال: أصابتني حاجة بَعْدك، فأتيتك لتعينني بخير، قال: فما فعلت بمالِك؟ فقص عليه قصته، فقال: وإنك لمن المصَّدقين، فَطَرَده ووبخه على التصدق بماله، وآل أمرهما إلى ما حكاه الله تعالى فنزل في شأنهما قوله تعالى: ﴿وَاَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾؛ أي: واضرب أيهَا الرسولُ لهؤلاء المشركين المتقلبين في نعم الله، والمؤمنينَ المكابدين لمشاق الفقر، مثلاً رجلين؛ أي: اجعل مَثَلَ الفريقين مثل رجلين ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا﴾، وهو الكافر: ﴿جَنَّتَيْنِ﴾؛ أي: بستانين ﴿مِنْ أَعْنَٰبٍ﴾؛ أي: من كروم متنوعة، فإطلاق الأعناب عليها مجاز، ويجوز أن يكونَ بتقدير المضاف؛ أي: من أشجار أعناب، والأعناب جمع عنب، وهو ثمر الكرم ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا﴾؛ أي: أحطنَا البستانَين ﴿بِنَخْلٍ﴾؛ أي: جَعَلْنَا النَّخْلَ محيطة بالجنتين مَلْفُوفاً بها، كرومهما ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾؛ أي: وجعلنا وسط البُسْتَانَيْنِ ﴿زَرْعًا﴾ ليكونَ كل منهما جامعاً للأقوات والفواكه، متواصل العمارة على الشكل الحسن، والترتيب الأنيق.

وخلاصة ذلك[1]: أن أرضه جمعت القوتَ والفواكه، وهي متواصلة

---

(١) المراغي.

متشابكة، فلها مَنْظَرٌ وَرَوَاءٌ حَسنٌ ووضعٌ أنيقٌ يخلب اللب بجماله وبهجته إذا امتلأ منه البصر.

رُويَ: أن أخوَيْن مِنْ بَني إسرائيل وَرثَا من أبيهما ثَمَانِيةَ آلاف دينار، فتشاطراها، فاشترى الكافر بنصيبه ضياعاً وعقاراً، وأنفق المؤمن ما وَرثَه في وجوه الخير وطاعة الله، وآلَ أَمْرُهُما إلى ما قصه الله علينا في كتابه، وسواء أصحت الرواية أم لم تصحَّ، فإن ضرب المَثَل لا يَتوقف على صحتها.

وقد ضَربَ الله المثل ليبين حَالَ الفريقَين المؤمنينَ والكافرينَ، من قِبَلِ أن الكفارَ مع تقلبهم في النعيم قد عصوا ربهم، وأن المؤمنين مع مكابدتهم للشدائد والبأساءِ قد أطاعوه ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾؛ أي: كل من البُسْتَانَيْنِ ﴿ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾؛ أي: أعْطَتْ وَأخرجَتْ ثمرها كل عام، وبلغ مبلغاً صَالِحاً للأكل وإفراد[1] الضمير في ﴿آتت﴾ للحمل على لَفْظ المفرد، قَالَ الحرِيري: ولا يثنى خَبر كِلاَ إلا بالحمل على المعنى ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾؛ أي: ولم تنقص ﴿مِّنْهُ﴾؛ أي: من أكلها وثمرها ﴿شَيْـًٔا﴾ في سائر الأعوام على خلاف ما يعهدُ في الكروم والأشجار من أنها تكثر غلتها أعواماً، وتقل أعواماً أخرى، فقوله: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾؛ أي: في بعض السنينَ بل في كل سنة يأتي ثَمَرُها وافياً.

وقرأ الجمهور[2]: كِلْتَا الجنتين، وفي مصحف عبد الله ﴿كلاَ الجنتين﴾، أتى بصيغة التذكير، لأن تأنيث الجنتين مجازي، ثـمَّ قَرأ ﴿آتت﴾ فأنَّث، لأنه ضمير مؤنَّث، فصار نظير قولهم: طلع الشَّمْسُ، وأشرقت، وقال الفراء في قراءة ابن مسعود: ﴿كل الجنتين آتى أكله﴾ انتهى. فَأعاد الضمير على كل ﴿وَفَجَّرْنَا﴾؛ أي: أجْرَيْنَا وشققنا ﴿خِلَٰلَهُمَا﴾؛ ﴿خِلَٰلَهُمَا﴾؛ أي: وَسَطَ الجنتين ﴿نَهَرًا﴾ ليسقيهما دَائماً من غير انقطاع، وقرأ[3] الجمهور، ﴿وَفَجَّرْنَا﴾ بتشديد الجيم للمبالغة، وقال الفراء: إنما شدد ﴿وَفَجَّرْنَا﴾ وهو نهر واحد، لأن النهر يمتد، فكان التفجر فيه

---

(١) روح البيان.

(٢) البحر المحيط.

(٣) البحر المحيط.

كله، أعلم الله تعالى أن شربَهما كان من نهر واحد، وهو أغزر الشرب، وقرأ الأعمش وسَلاَّم، ويعقوب، وعيسى بن عمر، بتخفيف الجيم، وكذا قرأ الأعمش في سورة القمر، والتشديد في سورة القمر، أظهرُ لقوله ﴿عيونا﴾ وَقوله ﴿نَهَرًا﴾ وانتصب ﴿خِلَٰلَهُمَا﴾؛ أي: وسطهما على الظرف لأنه كان النهر يجري من داخل الجنتين، وقرأ الجمهور[1] ﴿نَهَرًا﴾ بفتح الهاء، وَقَرَأ أبو السمال، والفياض بن غزوان، وطلحة بن سليمان بسكون الهاء؛ أي: وشققنا وسط الجنتين نهراً كبيراً، تتفرع منه عدة جداول، ليدوم سقيهما، ويزيد بهاؤهما، وتكثر غلتهما.

ولعل[2] تأخيرَ ذكر تفجير النهر عن ذكر إيتاءِ الأكل مع أن الترتيبَ الخَارِجي على العكس، للإيذان باستقلال كل من إيتاء الأكل، وتفجير النهر في تكميل محاسن الجنتين، ولو عكس لانفهم أنَّ المجموع خصلة واحدة، بعضها مرتب على بعض، فإن إيْتَاءَ الأكل متفرع على السقي عادة، وفيه إيماء إلى أن إيتاء الأكل لا يتوقَّفُ على السقي كقوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ﴾ ﴿وَكَانَ لَمُۥ﴾، أي: لصاحب الجَنَّتَيْنِ ﴿ثَمَرٌ﴾؛ أي: أنواع من المال غير الجنتين من ذهب وفضة ثمرها بما ادخره من غلات الجنتين ومن تجارات أخرى، والثَّمر بفتحتين جمع ثمرة، وهي المجني من الفاكهة، وذكرها وإن كانت الجنة لا تخلو عنها إيذانٌ بكثرة الحاصل له في الجنتين من الثمار وغيرِها، وقالَ ابن[3] عباس وقتادة: الثمر: - يعني إذا قُرِىء بضمتين - جميع المال من الذهب والحيوان وغير ذلك، وقال النابغة:

مَـهْـلاً فِـدَاءٌ لَـكَ ٱلأَقْـوَامُ كُـلُّـهُـمُ   وَمَـا أُثَـمِّـرُ مِـنْ مَـالٍ وَمِـنْ وَلَـدَ

وقال مجاهد: يراد بها: الذهب والفِضَّة خاصة، وقَالَ ابن العلاء: الثمر المال.

وخلاصة ذلك: أنه سبحانه أنعم عليه بخيرات الدنيا صامِتَها وَناطقها،

---

(١) البحر المحيط.
(٢) روح البيان.
(٣) البحر المحيط.

ثاغيها، وراغيها، وكان له مزارع يستخدم فيها أعوانه، وخدمه، ولا يستعصي عليه شيء من مسرات الدنيا ومباهجها، ولذاتها ونعيمها.

وقرأ الأعمشُ[1]، وأبو رجاءٍ، وأبو عَمرو بإسكان الميم فِيهِمَا تخفيفاً، أو جمع ثَمَرةٍ، كبدنة وبدن، وقرأ أبو جعفر، والحسن، وجابر بن زيد، والحجاج، وعاصم، وأبو حاتم، ويعقوب عن رويس عنه، بفتح الثاء والميم فيهما، وقرأ رويس عن يعقوبَ: ثمر بضمهما، ﴿وثمره﴾ بفتحهما، وأما الثُّمُرُ بضمتين فقد مر تفسيره آنفاً عن ابن عباس وغيره، وأما مَنْ قرأ بالفتحِ فلا اتكال عليه، لأَنَّهُ يعني به حمل الشجر، وقرأ أبو رجاء في رواية ﴿ثمر﴾ بفتح الثاء وسكون الميم، وفي مصحف أبيٍّ ﴿وآتيناه ثمرا كثيرا﴾ وينبغي أن يُجعل تفسيراً.

وبعد أن تم له الأمْرُ، وقعد على سنام العز والكبرياء، داخَلَهُ الزهو والخيلاءُ ﴿فَقَالَ﴾؛ أي: صاحب الجَنَّتَيْنِ ﴿لِصَٰحِبِهِۦ﴾ وأخيه المؤمن الذي جعل مَثَلاً للفقراء المؤمنين ﴿وَهُوَ﴾؛ أي: والحالُ أنَّ صاحب الجنتين ﴿يُحَاوِرُهُۥ﴾؛ أي: يُراجِعُ صَاحِبَهُ، ويكَلّمَه بالكلام الذي فيه الافتِخار بالمال، والخَدَم، وإنكارُ البعث والإشراك بالله، مِنْ حَارَ إذا رجَعَ ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا﴾ وعن[2] محمد بن الحسن رحمه الله: المال كل ما يتملكه الإنسانُ من دراهم، أو دنانير، أو ذهب، أو فضة، أو حنطة، أو خبز، أو حيوان، أو ثياب، أو سلاح، أو غير ذلك، ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾؛ أي: أكثر حَشَماً، وأعواناً، وأولاداً ذكوراً لأنهم الذين يَنْفِرُون مَعَهُ دون الإناث، والنفر بفتحتين من الثلاثة إلى العشرة من الرجال، ولا يقال فيما فوق العشرة، وقال صاحب «روح البيان»: لاح لي هٰهنا إشكال، وهو أنه إن حمل أفعل على حقيقته في التفضيل، يلزمُ أن يكونَ الرجلان المذكوران مقدرين لا محقَّقَيْن أَخَوَيْن، لأنه على تقدير التحقيق يقتضي أن لا يكون لأَحدهما مال أصلاً كما يفصح عنه البيان السابق، وقد أثبتَ هٰهنا الأكثرية للكافر، والأقلية للمؤمن، وجوابُه يُستنبط من السؤال، والله أعلم بحقيقة الحال انتهى.

---

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

والمعنى: أي[1] فقال لصاحبه المؤمن حين حاوره، وراجَعَه الحديث: أنا أكثر منكَ مالاً كما ترى، من جنَّاتي، وزروعي المختلفة، وأعَزُّ عشيرةً، ورهطاً تقوم بالذب عني، ودفع خصومي، وتنفر معي عند الحاجة إلى ذلك.

ثم زاد فخراً على صاحبه المسلم، وأراهُ عياناً ما يتمتع به من المناظر البهيجة في تلك الجنان التي لا تفنى في زعمه، وذلك ما أخبر عنه سبحانه بقوله: ﴿وَدَخَلَ﴾ صاحب الجنتين ﴿جَنَّتَهُۥ﴾؛ أي: بستانه مع صاحبه المؤمن يَطُوف به فيها، ويريه حسنها، ويعجبه منها، ويفاخره بها.

وأفرد الجنة[2] لأن المرادَ ما هو جنته، وهي ما مُتِّعَ بِهِ مِن الدنيا تنبيهاً على أنه لا جنَّةَ له غيرها، ولا حظ له في الجنة التي وُعدَ بها المتقون، أو لاتصال كل واحدة من جنتيه بالأخرى، أو لأن الدخولَ يكون في واحدة فواحدة ﴿وَهُوَ﴾؛ أي: والحالُ أنَّ صَاحِبَ الجنتين ﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾؛ أي: ضار لها بعجبه، واعتماده على ماله، وبكفره بالمبدأ والمعاد، وهو أقبح الظلم، كأنه قيل: فماذا قال إذ ذاك؟ ﴿قَالَ﴾ صاحب الجنتين استئناف بَيَانِيٌّ لسبب الظلم، ﴿مَآ أَظُنُّ﴾ كثيراً ما يستعار الظن للعلم، لأنَّ الظن الغالبَ يداني العلمَ، ويقوم مقامه في العادات والأحكام ومنه: المظنة للعلم ﴿أَن تَبِيدَ﴾ وتفنى، وتهلكَ، وتنعدمَ، من باد إذا ذهب وانقطع ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ الجنة يعني جنتيه ﴿أَبَدًا﴾؛ أي: دهراً فلطُول أمله، وتمادي غفلته، واغتراره بمهلته، قال ذلك بمقابلة موعظة صاحبه، وتذكيره، بفناء جنته، والاغترار بِها وأمرَهُ بتحصيل الباقيات الصالحات.

والأبد: الدهر[3] كالأمد وانتصابُه على الظرف، والمراد هنا: المكث الطويل، وهو مُدَّةُ حَيَاتِهِ، لا الدوامُ المؤبَّدُ إِذْ لا يَظُنُّه عاقل لدلالة الحسّ والحِدْسِ على أنَّ أَحْوَال الدنيا ذاهبة باطلة.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ﴾؛ أي: الْقِيَامَةَ التي هي عبارة عن وقت البعث

---

(١) روح البيان.

(٢) البحر المحيط.

(٣) البحر المحيط.

﴿قَآيِمَةً﴾؛ أي: كائنة حاصلة فيما سيأتي، ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ﴾؛ أي: والله لئن رُجعتُ ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾ بالبعث على الفرض، والتقدير: كما زعمت أن الساعَةَ آتيةٌ فليس فيه دلالة على أنه كَان عَارِفاً بربه، مع أن العِرْفَانَ لا ينافي الإشراك، وكان كَافِراً مشركاً.

قال في «البرهان»[1]: قال تعالى هنا: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ وفي «حم» ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ لأن الرد يتضمَّن كراهَة المردود، ولما كان في الكهف، تقديره: ولئن رددت عن جنتي هذه التي ما أظن أن تَبيدَ أبداً إلى ربي كانَ لفظ الرد الذي يتضمن الكراهة أولى هنا، وليس في «حم» ما يدل على كراهته، فَذَكَر بلفظ الرَّجْعِ لِيَقَعَ في كل سورة ما يليق بها. انتهى.

﴿لَأَجِدَنَّ﴾ يومئذ ﴿خَيْرًا مِّنْهَا﴾؛ أي: من هذه الجنة ﴿مُنقَلَبًا﴾ تمييز محول عن المبتدأ؛ أي: مَرْجِعاً، وعاقبةً، ومَدار هذا الطَّمَعِ واليمين الفاجرة اعتقادُ أنه تعالى إنَّما أولاه في الدنيا لاستحقاقه الذاتي، وكرامته عليه سبحانه، وهو معه أَيْنَمَا توجه، ولم يدرِ أن ذلك استدراج.

وحاصل معنى الآيتين: أي ودخل[2] هذا الذي جعلنَا له جنتين من أعناب، وأشجار، ونخيل، ومعه صاحبه هاتين الجنتين، وطاف به فيهما مفاخراً، وقال حين عاين ما فيهما من أشجار وثمار وزروع وأنهار مطردة: ـ ما أظن أن تفنى هذه الجنة أبداً، ولا تَخْرَبُ كما قال: وهو شاك في المعاد إلى الله والبعث والنشور، ما أظن أن يوم القيامة آت كما تقولون، وقد كان في كل ذلك ظالماً لنفسه، إذ وضع الشيء في غير موضعه، فَقَدْ كان أليق به أن يكون شاكراً لتلك النعم، متواضعاً لربه، لا أن يكون كافراً به منكراً لما جاء به الوحي وأقرته جميع الشرائع.

وخلاصة ذلك: أنه لحقه الخَسَار من وجهين:

١ ـ ظنه أن تِلكَ الجنةَ لا تَهلكُ، ولا تبيد مدى الحياة.

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

٢ ـ ظنه أن يومَ القيامة، لن يكونَ ثمَّ تَمني أمنية أخرى كان في شك منها، فقال: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ﴾ إلخ؛ أي: والله لئن كَانَ مَعَاد ورجعة إلى الله لَيَكُونَنَّ لي هناك أحسن من هذا الحظ عند ربي، والذي جرَّأه على هذا الطَّمع، وعلى تلك اليمين الفاجِرة، اعتقادُهُ أنَّ الله إنما حباه بما حباه به في الدنيا لما له من كرامة لدَيْه، ولِمَا فِيهِ منْ مَزَايَا استحق بها أن ينالَ مَا نَالَ.

وخلاصة ذلك: أنه لم يعطني هذه الجنةَ في الدنيا إلا ليعطيني في الآخرة، ما هو أفضلُ منها، قال ذلك طمعاً، وتمنياً على الله، وادعاءً للكرامة عنده تعالى كما مرَّ.

وقرأ ابن الزبير، وزيدُ بن علي، وأبو بحرية، وأبو جعفر، وشيبة، وابن مُحَيْصِنٍ، وحميد، وابن مناذر، ونافع، وابن كثير، وابن عامر، ﴿لأجدَنَّ خَيْراً منهما﴾ بالتثنية وعَوْدِ الضمير على الجنتين، وكذا في مصاحف مكة، والمدينة، والشام، وقرأ الكوفيون، وأبو عمرو ﴿مِّنْهَا﴾ على الإفراد، وعود الضمير على الجنة المدخولة، وكذا في مصاحف الكوفة، والبصرة، ثُمَّ ذكر سبحانه جواب المؤمن له، فقال: ﴿قَالَ لَهُۥ﴾؛ أي: لصاحب الجنتين ﴿صَاحِبُهُۥ﴾؛ أي: أخوه المؤمن، وهو استئناف بياني كما سَبَقَ ﴿وَهُوَ﴾ أي: والحال أَنَّ صَاحِبَهُ المؤمِنَ ﴿يُحَاوِرُهُۥٓ﴾؛ أي: يُجاوب الكافرَ، ويخاطبه بالتوبيخ على شكه في حصول البعث.

قال في «الإرشاد»: وفائدة هذه الجملة الحالية: التنبيه من أَوَّلِ الأمر على أن ما يَتْلُوهُ كلامٌ معتنى بشأنه مسوق للمحاورة، وقرأ أُبَيٌّ: ﴿وهو يخاصمه﴾ وهي قراءة تفسير لا قراءةُ رواية لمخالفته سواد المصحف ذكره في «البحر».

﴿أَكَفَرْتَ﴾ حيث قلتَ: ما أظن الساعة قائِمَةً، فإنه شك في صفات الله وقدرته، وقرأ ثابت البناني، ويلك أكفرت، وهو تفسير معنى التوبيخ والإنكار، لا قراءة ثابتة عن الرسول ﷺ، ﴿بِالَّذِى خَلَقَكَ﴾؛ أي[1]: في ضمْن خَلْقِ أَصْلِك آدم عليه السلام. ﴿مِن تُرَابٍ﴾ فإنَّه متضمن بخلقه منه، إذ هو أنموذج مشتمل إجمالاً

---

(١) روح البيان.

على جميع أفراد الجنس، وهمزة الاستفهام فيه للتقرير والإمكان بمعنى ما كان ينبغي أَنْ تَكْفُر، ولِمَ كفرت بمن أوجدك من تراب أولاً ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾؛ أي: من منيّ في رحم أمك، ثانياً، وهي مادتك القريبة ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ﴾؛ أي: جعَلَكَ مُعْتَدِل الخلق والقامة حال كَوْنِكَ ﴿رَجُلًا﴾؛ أي: إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال، قال في «القاموس» الرَّجُلُ: بضم الجيم وسكونها: معروف، وإنما هو إذا احتلم وشب.

والمعنى: أي[1] قال له صاحبه المؤمنُ واعظاً، وزاجراً عَمَّا هو فيه من الكفر: أَكَفرت بالذي خلقك من التراب، إذ غذاء وَالِدَيك من النبات والحيوان، وغذاء النبات من التراب والماء، وغذاء الحيوان من النبات، ثُمَّ يَصِيرُ هذا الغذاء دماً يتحول بعضه إلى نطفة يكون منها خلْقك بشراً سويّاً على أتم حال وأحكمه بحسب ما تقتضيه الحكمة، فهذا الذي خلقك على هذه الحال قادرٌ على أن يخلُقَكَ مرة أخرى.

والخلاصة: كيف تَجْحَدُون ربَّكم، ودِلاَلَة خلقكم على وُجودِه ظاهرة جَلِيَّة، يعلمها كُلُّ أحد من نفسه، فما من أحد إلاَّ يَعْلَمَ أنه كان معدوماً، ثمَّ وُجد، وليس وجوده من نفسه، ولا مستنداً إلى شيء من المخلوقات؛ لأنها مِثْلُه، وقد أشار إلى ذلك بقوله: ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾؛ أي: لكن أنا لا أقول بمقالتك، بل أعترفُ بالوحدانية والربوبية، وأقولُ: ﴿هُوَ﴾، أي: الشأن ﴿ٱللَّهُ رَبِّي﴾؛ أي: مالكي وخالقي.

أصل ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ لكن[2] أَنَا فحذفت الهمزةُ بِنَقْل حركتها إلى نُون لَكِنَ أو بدون نقل على خلاف القياس، فتلاقت النُّونَان، فكان الإدغام، وأثبت جميع القراء ألفها في الوقف، وحذفوها في الوصل غير ابن عامر، فإنه أثبتها في الوصل أيضاً لتعويضها عن الهمزة أو لإجراء الوصل مجرى الوقف، و﴿هو﴾: ضمير الشأن مبتدأ خبره ﴿ٱللَّهُ رَبِّي﴾، وتلك الجملة خبر (أنا) والعائد منها إِليه ياء الضمير في

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

﴿رَبِّيَ﴾ والاستدراك من قوله: ﴿أَكَفَرْتَ﴾ كأنَّهُ قال لأخيه: أنت كافر بالله لكني مؤمن موحد، فوقع لكن بين جملتين مختلفتين في النفي والإثبات.

وقرأ الكوفيون[1]، وأبو عمرو وابن كثير، ونافع في رواية ورش، وقَالُون ﴿لكن﴾ بتشديد النون بغير ألف في الوصل، وبألف في الوقف، وأصلُهُ، ولكن أنا نقِلَتْ حركة الهمزةِ إِلى نون لكن، وحذفت الهمزة فالتقى مثْلاَن فأدغم أحدهما في الآخر، وقرأ ابنُ عامر، ونافع في رواية المستملى، وزيد بن عليّ، والحسن، والزهري، وأبو بَحريَّة، ويعقوب في رواية، وأبو عمرو في رواية، وكردم، وورش في رواية، وأبو جعفر بإثبات الألف وقفاً، ووصلاً، أما في الوقف، فظاهر، وأما في الوصل فبنو تَمِيمٍ يثبتونَها فيه في الكلام، وغيرهم في الاضطرار، فجاء على لغة بني تميم، وعن أبي جعفر حذف الألف وصلاً ووقفاً، وذلك من رواية الهاشمي، ودل إثباتها في الوصل أيضاً عَلَى أن أصل ذلك: لكن أنا، ويَدلُّ على ذَلِكَ أَيْضاً قراءة فرقة ﴿لكننا﴾ بحذف الهمزة، وتخفيف النونين، وقرأ أبيّ والحسن ﴿لكن أنا هو الله ربي﴾ على الانفصال، وفكه من الإدغام، وتحقيق الهمز، وحكاها ابن عطية عن ابن مسعود، وحكاها الأهوازي عن الحسن.

وقد قرىء[2] ﴿لكن هو الله ربي﴾ و﴿لكن أنا لا إلهَ إلا هو ربي﴾ ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾ فهو المعبود وحده لا شريكَ له، وفيه إيذانٌ بأنَّ كُفْرَهُ كَانَ بطريق الإشراك؛ لأن صاحِبَه لما عجّز الله عن البعث، فقد جعله مساوياً لخلقه في هذا العجز، وإذا أثبت المساواة، فَقَدْ أثبت الشريكَ، ثم زاد في عظة صاحبه، فقال له: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾؛ أي: وَهَلاَّ حينَ دخلت بستانك، فلولا تحضيضية بمعنى هلا ﴿قُلْتَ﴾ عند إعجابك بها ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ما موصولة خبر مبتدأ، محذوف أي الأمر هو الذي شاء الله ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾؛ أي: لاَ قُوَّةَ لأحد على أمر من الأمور إلا بإعانة الله تعالى وإقداره.

---

(١) البحر المحيط.

(٢) البيضاوي.

والمراد بهذا الكلام[1]: تحضيضه على الإعتراف بأن جَنَّتهُ، وما فيها بمشيئة الله تعالى، إن شاء أبقَاهَا على حالها عامرة وإن شاءَ أفناها وجعلها خربةً؛ أي: هلا قلت ذلك اعترافاً بعجزك، وبأن ما تيسر لك من عمارتها، وتدبيرها، إنما هو بمعونته تعالى، وإقداره وفي الحديث «من رأى شيئاً فأعجبَه، فقال: ما شاء الله، لا قُوَّةَ إلا بالله، لم تَضُرُّه العين». وفي الحديث أيضاً «مَن رأى أحداً أُعطي خيراً من أهل أو مالٍ فقال عنده: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.. لم ير فيه مَكْرُوهاً».

والمعنى: أي وهلا[2] إذ أعجبتك جنتك حين دخَلْتَها، ونظرت إليها، حمدت اللَّهَ على مَا أَنْعَمَ به عليك، وأعطاك من المال، والولد مَا لَمْ يعط غيرك، وقلت: الأمر ما شاء الله، والكائن ما قدره الله، لِيكُونَ ذلك منك اعترافاً بالعَجْز، وبأن كل خير بمشيئة الله، وفضله، وهلا قلت لاَ قُوَّةَ إلا بالله إقراراً بأنَّ ما قويت به على عمارتها وتدبيرِ أمرها فإنما هو بمعونة الله وتأييده.

وبعد أَنْ نَصَحَ الكافرَ بالإيمان، وأبانَ له عظيمَ قدرة الله، وكبير سلطانه، أَجَابَهُ عن افتخاره بالمال، والنفس وَرَدَّ على قوله: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ فقال: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا﴾ وخَدَماً في الدنيا أَصْلُه: إن تَرَني، والرؤيَةُ إما بَصَرِيَةُ فـ﴿أقلَّ﴾ حال، وإما علمية فهو مفعول ثان، والأول ياءُ المتكلم المحذوفةُ، وأنا على كلا التقديرين. تأكيد للياء.

وقرأ الجمهور[3]: ﴿أَقَلَّ﴾ بالنصب مفعولاً ثانياً لـ﴿ترن﴾ إن كَانَت، علميةً أو حالاً إن كانت بصريةً، وقرأ عيسى بن عمر، ﴿أقل﴾ بالرفع على أن تكون ﴿أنا﴾ مبتدأ، و﴿أقل﴾ خبره، والجملة في موضع مفعول ﴿تَرَنِ﴾ الثاني: إن كانت علمية، وفي موضع الحال إن كانت بصرية، ويدل قوله: ﴿وَوَلَدٗا﴾ على أن قول صاحبه ﴿وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ عنى به الأولاد إذ قابل كثرة المال بالقلة، وعزة النفر بقلة الولد ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ﴾؛ أي: فلعل ربي ﴿أَن يُؤۡتِيَنِ﴾، أي: أن يعطيني أصله

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) البحر المحيط.

يؤتيني ﴿خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ هذه في الآخرة بسبب إيماني، لأن الجنة الدنيوية فانية، والأخروية باقية، والجملة جواب الشرط ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾؛ أي: على جنتك في الدنيا ﴿حُسْبَانًا﴾؛ أي: عَذَاباً يرميها به ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من برد أو صاعقة أو نار قال في «القاموس» الحسبان: بالضم جمع حساب، والعَذاب، والبلاء، والشَّرُّ، والصَّاعقة، وإنما توقع[1] في حقه العذاب لعلمه بأنَّ الكفرانَ مؤد إلى الخسران، وأن الإعجاب سبب للخراب كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ فكلامه هذا جواب عن قول صاحبه المنكر للبعث: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾. ﴿فَتُصْبِحَ﴾ الإصباح هنا بمعنى الصيرورة؛ أي: فتصير جَنَتك ﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾؛ أي: أَرْضاً ملساء لا نبات فيها، بحيث تزلق الرِجْلُ فيها لكفرك، فـ﴿زَلَقًا﴾ مصدر أريدَ به المفعول مبالغةً؛ أي: فتصبح جنتك بعد إرسال الله عليها حسباناً أرضاً مَلْسَاءَ تزلق فيها الأقدام لملاستها، باستئصال نباتها وأشجارها، وجوز القرطبي أنْ يكُونَ ﴿زلقاً﴾ من زلَق رأسه، إذا حلقه، والمراد: أنه لا يبقى فيها نبات كالرأس المحلوق، فـ﴿زَلَقًا﴾ بمعنى مزلوق أيْضاً ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا﴾؛ أي: ماء جَنَّتِكَ معطوفة على الجملة التي قَبْلَها ﴿غَوْرًا﴾؛ أي: غائراً داخلاً في الأرض ذاهباً فيها، لا تَناله الأيدي، ولا الدلاء، فأطلق هذا المصدر مبالغةً.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿غَوْرًا﴾ بفتح الغين، وقرأ البرجمي ﴿غورا﴾ بضم الغين، وقرأت فرقة بضم الغين، وهمز الواو، ويعنون بواو بعد الهمزة فَيَكُونَ ﴿غؤورا﴾ كما جاء في مصدر غارت عينه ﴿غؤورا﴾ ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ﴾؛ أي: فلن تقدر ﴿لَهُۥ﴾؛ أي: للماء الغَائِر، ﴿طَلَبًا﴾ فضلاً عن وجدانه ورده، قال في «الجلالين»: لا يبقى له أثر تطلبه به؛ أي: لَنْ تَسْتَطِيع طلب الماء الغائر، فضلاً عن وجوده وردّه، ولا تَقْدِرُ عليه بحيلة من الحيل، وقيل[3]: المعنى فلن تستطيع طلَبَ غيره عوضاً عنه.

والمعنى: أي[4] إن ترني أيها الرَّجل أفقر مِنْكَ فإني أرجو اللَّهَ أنْ يقلب

---

(١) روح البيان.
(٢) البحر المحيط.
(٣) الشوكاني.
(٤) المراغي.

الآية، ويجعلَ ما بي بك، ويرْزُقني الغنى، ويرزقني لإيماني جنَّةً خيراً من جنتك، ويَسْلُبك بكفرك نعمته، ويخرِّبَ جَنَّتَك بأن يرسل عليها مَطَراً من السماء، يقلع زُرُوعَها، وأشجارَها، أو يجعلُ ماءها يغور في الأرض، فلن تطِيقَ أَنْ تدركه بَعْدَ غوره بطلَبك إياه.

وخلاصة ذلك: أن المؤمن رجَا هلاك جنة صاحبه الكافر، إما بآفة سماويَّةٍ، أو بآفة أرضيةٍ، وهي غور مائها، وكلتاهما تُتْلف الشجرَ والزرع والكرم، ثُمَّ أخبر سبحانَه بأنه قد حقق ما رجاهُ ذلك المؤمن وتوقعه من إهلاك جنة الكافر فقال: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ قد قدمنا اختلاف القراء في هذا الحرف وتفسيره؛ أي: أهلك ثمرُ بُستانِه بالكلية، وجَمِيع أمواله مأخوذ[1] من أحاط به العدو لأنَّه إذا أحاط به فقد غلبه، واستولى عليه، فيهلكه، فهو معطوف على مقدر، كأنه قيل: فوقع بعض ما توقَّعَه من المحذور، وأهلك أموالَه المعهودةَ التي هي جنتاه وما حوتاه وأحيط بثمره. ﴿فَأَصْبَحَ﴾؛ أي: صَارَ صاحب الجَنَّتَيْنِ ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ ظهراً لبَطْن، ويضْرب إحداهما على الأخرى تأسفاً وتحسراً كَما هُوَ عادة النادمينَ فإن النادم يضرب يديه واحدةً على الأخرى، قال السمرقندي[2] تقليب الْكَفين، وعَض الكف، والأنامل، واليدين، وأكل البنان، وحرق الأسنان ونحوها كنايات عن الندم والحسْرة؛ لأنها من رَوَادفها فتطلق الرَّادفة على المَرْدُوف، فيرتقي الكلام به إلى الذروة العليا، ويزيد الحُسن بقبول السامع. انتهى ولكونه في معنى النَّدَمِ عداه تعديتَه بعلى، كأنَّه قيل: فأصبح يَنْدَم ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ﴾ وصرف ﴿فِيهَآ﴾؛ أي: في عمارتها وإصْلاحها من الأموال، ولعل[3] تخصيص الندم به دون ما هلك الآن من الجنة لما أَنَّه إِنَّما يكون على الأفعال الاختيارية، يقولُ الفقير الظاهر: أن الإِنفاق إنما هو لتملكها، فالتَّحسر على ماله مغن عن التحسر على الجنة؛ لأَنَّهَا بَدَله، وهذا شائع في العرف كما يقول بعض النَّادمين: قد صرفت لهذا كذا، وكذا مالاً، وقد آل أمره إلى الهلاك متحسراً على المال المصروف، وجُملة

---

(١) روح البيان.

(٢) بحر العلوم.

(٣) روح البيان.

قوله: ﴿وَهِيَ﴾، أي الجنة من الأعناب المحفوفة بنَخْل ﴿خَاوِيَةٌ﴾؛ أي: خَالِيَةٌ ساقطة، في محل نصب على الحال، يُقَالُ: خَوَت الدارُ خوياً، إذا تهدمت، وخلت من أهلها؛ أي: ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾؛ أي: على دَعائمها المصنوعة للكروم سقطَتْ عُرُوشُها على الأرض، وسَقَط فوقها الكروم، وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع لكونها العمدة، قيل: أَرْسَلَ الله تعالى عليها ناراً فأحرقتها، وغار ماؤُها، وجملة قوله: ﴿وَيَقُولُ﴾ معطوفة على يقلّبُ، أي: ويقول صاحب الجنة ﴿يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾؛ أي: يقول ذلك الكافر: تأسفاً عَلَى تَلَفِ ماله ﴿يا﴾ قوم أتمنى عَدَمَ إشراكي بالله أحداً من المخلوقات، كَأَنَّهُ تذكر موعظة أخيه، وعَلِمَ أنه إنما هلكت جنته بشؤم شركه، فتمنى أن لاَ يَكُون مُشْرِكاً، فلم يصبه ما أصابه حين لا ينفعُهُ التَّمني، ولَمَّا[1] كانت رغبته في الإيمان لطلبَ الدنيا لم يكن قوله هذا توْبة وتوحيداً؛ لخلوه عن الإخلاص.

والمعنى[2]: أي وأحاطت الجوائح بثمار جنته التي كَانَ يقول فيها: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾، فأصبح يقلب كفَّيه نَدماً، وأسفاً على ضياع نفقته الَّتِي أنفقها في عَمَارَتِهَا حين رآها ساقطة على عروشها، ويتمنى أن لم يكن قد أشرك بربه أحداً.

والخلاصة: أنه لما أَنْفَقَ عمره في تحصيل الدنيا، وَأَعْرَضَ عن الدين، ثُمَّ ضاعت منه الدنيا حُرِمَ الدين والدنيا معاً، ومن ثَمَّ عظمت حَسْرتُه، وقال: ﴿ليتني لم أشرك بربي أحدا﴾ ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ﴾، أي: لذلك الكافر ﴿فِئَةٌ﴾؛ أي: جماعة ﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾؛ أي: يَقْدِرُون على نصره بدفع الهلاك، أو على رد المهلَك والإتيان بمثله ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى فإنه وحده القادر على نَصْرِه بذلك لا غير، لكنه لاَ يَنْصُرهُ لاستحقاقه الخذلان بكفره ومعاصيه، ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾؛ أي: مُمْتَنِعاً بقوته عن انتقامه سبحانه.

والمعنى: أي وَلَم تكن له عَشِيرة ممن افتخر بهم واستعز ينصرونه،

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

ويقدرون على دَفْع الجوائح عنه، أو ردِّ المهلَك له من دون الله تعالى، فإنَّ اللَّهَ هُوَ الذي يقدر وحده على نصره، وما كان منتصراً بقوته عن انتقام الله منه بإهلاك جنته.

وخلاصته: أنه لا يقدر على نصره إلا الله، ولا ينصره غيره، من عشيرةٍ وولدٍ، وخدمٍ وحشمٍ، وأعوانٍ كما لا يَقْدِرُ أن ينتصرَ لنفسه.

وقرأ الأخوان[1] - حمزة والكسائي - ومجاهد، وابن وثاب، والأعمش، وطلحة، وأيوب، وخلف، وأبو عبيد، وابن سعدان، وابن عيسى الأصبهاني، وابن جرير: ﴿ولم يكن﴾ بالياء، لأنَّ تأنيث الفئة مجاز، وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، والحسن، وأبو جعفر، وشيبة ﴿ولم تكن﴾ بالتاء، وقرأ ابن أبي عبلة ﴿فئة تنصره﴾ على اللفظ.

﴿هُنَالِكَ﴾ أي: في مثل ذلك الوقت، وفي تلك الحال، وفي مثل ذلك المقام ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾؛ أي: النصرة ﴿لِلَّهِ﴾ سبحانه وتعالى وحده، ولا يقدر عليها أحد ﴿ٱلْحَقِّ﴾، أي: الثَّابت الوجود، أزلاً، وأبداً، وهو تقرير لقوله: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

والمعنى: أي في مثل تلك الشدائد والمحن، النصرةُ لله وحده، لاَ يَقْدِرُ عليها غيرُهُ، أو المعنى[2] ينصر في مثل تلك الأحوال أولياءَهُ المؤمنين على الكَفَرة، وينتقم لهم، كما نصر بما فعل بالكَافر أخاه المؤمن، وحقق ظنه وترك عدوه مَخْذُولاً مَقْهوراً، ويؤيِّدُ هذا المعنى قوله: ﴿هُوَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿خَيْرٌ ثَوَابًا﴾؛ أي[3]: إثابة في الآخرة لِمَن آمَنَ به، والتجأ إليه ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾؛ أي: عاقبة في الدنيا لمن رَجاهُ، وعَمِلَ لِوَجْهِهِ، وقيل: المعنى: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾؛ أي[4]: أفضل جَزاءً لأهل طاعته، لَوْ كَانَ غيره يثيب ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾؛ أي: عاقبةُ طاعتِه، خير من عاقِبَةِ طاعَةِ غيره، فهو خير إثابةً وعاقبةً.

---

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

(٣) المراح.

(٤) الخازن.

وقرأ ابن كثير[1]، ونافع، وابن عامر، وعاصم ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ بفتح الواو بمعنى المُوالاة والصلة، وقرأ حمزة، والكسائي، والأعمش، وابن وثاب، وشيبة، وابن غزوان، عن طلحة، وخَلَفُ وابن سعدان، وابن عيسى الأصبهاني، وابن جرير، ﴿الولاية﴾ بكسر الواو، وهي بمعنى الرئَاسَةُ والرعاية، وقَرأَ النحويان: أبو عمرو، والكسائي، وحميد، والأعمش، وابن أبي ليلى، وابن مناذر، واليزيدي، وابن عيسى الأصبهانيُّ ﴿الحَقُّ﴾ برفع القاف، صفة للولايةِ، وقرأ باقي السبعة بخفضها وَصْفاً لله تعالى، وقرأ أُبيٌّ ﴿هنالك الولاية الحق لله﴾ بِرفع الحقّ صفة لـ﴿الولاية﴾ وتقديمها على قوله ﴿لِلَّهِ﴾، وقرأ أبو حيوة، وزيد بن علي، وعمرو بن عبيد، وابن أبي عبلة، وأبو السمال، ويعقوب عن عصمة، عن أبي عمرو ﴿لله الحقَّ﴾ بنصب الحق قال الزمخشري على التأكيد «والمدح».

قال أبو علي[2]: مَنْ كسر قافَ ﴿الحقَّ﴾ جعله مِنْ وصف الله عز وجل، ومَنْ رفعه جَعَلَه صفة لـ﴿الولاية﴾ فَإن قيل: لم نُعِتَ الولاية، وهي مؤنثة بالحق، وهو مصدر؟ فعنه جوابان: ذكَرَهما ابن الأنباري:

أحدهما: أنَّ تأنيثها ليس حقيقياً، فحملت على معنى النصر، والتقدير: هنالك النصر لله الحق، كما حملت الصيحة على معنى الصّيَاح في قوله: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾.

والثاني: أن الحقَّ مَصْدَرٌ يستوي في لفظه المذكر والمؤنث، والاثنان والجمع، فيقال: قولك حق، وكلمتك حق، وأقوالُكم حَقٌّ، ويجوز ارتفاع الحق على المدح للولاية، وعلى المدح لله تعالى بإضمار هو.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائِي ﴿عُقُبًا﴾ بضم القاف، والتنوين، وقرأ عاصم، وحمزة، والحسن، والأعمش، ﴿عقبا﴾ بسكون القاف، والتنوين، وعن عاصم ﴿عقبى﴾ بألف التأنيث المقصورة على وزن رجعى. قال أبو علي: ما كان على ﴿فُعُل﴾ جَازَ تَخْفِيفه بسكون عينه، كالعُنُق

---

(١) البحر المحيط. (٢) زاد المسير.

والطُّنُب. قال أبو عبيدة: العقُب، والعقْبُ، والعقْبَى والعاقبة بمعنىً، وهي الآخرة، والمعنى: عاقبة طاعة الله خير من عاقبة طاعة غيره.

وبعد أن ضرب المثل لِدُنْيَا هؤلاء الكافرين التِي أبطرتهم وكانت سبب شقائهم، وهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً، ضرب مثلاً لدار الدنيا عامَّةً في سرعة فنائها، وعدمِ دَوام نعميها. فقال: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم﴾؛ أي: واذكر يا محمد لِقَوْمِكَ وَبيّنْ لهم ﴿مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: صفتها العجيبة في فنائها، وبيِّن لهم ما يشبهها في زهرتها، ونَضَارتِها، وسرعة زوالها؛ لئلا يطمئنوا إلَيْهَا ولا يعكفوا عليها، ولا يعرضوا عن الآخرة بالكُلِيّةِ، وقوله: ﴿كَمَآءٍ﴾ استئناف[1] لبيان المثل؛ أي: هي كماء ﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء وحده، بل بمجموع ما في حيز الأداة؛ أي: صفتها، وحالها وهيئتها كصفة، وحال وهيئة ماءٍ أنزلناه من السحاب ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾؛ أي: بذلك الماءِ؛ أي: التف وتكاثَف، وتراكم بسبب ذلك الماءِ ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ أشجارها، وزُرُوعها، وحشيشها، حتى خالط بعضه بعضاً، وصار في المنظر في غاية الحسن والنضارة ﴿فَأَصْبَحَ﴾ ذلك النبات؛ أي: فَصَارَ ذلك النبات الملتف إثر بهجته، ونَضَارته ﴿هَشِيمًا﴾؛ أي: مهشوماً مكسوراً لِيُبْسه، من الهشم، وهو: كسر الشيء الرخو ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾؛ أي: تَحْمِله، وتفرقه، وتطيِّره وتُذهبه وتُعدمه، يقال: ذرت الريح الشيءَ، وأذرته، وذرته أطارته وأذهبته، وذَرَا هو بنفسه، ويقال: ذرى الحنطة: إذا نقّاها في الريح كما في «القاموس»، وهذه الآية مُخْتَصِرة من قوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ﴾ الآية.

شبه الدنيا في نضرتها ثم صيرورتها إلى الزوال بحال نبات أخضرَّ والتف، وأَزْهَرَ، ثمَّ صار هَشِيماً متفتتاً تنثره الرياح ذات اليمين وذاتَ الشمال، ومن ثمَّ ينبغي أن لا يغترن أهلها بها، ولا يفخرن ذوو الأموال الكثيرة بأموالهم، ولا يستكبرن بها على غيرهم، فإنَّما هي ظلٌّ زائلٌ، وضَيْفٌ راحل، وفي الحديث

---

(١) روح البيان.

«الدنيا كسوق قام ثمَّ أنفض».

وقرأ ابن مسعود، وأبي وابن عباس، وابن أبي عبلة[١]: ﴿تذريه﴾ بضم التاء وكسر الراء، بَعْدَهَا ياءُ ساكنة، وهاء مكسورة من أذرى الرباعيّ إلا أنَّ ابْنَ مسعود فتح التاء، وقرأ[٢] زيد بن علي، والحسن، والنخعي، والأعمش، وطلحة، وابن أبي ليلى، وابن محيصن، وخلف، وابن عيسى، وابن جرير ﴿الريح﴾ على الإفراد، وقرأ الجمهور ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ﴾ بالجمع ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ سبحانه ذو الكمال والجلال ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ شاءه من الإنشاء والإبقاء، والإفناء ﴿مُّقۡتَدِرًا﴾؛ أي: قَادِراً لا يعجزه شيء، والمقتدر مفتعل من قدرت؛ أي: وكان[٣] الله ذُو الْجَلاَل والجمال قادراً على كل شيءٍ إِنْشَاءً وفناءً وإعادة فهو يُوجد الأشياءَ، ثم ينميها ثم يفنيها، وما حال الدنيا إلا هذه الحال، فهي تَظْهر أوَّلاً ناضرةً ظاهرةً، ثمَّ تتزايد قَلِيلاً قَلِيلاً، ثمَّ تأخذ في الانحطاط إلى أن تصير إلى الهلاك، والفناء، فلا ينبغي للعاقل أن يَبْتَهِجَ بما يحوزه منها، أو يفخر به، أو يصعِّر خَدّه استكباراً، ثم بين سبحانه ما كانوا يفتخرون به من محسنات الدنيا، إِثْر بيان حالها بما مَرَّ من المثل، فقال: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ﴾ اللذان يفتخر بهما الناس، لا سِيَّمَا رُؤساءُ العرب وأغنياؤهم، ﴿زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾؛ أي: شيءٌ يتزينون به في الحياة الدنيا، ويفنى عنهم عن قريب، وليسا من زاد الآخرة، فيقبح بالعاقل أن يفتخر بهما، والزِّينَةُ[٤] مصدر في الأصل، أطلق على المفعول مبالغةً، كأنهما نَفَسُ الزينة، وقدم[٥] المال على البنين مع كونهم أعزَّ منه لدى جميع الناس من قِبَلِ أَنَّ الزينَةَ به أتمّ، ولأنه يَمُدُّ الآباءَ والأبناءَ في كل حين، ولأنه مناط ببقاء النفس والأولاد، وبذا يبقى النوع الإنساني، ولأنَّ الْحَاجَةَ إلَيه أمس من الحاجة إليهم، ولأنه زينة بدونهم، دُونَ العكس، فَإِنَّ من له بنون ولا مَالَ له، فهو في بؤس وشقاء.

---

(١) زاد المسير.
(٢) البحر المحيط.
(٣) المراغي.
(٤) روح البيان.
(٥) المراغي.

روي عن علي ـ رضي الله عنه ـ: المال والبنون حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة، وقد جمعهما الله لأقوام. وهذا[1] رد على الأغنياء والرؤساء الذين يفتخرونَ بالمال والغنى والأبناء، فأخبرهم سبحانه أَنَّ ذلك مما يتزين به في الدنيا، لا مما ينفعُ في الآخرة، كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ﴾ وقال أيضاً: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْۚ﴾، ولهذا عَقَّبَ هذه الزينةَ الدنيويةَ بقوله: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾؛ أي: والأعمالُ الصالحة التي تَبقَى ثمراتُها أبدَ الآباد من الصلاة، والصوم، والزكاة، وأعمال الحج، والجهاد في سبيل الله، ومساعدة البائِسِين وَذَوِي الحاجات، وسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ونحو ذلك من الكلم الطيب، ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾ في الآخرة من الفانيات الفاسدات، من المال والبنين؛ أي: أفضل لصاحبها من هذه الزينة بالمال والبنين في الآخرة. ﴿ثَوَابًا﴾ وجزاء، وأكثر عائدة ومنفعة لأهلها ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾؛ أي: رجاء[2] حيث ينال بها صاحبها في الآخرة كلَّ ما كان يؤمله في الدنيا، وأما ما مر من المال والبنين: فليس لصاحبه أَمَل يناله. يعني أن[3] هذه الأعمالَ الصَّالِحَةَ لأهلها من الأمل أفضل مما يؤمله أهل المال والبنين، لأنهم ينالون بها في الآخرة أفضلَ مِمَّا كان يؤمله هؤلاء الأغنياء في الدنيا، وليس في زينة الدنيا خير حتى تفضل عليها الآخرةُ، ولكن هذا التفضيل خَرَجَ مخرج قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ والظاهر أنَّ الْبَاقِيَاتِ الصالحات كلُّ عمل خير، فلا وَجْهَ لقصرها على الصلاة، كما قالَهُ بعضٌ، ولا لِقصْرِها على نوع من أنواع الذكر كما قاله بعضٌ آخر، ولا على ما كان يفعله فقراء المهاجرين باعتبار السبب، لأن العبرةَ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وبهذا تعرف أن تَفْسِيرَ الباقياتِ الصالحات في الأحاديث الآتيةِ ببعض الأعمال الصالحةِ بِخُصُوصِهَا لا ينافي إطلاقَ هذا اللفظ على ما هو عمل صالح من غيرهَا.

وأخرج سعيد بن منصور، وأحمد، وابن جرير، وابن مردويه، والحاكم، وصححه عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال:

---

(١) الشوكاني. (٢) روح البيان. (٣) الشوكاني.

«استكثروا من الباقيات الصالحات، قيل: وما هي يا رسول الله؟: قال: التكبير، والتهليل، والتسبيح، والتحميد، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

وأخرج الطبراني وابن مردويه، عن أبي الدرداء قال: قال رسولُ الله ﷺ: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله، هن الباقيات الصالحات، وهُنَّ يَحْطُطْنَ الخطايَا كما تحط الشجرة ورقَها، وهن من كنوز الجنة».

وأخرج النسائي والطبراني والبيهقي، عن أبي هريرة مرفوعاً «خذوا جُنَّتَكم قيل: يا رسول الله من أي عَدُوّ قد حضر؟ قال: بل جنتكم من النار، قولُ: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة مقدمات، معقبات، ومجنِبات، وهي الباقيات الصالحات».

ولما ذكر الله سبحانه وتعالى ما يَؤُول إليه حال الدنيا من النفاد، أَعْقَبَ ذَلِكَ بأوائل أحوال يوم القيامة فقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾، وقرأ[1] نافع، وحمزة، والكسائي، والأعرج، وشيبة، وعاصم، وابن مصرف، وأبو عبد الرحمٰن، ﴿نُسَيِّرُ﴾ بنون العظمة ﴿ٱلْجِبَالَ﴾ بالنصب، وقرأ ابن عامر، وابن كثير، وأبو عمرو، والحسن، وشبل، وقتادة، وعيسى، والزهري وحميد، وطلحة، واليزيدي، والزبيري، عن رجاله، عن يعقوب ﴿تسير﴾ بضم التاء وفتح الياء المشددة مبنياً للمفعول، ﴿الجبال﴾ بالرفع، وعن الحسن كذلك إلاَّ أنه بضم الياء المثناة من تحتها، وقرأ ابن محصين، ومحبوب عن أبي عمرو ﴿ويوم تسير الجبال﴾ من سار الثلاثي، وقرأ أُبي ﴿ويوم سيرت الجبال﴾ بصيغة الماضي المبني للمجهول.

أي: واذكر يا محمد لأمتك قصة يوم نسير الجبال، ونقلعها، ونزيلها من أَمَاكِنِها، وتسير في الجو على هيآتها كما تسير السحاب، أو تسير أجزاؤها بعد أن نجعلها هباء منبثاً، والمراد بتذكيره: تحذير المشركين، مما فيه من الدواهي ﴿وَتَرَى﴾ يا محمد أو يا كلَّ من يصلح للرؤية ﴿ٱلْأَرْضَ﴾؛ أي جميع جوانبها حالة كونها ﴿بَارِزَةً﴾؛ أي: ظاهرة منكشفة ليس عليها ما يسترها من جبل ولا شجر ولا

---

(١) البحر المحيط.

نبات ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾؛ أي: والحال أنا قد جمعنا الخلائِقَ من الأولين والآخرينَ من كل جانب إلى الموقف. ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾؛ أي: لَمْ نترك ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ تحت الأرض إلا وقَدْ جمعناهم لذلك اليوم، يقال: غَادَرَه، وأغدره إذا تركه ومنه الغدر الذي هو ترك الوفاء، ومنه: الغدير، وهو ماءٌ غَادرَهُ السيل، وتَرَكَه في الأرض الغائرة، أي: المنخفضة.

وقال الزمخشري: فإنْ قلت[1]: لِمَ جيء بـ﴿حشرناهم﴾ ماضياً بعد ﴿نسير﴾ و﴿ترى﴾؟

قلت: للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروزِ ليعاينوا تِلْكَ الأهوال والعظائم، كأنه قيل: وحشرناهم قبلَ ذلك انتهى. والأولى أن تَكُون (الواو) واو الحال، لا واو العطف، والمعنى: وقد حشرناهم؛ أي: يوقع التسيير في حالة حشرهم، وقيل: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾، ﴿وَعُرِضُوا۟﴾، ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ مما وضع فيه الماضي موضعَ المستقبل لتحقيق وقوعه.

وقرأ عمرو بن العاص وابن السميفع وأبو العالية[2]: ﴿وتُرى الأَرْضُ بارزة﴾ بضم التاء، والضاد، وقرأ أبو رجاء العطاردي، كذلك إلا أنه فتح ضَادَ الأرض.

وقرأ الجمهور[3]: ﴿نُغَادِرْ﴾ بنون العظمة وقتادة ﴿تُغادَرُ﴾ على الإسناد إلى القدرة أو الأرض، وقرأ أبان بن يزيد عن عاصم كذلك، أو بفتح الدال وبالياء مبنياً للمفعول و﴿أحد﴾ بالرفع، وعصمة كذلك، والضحاك ﴿نغدر﴾ بضم النون، وإسكان الغين، وكسر الدال.

﴿وَعُرِضُوا۟﴾؛ أي: الخلائق يوم القيامة يعني المحشورين ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ كعرض الجند على السلطان ليُقْضى بينهم حالة كونهم ﴿صَفًّا﴾؛ أي: مصفوفينَ كل أمة وزمرة صف.

والمعنى[4]: صفوفاً يقف بعضهم وراء بعض، غير متفرقين، ولا مُخْتَلِطينَ،

---

(١) البحر المحيط.
(٢) زاد المسير.
(٣) البحر المحيط.
(٤) روح البيان.

شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان، لِيَحْكُمَ فيهم بما أراد، لا ليعرفهم، مقولاً لهم وعزتي وجلالي ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ أيها العباد حَالَةَ كونكم كائنين ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ خلقا ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حفاة عراة غرلاً، بلا أموال، وأعوان، وبنينَ كما ورد في الحديث، وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قلت: يا رسول الله كيف يحشر الناس يوم القيامة؟ قال: «عراة حفاة» قلتُ: والنّساء؟ قال: «نعم» قلت: يا رسول الله نستحي؟ قال: «يا عائشة، الأمر أشد من ذلك، لَنْ يهممهم أن ينظر بعضهم إلى بعض» وقوله: ﴿بل زعمتم﴾ إضراب وانتقال من كلام إلى كلام آخر للتقريع، والتوبيخ، وهو خطاب لمنكري البعث؛ أي: بل زعمتم، وقلتم أيها المشركون المنكرون للبعث، والزعم الادعاء بالكذب، ﴿أَنَّ﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: بل زعمتم في الدنيا أنه ﴿أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم﴾ في الآخرة أبداً ﴿مَّوْعِدًا﴾؛ أي: وقتاً ننجز فيه ما وعدناه لكم على ألسنة الأنبياء من البعث والمحاسبة، والمجازاة خيراً أو شرّاً.

والحاصل: أنه سبحانه وتعالى ذكر في هذه الآيات من أحوال يوم القيامة أُموراً:

١ ـ ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾؛ أي: واذكر أيها الرسول قِصَّة يوم نقلع الجبال من أماكنها، ونسيرها في الجو كالسحاب، ونجعلها هباء منثوراً كما قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾؛ أي: تذهب الجبال، وتتساوى المهاد، وتبقى الأرض سطحاً مُسْتَوِياً لا عوج فيه، ولا وادي، ولا جبل، وقال: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ وقال: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾.

٢ ـ ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾؛ أي: وترى أيها الرائي جميع جوانب الأرض بادية ظاهرة إذ لم يبق على وجهها شيء من العمائر ولا شيء من الجبال، ولا شيء من الأشجار، فليس عليها ما يسترها، فيكون جميع الخلائق ضاحين لربهم، لا تخفى عليه خافية من أمرهم، وهذا هو المراد من قوله: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾.

٣ ـ ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾؛ أي: وجمعنا الأولين والآخرين للحساب بعد أن أقمناهم من قبورهم، فلم نترك منهم أحداً لا صغيراً، ولا كبيراً، كما قال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ وقال: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾.

ولما ذكر سبحانه حشرَ الخلق.. بيَّن كيفية عَرْضِهِمْ عَلَى ربهم فقال:

٤ ـ ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾؛ أي: يعرض الخلق كلهم على الله صَفّاً واحداً، كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ ويقال لهم على طريق التوبيخ والتقريع: لقد جئتمونا أيها الناس، أحياء كهيئتكم حين خَلَقْنَاكُم أَوَّل مرة فرادى، حفاةً، عراةً، لا شيء معكم من المال، والولد، ونحو الآية قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ وفي هذا زجر لأولئك المشركين المنكرين للبعث، الذين يفخرون في الدنيا على الفقراء من المؤمنين بالأموال والأنصار.

أخرج ابن المنذر عن معاذ بن جبل: أن النبي ﷺ قال: «إن الله ينادي يوم القيامة: يا عبادي أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين، وأسرع الحاسبين، أحضروا حجتكم، ويسروا جَوَابَكم فإنكم مسؤولون مُحَاسَبُون، يَا ملائكتي أقيموا عبادي صفوفاً على أطراف أَنَامِلِ أقدامهم للحساب».

وفي الحديث الصحيح: «يجمع الله تعالى الأولينْ والآخرين في صعيد واحد صفوفاً يسمعهم الداعي وينفذهم البصر...» والحديث له بقية.

٥ ـ ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ معطوف على «عرضوا» والمراد[1] بالكتاب، صحائف الأعمال، وأفرده لكون التعريف فيه للجنس، والوضع: إما حسي بأن توضع صحيفة كل واحد في يده، السعيد في يمينه، والشقي في شماله، أو في الميزان، وإما عقلي، أي: أظهر عمل كل واحد من خير أو شر بالحساب الكائن في ذلك اليوم، وقرأ زيد بن علي ﴿ووضع﴾ مبنياً للفاعل ﴿الكتاب﴾ بالنصب، والفاعل

---

(١) الشوكاني.

الله أو الملك، أي: وُضع[1] في هذا اليوم الرهيب، كتاب كل إنسان في يده اليمنى، إن كَانَ مؤمناً، وفي يده اليسرى إن كان كافراً، فَقد تطايرت الكتب إلى أيدي الخلائق مثل الثلج ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: المشركين والْمُنَافِقِينَ ﴿مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾؛ أي: خَائِفِينَ مما في الكتاب من أعمالهم الخبيثة؛ أي: يحصل لهم خوف العقاب من الله بذنوبهم، وخوف الفضيحة عند الخلق بظهور الجرائم لأهل الموقف، ﴿وَيَقُولُونَ﴾؛ أي: ويقول المجرمون عند وقوفهم على ما في الكتاب من السيئات، نقيراً، وقطميراً، تعجباً من شأنه ﴿يَٰوَيْلَتَنَا﴾؛ أي: يا هلكتنا احضري وتعالَي فهذا أوانك، يدعون على أنفسهم بالويل، لوقوعهم في الهلاك[2]، منادينَ لهلكتهم التي هلكوا بها من بين الهلكات، مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا هول ما لاقوه، فإن الويلَ والويلةَ الهلكة.

﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال البقاعي[3]: رَسْمُ لام الجر وحده إشارةٌ إلى أنهم صاروا من قوة الرعب، وشدة الكرب، يقفون على بعض الكلمة؛ أي: أي شيء لِهَذَا الكتاب حالَةَ كونه ﴿لَا يُغَادِرُ﴾، ولا يترك ﴿صَغِيرَةً﴾ من السيئات ﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾ مِنَ الذنوب تصدر عن جانيها، وقدَّم الصغيرةَ اهتماماً بها، وإذا أُحْصِيت فَالْكبيرة أحرى. ﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾؛ أي: إلاَّ عدها، وضبطها، وحواها، وأثبتها، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ الصَّغِيرةُ التبسم، والكبيرة القهقهة، وعن سعيد بن جبير: الصغيرة: المسيس، والكبيرة الزنا؛ وهذا[4] الإحصاء لا يعارض قوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ...﴾ الآية، إذ لا يلزم من العد عدم التكفير، إذ يجوز أن تُكتب الكبائر لِيُشَاهِدَهَا العبد يوم القيامة، ثُمَّ تُكَفَّرُ عنه، فَيَعْلَمُ قدر نعمة العفو عليه اهـ كرخي.

﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟﴾ في الدنيا من المعاصي الموجبة للعقوبة، أو وجدوا جَزاءَ ما عملوا ﴿حَاضِرًا﴾، أي مكتوباً مثبتاً في كتابهم، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ من خلقه، فلا ينقص من حسنات أحد أجره الذي يستحقه، ولا يزيد على سيئات

---

(١) المراح.
(٢) روح البيان.
(٣) روح البيان.
(٤) الفتوحات.

أحد، فَيَكْتُبُ ما لم يعمل من السيئات، أو يزيد في عقابه الملائم لعمله، فيكون إظهاراً لمعدلة القَلَمِ الأزلي. بل يعفو[1] ويصفح، ويغفر ويرحم، ويعذب من يشاء بحكمته وعدله، فإنه سبحانه وَعَدَ بإثابة المطيع، وتعذيب العاصي بمقدار جرمه من غير زيادة، وإنه قد يغفر له ما سوى الكفر، ومن ثم لا يعذب أحداً بما لم يعمله، ولا ينقص ثواب ما عَمِلَه مما أمر به وارتضاه، ولا يزيد في عقابه الملائم لعمله الذي نهى عنه، ولم يرتضه.

ونحو الآية قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ وقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

وخلاصة ذلك: أن الجزاءَ نتيجة العمل، والعمل مرسوم في قوالب حافظة له، فليس يمكن رفعه، ولا دفعه، ولا يكون الجزاء عليه ظُلْماً، كما لا تعد التخمة بعد الأكل الكثير ظلماً، ولا المرض بعد الشرب من الماءِ الآسن المملوء بالجراثيم والأدران ظُلْماً، وإنما تلك مسببات لأسباب كُلُّ عاقل يعلم أَنَّها نتيجة حتمية لها.

الإعراب

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾.

﴿وَٱضْرِبْ﴾ (الواو): استئنافية، ﴿اضرب﴾: فعل أمر وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة ﴿لَهُمْ﴾: متعلق بـ﴿اضرب﴾ ﴿مَّثَلًا﴾: مفعول ثان لـ﴿اضرب﴾ لأنه بمعنى اجعل ﴿رَّجُلَيْنِ﴾: مفعول أول له؛ أي: واجعل رجلين مثلاً، وشبها لهم، وفي «روح البيان» ﴿مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ مفعولان لـ﴿اضرب﴾ أولهما ثانيهما، لأنه المحتاج إلى التفصيل والبيان اهـ ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل وفاعل ﴿لِأَحَدِهِمَا﴾: مفعول ثان لـ﴿جَعَلْنَا﴾ ﴿جَنَّتَيْنِ﴾: مفعول أول له ﴿مِنْ أَعْنَٰبٍ﴾: صفة لـ﴿جَنَّتَيْنِ﴾،

---

(١) المراغي.

والجملة الفعلية في محل النصب صفة لـ﴿رَجُلَيۡنِ﴾ ولكنها سببية، ﴿وَحَفَفۡنَٰهُمَا﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿جَعَلۡنَا﴾ ﴿بِنَخۡلٖ﴾: متعلق بـ﴿حففنا﴾ ﴿وَجَعَلۡنَا﴾: فعل وفاعل ﴿بَيۡنَهُمَا﴾: ظرف في محل المفعول الثاني لـ﴿جَعَلۡنَا﴾ ﴿زَرۡعٗا﴾: مفعول أول له، والجملة معطوفة على جملة ﴿جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا﴾.

﴿كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾﴾.

﴿كِلۡتَا﴾: مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين؛ لأنه اسم مقصور ﴿ٱلۡجَنَّتَيۡنِ﴾: مضاف إليه ﴿ءَاتَتۡ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ﴿كِلۡتَا﴾ ﴿أُكُلَهَا﴾: مفعول ثان لـ﴿ءَاتَتۡ﴾، والأول محذوف تقديره: آتته أكلها؛ لأن ﴿آتى﴾ هنا بمعنى أعطى، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ وقد روعيَ لفظ ﴿كِلۡتَا﴾ فأتى الخبرُ مفرداً، وروعيت التثنية المعنوية في قوله: ﴿وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا﴾، والجملة الاسمية في محل النصب صفة لـ﴿جَنَّتَيۡنِ﴾ في قوله: ﴿جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ﴾ أو مستأنفة، استئنافاً بيانياً، ﴿وَلَمۡ تَظۡلِم﴾: جازم ومجزوم، وفاعله ضمير يعود على ﴿كِلۡتَا﴾ ﴿مِّنۡهُ﴾: حال من ﴿شَيۡـٔٗا﴾، لأنه صفة نكرة قدمت عليها ﴿شَيۡـٔٗا﴾: مفعول به لـ﴿تَظۡلِم﴾، أو مفعول مطلق، والجملة الفعلية في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿ءَاتَتۡ﴾ ﴿وَفَجَّرۡنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿ءَاتَتۡ﴾ ﴿خِلَٰلَهُمَا﴾: منصوب على الظرفية المكانية متعلق بـ﴿فجرنا﴾ ﴿نَهَرٗا﴾: مفعول به، ﴿وَكَانَ﴾: الواو: عاطفة ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص ﴿لَهُۥ﴾: خبرها مقدم ﴿ثَمَرٞ﴾: اسمها مؤخر، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ﴾. ﴿فَقَالَ﴾: (الفاء): عاطفة ﴿قال﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على صاحب الجنتين ﴿لِصَٰحِبِهِۦ﴾ متعلق بـ﴿قال﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿كَانَ﴾ ﴿وَهُوَ﴾: (الواو) حالية ﴿هو﴾ مبتدأ، وجملة ﴿يُحَاوِرُهُۥٓ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل النصب حال من فاعل قال ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ﴾: مبتدأ وخبر ﴿مِنكَ﴾: متعلق بـ﴿أَكۡثَرُ﴾ ﴿مَالٗا﴾: تمييز محول عن المبتدأ منصوب باسم التفضيل، ﴿وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾: معطوف على ﴿أَكۡثَرُ مَالٗا﴾، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قال﴾.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾.

﴿وَدَخَلَ﴾: (الواو) عاطفة ﴿دخل﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على صاحب الجنتين ﴿جَنَّتَهُۥ﴾: مفعول به على السعة، والجملة معطوفة على جملة قوله ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾، ﴿وَهُوَ﴾: (الواو) حالية ﴿هو ظالم﴾: مبتدأ وخبر ﴿لِّنَفْسِهِۦ﴾: (اللام) زائدة لـ﴿نفسه﴾ مفعول به لـ﴿ظَالِمٌ﴾، والجملة الاسمية في محل النصب حال من فاعل، ﴿دخل﴾: ﴿قَالَ﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على صاحب الجنة، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان سبب الظلم، وهو الأحسن، ويجوز أن تكون حالاً من الضمير في ﴿ظَالِمٌ﴾؛ أي: وهو ظالم في حال كونه قَائِلاً كذا في «الجمل». ﴿مَآ﴾ نافية ﴿أَظُنُّ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الداخل، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ﴾: ناصب وفعل وفاعل ﴿أَبَدًا﴾: ظرف زمان متعلق بـ﴿تَبِيدَ﴾، والجملة الفعلية في تأويل مصدر سَادّ مسد مفعولي ﴿أَظُنُّ﴾ تقديره: ما أظن بَيْدَ هذه الجنة وهلاكها أبداً.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾.

﴿وَمَآ﴾ (الواو): عاطفة ﴿ما﴾ نافية ﴿أَظُنُّ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الداخل، والجملة معطوفة على جملة قوله ﴿مَآ أَظُنُّ﴾ ﴿ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾: مفعولان لـ﴿أَظُنُّ﴾ ﴿وَلَئِن﴾: (الواو) عاطفة، و(اللام) موطئة للقسم ﴿إن﴾ حرف شرط ﴿رُّدِدتُّ﴾: فعل ونائب فاعل في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه فِعْل شرط لها، ﴿إِلَىٰ رَبِّى﴾: متعلق به ﴿لَأَجِدَنَّ﴾: (اللام) واقعة في جواب القسم مؤكدة للأولى ﴿أجدن﴾ فعل مضارع في محل الرفع، لتجرده عن الناصب والجازم، مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله ضمير يعود على الداخل ﴿خَيْرًا﴾: مفعول به لأنه من وجد بمعنى أصاب ﴿مِّنْهَا﴾: متعلق بـ﴿خَيْرًا﴾ ﴿مُنقَلَبًا﴾: تمييز لـ﴿خَيْرًا﴾ منصوب به، والجملة الفعلية جوابُ القَسَمِ لاَ مَحَلَّ لها من الإعراب، وجملة القسم مع جوابه في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿مَآ أَظُنُّ﴾ على كَوْنِهَا مقول ﴿قَالَ﴾، وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم كما هي القاعدة على حَدّ قول ابن مالك:

وَٱحْذِفْ لَدَىٰ ٱجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمْ   جَوَابَ مَا أَخَّرْتَ فَهُوَ مُلْتَزَمْ

التقدير: إن رددت إلى ربي أجد خيراً منها منقلباً، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية معترضة بين القسم وجوابه.

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض ﴿لَهُۥ﴾: متعلق به ﴿صَاحِبُهُۥ﴾: فاعل، والجملة مستأنفة، ﴿وَهُوَ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿يُحَاوِرُهُۥٓ﴾: خبره والجملة الاسمية في محل النصب حال من صاحبه، ﴿أَكَفَرْتَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿أَكَفَرْتَ﴾: (الهمزة) للاستفهام التوبيخي ﴿كفرت﴾ فعل وفاعل ﴿بِٱلَّذِى﴾: متعلق به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿خَلَقَكَ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الموصول، ﴿مِن تُرَابٍ﴾: متعلق به، والجملة صلة الموصول ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وتراخ ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: جار ومجرور معطوف على الجار، والمجرور قبله. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وترتيب ﴿سَوَّىٰكَ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الموصول، والجملة معطوفة على جملة الصلة ﴿رَجُلًا﴾: حال من (كاف) الخطاب، ولكنه جامد مؤول بمشتق تقديره: كاملاً، ويجوز أن يُعْرَبَ مفعولاً ثانياً لـ﴿سَوَّىٰكَ﴾.

﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾.

﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ أصله لكن أنا هو اللَّه ﴿لكن﴾ حرف استدراك استدرك به على قوله: ﴿أَكَفَرْتَ﴾: ﴿أنا﴾ ضمير المتكلم مبتدأ أول ﴿هُوَ﴾: ضمير شأن مبتدأ ثان ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ ثالث ﴿رَبِّى﴾: خبر للثالث، وجملة الثالث خبر للثاني، وجملة الثاني خبر للأول، وجملة الأول في محل النصب مقول ﴿قال﴾ ﴿وَلَآ﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية ﴿لا﴾ نافية ﴿أُشْرِكُ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الرجل المؤمن منهما ﴿بِرَبِّىٓ﴾ متعلق بـ﴿أُشْرِكُ﴾ ﴿أَحَدًا﴾: مفعول به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قال﴾ ﴿وَلَوْلَآ﴾: الواو استئنافية ﴿لَّوْلَآ﴾: حرف تحضيض

بمعنى هلا ﴿إذ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بـ﴿قُلْتَ﴾ ﴿دَخَلْتَ﴾: فعل وفاعل ﴿جَنَّتَكَ﴾: مفعول به على السعة، والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إذ﴾ ﴿قُلْتَ﴾: فعل وفاعل والتَّقْدِير: ولولا قلت وقت دخولك جنتك، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قال﴾ ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ مقول محكي لـ﴿قُلْتَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿مَا﴾ موصولة في محل الرفع خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هذا الذي أعطيته هو ما شاءه الله، وأراده لا بحولي، وقوتي، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قُلْتَ﴾ ﴿شَآءَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره ما شاءه الله ﴿لا﴾ نافية تعمل عمل إن ﴿قُوَّةَ﴾: في محل النصب اسمها ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ ﴿بِٱللَّهِۚ﴾: خبر لا، وجملة ﴿لا﴾ في محل النصب مقول ﴿قُلْتَ﴾ ﴿إن﴾: حرف شرط ﴿تَرَنِ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه فِعْلَ شرط لها، وعلامَةُ جزمه حذف حرف العلة، وهي الألف والفتحة قبلَها دليل عليها، وفاعله ضمير يعود على صاحب الجنة النون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة اجْتَزَأَ عنها بكسرة نون الوقاية، في محل النصب مفعول أول لـ﴿ترى﴾ ﴿أَنَا﴾ تأكيد لياء المتكلم المحذوفة ﴿أَقَلَّ﴾: مفعول ثان لـ﴿تر﴾ ﴿مِنكَ﴾: متعلق بـ﴿أَقَلَّ﴾ ﴿مَالًا﴾: تمييز محول عن المبتدأ منصوب باسم التفضيل ﴿وَوَلَدًا﴾: معطوف على ﴿مَالًا﴾.

﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾﴾.

﴿فَعَسَىٰ﴾: (الفاء) رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية وجوباً لكون الجواب جملة جامديةً ﴿عسى﴾ فعل ماض من أفعال الرجاء ﴿رَبِّىٓ﴾: اسمها ﴿أَن﴾ حرف مصدر ﴿يُؤْتِيَنِ﴾ فعل مضارع منصوب بـ﴿أن﴾، وعلامة نصبه فتحة ظاهرة، وفاعله ضمير يعود على الله، والنون نون الوقاية، وياء المتكلم المحذوفة في محل النصب مفعول أول ﴿خَيْرًا﴾: مفعول ثان لـ﴿أتى﴾ ﴿مِّن جَنَّتِكَ﴾: متعلق بـ﴿خَيْرًا﴾ والجملة الفعلية مع ﴿أن﴾ المصدرية في تأويل مصدر منصوب على كونه خبرا لـ﴿عسى﴾، ولكنه في تأويل مشتق، والتقدير، فعسى ربي آتياً إياي خيراً من جنتك، وجملة ﴿عسى﴾ في محل الجزم جواب لـ﴿إن﴾ الشرطية، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في

محل النصب مقول ﴿قال﴾ ﴿وَيُرْسِلَ﴾: معطوف على ﴿يُؤْتِيَنِ﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿رَبِّيٓ﴾ ﴿عَلَيْهَا﴾: متعلق بـ﴿يرسل﴾ ﴿حُسْبَانًا﴾: مفعول به ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: صفة لـ﴿حُسْبَانًا﴾ ﴿فَتُصْبِحَ﴾: (الفاء) عاطفة ﴿تصبح﴾ فعل مضارع معطوف على ﴿يرسل﴾ هي فعل من الأفعال الناقصة، واسمها ضمير يعود على ﴿جَنَّتِكَ﴾ ﴿صَعِيدًا﴾: خبر ﴿أصبح﴾ منصوب ﴿زَلَقًا﴾: صفة لـ﴿صَعِيدًا﴾.

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾.

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾: فعل ناقص واسمه، وخبره معطوف على قوله: ﴿فَتُصْبِحَ﴾ ﴿فَلَن﴾ (الفاء) عاطفةٌ ﴿لن﴾ حرف نصب ﴿تَسْتَطِيعَ﴾: منصوب بـ﴿لن﴾، وفاعله ضمير يعود على صاحب الجنة ﴿لَهُۥ﴾: متعلق بـ﴿طَلَبًا﴾ ﴿طَلَبًا﴾: مفعول به، والجملة معطوفة على جملة ﴿يُصْبِحَ﴾. ﴿وَأُحِيطَ﴾: (الواو) عاطفة على محذوف تقديره: فانقضت الصواعق على جنته، وغارت المياه فيها، وأحيط بثمره، ﴿أحيط﴾: فعل ماض مغير الصيغة ﴿بِثَمَرِهِۦ﴾: جار ومجرور في محل الرفع نائب فاعل، والجملة معطوفة على تلك المحذوفة، ﴿فَأَصْبَحَ﴾: (الفاء) عاطفة ﴿أصبح﴾ فعل ماض ناقص واسمه ضمير يعود على صاحب الجنة ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على صاحب الجنة، ﴿عَلَىٰ مَآ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يُقَلِّبُ﴾ لأنه ضمنه معنى يندم، وجملة ﴿يُقَلِّبُ﴾: في محل النصب خبر ﴿أصبح﴾، وجملة ﴿أصبح﴾: معطوفة على جملة ﴿أحيط﴾. ﴿أَنفَقَ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على صاحب الجنة ﴿فِيهَآ﴾: متعلق بـ﴿أَنفَقَ﴾، والجملة صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: على ما أنفقه فيها، ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾: مبتدأ وخبر ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: متعلق بـ﴿خَاوِيَةٌ﴾ والجملة في محل النصب حال من ضمير ﴿فِيهَا﴾ ﴿وَيَقُولُ﴾: فعل مضارع معطوف على ﴿يُقَلِّبُ﴾ وفاعله ضمير يعودُ على صاحب الجنة، ﴿يَٰلَيْتَنِى﴾ إلى آخر الآية مقول محكي وإن شئت قلت: ﴿يا﴾ حرف تنبيه أو حرف نداء والمنادى محذوف تقديره: يا قوم ﴿ليتني﴾: ﴿ليت﴾ حرف تمني ونصب، والنون للوقاية لأنّها تقي حركة البناء الأصلي عن الكسر، والياء ضمير المتكلم في محل النصب اسمها

﴿لَّمْ أُشْرِكْ﴾: جازم ومجزوم وفاعله ضمير يعود على صاحب الجنة ﴿بِرَبِّيٓ﴾: متعلق بـ﴿أُشْرِكْ﴾ ﴿أَحَدًا﴾: مفعول به، وجملة ﴿أُشْرِكْ﴾: في محل الرفع خبر ﴿ليت﴾، وجملة ﴿ليت﴾ في محل النصب مقول ﴿يَقُولُ﴾.

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾.

﴿وَلَمْ﴾ (الواو): عاطفة ﴿لم تكن﴾ جازم ومجزوم، ﴿لَّهُۥ﴾: خبر مقدم لـ﴿تَكُن﴾ ﴿فِئَةٌ﴾: اسمها مؤخر، والجملة معطوفة على جملة ﴿أحيط﴾. ﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة صفة لـ﴿فِئَةٌ﴾ ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور، ومضاف إليه حال من فاعل ﴿ينصرون﴾ وذكِّرَتْ الصفة، وجمعت لأن الفئة تتضمن الجمع، وهو يتضمن الذكور والإناث، ﴿وَمَا﴾ (الواو) عاطفة ﴿ما﴾ نافية ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمها ضمير يعود على صاحب الجنة ﴿مُنتَصِرًا﴾: خبرها، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ﴾. ﴿هُنَالِكَ﴾: اسم إشارة يشار به إلى المكان البعيد، في محل النصب على الظرفية المكانية، مبني على السكون، واللام لبعد المشار إليه، و(الكاف) حرف دال على الخطاب، والظرف متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الخبر، ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾: مبتدأ ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والتقدير: الولايةُ مستحقة مستقرة لله هنالك لا لغيره، والجملة الاسمية مستأنفة ﴿ٱلْحَقِّ﴾: بالجر صفة للجلالة، وبالرَّفْعِ صفة لـ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾؛ أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي هو الحق، ﴿هُوَ خَيْرٌ﴾: مبتدأ وخبر ﴿ثَوَابًا﴾: تمييز محول عن المبتدأ منصوب بأفعل التفضيل، ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾: معطوف على ﴿خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ و﴿عُقْبًا﴾ بمعنى عاقبة.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾.

﴿وَٱضْرِبْ﴾ (الواو): استئنافية ﴿اضرب﴾: فعل أمر بمعنى اذكر، وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿لَهُم﴾: متعلق به ﴿مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾: مفعول به ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة لـ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾؛ أي: واذكر لهم صفة الحياة الدنيا، والجملة مستأنفة ﴿كَمَآءٍ﴾: جار ومجرور خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هي كماء، والجملة مستأنفة استئنافاً

بيانياً، ويجوز أن يكون ﴿مَثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾: مفعولاً أول ﴿كَمَآءٍ﴾: مفعولاً ثانياً؛ أي: واجعل لَهُم مثلَ الحياةِ الدنيا مثل ماء، ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلق به، والجملة في محل الجر صفة لـ﴿ماء﴾ ﴿فَٱخْتَلَطَ﴾: (الفاء) عاطفة ﴿اختلط﴾: فعل ماض ﴿بِهِۦ﴾ متعلق به﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾: فاعل ومضاف إليه، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾. ﴿فَأَصْبَحَ﴾: (الفاء) عاطفة ﴿أصبح﴾ فعل ناقص، واسمه ضمير يعود على نبات الأرض ﴿هَشِيمًا﴾: خبر ﴿أصبح﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿اختلط﴾ ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة في محل النصب صفة لـ﴿هَشِيمًا﴾، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾: فعل ناقص واسمه ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾: متعلق بـ﴿مُّقْتَدِرًا﴾ ﴿مُّقْتَدِرًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ وجملة ﴿كَانَ﴾: مستأنفة.

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾.

﴿ٱلْمَالُ﴾: مبتدأ ﴿وَٱلْبَنُونَ﴾: معطوف عليه ﴿زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ﴾: خبر، ومضاف إليه ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة للحياة، والجملة مستأنفة ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ﴾: مبتدأ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾: صفة لـ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ﴾ ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾: متعلق بـ﴿خَيْرٌ﴾ ﴿ثَوَابًا﴾: تمييز محول عن المبتدأ منصوب باسم التفضيل، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها، ﴿وَخَيْرٌ﴾: معطوف على خير ﴿أَمَلًا﴾: تمييز محول عن المبتدأ، منصوب باسم التفضيل.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ﴾ (الواو) استئنافية ﴿يَوْمَ﴾: ظرف متعلّق بمحذوف تقديره: واذكر لهم يوم نسير الجبال؛ أي: قصته وهوله، والجملة المحذوفة مستأنفة، ﴿نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾: فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل الجر، مضاف إليه لـ﴿يوم﴾ ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ﴾: فعل ومفعول به لأن ﴿ترى﴾ بصرية ﴿بَارِزَةً﴾: حال من ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها، ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب حال من فاعل ﴿نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ ولكنه على تقدير قد لكونه فعلاً مَاضِياً؛

أي: ويوم نسير الجبالَ حالةَ كَوْنِنا حَاشِرِينَ إياهم، ﴿فَلَمْ﴾: (الفاء) عاطفة ﴿لم﴾ ﴿نُغَادِرْ﴾: جازم ومجزوم وفاعله ضمير يعود على الله ﴿مِنْهُمْ﴾: حال من ﴿أَحَدًا﴾. ﴿أَحَدًا﴾: مفعول به، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾: لأنه ماض معنى بسبب لم.

﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾.

﴿وَعُرِضُواْ﴾: فعل ونائب فاعل معطوف على ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾. ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ﴾: متعلق به ﴿صَفًّا﴾: حال من (الواو) في ﴿عرضوا﴾ أي: حَالَةَ كونهم مصفوفين ﴿لَّقَدْ﴾: (اللام) موطئة للقسم ﴿قد﴾ حرف تحقيق ﴿جِئْتُمُونَا﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة الفعلية جواب لقسم محذوف، وجملة القسم في محل النصب مقول لقول محذوف حال من (واو) ﴿عرضوا﴾: والتقدير: وعرِضوا على ربك صفا حَالَةَ كونهم مقولاً لهم لقد جئتمونا ﴿كَمَا﴾: (الكاف) حرف جر وتشبيه (ما) مصدرية ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: منصوب على الظرفية متعلق بـ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾، والجملة الفعلية صلة (ما) المصدرية، (ما) مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ(الكاف) تقديره: كخلقنا إياكم أول مرة، الجار والمجرور صفة لمصدر محذوف تقديره: لقد جئتمونا مجيئاً مُشَابهاً بخلقنا إياكم أول مرة حفاة عراة غرلا. ﴿بَلْ﴾ حرف إضراب وانتقال مفيد للتوبيخ ﴿زَعَمْتُمْ﴾: فعل وفاعل ﴿أَلَّن﴾ ﴿أن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ﴿لن﴾ حرف نفي ونصب، ﴿نَّجْعَلَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ﴿لن﴾ وفَاعله ضمير يعود على الله ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور في محل المفعول الثاني ﴿مَّوْعِدًا﴾: مفعول أول لـ﴿جعل﴾ إذا كان بمعنى صير، وإذا كان الجعل مجردَ الإيجاد كانت لكم متعلقة به و﴿مَّوْعِدًا﴾: هو المفعول به و﴿مَّوْعِدًا﴾ أي مكاناً، وزماناً تبعثون فيه، وجملة ﴿نَّجْعَلَ﴾: في محل الرفع خبر أن المخففة، وجملة ﴿أن﴾ المخففة في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي زعم، والتقدير: بل زعمتم عدم جعلنا لكم موعدا تبعثون فيه.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ﴾.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: فعل ونائب فاعل معطوف على ﴿وَعُرِضُواْ﴾ ﴿فَتَرَى﴾: (الفاء) عاطفة ﴿ترى﴾ فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾: مفعولان لـ﴿ترى﴾ إن كانت علمية، ﴿مُشْفِقِينَ﴾: حال إن كانت بصرية، والجملة معطوفة على جملة ﴿وضع﴾ ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿مُشْفِقِينَ﴾ ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور، صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها ﴿وَيَقُولُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً ﴿يَٰوَيْلَتَنَا﴾ إلى قوله: ﴿وَوَجَدُواْ﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿يا﴾ حرف نداء ﴿ويلتنا﴾: منادى مضاف، وجملة النداءِ في محل النصب مقول القول ﴿ما﴾: اسم استفهام في محل الرفع مبتدأ، ﴿لهذا﴾: جار ومجرور خبره ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: بدل من اسم الإشارة، والجملة في محل النصب مقول القول ﴿لَا﴾: نافية ﴿يُغَادِرُ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الكتاب ﴿صَغِيرَةً﴾: مفعول به ﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾: معطوف عليه، وجملة ﴿لَا يُغَادِرُ﴾: في محل النصب حال من الكتاب، والعامل فيه، الجار والمجرور، لقيامِه مَقَامَ الفعل، أو الاستقرار الذي تعلق به الجار ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء مفرغ ﴿أَحْصَىٰهَاۚ﴾: فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾، والجملة الفعلية في محل النصب صفة لـ﴿صغيرة﴾ و﴿كَبِيرَةً﴾ ويجوز أن تكون الجملة في موضع المفعول الثاني، لأن ﴿يغادر﴾ بمعنى يترك، ويترك قد يتعدى لاثنين اهـ «سمين».

﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

﴿وَوَجَدُواْ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿وَوُضِعَ﴾ ﴿ما﴾ موصولة أو موصوفة في محل النصب مفعول أول لـ﴿وجدوا﴾ ﴿عَمِلُواْ﴾: فعل وفاعل صلة ﴿ما﴾ الموصولة أو صفة ﴿ما﴾ الموصوفة، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: ما عملوه ﴿حَاضِرًاۗ﴾: مفعول ثان لـ﴿وجد﴾ ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة مستأنفة.

التصريف ومفردات اللغة

﴿جَنَّتَيْنِ﴾: تثنية جنة، والجنة البُسْتَانُ سميت بذلك لاجتنان أرضها، واستتارها بظل الشجر، وكل مادة (جَـ نَ نَ) تفيد الخفاءَ، والاستتارَ كالجنين،

والجن، والمجنون لاستتار عقله، وجن الليل؛ أي: أظلم إلى نحو ذلك ﴿مِّنْ أَعْنَٰبٍ﴾؛ أي: كروم منوعة، جمع عنب، والعنبة الحبة، وفي «القاموس» وغيره: عنب الكرم صار ذا عنب، والعنب ثمر الكرم، وجمعه أعناب، والحبة منه عنبة ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾؛ أي: جعلنا النَّخْلَ محيطاً بكل منهما يقال: حفه القوم إذا طافوا به، وحففته بهم إذا جعلتهم حافين حوله، فتزيده الباء مفعولاً ثانياً كقولك: غشية، وعشيته به، والمعنى: جَعَلنا النخل محيطاً بهما مطبقاً بحفافيهما؛ أي: جانبيهما، ومنه قوله تعالى: ﴿حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ ﴿أُكُلَهَا﴾؛ أي: ثمرُها ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾؛ أي: ولم تنقص منه شيئاً ﴿نَهَرًا﴾ والنَّهَرَ: بالتحريك لغة في النهْر بالسكون، وهو مجرى الماء العذب ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾؛ أي: أنواع من المال يقال: ثَمَرَ فلان ماله، وأثمره، إذا نماه، قال الحارث بن كلدة:

وَلَقَدْ رَأَيْتُ مَعَاشِرَا قَدْ أَثْمَرُوْا مَالاً وَوُلْدَا

وفي «البيضاوي»: مأخوذ من ثمر مالهُ بالتشديد إذا كثَّره، وفي «المصباح» الثمر بفتحتين، والثمرة مثله، فالأول مُذَكَّرٌ، ويُجمع على ثِمَارٍ، مثل جَبَلٍ، وجبال، ثم يُجمع الثمار على ثمَر، مثل كِتَابٍ وكتب، ثُمَّ يُجمع على أَثْمَارٍ مِثْل عنق، وأعناق، والثاني مؤنث، والجمع منه: ثمرات مثل قصبة وقصبات، والثمر: هو الحمل الذي تخرجه الشجرة، وسواءٌ أُكِلَ أو لا، فيقال: ثمر الأراك، وثمر العوسج، وثمر الدُّوم، وهو المقل كما يقال: ثمر النخل، وثمر العنب، قال الأزهري: وأثمر الشجر أطلع ثمره، أول ما يخرجه فهو مثمر، ومن هنا قيلَ لما لا نفع فيه: ليس له ثمرة اهـ. وفي «الأساس» ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾؛ أي: مال وانظر ثَمَرَ مالك، ونماءَه، ومال ثمر؛ أي: مبارك فيه، وأثمر القوم، وثَمَرُوا ثموراً، كثر مالهم، وثَمُر ماله، يثمر كثر، وفلان مجدود ما يثمر له مال، والمراد في الآية أنه كان إلى جانب الجنتين الموصوفتين الأموال الدائرة من الذهب والفضة وغيرهما، وكان وافر الْيَسَارِ من كل وجه والصاحب المصاحب لك ﴿يُحَاوِرُهُۥ﴾؛ أي: يجَادِلُهُ، ويراجعه الكلام بالوعظ، والدعاء؛ إلى الإيمان بالله والبعث ﴿نَفَرًا﴾ والمراد من النفر الخَدَم، والحَشَمُ حشم الرجل خدمه ومن يغضب له سموا بذلك لأنهم يغضبون له والأعوان ﴿تَبِيدَ﴾ تفنى وتهلك ﴿مُنقَلَبًا﴾؛ أي: مرجعاً، وعاقِبَةً، وهو اسم مكان من الانقلاب

﴿سَوَّىٰكَ﴾، أي: عدلك، وكملك إنساناً ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ أصل التركيب: لكن أنا هو الله ربي دخله نقل، وحذف كما مر في مبحث التفسير.

﴿إِن تَرَنِ﴾ ﴿أَن يُؤْتِيَنِ﴾ كلاهما رسم بدون ياء؛ لأنها من ياءات الزوائد، وأما في النطق: فبعض السبعة يثبتها، وبعضهم يحذفها كما مر ﴿حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: مطراً عظيماً يقلع زرعها، وأشجارها يحتمل إما أن يكون مصدراً كالغُفْرانِ، والبطلان، وإما أن يَكُونَ جمع حسبانة؛ أي: اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالتاء كما في «الشهاب». ﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾ والصَّعِيد وجْهُ الأرض، الزَّلَقَ الأملس؛ أي: أَرْضاً مَلْسَاءَ لا تثبت عليها القدم، وفي «القاموس» الزلقْ بفتحتين، والزَّلَق بفتح فسكون أرض ملساءُ، ليس بها شيء، وصَيْرُورَتها كذلك لاستئصال نَبَاتها، وأشجارها بالذهاب، والإهلاك، فلم يبق له أثر اهـ. بيضاوي.

﴿غَوْرًا﴾ مصدر غار في الأرض، أي: ذَهَبَ فلا سبيل إليه، فهو بمعنى الفاعل؛ أي: غَائِراً في الأرض لا يدرك، فهو مصدر وصِفَ به مبالغة ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾؛ أي: بأمْوَاله من النقد، والمواشي وغيرهما، يقال: أحاطَ به العدو إذا استولى عليه، وغلبَهُ ثُمَّ استُعمل في كل إهلاك.

﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ هذا أُسلُوب في اللُّغة يفيد النَّدَامة والحَسْرَةَ فإن من عظمَتْ حسرته، يصفق بإحدى يديه على الأخرى مُتَأَسفاً متلهفاً، ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾؛ أي: سَاقِطَةٌ يقال: خَوَتِ الدَّار، وخويت خياً، وخوياً تهدمت، وخلت من أهلها ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ واحدها عرش، وهي الأعمدةُ التي تُوضع عليها الكروم، وفي «المصباح»: العَرْشُ شبه بيت منْ جريد، يُجعل فوقه الثمامُ، والجمع عروش مثل فلس وفلوس، والعَرِيشُ مثله، وجمعه عرش بضمتين كبريد، وبرد، وعريش الكرم، ما يعمل مُرْتَفَعاً يمتد عليه الكرم، والجمع عرائش أيضاً اهـ. وفي «الشهاب»: العروش جمع عرش، وهو ما يصنع لِيُوضَعَ عليه الكرم، فإذا سقط.. سقط ما عليه اهـ.

﴿مُنتَصِرًا﴾؛ أي: ممتَنِعاً بقوة عن انتقام الله ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ بفتح الواو، وبكسرِها المُلك والقهر والسلطنة ﴿عُقْبًا﴾؛ أي: عاقبة ﴿مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ المَثَلُ الصِّفة

﴿هَشِيمًا﴾ أي: يابساً متفرق الأجزاء، وقال الزمخشري: الهشيمُ ما تهشم، وتَحطَّمَ الوَاحِدة هشيمة، وقال ابن قتيبة: كل ما كَانَ رطباً ويَبَسَ فهو هشيم، ويقال: صارت الأرض هشيماً؛ أي: صار ما عليها من النبات والشجر قد يبس وتكسر ﴿تَذْرُوهُ﴾؛ أي: تفرقه وتنشره، وذرت الريح الترابَ وأذرت العين دمعها، وعيناه تذريان الدُّموع، وطعنته فأذريته عن فرسه، وأذراه الفرس عن ظهره رمى به، وذرا حد نابه انسحقت أسنانه، وسقطت أعاليها، وبلغني عنه ذروٌ من قولٍ؛ أي: طرف منه، وأخذ في ذروٍ من الحديث، إذا عرّض، ولم يصرح، قال صخر بن حبناء:

أَتَـانِـيْ عَـنْ مُـغِـيْـرَةَ ذَرْوُ قَـوْلٍ   وَعَـنْ عِـيْـسَـىٰ فَـقُـلْـتُ لَـهُ كَـذَاكَ

﴿مُّقْتَدِرًا﴾؛ أي: كامل القدرة، فهو مُفْتَعِل من قدر للمبالغة ﴿بَارِزَةً﴾؛ أي: ظاهرةٍ إذ لم يبق على وجهها شيء من العمائر، ولا من الجبال والأشجار ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾؛ أي: سقناهم إلى الموقف من كل أوب ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾؛ أي: لم نترك يقال غادره، وأغدره إذَا تركه، ومنه الغدر، وهو ترك الوفاء، والغدير: ما غادرهُ السيل؛ أي: تَرَكَهُ من الماء في الغديرة؛ أي: في الحفرة، والغديرة الشَّعر الذي نزل حتى طال، والجمع غَدائِرُ، ومنه قوله: غَدائِره مستشزرات إلى العلا.

والمفاعلة هنا: ليست على بابه؛ أي: ليس فيها مشَارَكَةٌ ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ﴾؛ أي: أحضروا لفصل القضاءِ ﴿صَفًّا﴾؛ أي: مصطفين، وهو في الأصل مصدر يقال فيه: صف يصف صفاً من باب شد، واختُلف هنا في ﴿صفا﴾ هل هو مفردٌ وقع موقع الجمع إذ المراد صفوفاً، أو فيه حذف؛ أي: صفاً صفاً كما في آية أخرى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ ﴿مَّوْعِدًا﴾؛ أي: وقتاً ننجز فيه ما وَعَدْنَا من البعث، وما يَتْبَعهُ ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾؛ أي: جعل كِتَاب كُل عامل في يد صاحبه حين الحساب ﴿مُشْفِقِينَ﴾؛ أي: خَائِفِينَ من أَشْفَقَ إذَا خَافَ ﴿يَٰوَيْلَتَنَا﴾؛ أي: يا هلكتنا أَقْبِلْ فهذا أوانُك والوَيْلُ: الهلاك ﴿أَحْصَىٰهَا﴾؛ أي: عدها وَضَبَطها ﴿حَاضِرًا﴾؛ أي: مَسْطُوراً في كتاب كل منهم ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ﴾؛ أي: لا يَتَجاوَزُ ما حده من الثَّوَابِ والعقاب.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآياتُ ضروباً من البلاغةِ، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: التشبيه التمثيلي في قوله: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ لأنَّ وَجْهَ الشبه منتزع من متعدد.

ومنها: التتميم ـ ويُقال لهُ التمام ـ في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ لأن وصف الْجَنَّتَيْنِ أولاً باشتمالهما على أعناب، ونخيل ثم تمم ذلك بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ لئلا يُتَوَهَّمَ أَنَّ الانتفاع قاصر على النخيل والأعناب، ولتكونَ كلٌّ من الجنتين جامعة للأقوات والفواكه، متواصلة العَمَار على الشكل الحسن، والترتيب الأنيق، ثم تمم ذلك أيضاً بقوله: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ للدلالة على ديمومة الانتفاع بهما، فإن الماء هو سر الحياة، وعامل النمو الأول في النباتات، وإذن فقد استكملَ هذا الرجلُ كُلَّ الملاذ، واستوفى ضُروبَ النِّعَمِ ثم تمم ذلك أيضاً بقوله: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ لاستحضار الصورة التامة للانتفاع بالموارد.

ومنها: الاحتراس بقوله: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ لأنه احتراس به من أن يَكُونَ ثمة نقص في الأكل الذي آتته.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ لأَنَّهُ كناية عن تمامها، ونموها دائماً، وأبداً فَلَيست على عادة الأشجار حيث يتم ثمرها في بعض السنين، وينقص في بعض.

ومنها: اللف والنشر المشوش في قوله: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ الخ لأن[1] حاصل ما قَالَهُ الكافر من القول الشنيع ثلاث مقالات: الأولى: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا...﴾ إلخ الثانية: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ...﴾ إلخ الثالثة: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً...﴾ إلخ، وقد تعقبه المؤمن في الثلاثة على سبيل اللف، والنشر المشوش، فوبخه على الأخيرة، بقوله: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى

---

(١) الفتوحات.

خَلَقَكَ...﴾ إلخ، ووعظه، ونصحه على الثانية بقوله: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ...﴾ إلخ وقرعه على الأولى بقوله: فعسى ربي، الخ اهـ شيخنا.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ لأنه كناية عن التَّحسرَ والندم، لأن النادم يضرب بيمينه على شماله.

ومنها: المبالغة بإطلاق المصدر عَلَى اسم الفاعل في قوله: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾؛ أي: غائراً.

ومنها: التشبيه التَّمثيلي المقلوب في قوله: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ...﴾ إلى آخر الآية، أما التشبيه التمثيلي: فهو تشبيه الحياة الدنيا، وما فيها من زخارفَ بالنبات الذي اختلط به الماء الهَاطل من السماء، فربا والتفَّ وزَهَا، ورف، وأَمَّا التشبيه المقلوب: فقد كان من حق الكلام أن يقول: فاختلط بنبات الأرض، ووجهه: أنه لَمَّا كان كل من المختلطين موصوفاً بصفة صاحبه، عكس للمبالغة في كثرته.

ومنها: الاستعارة المكنية في قوله: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا﴾ نداء الويلة قائم على تشبيهها بشخص يطلب إقباله كأنه قيل: يا هلاكنا أقبل، فهذا أوانك.

ومنها: الجمع في قوله: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، وهو أن يجمع الْمُتَكَلِّمُ بين شيئين أَوْ أكثر في حكم واحد، وهو واضح في الآية، ومنه في الحديث قوله ﷺ: «من أصبحَ آمناً في سربه معافىً في بدنه، عنده قوتُ يومه، فَكَأَنَّمَا حيزت له الدنيا بحذافيرها» فجمع الأمن ومعافاة البدن، وقُوتَ اليوم في حوز الدنيا بحذافيرها، أي: بأسرها.

ومنها: الحذف والزيادة في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى لَما ذكر[1] رَدَّه على أولئك المشركين الذين افتخروا على فقراء المؤمنين بأموالهم وأعوانهم، وقالوا: كيف نجلس مع هؤلاء، ونحن من أنساب شريفة، وهم من أنساب وضيعة، ونحن أغنياء، وهم فقراء.. أَرْدَفَ ذلك بِذِكْرِ عصيان إبليس لأمره تعالى بالسجود لآدم؛ لأن الذي حَدَاهُ إلى ذلك هو كِبْرُهُ وَافْتِخَارُه عليه بأصله ونسبه، إذ قال: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ فأنا أشرف منه أصلاً ونسباً فكيف أسجد له، تنبيهاً على أَنَّ هذه الطريقة السَّالِفَةَ هي بعينها طَرِيقَةُ إبليس، ثُمَّ حَذَّرَ سبحانه منها في قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ

(١) المراغي.

وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ وقد تكرر ذكر هذه القصة في مواضع من الكتاب الكريم، وهي في كل موضع سِيقَتْ لفائدة غير ما جاءت له في المواضع الأخرى على اختلاف أساليبها وعباراتها، ولا عزو فهي من نسج العليم الخبير.

وعبارة أبي حيان هنا: ذكروا[1] في ارتباط هذه الآية بما قبلها: أنه تعالى لَمَّا أمر نبيه ﷺ بمجالسة الفقراء، وكان أولئك المتكبرونَ قد تأنفوا عن مجالستهم، وذكروا للرسول ﷺ طردهم عنه، وذلك لما جُبلوا عليه من التكبر، والتكثر بالأموال والأولاد، وبِشَرفِ الأصل والنَّسب، وكان أولئك الفُقراء بخلافهم في ذلك.. ناسب ذكر قصة إبليس بجامع ما اشتركا فيه من التكبر، والافتخار بالأصل الذي خلق منه، وهذا الذي ذكروه في الارتباط هو ظاهر بالنسبة للآيات السابقة قبل ضرب المثلين، وأما أنه واضح بالنسبة لما بعد المثلين فلا، والذي يَظْهَرُ في ارتباطِ هذه الآية بالآية التي قبلها هو أنه لَمَّا ذَكَرَ يَوْمَ القيامة، والحشر، وَذَكَرَ خوف المشركين مما سطر في ذلك الكتاب، وكان إبليس هو الذي حمل المجرمين على معاصيهم، واتخاذ شركاء مع الله، نَاسَبَ ذكر إبليس، والنهي عن اتخاذ ذريته أولياء من دون الله، تبعيداً عن المعاصي وعن امتثال ما يوسوس به.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها[2]: أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى لَمَّا ذكر شبهات المبطلين، ورد عليها بأدلة لا تُدحض، وبرهانات لا ترد.. قفَّى على ذلك ببيان أن في القرآن من الأمثال ما فيه مقنع لمن تذكَّر وتدبر، وألقى السمع، وهو شهيد، لكنها القلوب قد تحجرت، والأفئدة قد قست، فلا تنفع فيها الذكرى، ولا تستجيب لوعظ الواعظ، ونصيحة المذكر، ولو آخذهم ربهم بما كسبوا.. لأرسل عليهم العذاب معجلاً، ولم يبق منهم على ظهر الأرض أحداً، ولكنه الغفور ذو الرحمة، فجعل لِهَلاَكِهِم موعداً، لعلهم يتوبون إلى رشدهم ويرعوون عن غيِّهم.

---

(١) البحر المحيط.　　(٢) المراغي.

التفسير وأوجه القراءة

ثمَّ إنه تعالى عَادَ إلى الرد على أرباب الخيلاء من قريش، فذكر قِصَّة آدم، واستكبار إبليس فقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾؛ أي: واذكر يا محمد لقومك قِصَّةَ وَقْت قولنا للملائكة: ﴿ٱسْجُدُواْ﴾ يا ملائكتي ﴿لِأَدَمَ﴾ سجود تحية وتكريم، لا سجود عبادة، وكان ذلك مشروعاً في الأمم السالفة، ثم نُسخ بالسلام ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾؛ أي: فسجدت الملائكة جميعاً، امتثالاً لأمر الله وطاعة لطلبه السجود ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ اللعين فإنه أبى واستكبر، ولم يَسْجُدْ، وكأنه قيل: ما باله لم يسجد؟ فقيل: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾؛ أي: كان أصله جنياً خلق من نار السموم، ولم يكن من الملائكةِ، فلهذا عَصَى، فالجملة مستأنفَةٌ مسوقة لبيان سبب عصيانه.

وإنَّمَا صح[1] الاستثناء المُتَّصِلُ لأنه أمر بالسجود معهم، فغلبوا عليه في قوله ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ ثم استثنى كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلاً كقولك: خرجوا إلاّ فُلاَنة، لامرأة بين الرجال.

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾؛ أي: خَرَج عن طاعته بترك السجود، فالأمر على حقيقته جعل عدم امتثاله للأمر خُروجاً عنه، ويجوز أن يكون المُراد المأمور به، وهو السجود، والفاء للسببية لا للعطف؛ أي: كونه من الجن سبب فسقه، ولو كان ملكاً.. لم يفسق عن أمر ربه؛ لأن المَلك معصوم دون الجن والإنس.

والمعنى[2]: واذكر ـ أيها الرسول ـ لقومك وقت قولنا للملائكة اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم اعترافاً بفضله، واعتذاراً عما قَالُوه في شأنه من نحو قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ فسجدوا كلهم أجمعون امتثالاً إلا إبليس، ثم بيَّن السَّبَبَ في عصيانه، ومخالفته للأمر فقال: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾؛ أي: إن الذي منعه من السجود أنَّهُ كان جِنّياً بين أظهر الألوف من الملائكة مغموراً بيْنَهم متَّصِفاً بصفاتهم، بدليل أنه قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾، ولأنه أثبت له في هذه الآية ذريةً وَنْسْلاً، والملائكة لا يَنسلون، ولأن الملائكة لاَ يَسْتَكْبِرُونَ

---

(1) روح البيان.

(2) المراغي.

وَهو قد استكبر ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾؛ أي: فصار فَاسِقاً كافراً بسبب أمر الله للملائكة المعدود هو في عدادهم، إذ لولا الأمر ما تحقق إباؤه.

ثم حذر سبحانه من اتباعه بعد أن استبان من حاله ما استبان فقال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ (الهمزة) للإستفهام الإنكاري التعجبي داخلة على محذوف، و(الفاء) عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أبعد علمكم يا بني آدم بِصُدور الفسق من إبليس تتبعونه، وتتخذونه ﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾؛ أي: أولاده وأَتْباعه ﴿أَوْلِيَآءَ﴾، أي: أصدقاء ﴿مِن دُونِى﴾ تطيعونهم بدلَ طاعتي مجاوزين عني إليهم؛ أي[1]: ذلك الاتخاذ منكر غايةَ الإنكار، حقيق بأن يُتعجب منه، والمراد بالولاية هنا: اتباعُ الناس لهم فيما يأمرونهم به من المعاصي، فالموالاة مجازٌ عن هذا، لأنه مِنْ لوازمها، فلا يَرِدُ كيف قال ذلك، مَعَ أنَّ الشيطان وذرّيَتَهُ ليسوا أولياء بل أعداء، لأنَّ الأولياء هم الأصدقاء، ذكره في «الفتوحات».

﴿وَهُمْ﴾؛ أي: والحال أن إبليسَ وذُرِيَّته ﴿لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾؛ أي: أعداء فحقهم أَنْ تعادوهم لاَ أن توالوهم شبه بالمصادر للموازنة كالقبول.

وحاصل المعنى[2]: كيف تصنعون هذا الصنع، وتستبدلون بمن خَلَقَكم وأَنْعَمَ عليكم بجميع ما أنتم فيه من النِعَم مَنْ لم يكن لكم منه منفعة قط، بل هو عدو لكم، يترقب حصول ما يضركم في كل حين ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: للكافرين ﴿بَدَلًا﴾ من الله، إبليس وذريته، تمييز لفاعل ﴿بئس﴾ البدل لِلْكَافِرين بالله، والمخصوص بالذم إبليس وذرّيّتُه، أي: اتخاذهم إبليس وذريته أولياء من دونه وهو المنعم عليهم وعلى أبيهم آدم من قبلهم المتفضل عليهم بما لا يُحصى من الفواضل؛ أي: بئس[3] البدل من الله إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل طاعة الله.

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.
(٣) النسفي.

ثم بيّن السبب في عدم استحقاق إبليس وذريته هذه الولاية في أنفسهم بَعْدَ بيان خَبَاثة أصلهم، فقال: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾؛ أي: ما أحضرت إبليسَ وذريته ﴿خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لأعتضد بهم في خلقهما، وأشاورهم في تدبير أمرهما، حيث خلقتهما قَبل خلقهم، وفيه[1] ردٌّ لمن يدَّعي أن الْجِن يَعْلَمُون الغيب؛ لأنهم لَمْ يَحْضرُوا خلق السموات والأرض حتى يَطَّلِعوا على مغيَّباتهما، ﴿وَلَا﴾ أشْهدتهم ﴿خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: ولا أشهدت بَعْضَهُمْ خلق بعضهم، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾.

والمعنى: أي[2] ما أحضرت إبليس وذرِيَّتَه خلق السموات والأرض، ولا أشهدت بعضهم خلق بَعْضٍ فكيف تطيعُونهم، وتعبدون الأصنامَ من دوني، وهم عبيد أمثالُكم لا يملكون لأنفسهم نَفْعَاً ولا ضَرّاً.

وقصارى ذلك[3]: ما أطلعتهم على أسرار التكوين، وما خصَّصتهم بخصائص لاَ تَكُون لسواهم، حتى يقتديَ الناس بهم، فأنا المستقل بخلق الأشياء كلها، ومدبرها ليس لي في ذلك شريك ولا وزير.

﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾؛ أي: الشَّيَاطِينَ الذين يضلون الناس عن الدين، والأصل[4] متخذهم، فوضع المظهَر مَوْضِعَ المضمر، ذماً لهم وتسجيلاً عليهم بالإضلال، ﴿عَضُدًا﴾؛ أي: أعواناً في شأن الخلق وفي شأن من شؤوني حتى يتوهم شركتهم في التولي، بناء على الشركة في بعض الأحكام الربوبية، وقال في «القاموس»: العَضُد النَّاصر، والمعين، وهم عضدي وأعضادي، انتهى.

والمعنى: ما استعنت على خلق السموات والأرض بهم، ولا شاورتهم، وما كنت متخذ الشياطين أو الكافرين أعْوَاناً، ووحَّد العَضُدَ لموافقة الفواصِلِ؛ أي: وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذ مَنْ لا يهدون إلى الحق أعواناً وأنصاراً، لأنهم يضلون، فمتبعهم يحور عن قصد السبيل، ولا يصل إلى هدىً فكيف اتبعوهم وعبدوا

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) المراغي.

(٤) روح البيان.

الأصنام على مقتضى وسوستهم، حتى يكونوا قدوة للناس.

وقرأ عبيد الله بن زياد على المنبر، وهو يخطب[١]: ﴿أفَتَتَّخِذُونَهُ وذريته﴾ بفتح الذال، وقرأ الجمهور ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾ بتاء المتكلم، وقرأ أبو جَعْفَرٍ، وشيبة، والسختياني وعون العقيلي، وابن مقسم ﴿ما أشهدناهم﴾ بنون العظمة، وقرأ أبو جعفر، والجحدري، والحسن، وشيبة، ﴿وَمَا كُنتَ﴾ بفتح التاء خطاباً للرسول ﷺ. قال الزمخشري: والمعنى: وما صح لك الاعتضاد بهم، وما ينبغي لك أن تعتز بهم. انتهى.

وقرأ علي بن أبي طالب ﴿متخذاً المضلين﴾ أعمل اسم الفاعل، وقرأ عيسى بن عمر ﴿عَضْداً﴾ بسكون الضاد خفف فعلاً كما قالوا: رجل وسبع، في رجل وسبع، وهي لغة عن تميم، وعنه أيضاً بفتحتَيْن، وقرأ شيبة، وأبو عمرو في رواية هارون، وخارجة، والخَفَّاف عَضُداً بضمتين، وعن الحسن عَضَداً بفتحتين، وعنه أيضاً بضمتين، وقرأ الضحاك عضداً بكسر العين، وفتح الضاد، وَقَرَأَ عكرمة[٢] بضم العين وإسكان الضاد، ولغة تميم فَتْحُ العين وسكونُ الضاد كما مَرَّ فَفِي عَضُدِ ثمان لغات: أفصحها فتح العَيْن، وضَمُّ الضاد، وبها قرأ الجمهور.

واعلم[٣]: أَنَّ الله سبحانه وتعالى منفرد في الألوهية، والكل مخلوق له، وَقَدْ خلق الملائكةَ والجنَّ والإنس، فباينَ بينهم في الصورة والأشكال والأحوال. قَالَ سعيد بن المسيب: الْمَلائِكة ليسوا بِذُكُور، ولا إناث، ولا يَتَوالدون، ولا يأكلون، ولا يشربون، والجن يتوالدون، وفيهم ذكور وإناث، ويموتون، والشَّياطِين ذكور وإناث، ويتوالدون، ولا يموتون، بل يَخْلُدُون في الدنيا، كما خُلِّد فيها إبليس، وإبليس: هو أبو الجن، وقيل: إنه يُدخِل ذَنَبَه في دبره فَيَبِيضُ بيْضة فتُفْلَقُ البَيْضة عن جماعةٍ من الشياطين.

ثم أخبر سبحانه عما يخاطب به المشركين يَوْمَ القيامة على رؤوس الأشهاد

---

(١) البحر المحيط.

(٢) الشوكاني.

(٣) روح البيان.

تقريعاً لهم وتوبيخاً، فقال: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾؛ أي: واذكر يا محمد قصة يوم يقول الله سبحانه وتعالى للكفار توبيخاً وتعجيزاً، وهو يوم القيامة، وقال بعضهم: يقول على ألسنة الملائكة، والأظهر هو الأول، لأنه قد ثَبَتَ أنَّ الله تعالى يَتَجَلَّى يَوْمَ القيامة للخلق، مسلمهم وكافرهم، بصور شتَّى، حتى يرونه بحسب ما اعتقدوه في هذه الدار، فلا يبعد كلامه معهم أيضاً، لأنه كلام بالغيب والتوبيخ، لا بالرضى والتشريف، كما كلم إبليس بعد اللعن والطرد على ما سبق في سورة الحجر ونحوها.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ بالياء؛ أي: الله مناسبة لقوله: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ وقرأ الأعمش، وطلحة، ويحيى، وابن أبي ليلى، وحمزة، وابن مقسم، ﴿نقول﴾ بنون العظمة مناسبة لقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الخ.

أي: واذكر يا محمد لهؤلاء المشركينَ أهوال يوم يقولُ الله عز وجل للكفار توبيخاً لهم وتقريعاً: ﴿نَادُواْ شُرَكَآءِيَ﴾ أضافهم إليه، على زعمهم تَهَكماً بهم، وتقريعاً، أي: نادوا آلهتكم التي قلتم إنهم شركائي، وقرأ الجمهور ﴿شركائي﴾ ممدوداً مضافاً للياء، وابن كثير، وأهل مكة مقصوراً مضافاً لها أيضاً، ذكره في «البحر».

﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ وادَّعيتم أنهم شُفعاؤكم ليشفعوا لكم، ويَمْنَعُوكُم من عذابي، والمراد بهم كل من عُبد من دون الله تعالى ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾؛ أي: نادوهم للإغاثة، ذكر كيفية دعوتهم في آية أخرى ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا﴾؛ أي: فَعلُوا مَا أَمَرَهُم الله به من دعاء الشركاء، ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾؛ أي: فَلَمْ يغيثوهم، أي لم يدفعوا عنهم ضراً، ولا أوصلوا إليهم نَفْعاً، إذ لا إمكانَ لذلك، فهو لا ينافي إجابتهم صورة ولفظاً، كما قال: حكاية عن الأصنام، إنها تقول: ﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾؛ أي: بين المشركين وآلهتهم ﴿مَّوْبِقًا﴾؛ أي[2]: حاجزاً

---

(١) البحر المحيط.
(٢) المراح.

بعيداً، أو وادياً في جهنم من قيح ودم، وذلك أن المشركين الذِينَ اتَّخَذُوا من دون الله آلهة: الملائكةَ، وعزيراً، وعيسى ومريم، عليهم السلام. دَعَوا هؤلاء فلم يجيبوهم استهانةً بهم، واشتغالاً بأنفسهم، ثم حيل بينهم، فأدخل الله تعالى هؤلاء المشركينَ جَهَنَّمَ، وأدخل عزيراً وعيسى ومريم الجَنَّة، وسار الملائكة إلى حيث أراد الله من الكرامة، وحصل بين الكفار ومعبوديهم هذا الحاجز وهو ذلك الوادي.

وعلى هذا فهو اسم مكان، ويحتمل كونه مصدراً من وَبَقَ يَبِقَ وُبُوقا، كوثب وثوبا أو من وَبِقَ يَوْبَقَ وَبْقاً كفرح يفرح فرحاً إذا هلك أي: مهلكاً يشتركون فيه، وهو النار، وقال الفراء: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾؛ أي: تَواصُلَهم في الدنيا ﴿مَّوْبِقًا﴾؛ أي: هَلاَكَاً في الآخرة، فالبين على هذا القول التواصلُ كقوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ في سورة الأنعام على قراءة من ضم النون، ومفعول أول لـ ﴿جعلنا﴾ وعلى الوجه الأول مفعولٌ ثان.

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾؛ أي: الكافرون ﴿ٱلنَّارَ﴾ من مكان بعيد ﴿فَظَنُّوٓاْ﴾؛ أي: أيقنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾؛ أي: واردوها[1]، وداخلوها، ومخالطوها في تلك الساعة من غير تأخير لشدة ما يسمعون من تغيظها، وزفيرها كقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾، والمكان[2] البيعد، قيل: مسيرة خمس مئة سنة، والظن هنا بمعنى اليقين، والمواقعة المخالطة بالوقوع فيها، وقيل: إن الكُفَّارَ يرَون النار من مكان بعيد، فيظنون ذلك ظناً ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا﴾؛ أي: عن النار ﴿مَصْرِفًا﴾؛ أي: مهرباً ومعدلاً يعدلون إليه، ومكاناً يَنْصَرِفُون إليه، أَو انْصِرَافاً عَنْهَا، لأن النَّارَ أحاطت بهم من كل مكان.

وفي مصحف عبد الله[3]: ﴿ملاقوها﴾ مكان مواقعوها، وقرأه كذلك الأعمش، وابن غزوان، عن طلحة، والأولى جعله تفسيراً لمخالفته سَوَاد

---

(١) الواحدي.

(٢) روح البيان.

(٣) البحر المحيط.

المصحف، وعن علقمة أنه قرأ ﴿ملافُّوها﴾ بالفاء مشددة من لففت، وأجاز أبو معاذ ﴿مصرفا﴾ بفتح الراء، وهي قراءة زيد بن علي جعله مصدراً، كالمضرب، لأن مضارعه يصرف على وزن يفعل كيضرب.

ولما ذكر[1] سبحانه افتخار الكفرة على فقراء المسلمين بأموالهم وعشائرهم، وأجابهم عن ذلك، وضرب لهم الأمثال الواضحة، وحكى بعض أحوال الآخرة فقال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾؛ أي: وعزتي وجلالي، لقد كررنا وبيَّنا وذكرنا على وجوه كثيرة من النظم ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ الكريم ﴿لِلنَّاسِ﴾؛ أي: لمصلحتهم ومنفعتهم ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾؛ أي: من كل نوع من أنواع الأمثال، كمثل الرجلين المذكورين، ومثل الحياة الدنيا، ليتذكروا ويتعظوا، أو من كل نوع من أنواع المعاني البديعة الداعية إلى الإيمان، التي هي في الغرابة والحسن كالمثل ليتلقوه بالقبول؛ فلم يفعلوا، والمعنى؛ أي: ولقد وضحنا للناس كل ما هم في حاجة إليه من أمور دينهم، ودنياهم، ليتذكروا فينيبوا، ويعتبروا، ويزدجروا عما هم عليه مقيمون من الشرك بالله، وعبادة الأوثان؛ لكنهم لم يقبلوا ذلك، ولم يرعووا عن غيِّهم وعنادهم، واستكبارهم وعتوهم.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾؛ أي: جنس الإنسان بحسب جبلته، ومقتضى طبيعته ﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾؛ أي: مراء وخصومة، تمييز؛ أي: أكثر[2] الأشياءِ التي يتأتى منها الجدل، كالجن والملك؛ أي: جدله أكثر من جدل كل مجادل، لا ينبي إلى حق، ولا يزدجِرَ لموعظة، والمراد بذلك خصومة الأمم لأنبيائهم، وردهم عليهم مَا جاؤوا به كَمَا حكى الله عنهم من قولهم: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ وقولهم: ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾.

أخرج الشيخان، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن علي كرم الله وجهه، أن النبي ﷺ طَرَقَهُ وفاطمة ليلاً فقال: «ألا تصليان» فقلت: يا رسول الله؛ إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاءَ أنْ يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إليَّ

---

(١) الشوكاني. (٢) المراغي.

شيئاً، ثم سمعته وهو مولّ يَضْرِبُ فَخِذَه ويقول: «وكان الإنسان أكثر شيء جدلا» والجدل: هٰهنا شدة الخصومة بالباطل، لاقتضاء خصوصِية المقام ذلك، وإلا فالجدل لاَ يَلْزَم أن يكون بالباطل قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

وخلاصة ذلك: أن جدلَ الإنسان أكثر من جدل كل مجادل لما أتيه من سعة الحيلة، وقوة المعارضة، واختلاف النزعات، والأهواء، وقوة العزيمة إلى غير حد فلو اتجه إلى سبيل الخير، وتاقت نفسه إلى سلوك طريقهِ ارتقى إلى حظيرة الملائكة، ولو نزعت نفسه إلى اتباع وساوس الشيطان انْحط إلى الدرك الأسفل، ولحق بأنواع الحيوان، يفعل ما يشاءُ، غير مقيَّد بوازع من الدين، ولا زمام من العقل، وصادق العزيمة، ولما بيَّن سبحانه وتعالى إعراضَهُمْ ذكر علة ذلك فَقَال: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾؛ أي: لم يَمْنَعْ أَهْلَ مكة من ﴿أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾ بالله تعالى، ويتركوا الشرك الذي هم عليه ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ وهو الرسول الكريم الداعي، والقرآن العظيم الهادي ﴿وَ﴾ من أن ﴿يستغفروا ربهم﴾ من أنواع الذُّنوبِ ﴿إِلَّآ﴾ انتظار ﴿أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: سنة الله، وعادته في الأمم الماضية، وهو الاستئصال لما كَانَ تعنتهم مفضياً إليه، جُعلوا كأنهم منظرون له. ﴿أَوْ﴾ انتظار أن ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾؛ أي: عَذَاب الآخرةَ حَالَ كونه ﴿قُبُلًا﴾؛ أي: أَنوعاً، جمع قبيل، أو عياناً لهم؛ أي: معايناً.

والمعنى: أي[1] وما منع هؤلاء المشركين من أن يؤمنوا بالله حين جاءتهم البينات الواضحة، والدَّلالات الظاهرة، وعلموا صِحَّةَ ما تدعوهم إليه، وأن يستغفروا ربهم بالتوبة عما فرِّط منهم من الذنوب، إلا تعنتهم وعنادهم الذي جعلهم يطلبون أحد أَمْرَين:

١ ـ إما عذاب الاستئصال بنحو قولهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

٢ ـ وإمَّا أنْ تأتِيَهم بأنواع من العذاب، والبلاء يتلوا بَعْضُها بَعْضاً حين

---

(١) المراغي.

وجودهم في الدنيا كقولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧﴾، وقولهم: ﴿ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

وقرأ الحسن[1]، والأعرج، والأعمش، وابن أبي ليلى، وخلف، وأيوب، وابن سعدان، وابن عيسى الأصبهاني، وابن جرير، والكوفيون بضم القاف والباء فٱحتمل أن يكونَ بمعنى قِبَلاً، لأنَّ أبا عبيدة حكاهما بمعنى واحد في المقابلة، وأن يَكُونَ جَمْعَ قبيل كسبيل، وسبل، أي: يجيئهم العذاب أنواعاً، وألواناً، وقرأ باقي السبعة، ومجاهد، وعيسى بن عمر ﴿قِبلاً﴾ بكسر القاف وفتح الباء، ومعناه عياناً، وقرأ أبو رجاء، والحسن أيضاً بضم القاف وسكون الباءِ وهو تخفيف ﴿قبل﴾ على لغة تميم، وذكر ابن قتيبة: أنه قرىء بفتحتين، وحكاه الزمخشري، وقال: مستقبلاً، وقرأ أُبي بن كعب، وابن غزوان عن طلحة ﴿قَبِيلاً﴾ بفتح القاف، وباء مكسورة بعدها ياء على وزن فعيل.

فحاصل معنى الآية[2]: أنهم لا يؤمنون، ولا يستغفرون إلا عند نزول عذاب الدنيا المستأصل لهم، أو عند إتيان أصناف عذاب الآخرة، أو معاينته.

ولما كان مجيء ذلك بيد الله وأمره مفوَّض إليه لا إلى الرسول، نبه إلى ذلك بقوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ إلى الأمم متلبسين بحال من الأحوال ﴿إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ للمؤمنين والمطيعينَ بالثواب، والدرجات ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ للكافرين، والعاصين بالعقاب، والدركات، فَإِنَّ طريق الوصول إلى الأول والحذر عن الثاني مما لا يستقل به العقل، فكان من لطف الله ورحمته أَنْ أرسل الرّسْلَ لبيان ذلك.

والمعنى: أي[3] وما نرسل رسلنا إلا ليبشروا أَهْلَ الإيمان والتصديق بالله ورسوله بجزيل ثوابه في الآخرة، وينذروا أهل الكفر به وتكذيب رُسُلِهِ بعظيم

---

(١) البحر المحيط.

(٢) الشوكاني.

(٣) المراغي.

عِقَابِه، وأليم عَذَابِه، ولم نُرْسِلْهُم ليقترح عليهم الظالمون من أُممهم الآيات بعد ظهور المعجزات، ويطلبوا منهم ما لا قِبَل لهم به، ثم ذكر أن من شأن المشركين كَثْرَةَ الجَدَلِ للرسول ﷺ فقال:

﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كلام مستأنف، فالوقف على ﴿وَمُنذِرِينَۚ﴾، أي: يجادلونَ ويخاصمون الرسل المبشرينَ والمنذرينَ ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ حيث يقولون: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ ويقترحون آيات بعد ظهور المعجزات، تعنُّتاً ﴿لِيُدْحِضُواْ﴾؛ أي: ليزيلوا ﴿بِهِ﴾؛ أي: بالجدال ﴿ٱلْحَقَّ﴾ الذي مع الرسل عن مقره ومركزه، ويبطلوه. مأخوذٌ من إدحَاضِ القدم، وهو إزلاقها عن موطنها، والدحض الزلق؛ أي: ويجادل أولئك المشركون بالباطل كقولهم للنبي ﷺ: أخبرنا عن فتية ذهبوا أوَّل الدهر ما شأنهم؟ وعن الرجل الذي بلغ مشارق الأرضِ وَمَغَارِبَهَا، وعن الروح، وما أَشْبَهَ ذلك مما يقصد منه التعنت وإزالة الحقّ الذي جاء به الرسل عليهم السلام، لا كشف حقيقة تفيد في دين أو دنيا.

وخلاصة ذلك: أن الرُّسُلَ ما أُرسلوا للجدل والشغب بالباطل، بل بُعثوا للبشارة والإنذار، وأنتم تجادلون بالباطل لتدحضوا الحق الذي جاءكم به رسولي.

﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى﴾ الدالة على الوحدة والقدرة ونحوهما ﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾؛ أي: خوِّفوا به من العذاب ﴿هُزُوًا﴾؛ أي: سُخْرِيةً يعني موضع استهزاء[1] فَيكُون من باب الوصف بالمصدر مبالغة، يقرأ بالواو، وبالهمز سبعيتان، والمعنى؛ أي: واتخَذُوا الحُجَجَ الَّتِي أَحُجُّ بها عليهم، وكتابه الذي أنزل إليهم، والنذر التي أنذروا بها من العذاب والعقاب، استهزاء وسخريةً كقولهم: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾ وقولهم: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾.

ولما حكى عنهم خبيثَ أَحْوَالِهِمْ، وصفهم بما يوجب الخزيَ والنَّكَالَ

---

(١) روح البيان.

فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ استفهام إنكاري مضمن للتوبيخ؛ أي: من أشد ظلماً ﴿مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: وُعِظَ بالقرآن الكريم فقوله: ﴿ذُكِّرَ﴾ قد رُوعي لَفْظُ (مَنْ) في خمسة مواضع هذا أولُها، ورُوعي مَعْنَاهَا في خمسة أولها: قوله ﴿على قلوبهم﴾ .اهـ شيخنا. ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾؛ أي: فصرف عنها، ولم يَتَدبرها، ولم يَتَفكرها ﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من الكفر والمعاصي، وتَغافَلَ عنها، ولم يتفكر في عاقبتها، ولم ينظر في أن المسيءَ والمحسن لا بد لهما من جزاء، ولما كان[1] الإنسان يباشر أكثر أعماله بِيَدَيْهِ غُلِّبت الأعمال باليدين على الأعمال التي تباشر بغيرهما، حتى قيل في عمل القلب: هُوَ مِمَّا عملت يداك، وحتى قيل لمن لا يَدَيْنِ له: ما قدمت يداك، قال بعضهم: أحق الناس تسمية بالظلم من يرى الآيات فلا يَعْتَبِرُ بها، ويرى طريق الخير فيُعرض عنها، ويرى مواقع الشر فَيَتَّبعها، ولا يجتنب عنها.

وحاصل المعنى: أي لاَ أحد أظلم ممن وُعظ بآيات الله، ودل بها على سبيل الرشاد، وهدي بها إلى طريق النجاة، فأعرض عنها، ولم يَتَدَبَّرْها، ولم يتَّعظ بها، ونسي ما عمله من الكفر والمعاصي، أي: لم يتفكر في عواقبه، ومن ثم لم يتب منها، ولم يُنب إلى ربه.

ثم علل ذلك الإعراض والنسيان بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾؛ أي: أغطية جمع كنان، كأزِمَّة وزمام كراهية ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾؛ أي: أن يَفْقَهُوا ما ذكر من آيات الله تعالى، وتذكير الضمير وتوحيده باعتبار معنى القرآن، وهو تعليل لإعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم كَرَاهَةَ أن يَقِفُوا على كُنْهِ الآيات، أو المعنى: جَعَلْنَا على قلوبهم أغطية مانعة من أن يفهموا القرآنَ فيتبعوه، وتلك الأغطية ما رَانَ على قلوبهم بسبب كفرهم ومعاصيهم ﴿و﴾ جعلنا ﴿في آذانهم وقرا﴾؛ أي: ثَقِلاً وَصَمَماً يمنعهم عن استماعه، وفيه: إشارة إلى أن أهل اللَّغْوِ والهذيان لا يصيخون إلى القرآن.

والمعنى: أي إن[2] ذلك الإعراض منهم بسبب أنَّا جعلنا على قلوبهم أغطية

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.

كَرَاهة أن يفقهوا ما ذُكِّروا به، وجعلنا في آذانهم ثَقلاً لِئَلاً يَسْمَعُوهُ، والمراد: أنه لا يدع شيئاً مِنَ الخير يصل إليها، فَهِيَ لا تعي شَيئاً من الآيات إذا تليت عليها، ذلك أنهم فَقَدُوا الاسْتِعْداد لقبول الرشاد بما دنَّسوا به أنفسهم من قبيح الأفعال والأقوال، وبما اجترحوا من الكفر، والفسوق، والعصيان، فأصبح بينهم وبين سَمَاعِ الحق حجاب غليظ، فلا يَنفذ إلَى السمع شيء مما يُسمع سماع تَدَبُّرٍ واتّعَاظٍ، ولا إلى القلب شيء مما يقال فيعيه وينتفع به، كما قال: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ وقال: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾ وقد تكرر هذا المعنى في غير موضع من الكتاب الكريم.

ثم ذكر سبحانه أثرَ هذا الخَتْمِ على القلوب ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ﴾ يا محمد ﴿إِلَى الْهُدَىٰ﴾؛ أي: إلى طريق الفلاح، وهو دين الإسلام ﴿فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾؛ أي: لَن يوجَد منهم اهتداء أبداً، أي: مدة التكليف كلها البتة إن دعوتهم إلى الهدى؛ لأنه محال منهم، وتقييده[1] بالأبدية مبالغة في انتفاء هدايتهم، أي: ومهما كررت أيها الرَّسُول مِنَ الدعوة إلى الحق حرصاً منك على نجاتهم، وخَشْيَةَ نزول البلاء بِهِم، فَلَنْ يستجيبوا لك، ولن يهتدوا بهديك، لأن اللهَ قد كتب عليهم الضلال بسوء أعمالهم، وقبح طواياهم، فأنى يفيد النصح وتُجدي العظة، ويرق القلب.

وخلاصة المعنى[2]: كأنه ﷺ حرصاً منه على هداهم قال: مالي أدعوهم رجاء أن تنكشف تلك الأَكِنَّةُ، وتُمزَّقَ بيدِ الدعوةِ، فقيل له: وأنى لك ذلك ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ وَقَدْ جاءت هذه الآية في قومٍ علم الله أنهم سيموتون على الكفر من مشركي مكة.

ثم بيَّن أَنَّهُ سبحانه لا يعجل العقوبَة لعباده على ما يَجْتَرِحون من الفسوق والآثام رَجَاء أن يُنيبوا إليه فقال: ﴿وَرَبُّكَ﴾ يا محمد مبتدأ، خبره ﴿الْغَفُورُ﴾؛ أي: البليغ في المغفرة، وهي صيانة العبد عما استحقه من العقاب، للتجاوز عن

---

(١) البحر المحيط. (٢) المراغي.

ذنوبه من الغفر، وهو إلباس الشيء ما يصونه من الدنس ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ﴾ خبر بعد خبر؛ أي: الموصوف بالرحمة الواسعة، وهي الإنعام على الخلق، وإيراد[1] المغفرة على صيغة المبالغة دُونَ الرَّحْمَة للتنبيه على كثرة الذنوب، وأن الْمَغْفِرَةَ ترك المضار، وهو سبحانه قادر على تَرْكِ مَا لاَ يتناهى من العذاب، وأما الرحمة: فهي إنعام، وإيجاد، ولا يدخل تحت الوجود إلاَّ ما يَتَناهى، وتقديم الوصف الأول؛ لأن التَّخْلِيَةَ مقدم على التحلية. ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم﴾؛ أي: لَوْ يُرِيدُ مؤاخذتهم ﴿بِمَا كَسَبُواْۖ﴾ من الذنوب ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ﴾؛ أي: عَذَابَ الاستئصال في الدنيا من غير إمهال لاستيجاب أعمالهم لذلك، ولكنه لم يعجل، ولم يؤاخذْ بغتة ﴿بَل﴾ جُعل ﴿لَّهُم﴾؛ أي: لعذابهم ﴿مَّوْعِدٌ﴾؛ أي: أجل مقدر قيل: هو عذاب الآخرة، وقيل: يوم بدر، فالموعد هنا اسم زمان ﴿لَّن يَجِدُواْ﴾ ألبتة حين مجيءِ الموعد ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ تعالى؛ أي: من غيره سبحانه، وقيل: من دون العذاب ﴿مَوْئِلًا﴾؛ أي: منجىً وملجأ، يُقَال: وَأَلَ أَيْ نجا، ووأل إليه أي لجأ إليه، وفيه دِلاَلَةٌ على أَبْلَغِ وَجْه على أن لا ملجأ لهم ولا منجىً، فإن من يكون ملجأه العذابُ. . كيف يرى وجه الخلاص والنجاة منه؟.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿مَوْئِلًا﴾ بسكون الواو، وهمزة بعدها مكسورة، وقرأ الزهري ﴿مولاّ﴾ بتشديد الواو من غير همز، ولا ياء، وقرأ أبو جعفر عن الحلواني عنه ﴿مولا﴾ بكسر الواو خفيفة من غير همز، ولا ياء.

والمعنى: أي وربك أيها الرسول غَفُورٌ لِذُنوب عباده، ذو رحمة واسعة بهم إذ هم أنابوا إليه، ورجعوا إلى رحاب عفوه وجوده وكرمه، فيرحمهم واسع الرحمات، ويتجاوزُ لهم عن عظيم الخطيئات، ولو شاء أن يؤاخذهم بما اجترحوا من المعاصي، كإعْراضهم عن آياته، ومناصبتهم العداء لرسله، ومجادلتهم بالباطل، لعجل لهم العذاب في الدنيا، وأنزل بهم عذاب الاستئصال جزاء وفاقاً لقبيح أعمالهم، ومثل الآية قولُه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ

(1) روح البيان.

(2) البحر المحيط.

عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾، وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ إلى نحو ذلك من الآيات الكثيرة في هذا الباب، ثم أبان أن هذا إمهال لا إهمال، فقال: ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ ليس لهم منه محيص، ولا ملجأ يلتجئون إليه من عذابه.

ثم ذكر ما هو كالدليل على ما سَلَفَ، فقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾؛ أي: قرى عاد وثمود وأضرابهما، وهي على تقدير المضاف؛ أي: وأهل تلك القرى مبتدأ خبره قوله تعالى: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ واستأصلناهم ﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ وكفروا برسلهم؛ أي: وقت ظلمهم مثل ظلم أهل مكة بالتكذيب والجدال وأنواع المعاصي، و﴿لما﴾[1] إما حرف كما قال ابن عصفور، وإما ظرف استُعمل للتعليل، وليس المراد به الوقت المعيَّن الذي عملوا فيه الظلم، بل زمان من ابتداء الظلم إلى آخره ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم﴾؛ أي: لهلاكهم ﴿مَّوْعِدًا﴾؛ أي: وَقْتاً معيناً لا يتأخرون عنه.

والمعنى: أي[2] وتلك القرى من عاد، وثمود، وأصحاب الأيكة، أهلكناهم لما ظلموا، فكفروا بآياتنا، وجعلنا لهلاكهم ميقاتاً، وأجلاً حين بلغوه جاءهم عذابنا فأهلكناهم به، وهكذا جعلنا لهؤلاء المشركين من قومك الذين لا يؤمنون بك موعداً لهلاكهم، إذَا جاء أهلكناهم، كما هي سنتنا في الذين خلوا من قبلهم من أضرابهم من سالفي الأمم، فَلْيَعْتَبِرُوا بهم، ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم، وقرأ الجمهور[3] ﴿لِمُهْلَكِهم﴾ بضم الميم، وفتح اللام قال الزجاج: وفيه احتمالان: أحدهما: أَنْ يَكُون مَصْدراً مضافاً إلى المفعول، فيكون المعنى: وجعلنا لإهلاكهم، والثاني: أن يَكُونَ زماناً، فالمعنى لوقت هَلاَكِهم، وقرأ حفص، وهارون عن أبي بكر بفتح الميم واللام، وهو مصدر مثل الهلاك، وهو مصدر مضاف إلى المفعول، أيْ لإهلاكهم، وقرأ حفصٌ عن عاصم بفتح الميم وكسر اللام، فيكون زماناً، أي: لوقت إهلاكهم.

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) البحر المحيط وزاد المسير.

الإعراب

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾.

﴿وَإِذْ﴾ (الواو): استئنافية (إذ) ظرف لما مضى من الزمان متعلق بمحذوف تقديره: واذكر إذ قلنا، والجملة المحذوفة مستأنفةٌ ﴿قُلْنَا﴾ فعل وفاعل ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: متعلق به، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ(إذ) ﴿ٱسْجُدُواْ﴾: فعل أمر، وفاعل ﴿لِءَادَمَ﴾ متعلق به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلْنَا﴾ ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾: (الفاء) عاطفة ﴿سجدوا﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿قُلْنَا﴾ ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء متصل أو منقطع ﴿إِبْلِيسَ﴾: منصوب على الاستثناء ممنوع من الصرف للعلمية والعجمية ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص واسمه ضمير يعود على ﴿إِبْلِيسَ﴾. ﴿مِنَ ٱلْجِنِّ﴾: خبره، وجملة ﴿كَانَ﴾: مستأنفة مسوقة لبيان علة استثناء ﴿إِبْلِيسَ﴾ من الساجدين ﴿فَفَسَقَ﴾: (الفاء) عاطفة ﴿فسق﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على إبليس ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على جملة ﴿كان﴾.

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾.

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾: ﴿الهمزة﴾ للاستفهام الإنكاري التعجبي، داخلة على محذوف، و(الفاء) عاطفة على ذلك المحذوف ﴿تتخذونه﴾ فعل وفاعل، ومفعول أول، ﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾: معطوف على ضمير المفعول، ويجوز أن يكونَ مفعولاً معه ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: مفعول ثان لـ﴿اتخذ﴾ ﴿مِن دُونِى﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ أو متعلق بـ﴿تتخذونه﴾، وجملة ﴿اتخذ﴾ معطوفة على تلك الجملة المحذوفة، والتقدير: أَبَعْدَ ما عرفتم فسقه عن أمر ربه تتبعونه، فتتخذونه، وذريته أولياءَ من دوني، والجملة المحذوفة جملة إنشائية، لا محل لها من الإعراب، ﴿وَهُمْ﴾: مبتدأ ﴿لَكُمْ﴾: متعلق بـ﴿عَدُوٌّۢ﴾ لأنه صفة على زنة المصادر كالقبول ﴿عَدُوٌّۢ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب حال من مفعول ﴿تتخذونه﴾ أو

من فاعله لأن فيها مصححاً لكل من الوجهين، وهو الرابط اهـ «سمين» ﴿بِئْسَ﴾: فعل ماض جامد لإنشاء الذم، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً مفسر بنكرة مذكورة بعده ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾: متعلق بـ﴿بَدَلًا﴾ و﴿بَدَلًا﴾: تمييز لفاعل ﴿بِئْسَ﴾ ويجوز أنْ يَتَعلَّق ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ بمحذوف حال من ﴿بَدَلًا﴾ وأن يتعلق بفعل الذمّ والمخصوص بالذم محذوف وجوباً والتقدير: بئس البدل للظالمين بدلاً، والمخصوص بالذم إبليس وذريته، وجملة ﴿بِئْسَ﴾: جملة إنشائية لا محل لها من الإعراب. ﴿مَّا﴾: نافية ﴿أَشْهَدتُّهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول ﴿خَلْقَ السَّمَاوَاتِ﴾: مفعول ثان ﴿وَالْأَرْضِ﴾: معطوف على السموات، والجملة مستأنفة ﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾: معطوف على ﴿خَلْقَ السَّمَاوَاتِ﴾ ﴿وَمَا﴾ (الواو) عاطفة ﴿ما﴾ نافية ﴿كُنتُ﴾: فعل ناقص واسمه ﴿مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ﴾: خبره، ومضاف إليه، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر، وجملة ﴿كان﴾ معطوفة على جملة قوله ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ﴾ ﴿عَضُدًا﴾: مفعول ثان لـ﴿مُتَّخِذَ﴾ لأنه اسم فاعل من اتخذ مضاف إلى مفعوله الأول.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ﴾ (الواو): استئنافية ﴿يَوْمَ﴾: منصوب على الظرفية الزمانية، متعلق بمحذوف تقديرُه: واذكر يا محمد يوم يقول، والجملة المحذوفة مستأنفةٌ ﴿يَقُولُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعُودُ على الله، والجملة في محل الجر مضاف إليه، لـ﴿يوم﴾ ﴿نَادُوا﴾: فعل وفاعل ﴿شُرَكَائِيَ﴾: مفعول به، ومضاف إليه ﴿الَّذِينَ﴾: نعت لـ﴿شُرَكَائِيَ﴾، وجملة ﴿نَادُوا﴾: في محل النصب مقول لـ﴿يَقُولُ﴾ ﴿زَعَمْتُمْ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: زعمتموهم شركائي ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة ﴿يَقُولُ﴾ لأن الماضي هنا بمعنى المستقبل؛ أي: يوم يقول نادوا شركائي فيدعونهم ﴿فَلَمْ﴾: (الفاء) عاطفة ﴿لم﴾ حرف جزم ونفي ﴿يَسْتَجِيبُوا﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لم﴾ ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على جملة قوله ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ ﴿وَجَعَلْنَا﴾: فعل وفاعل ﴿بَيْنَهُم﴾: ظرف في محل المفعول الثاني

لـ﴿جعلنا﴾ ﴿مَّوۡبِقٗا﴾: هو المفعول الأول له، والجملة معطوفة على جملة ﴿فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ﴾.

﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴿٥٤﴾﴾.

﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة ﴿جعلنا﴾ ﴿فَظَنُّوٓاْ﴾: (الفاء) عاطفة ﴿ظنوا﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿رأى﴾ ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾: ناصب واسمه وخبره، وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي ﴿ظن﴾ ﴿وَلَمۡ﴾: (الواو) عاطفة ﴿لم﴾ ﴿يَجِدُواْ﴾: جازم وفعل وفاعل ﴿عَنۡهَا﴾: متعلق بـ﴿مَصۡرِفٗا﴾ و﴿مَصۡرِفٗا﴾: مفعول به لـ﴿وجد﴾ لأنه بمعنى أصاب، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿فَظَنُّوٓاْ﴾. ﴿وَلَقَدۡ﴾: (الواو) استئنافية و(اللام) موطئة للقسم ﴿قد﴾ حرف تحقيق ﴿صَرَّفۡنَا﴾: فعل وفاعل ﴿فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾: متعلق به ﴿لِلنَّاسِ﴾: متعلق بـ﴿صَرَّفۡنَا﴾ أيضاً ﴿مِن كُلِّ مَثَلٖ﴾: جار ومجرور صفة لمحذوف وقع مفعولاً لـ﴿صرفنا﴾ تقديره: مثلاً من جنس كل مثل، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مستأنفة، ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾: فعل ناقص واسمه ﴿أَكۡثَرَ شَيۡءٖ﴾: خبره ﴿جَدَلٗا﴾: تمييز محول عن اسم ﴿كَانَ﴾ والأصل: وكان جدل الإنسان أكثر شيء، وجملة ﴿كَانَ﴾: معطوفة على جملة ﴿صَرَّفۡنَا﴾ على كونها جوابَ القسم.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ﴿٥٥﴾﴾.

﴿وَمَا﴾ (الواو): عاطفة أو استئنافية ﴿ما﴾ نافية ﴿مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾: فعل ومفعول أول ﴿أَن يُؤۡمِنُوٓاْ﴾: ناصب وفعل، وفاعل، والجملة في تأويل مصدر منصوب على كونه مفعولاً ثانياً تقديره: وما منع الناس إيمانَهم ﴿إِذۡ﴾: ظرف لما مضى من الزمان، متعلق بـ﴿يُؤۡمِنُوٓاْ﴾ ﴿جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه، لـ﴿إِذۡ﴾ ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿يُؤۡمِنُواْ﴾ ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء مفرغ ﴿أَن تَأۡتِيَهُمۡ﴾: ناصب وفعل ومفعول به

مقدم ﴿سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: فاعل مؤخر، والجملة في تأويل مصدر مرفوع على الفاعلية لـ﴿مَنَعَ﴾ ولكنه على تقدير مضاف، والتقدير: وما منع الناس إيمانهم، وقت مجيء الهدى إياهم، واستغفارهم ربهم، إلا إتيان سنة الأولين إياهم؛ أي: إلا انتظار إتيان سنة الأولين إياهم، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: فعل ومفعول وفاعل معطوفة على ﴿أَن تَأْتِيَهُمْ﴾ ﴿قُبُلًا﴾: حال من الضمير، أو من العذاب، والتقدير: أو إلا انتظار إتيان العذاب إياهم، ﴿قُبُلًا﴾: وجملة ﴿مَنَعَ﴾: مستأنفة أو معطوفة على جملة ﴿صَرَّفْنَا﴾ وفي الكرخي: وإنما احتيج إلى حذف المضاف، إذْ لا يمكن جعل إتيان سنة الأولين مانعاً عن إيمانهم، فإن المانع يقارن الممنوع، وإتيان العذاب متأخرٌ عن عدم إيمانهم بمدة كثيرة اهـ.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾.

﴿وَمَا﴾ (الواو): عاطفة على ﴿صَرَّفْنَا﴾، أو استئنافية، ﴿ما﴾ نافية ﴿نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الله ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ ﴿مُبَشِّرِينَ﴾: حال من ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿وَمُنذِرِينَ﴾: معطوف على ﴿مُبَشِّرِينَ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة أو معطوفة على ﴿صَرَّفْنَا﴾ ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ﴾: (الواو): استئنافية ﴿يجادل الذين﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة ﴿كَفَرُوا۟﴾: فعل، وفاعل صلة الموصول ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾: متعلق بـ﴿يجادل﴾ ﴿لِيُدْحِضُوا۟﴾: (اللام) حرف جر وتعليل ﴿يدحضوا﴾ فعل وفاعل منصوب بأن مضمرةً بعد لام كي، ﴿بِهِ﴾ متعلق بـ﴿يدحضوا﴾ ﴿ٱلْحَقَّ﴾ مفعول به، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور باللام، تقديره: لإدحاض الحق به، الجار والمجرور متعلق بـ﴿يجادل﴾ ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟﴾: (الواو) حالية أو استئنافية ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟﴾: فعل وفاعل ﴿ءَايَٰتِى﴾: مفعول أول ﴿وَمَا﴾ (الواو) عاطفة ﴿ما﴾ اسم موصول في محل النصب معطوف على ﴿ءَايَٰتِى﴾ ﴿أُنذِرُوا۟﴾: فعل ونائب فاعل صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: وما أنذروا به، ويصح أن تَكُون ﴿ما﴾ مصدرية، والمصدر المؤول معطوف على ﴿ءَايَٰتِى﴾، ﴿هُزُوًا﴾ مفعول ثاني لـ﴿اتخذوا﴾ وجملة ﴿اتخذوا﴾ في محل النصب حال من فاعل (يجادل) على

تقدير قد أو مستأنفة.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِئَايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾.

﴿وَمَنْ﴾ (الواو): استئنافية من اسم استفهام إنكاري بمعنى النفي في محل الرفع مبتدأ ﴿أَظْلَمُ﴾: خبره، والجملة مستأنفة ﴿مِمَّنِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَظْلَمُ﴾ ﴿ذُكِّرَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على من والجملة صلة الموصول ﴿بِئَايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾: جار ومجرور، ومضاف إليه متعلق بـ﴿ذُكِّرَ﴾ ﴿فَأَعْرَضَ﴾: (الفاء) عاطفة ﴿أعرض﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾ ﴿عَنْهَا﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على ﴿ذُكِّرَ﴾ ﴿وَنَسِىَ﴾: فعل ماض، معطوف على ﴿أعرض﴾: وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول ﴿نسي﴾ ﴿قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة لـ﴿ما﴾ أو صفة لها، والعائد، أو الرابط محذوف تقديره: ما قدمته يداه ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه وجملة ﴿جَعَلْنَا﴾ خبره، وجملة إن مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلَها ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ جار ومجرور في محل المفعول الثاني لـ﴿جَعَلْنَا﴾ ﴿أَكِنَّةً﴾: مفعول أول له ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾: ناصب وفعل وفاعل ومفعول، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مجرور بإضافة المصدر المقدر إليه، وذلك المقدر منصوب على أنه مفعول لأجله، والتقدير: إنا جعلنا على قلوبهم أكنة كراهية فقههم بآيات الله ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾: معطوفة على ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ ﴿وَقْرًا﴾: معطوف على ﴿أَكِنَّةً﴾ ﴿وَإِن﴾: (الواو) عاطفة ﴿إن﴾ حرف شرط ﴿تَدْعُهُمْ﴾: فعل ومفعول مجزوم بـ﴿إن﴾ الشرطية، وفاعله ضمير يعود على محمد ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾: متعلق به ﴿فَلَن﴾: (الفاء) رابطة الجواب وجوباً لاقترانه بـ﴿لن﴾ ﴿يَهْتَدُوٓاْ﴾: فعل وفاعل منصوب بلن ﴿إِذًا﴾: حرف جواب وجزاء مهمل ﴿أَبَدًا﴾: ظرف متعلق بـ﴿يَهْتَدُوٓاْ﴾، وجملة ﴿يَهْتَدُوٓاْ﴾: في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها جَواباً لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية معطوفة على جملة قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا﴾: عطف فعلية على اسمية.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ۝٥٨ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩﴾.

﴿وَرَبُّكَ﴾ (الواو): استئنافية ﴿ربُّك﴾: مبتدأ ﴿ٱلْغَفُورُ﴾: خبر أول ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ﴾: خبر ثان، والجملة مستأنفة، ﴿لَوْ﴾: حرف شرط غير جازم ﴿يُؤَاخِذُهُم﴾: فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة فعل شرط لـ﴿لَوْ﴾ لاَ محَلَّ لها من الإعراب، ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يُؤَاخِذُهُم﴾ ﴿كَسَبُوا۟﴾: فعل وفاعل صلة لـ﴿ما﴾ أو صفة لها، والعائد، أو الرابط محذوف تقديره: بما كسبوه ﴿لَعَجَّلَ﴾: (اللام) رابطة لجواب ﴿لو﴾ ﴿عجل﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿الله﴾ ﴿لَهُمُ﴾ متعلق به ﴿ٱلْعَذَابَۚ﴾: مفعول به، والجملة جواب لو لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لو﴾ الشرطية مستأنفة، أو في محل الرفع خبر ثالث، لربك ﴿بَل﴾: حرف إضراب وابتداء ﴿لَّهُم﴾: خبر مقدم ﴿مَّوْعِدٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة ﴿لَّن يَجِدُوا۟﴾: ناصب وفعل وفاعل ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: جار ومجرور حال من ﴿مَوْئِلًا﴾ أو متعلق بـ﴿يَجِدُوا۟﴾ و﴿مَوْئِلًا﴾: مفعول به، وجملة ﴿لَّن يَجِدُوا۟﴾: في محل النصب حال من ضمير ﴿لَّهُم﴾ أو في محل الرفع صفة لـ﴿مَّوْعِدٌ﴾ ﴿وَتِلْكَ﴾: مبتدأ ﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾ بدل منه ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة ﴿لَمَّا﴾: ظرف بمعنى حين متعلق بـ﴿أهلكنا﴾، وجملة ﴿ظَلَمُوا۟﴾: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿لما﴾ الحينية ﴿وَجَعَلْنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أهلكنا﴾ ﴿لِمَهْلِكِهِم﴾: حال من ﴿مَّوْعِدًا﴾ أو متعلق به لأن ﴿جعل﴾ هنا بمعنى قدر، وعين ﴿مَّوْعِدًا﴾: مفعول به لـ﴿جعلنا﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾؛ أي: خرج يقال: فسق الرطب إذا خرج عن قشره، قال الفراء: العرب تقول: فسقت الرطبة عن قشرها لخُروجها منه. ﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ والذرية: الأولاد، وبذلك قال جمع من العلماء، منهم: الضحَّاك، والأعمش،

والشعبيُّ، وقيل: المراد بهم الأتباع من الشياطين. قال أبو نصر القشيري، وبالجملةِ: فَإن الله تعالى أَخْبَرَ بأن لإبليس أَتْبَاعاً، وذرية، وأنهم يوسوسون إلى بني آدم، وهم أعداؤهم، ولم يثبت عندنا علم بكيفيَّة التوالد منهم، وحدوث الذرية من إبليس، فَيَتَوقف الأمر فيه على نَقْل صحيح اهـ. ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ والعدو اسم جنس يطلق على الواحد، والكثير، كما قال ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾، وقال: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ ﴿عَضُدًا﴾، والعضد: أصله ما بين المرفق إلى الكتف، ويُسْتَعْمَلُ بمعنى المعين كاليد، ونحوها، وهو المراد هنا، وفي «السمين»: والعضد من الإنسان، وغيره معروف، ويعبر به عن المعين، والناصر، يُقَالُ: فلان عضدي، ومنه ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾؛ أي: سنقوي نصرتك ومَعُونتك اهـ.

﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾، أي: فلم يجيبُوا لهم فالسين والتاء زائدتان ﴿مَّوْبِقًا﴾ الموبق مكان الوبوق؛ أي: الهَلاك، وهو النار وفي «القاموس»: وبق كوعد ووجل، وورث وبوقا، وموبقاً هلك، وكمجلس المهلك والموعد، والمحبس واد في جهنم، وكل شيء حال بين شيئين، وأوبقه حبسه أو أهلكه وأوبقته ذنوبه: أهلكته اهـ. وفي أبي السعود: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾، أي: بين الداعينَ والمدعوين ﴿مَّوْبِقًا﴾ اسم مكان، أو مصدر من وبق وبوقاً كوثب وثوباً أو وبق وبَقَا كفرح فرحاً، إذا هلك؛ أي: مهلكاً يشتركون فيه وهو النار ﴿مَصْرِفًا﴾ أي: مكاناً ينصرفون إليه. وفي «السمين» والمصرف يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسمَ مَكَانٍ أو زمان، وقال أبو البقاء: ﴿مَصْرِفًا﴾ أي: انصرافاً، ويجوز أن يكون مكاناً اهـ. ﴿جَدَلًا﴾؛ أي: خصومة في الباطل قال الفرزدق:

مَا أَنْتَ بِٱلْحَكَمِ ٱلتُّرْضَىٰ حَكُومَتُهُ وَلاَ ٱلأَصِيْلِ وَلاَ ذِيْ ٱلرَّأْيِ وَٱلْجَدَلِ

﴿سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الإهلاك بعذاب الاستئصال، ﴿قُبُلًا﴾ والقبل، بضمتين الأنواع والألوانُ واحدها قَبيل كسبل وسبيل وفي «القاموس»: رأيته قبلا (بضمتين) وقَبْلاً (بفتح فسكون) وقَبَلاً (بفتحتين) وقِبَلاً (بكسر ففتح) وقُبيلاً (بضم ففتح) وقبيلاً؛ أي: عَيَاناً، ومقابلةً، وقال الفراء: إن قبلا جمع قبيل؛ أي: مُتَفرقا يتلو

بعضه بَعْضاً، وقيل: عَيَاناً، وقيل: فجأة ﴿لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾، والإدحاض الإزلاق يقال أدحض قَدَمَه؛ أي: أزلقها، وأزلها من موضعها، والحجة الداحضة التي لا ثبات لَها، والدحض الطين: لأنه يزلق فيه، ومَكَانٌ دَحْضٌ من هذا اهـ «سمين». وفي «المختار»: دحضت حجته بَطَلَت، وبابه خضع وأَدْحَضَها الله، ودحضت رجله زلقت وَبَابُهُ قطع، والإدحاض الإزلاق اهـ.

﴿أَكِنَّةً﴾؛ أي: أغطية جمع كنان كزمام، وأزمة، وأصله أكننة، كأزممة نُقلت حركة النون إلى الكاف، قبلها، ثم أدغمت في التي بعدها اهـ شيخنا وفي «القاموس»: أَنَّه جمع كن أيضاً، ونصه: والكن ـ بالكسر ـ وقاء كل شيءٍ وستره كالكنة، والكنان بكسرهما، والجمع أكنان وأكنة اهـ ﴿وَقۡرٗاۖ﴾؛ أي: ثقلا في السمع ﴿مَوۡئِلٗا﴾ وَالْمَوئِل المرجع، من وأل، يئل، وألاً، ووُولاً إذا رجع، وهو من التأويل، وقال الفراء: المَوئل المنجا، يقال وألت نفسه، أي نجت، وقال ابن قتيبة: الموئل الملجأ يقال وَأَلَ فلان إلى فلان يئل، وأُلاً، ووؤلاً إذا لجأ إليه، وهو هنا مصدر اهـ. وفي «المصباح»: وأَلَ إلى الله يئل ـ من باب وعد ـ التجأ إليه، وباسم الفاعل سمي ومنه: وائل بن حجر، وهو صحابي، وسحبان بن وائل، ووأل رجع، وإلى الله الموئل؛ أي: المرجع اهـ. ﴿لِمَهۡلِكِهِم﴾ بضم الميم اسم مصدر لأهلك لكنه على زنة اسم المفعول، وهو مضاف لمفعوله؛ أي: لإهلاكنا إياهم.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات أنواعاً من البلاغة، وضروباً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الجناس المماثل في قوله: ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾ ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾.

ومنها: الاستفهام الإنكاري التعجبي في قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾.

ومنها: الطباق بين ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ و﴿عَدُوُّۢ﴾ في قوله: ﴿أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢ﴾ لأن الأولياء معناه الأصدقاء وإن كَانَ مجازاً عن الأتباع.

ومنها: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾ إذ المراد بالمضلين من انتفى عنهم إشهاد خلق السموات والأرض اهـ سمين.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿عَضُدًا﴾ لأنه حقيقة في العضو المعروف، ثُمَّ استعير للمعين والناصر.

ومنها: التهكم في قوله: ﴿نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ﴾ لأنه أضافهم إليه على زَعْمِهِم تهكماً بهم، وتقريعاً لهم.

ومنها: الطباق بين ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ ﴿وَمُنذِرِينَ﴾، وبين ﴿ٱلْحَقَّ﴾ ﴿والباطل﴾ في قوله: ﴿وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾.

ومنها: الاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾؛ لأن الْيَدَيْنِ مجاز عن النفس من إطلاق البعض، وإرادة الكل.

ومنها: جناس الاشتقاق بين ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾ و﴿يَهْتَدُوٓا۟﴾ في قوله: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟﴾.

ومنها: المبالغة في قوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ﴾.

ومنها: المجاز في قوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾؛ أي: أهل تلك القرى من إطلاق المحل، وإرادة الحال.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضعَ.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنَّ الله سبحانه وتعالى، لما ذكر[١] قَصَصَ الْمُشْرِكِينَ الذين افتخروا على فقراء المؤمنين بكثرة الأموال والأنصار، وامتنعوا عن حضور مجلس النبي ﷺ، لئلا يشتركوا مَعَ أولئك الصعاليكِ في مجلس واحد، ولئلا يؤذُوهُم بمناظرهم البَشِعَةِ، وروائحهم المُسْتَقْذَرةِ.. قفَّى على ذلك بذكر قصص موسى عليه السلام مع الخضر، ليبين بها أن مُوسَى مع كونه نبياً صادقاً، أرسله الله إلى بني إسرائيل بشيراً ونذيراً، وهو كليم الله، أُمِرَ أن يذهب إلى الخضر، لِيتعلم منه ما لم يعلمه، وفي ذلك دَلِيل على أن التواضع خير من التكبر.

---

(١) المراغي.

مقدمة تشرح هذا القَصص

١ ـ مَنْ موسى؟

أكثر العلماء على أنَّ موسى الذي ذكر في هذه الآية، هو موسى بن عِمْرَان نبي بني إسرائيل، صاحب المعجزات الظاهرة، والشريعة الباهرة، ولهم على ذلك أدلة:

١ ـ أنه ما ذَكَر الله مُوسى في كتابه إلا أراد صاحبَ التوراة، فإطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف إليه، ولو كَانَ شخصاً آخرَ سمي بهذا الاسم، لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز، وتزيل الشبهة.

٢ ـ ما أخرجه البخاري، ومسلم في جماعة آخرين، عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن نوفاً البكالي بن فَضَالة ابن امرأة كعب من أصحاب أمير المؤمنين علي كرَّم الله وجهه، يزعم أن مُوسَى صاحب الخضر ليس موسى صاحب بني إسرائيل، فقال: كذب عدو الله.

وذهب أهل الكتاب وتبعهم بعض المحدثين والمؤرخين، أنَّ موسى هنا هو موسى بن ميشى بن يوسف بن يعقوب، وكان نبياً قبل موسى بن عمران، ولهم على ذلك أدلة:

١ ـ أن موسى بعد أَنْ أُنزلت عليه التوراة، وكلَّمَهُ بلا واسطة، وحج خصمه بالمعجزات العظيمة التي لم يتفق مثلها لأكثر الأنبياء، يبعد أن يبعثَهُ الله بعد ذلك ليستفيد علماً من غيره. ورُدَّ هذا: بأنه لا يبعد بأن العالِمَ الكامل في أكثر العلوم يجهل بعض أشياء، فيحتاج في تعلمها إلى من دونه، وهذا مشاهد معلومٌ.

٢ ـ أن موسى عليه السلام بَعْدَ خروجه من مصر، وذهابه إلى التيه، توفي، ولم يخرج قومه منه إلا بعد وفاته، ولو كانت هذه القصة معه، لاقتضت خروجه من التيه؛ لأنها لم تكن وهُوَ في مصر بالاتفاق.

٣ ـ أنها لو كانت معه لاقتضت غيبته أياماً، ولو كَانَ كذلك.. لعلمها الكثير من بني إسرائيل الذين كانوا معه، ونقلت لتوافر الدواعي على نقلها، ولم

يكن شيء من ذلك، فإذاً لم تكن معه. ورُدَّ هذا: بأنه قَدْ يكون موسى عليه السلام خرج وغابَ أياماً، لكن لم يعلموا أنه ذهب لهذا الغرض، بل ذهب ليناجي ربه، ولم يقفهم على حقيقة غيبته بعد أن رجع، لعلمه بقصور فهمهم، فخاف من حط قدره عندهم، فأوصى فَتَاهُ بكتمان ذلك، وعلى الجملة: فإنكارهم لا يؤبَهُ به، وهو جائز عقلاً، وقد أخبر به سُبْحَانَهُ رسوله.

٢ ـ مَنْ فتاه؟

فتى موسى: هو يوشع بن نون، بن أفراشيم، بن يوسف عليه السلام، وقد كان يخدمهُ وَيَتَعلَّمُ منه، والعرب تسمّي الخادمَ فتىً، لأن الخدم أكثر ما يكونون في سن الفتوة، كما يُطلقون على العبد فتىً، وفي الحديث الصحيح: «لِيَقل أحدُكم فتايَ وفتاتي، ولا يقل عبدي وأمتي» وهذا من محاسن الآداب الشرعية.

٣ ـ مَنِ ٱلخَضِرُ؟

الخضر: ـ بفتح الخاء وكسرها وكسر الضاد، وسكونها ـ: لقبٌ لصاحب موسى، واسمه بَلْيَا ـ بفتح الباء وسكون اللام ـ ابن مَلْكَان، والأكثرون على أنه كان نبياً، ولهم على ذلك أدلة:

١ ـ قوله: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾، والرحمة النُّبُوَّة بدليل قوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ﴾.

٢ ـ قوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾، وهذا يقتضي أنه علمه بلا واسطة معلم، ولا إرشاد مرشد، وكُلُّ من كان كذلك كان نبياً.

٣ ـ أنه قال له موسى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾، والنبي لا يَتَعلَّمُ من غير النبي.

٤ ـ أنه قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِيۚ﴾؛ أي: بل قد فعلته بوحي من الله، وهذا دليل النبوة.

٤ ـ أين كان مجمع البحرين؟

مجمع البحرين: هو المكان الذي يجتمع فيه البحران ويصيران بحراً واحداً، وفيه رأيان:

١ ـ أنه ملتقى بحري فارس والروم، ملتقى المحيط الهندي والبحر الأحمر عند باب المندب.

٢ ـ أنه ملتقى بحر الروم والمحيط الأطلنطي عند طنجة، قاله محمد بن كعب القرظي البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي عند مضيق جبل طارق أمام طنجة.

قال البقاعي: والله أعلم إنَّه مجمع النيل، والملح عند دمياط أو رشيد من بلاد مصر، ويؤيده نقر العصفور في البحر الذي ركب فيه سفينته للتعدية، كما ورد في الحديث، فَإنَّ الطير لا يشرب من الماء الملح اهـ. وليس في الكتاب الكريم ما يدل على تعيين هذين البحرين، فإن جاء في الخبر الصحيح شيء فذاك، وإلا فيُجمل السكوت عنه.

قصة الخضر مع موسى عليهما السلام

واعلم: أنه قد رويت في قصة الخضر مع موسى المذكورة في الكتاب العزيز أحاديث كثيرة بروايات مختلفة، وأتم الروايات وأصحها، ما روى الشيخان عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قلت لابن عباس: إن نوفاً الْبُكالي يزعم: أن موسى صاحب الخضر، ليس موسى صاحب بني إسرائيل، قال ابن عباس: كذب عدو الله. حدثنا أُبَيُّ بن كعب: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسُئل أيُّ الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه، إذ لم يرُدَّ العلم إليه، فأوحى الله إليه: إنَّ لي عبداً بمجمع البحرين، هو أعلم منك، قال موسى: يا رب، فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل، فحيثما فقدت الحوت، فهو ثَمَّ، فأخذ حوتاً فجعله في مكتل، ثُمَّ انطلق، وانطلق معه فتاه يوشع بن نون، حتى أتيا الصخرة، وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل، فخرج منه فسقط في

البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء، فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يَوْمِهِمَا وليلتهما، حتى إذا كانا من الغد قال موسى لفتاه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ قال: ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به، فقال له فتاه: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ قال: فكان للحوت سرباً، ولموسى وفتاه عجباً، فقال موسى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾» قال سفيان: يزعم ناس أن تلك الصخرة عندها عين الحياة، لا يصيب ماؤها ميتاً إلاَّ عاش، قال: وكان قد أُكلَ منه، فلما قطر عليه الماء عاش، قال: فرجعا يقصان أثرهما، حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مُسجًّى بثوب، فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأنَّى بأرضك السلام، قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل، قال: نعم، قال: أتيتك لتعلِّمني مما عُلِّمتَ رُشْداً، قال: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ يا موسى، إني على علم من الله علَّمنيه لا تعلمه أَنْتَ، وأنت على علم من الله، علَّمك الله لا أعلمه، قال موسى: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ فقال له الخضر: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة، فكلَّموهم أن يحملوهم، فَعَرَفُوا الخضر، فحملوه بغير نولٍ، فلما رَكِبَا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدُّوم، فَقَالَ له موسى: قوم حملونا بغير نول، عَمَدْتَ إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟! لقد جئت شيئاً إمراً. قال: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾ قال: وقال رسول الله ﷺ: «فكانت الأولى من موسَى نِسْيَاناً قَالَ: وجاء عصفورٌ فوقع على حرف السفينة، فنقرَ في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلاَّ مثل ما نقص هذا العصفور الذي وقع على حرف السفينة، من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل، إذ أبصر الْخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده، فاقتلعه بيده، فقتله، فقال موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل

لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ قال: وهذه أشد من الأولى، ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾ ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ قال: مائل، فقال الخضر بيده هكذا، فأقامه فقال موسى: قوم أتيناهم، فلم يطعمونا، ولم يضيِّفونا ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ فقال رسول الله ﷺ: وددنا أن موسى كان صبر، حتى يقص الله علينا من خبرهما».

قال سعيد بن جبير: وكان ابن عباس يقرأ: ﴿وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾ وكان يقرأ: ﴿وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين﴾، وبقية روايات سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبيٍّ بن كعب، هي موافقة لهذه الرواية في المعنى، وإن تَفَاوتت الألفاظ في بعضها، فلا فَائِدَةَ في الإطالة بذكرها، وكذا روايات غير سعيد عنه.

التفسير وأوجه القراءة

والظرف في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ متعلق بفعل محذوف تقديره؛ واذكر يا محمد لِقَوْمِكَ قِصَّةَ إذْ قال ﴿مُوسَىٰ﴾ بن عمران عليه السلام، ﴿لِفَتَـٰهُ﴾ يوشع بن نون بن أفراشيم بن يوسف عليه السلام، لما فيها من العبرة.

قيل[1]: ووجه ذكر هذه القصة في هذه السورة: أن اليهودَ لما سألوا النبي ﷺ عن قصة أصحاب الكهف، وقالوا: إنْ أخبركم فهو نبي، وإلا فلا.. ذكر الله قِصَّةَ موسى والخضر، تَنبيهاً على أن النبي لا يلزمه أن يكون عالماً بجميع القَصَصِ والأخبار، والمعنى: واذكر قصة وقت قول موسى لفتاه يوشع بن نون، وهو ابن أخت موسى، وَكَانَ من أكبر أصحابه، ولم يزل معه إلى أن مات، وخلفه في شريعته، وكان من أعظم بني إسرائيل بعد موسى، سُمي فتاه إذ كان

---

(١) الشوكاني.

يخدمه، ويتبعه، ويتعلم منه، ويسمى الخادم والتلميذ فتى، وإن كان شيخاً، وإليه يشير القول المشهور: تعلم يا فتى فالجهل عار.

﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾: من برح الناقص كزال يزال؛ أي: لا أزال أسير، فحذف الخبر اعتماداً على قرينة الحال؛ إذ كان ذلك عند التوجه إلى السفر، ويدل عليه أيضاً ذكر السفر في قوله: ﴿لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا﴾ ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ﴾ وأصل ﴿مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾؛ أي: ملتقى بحر فارس والروم، مما يلي المشرق، وهو المكان الذي وعد الله موسى بلقاء الخضر فيه، والمراد[1] بملتقاهما هنا موضع يقرب التقاؤهما فيه مما يلي المشرق، ويُعطى لما يقرب من الشيء حكم ذلك الشيء ويعبر به عنه، وفيه إشارة إلى أن موسى والخضر عليهما السلام بَحْرَانِ لكثرة علمهما ﴿أَوۡ﴾ حتى ﴿أَمۡضِيَ﴾ وأسير ﴿حُقُبٗا﴾؛ أي: زماناً طويلاً، أتيقن معه فوات المطلب، أو أسير ثمانين سنةً، يعني حتى يقع، إما بلوغ المجمع، أو مضي الحقب؛ قال الجوهري: الحقب ـ بالضم ـ ثمانون سنةً، وقال النَّحَّاس: الذي يعرفه أهل اللغة: أن الحقب والحقبة زمان من الدهر مبهم غير محدود، كما أن رهطاً وقوماً منهم غير محدود، وجمعه أحقاب، وسبب هذه العزيمة على السير من موسى عليه السلام ما رويَ أنه سئِل موسى من أعلم الناس؟ فقال: أنا، فأوحى الله إليه: أنَّ أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين، كما مر في القصة، والمعنى؛ أي[2]: واذكر أيها الرسول قصة حين قال موسى بن عمران لفتاه يوشع: لا أزال أمشي حتى أبلغ مكانَ اجتماع البحرين، أو أسير دهراً طويلاً.

وخلاصة ذلك: أن الله تعالى أعلَمَ موسى هذا العالِمَ، وما أعلمه موضعه بعينه، فقال: لا أزال أمشي حتى يجتمع البحران، فيصيرَا بحراً واحداً، أو أمضي دهراً طويلاً حتى أجده.

ومجمل الأمر: أنَّه وطَّن نفسه على تحمل التعب الشديد، والعناء العظيم،

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

في السفر مَهْمَا طال به الزمان. وقرأ[1] الضحاك، وعبد الله بن مسلم بن يسار ﴿مجمع﴾ بكسر الميم الثانية، والنضر عن ابن مسلم بالكسر في كلا الحرفين، وهو شاذ، وقياسه: من يفعل بفتح الميم كقراءة الجمهور، والظاهر؛ أن مجمع البحرين، هو اسم مكان جمع البحرين، وقيل: مصدر، وقرأ الضحاكُ حقباً بإسكان القاف، والجمهور بضمها.

قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾ معطوف على محذوف تقديره: فذهبا يمشيان، فلما بلغا، أي: بلغ موسى وفتاه ﴿مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾؛ أي: مجمع بين البحرين، وأضيف مجمع إلى الظرف توسعاً، وهو الموضع الذي وُعِدَ موسى أن يجتمعَ فيه مع الخضر، وفيه الصَّخْرة، وفيه عين ماءِ الحياة، التي لا يصيب ماؤُها مَيْتاً إلا حيي، وقد وقع أنَّهما لَمَّا وضَعَا، أنَّ حوتهما أصابه شيء من ماء الحياة فحيي، وَقيل[2]: البين بمعنى الافتراق؛ أي: البحران المفترقان، يجتمعانِ هناك، وقيل: الضمير لموسى، والخضر؛ أي: وصلا الموضع الذي فيه اجتماع شملهما، ويكون البين: على هذا بمعنى الوصل؛ لأنه من الأضداد، والأول أولى، ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾؛ أي: تركا حوتَهما الذي جُعل فقدانه أَمَارةَ وُجدان المطلوب؛ أي: نسي مُوسَى تذكر الحوت لصاحبه، وصاحبه نسي الإخبار بأمره، فلا يخالفه ما في حديث «الصحيحين» من إسناد النسيان إلى صاحبه، وفي «الأسئلة المقحمة»: كَانَا جَمِيعاً قد زوَّداه لسفرهما، فجاز إضافة ذلك إليهما؛ وإن كَانَ الناسي أحدهما، وهو يوشع: يقال: خرج القوم، وحملوا معهم الزاد، وإنما حمله بعضهم، ﴿فَٱتَّخَذَ﴾ الحوت. إن قُلْتَ: كيف أتى بالفاء، وذهاب الحوت مقدم على النسيان؟

قلت: الفاء فصيحة، ولا يلزم أن يكون المعطوف عليه الذي يُفصح الفاء عنه معطوفاً على نسيا بالفاء، بل بالواو، والتقدير: وحيي الحوت، فَسَقط في البحر، فاتخذَ ﴿سَبِيلَهُۥ﴾؛ أي: طريقه ﴿فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾؛ أي: مسلكا مفعول ثان لـ﴿اتخذ﴾، أي: اتخذ سبيلاً سرباً، والسرب: النفق، الذي يكون في الأرض،

---

(١) البحر المحيط.   (٢) الشوكاني.

للضب ونحوه من الحيوانات، وذلك أن الله سبحانه أمسك جِريَة الماء عن الموضع الذي انسرب فيه الحوت ودخل فصار كالطاق فشبه مسلك الحوت في البحر مع بقائه، وانجياب الماء عنه بالسرب الذي هو الكوة المحفورة في الأرض، قال الفراء: لما وقع في الماء جَمَدَ مذهبه في البحر، فكان كالسرب، فلما جَاوَزَا ذلك المكان الذي كانت عنده الصخرة، وذهب الحوت فيه، انطلقا، فأصابهما ما يصيب المسافرين من النصب والكلال، ولم يجدا النصب حَتَّى جَاوَزَا الموضع الذي فيه الخضر، فلهذا قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾، أي: جاوز موسى وفتاه مجمع البحرين الذي جُعل موعدا للملاقاة، مع الخضر؛ أي: انْطَلَقَا بَقِيَّةَ يومهما وليلتهما حتى إذا كان الغد، أُلقي على موسى الجوع، لِيَتَذكر الحوت، ويرجع إلى مطلبه، فعند ذلك، ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لِفَتَـٰهُ﴾ يوشع ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾؛ أي: قرِّب لنا ما نتغدى به، وهو الحوت كما ينبىء عنه الجواب، والغداء - بالفتح - هو ما يعد للأكل أول النهار، والعشاء ما يعد له آخره، والله ﴿لَقَدْ لَقِينَا﴾ وذقنا ﴿مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا﴾؛ أي: من هذا السفر الذي سرناه بعد مجاوزة مجمع البحرين، ﴿نَصَبًا﴾؛ أي: تعباً وإعياء.

وقرأ الجمهور: ﴿نَصَبًا﴾ بفتحتين، وعبد الله بن عبيد بن عمير بضمتين، قال صاحب «اللوامح»: وهي إحدى اللغات الأربع التي فيها، ذكره في «البحر»، قال النواوي: إنما لحقه النصب والجوع، ليطلبَ موسى الغداء، فيتذكر به يوشع الحوت، وفي الحديث: «لم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره به»، وفي «الأسئلة المقحمة»: كيف[1] جاع موسى ونصب في سفرته هذه، وحين خرج إلى الميقات ثلاثينَ يوماً لم يجع ولم ينصب؟

قيل: لأن هذا السفر، كان سفر تأديب وطلب علم، واحتمال مشقة، وذَلِكَ السَّفَرُ كان إلى الله تعالى، انتهى، وجملة القسم في محل التعليل للأمر بإيتاء الغداءِ ﴿قَالَ﴾ فتى موسى لموسى: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ قال ابن ملك[2]: هو يجيىء بمعنى أخبرني، وهنا بمعنى التعجب، ومفعوله محذوف، وذلك المحذوف عامل في

---

(١) روح البيان.
(٢) روح البيان.

قوله: ﴿إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ والتقدير: أَرَأَيْتَ ما دهاني أو نابني في ذلك الوقت والمكان، وتلك الصخرة كانت عند مجمع البحرين، الذي هو الموعد.

والمعنى: عجبت مما أصابني حين وصلنا إلى الصخرة، ونزلنا عندها ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ أن أذكر لك أمره، وما شاهدت منه من الأمور العجيبة، نسب النسيان إلى نفسه؛ لأن موسى كَانَ نَائِماً، وأحس يوشع بخروجه من المكتل إلى البحر، ورآه قد اتخذ السرب، فأشفق أن يوقظ موسى، وقال: أؤخر إلى أن يَسْتَيْقِظَ، ثم نسي أن يعلمه حتى ارتَحلا، وجاوزا مجمع البحرين.

وأوقع النسيان على الحوت دون الغداء الذي تقدم ذكره، لبيان أن ذلك الغداء المطلوب هو ذلك الحوت الذي جعلاه زاداً لهما، وأمارةً لوجدان مطلوبهما.

ثم اعتذر بإنساء الشيطان إياه، لأنه لو ذكر ذلك لِموسى ما جاوز ذلك المكان، وما ناله النصب فقال: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ﴾؛ أي: وما أنساني الحوت ﴿إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بوسوسته الشاغلة عن ذلك، ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ بدل اشتمال من الضمير، وقرىء ﴿أَنْ أذْكُر له﴾ كما في «البيضاوي»؛ أي: وما أنساني ذكر أمر الحوت لك، إلا الشيطان بوسوسته الشاغلة عن ذلك، ﴿وَٱتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُۥ﴾ ومسلكه ﴿فِي ٱلْبَحْرِ﴾ اتخاذا ﴿عَجَبًا﴾، وهو كون مسلكه كالسرب، فلم يلتئم الماء، وجمد ما تحت الحوت منه حتى رجع موسى إليه، فرأى مسلكه، وكون الحوت قد مات، وأُكل شقه الأيسرُ، ثُمَّ حيي بعد ذلك، وقرأ الجمهور ﴿وما أنسَانِيهِ﴾ بكسر الهاء على أصل حركة التقاء الساكنين ولمناسبة الياء وقرأ حفص بضم الهاء هنا وفي «الفتح» في قوله: ﴿عليه اللهَ﴾ بناء على أن الغالب في حركة بناءِ هاء الضمير الضم، جبراً لما فاته من الإعراب، وذلك في الوصل، وقد بسطنا البحث عن ذلك في سورة الفاتحة، فراجعه، وعبارة ابن الجوزي هنا: قرأ الكسائي ﴿أنسِانيهِ﴾ بإمالة السين مع كسر الهاء، وقرأ ابن كثير ﴿أنسانيهي﴾ بإثبات ياء في الوصل بعد الهاء، ورُوي عن حفص ﴿أنسانيه إلا﴾ بضم الهاء في الوصل، وهذا الكلام يحتمل أن يكونَ من كلام يوشع، أخبر موسى أن الحوت اتخذ سبيله عجباً

للناس، فهو معطوف على جملة قوله؛ ﴿فإنّي نسيت الحوتَ﴾ وما بينهما اعتراض كما في «الجمل»: يعني أنَّ قوله: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ﴾ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه، سببهُ ما يجري مجرى العذر والعلة لوقوع ذلك النسيان، ويحتملُ أن يكونَ من كلام الله سبحانه، لبيان طرف آخر من أمر الحوت، كأنه قيل: حيي واضطرب، ووقع في البحر، واتَّخَذَ سبيله فيه سبيلاً عجباً.

قلت: ويحتمل كون جملة، ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ حَالاً من الحوت في قوله: ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾.

وفي «الخازن»[1]: قيل: وأي شيء أعجب من حوت قد أكل منه دهراً، ثم صار حياً بعدما أُكل بعضه.

وفي «القرطبي»: وموضع العَجَبِ: أن يكون حوت قد مات يؤكل شقه الأيسر، ثم حَيِيَ بعد ذلك، وقال أبو شجاع في كتاب «الطبري»: أُتيتُ به، فرأيته، فإذا هو شقٌّ حوت بعين واحدة، وشق آخر ليس فيه شيء من اللحم، عليه قشرة رقيقة، تحتها الشوك اهـ.

وحاصل معنى الآية: أي[2] قال له فتاه: أرأيت ما حدث لي حين لجأنا إلى الصخرة التي بمجمع البحرين، إني نسيت أن أخبرك بما حدث من الحوت، إنه حييَّ واضطرب، ووقع في البحر، واتخذ سبيله فيه سبيلاً عجباً، وذلك أن مسلكه كَانَ كالطاق والسرب، وما أنساني ذكره إلاَّ الشيطان ﴿قَالَ﴾ موسى لفتاه: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكرت من أمر الحوت، ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾؛ أي: الأمر الذي كنا نبغيه ونطلبه لكونه أمارة الظفر بالمطلوب، وهو لقاء الخضر عليه السلام، أصله نبغيه، والضمير العائد إلى الموصول محذوف كما قدرناه.

وقرىء[3]: ﴿نبغ﴾ بغير ياء في الوصل، وإثباتها أحسن، وهي قراءة أبي

---

(١) الفتوحات.

(٢) المراغي.

(٣) البحر المحيط.

عمرو، والكسائي، ونافع، وأما الوقف.. فالأكثر فيه طرح الياء اتباعاً لرسم المصحف، وأثبتها في الحالين ابن كثير، ﴿فَٱرۡتَدَّا﴾؛ أي: رجع موسى وفتاه من ذلك الموضع، وهو[1] طرف نهر ينصب إلى البحر، ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾؛ أي: على أعقابهما، وطريقهما الذي جاء منه، والآثارُ: الأعلام جمع أثر، وإثر، يقال: خرج في أثره، وفي إثره، أي: بعده وعقبه حالة كونهما يقصان ﴿قَصَصٗا﴾ فهو مصدر فعل محذوف؛ أي: يتبعان آثارهما اتباعاً، ويتفحصان تفحصاً، حتى أتيا الصخرة التي حيي الحوت عندها، وسَقَطَ في البحر، واتخذ سبيله سرباً، قال البقاعي: إن هذا يدل على أن الأرضَ كانت رملاً لاَ علامة فيها.

وخلاصة ما تقدم[2]: أنه تعالى بيَّن لموسى عليه السلام: أن موضعَ هذا العالم مجمع البحرين، وأن علامة وجوده في المكان المعين انقلاب الحوت الميت الذي في المكتل حياً، فلما بلغا مجمع البحرين، اضطرب الحوت فيه، ووثب في الماء، وقد أمسك الله إجراء الماء على البحر، وجعله كالطاق أو الكوة، حتى سرى الحوت فيه، فلما جاوز موسى، وفتاه المكان المعين، وهو الصخرة بسبب النسيان، وسَارَا كثيراً، وتعبا وجاعا.. قال موسى لفتاهُ: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا﴾، قال الفتى: أرأيت ما وقع لي من الحوت حين لجأنا إلى الصخرة، فاتخذ سبيله في البحر اتخاذاً عجباً، إذا انقلب من المكتل، وصار حياً، وألقى نفسه في البحر على غفلة منّي، وإنّي نَسيت أن أبلغك خبره، وما أنسَاني ذكره إلا الشيطان، قال موسى: ذلك الذي كنا نطلبه، لأنه أمَارَة الظفر بالمطلوب، وهو لقاء الخضر، فَرَجَعا في طريقهما الأولى، إذ علما أنهما تجاوزا الموضع الذي يقيم فيه ذلك العالِم ﴿فَوَجَدَا﴾؛ أي: فوجد موسى وفتاه عند الصخرة حين رجعا إليها ﴿عَبۡدٗا﴾ التنكير للتفخيم، ﴿مِّنۡ عِبَادِنَآ﴾ الإضافة للتشريف، وهو الخَضِر، وكان مسجّىً بثوب أبيضَ، فَسَلَّمَ عليه موسى، وعرَّفه نفسه، فقال الخضر: وأنَّى بأرضك السلام، فقال: أنا موسى. قال:

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

موسى بني إسرائيل، قال: نعم، والخضر[١] ـ بفتح الخاء المعجمة وكسر الضاد ـ لَقَبُهُ، وسبب تلقِيبِهِ بذلك. ما جاء في «الصحيح» أنه عليه السلام قال: «إنَّما سُميَ الخضر؛ لأنه جلس على فروة بيضاءِ، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء» الفَرْوَة وجه الأرض اليابسة، وقيل: النَّبات اليابس المجتمع، والبيضاء الأرض الفارغة التي لا غرس فيها؛ لأنها تكون بيضاء، واهتزاز النبات تحركه وكنيته أبو العباس، واسمه بَلْيا، ـ بباء موحدة مفتوحة، ثمَّ لام ساكنة، ثمَّ مثناة تحتية ـ ابنُ ملكان ـ بفتح الميم وإسكان اللام ـ ابن فالغ بن عابر بن شالخْ بن أرفخشد، بن سام، بن نوح عليه السلام، وكان ابن ملك من الملوك، فَأراد أبوه أن يستخلفه من بعده، فَلَمْ يقبل، وهرب منه، ولحق بجزائر البحر، فلم يقدر عليه، وكان أبوه من الرُّوم، وأمه مِنْ فارس، واسمها ألها، وقيل: أمه رومية، وأبوه فارسي، والله أعلم.

وروي[٢]: أنهما وجدا الخضرَ، وهو نائم على وجه الماء، وهو مغطى بثوب أبيض، أو أخضر، طرفه تحت رجليه، والآخر تحت رأسه، فسلم عليه موسى، فرفع رأسه واستوى جالساً، وقال: وعليك السلام يا نبي بني إسرائيل، فقال له موسى: ومن أخبرك أني نبي بني إسرائيل؟ فقال: الذي أدراك بي، ودلك علي. والصحيح أن الخَضِرَ نبيٌّ، وذهب الجمهور إلى أنه حيٌّ إلى يوم القيامة، لشربه من ماء الحياة. والله أعلم.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾؛ أي: أعطيناه ﴿رَحْمَةً﴾؛ أي: نبوة ووحيا كائنة ﴿مِّنْ عِندِنَا﴾ وفضلنا، كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصه بجناب الكبرياء، وقال الإمام مسلم: إن النبوةَ رحمةٌ كما في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ ونحوه، ولكن لا يلزم أن تكون الرحمة نبوةً، فالرحمةُ هنا: هي طول العمر على قول من ذهب إلى عدم نبوته، وقيل: الرحمة: النعمة التي أنعم الله بها عليه ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾؛ أي: علمنا ذلك العبدَ ﴿مِن لَّدُنَّا﴾؛ أي: من جنابنا، ﴿عِلْمًا﴾ خاصّاً حاصلاً له

---

(١) روح البيان. (٢) المراح.

بلا وَاسطة معلم، ولا إرشاد مرشد، وهو: ما علمه الله سبحانه من علم الغيوب والإخبار عنها بإذنه تعالى، على ما ذهب إليه ابن عباس ـ رضِيَ الله عنهما ـ أو علم الباطن.

قال السمرقندي[1]: إنما قال: ﴿مِّن لَّدُنَّآ﴾ مع أن العُلُومَ كلها من لدنه، لأن بعضها بواسطة تعليم الخلق، فلا يسمى ذلك علماً لدنياً، بل العلم اللدني: هو الذي ينزله في القلب من غير واسطة أحد، ولا سبب مألوف من خارج، كما كان لعمر، وعليٍّ، ولكثير من أولياء الله المرتضين، الذين فاقوا بالشوق والزهد على كل من سواهم.

قال الزجاج[2]: وفيما فعل موسى، وهو من أجلَّة الأنبياء، من طلب العلم والرحلة في ذلك ما يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم، وإن كَانَ قد بلغ نهايته، وأن يتواضع لمن هو أعلم منه، ولِذَا ورد: أطلبوا العِلْمَ من المَهْدِ إلى اللحد.

ثم قص سبحانه مَا دَارَ بين موسى والخضر، بعد اجتماعهما فقال: ﴿قَالَ لَهُۥ﴾؛ أي: لذلك العبد ﴿مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ كلام[3] مستأنف مبني على سؤال نشأ من السياق، كأنه قيل: فماذا جرى بينهما من الكلام بعد اجتماعهما؟ فقيل: قال له موسى؛ أي: للخضر عليهما السلام ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾؛ أي: هل أصحبك، والاستفهام فيه للاستئذان ﴿عَلَىٰٓ﴾ شرط ﴿أَن تُعَلِّمَنِ﴾ وهو في موضع الحال من الكاف، وهو استئذان منه في اتباعه له على وجه التعليم، ويكفيك دليلاً في شرف الاتباع. ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾؛ أي: على شرط أن تُعَلّمني علماً ذا رشد وإصابة، أرشد به في ديني، كائناً مما علمك الله سبحانه وتعالى، وفي هذا[4] السؤال ملاطفة، ومُبَالَغَة في حسن الأدب؛ لأنه استأذنه أن يكون تابِعاً له، على أن يعلمه مما علمه الله تعالى من العلم، قال الإمام: والآية تدل على أن موسى راعى

---

(١) بحر العلوم.

(٢) الشوكاني.

(٣) روح البيان.

(٤) الشوكاني.

أنواع الأدب، حيث جَعل نفسه تبعاً له بقوله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ وَاستأذن في إثبات هذه التبعية، وأقرَّ على نفسه بالجهل، وعلى أستاذه بالعلم، في قوله: ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾ و(من) في قوله: ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ﴾ للتبعيض؛ أي: لا أطلب مساواتك في العلوم، وإنما أريد بعضاً من علومك، كالفقير يطلب من الغني جزءاً من ماله، وفي قوله: ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ﴾ اعتراف بأنه أخذ من الله، والرشد: الوقوف على الخير، وإصابة الصَّواب.

وقرأ أبو زيد عن أبي عمرو[1]: ﴿من لدنا﴾ بتخفيف النون، وهي لغة في لدن، وهي الأصل: قيل: وقد أولع كثيرٌ ممن ينتمي إلى الصلاح ادّعاء هذا العلم، ويسمونه العلم اللدني، وأنه يلقى في روع الصالح منهم شيء من ذلك، حتى يخبر بأن من كان من أصحابه، هو من أهل الجنة، على سبيل القطع، وأن بَعْضَهم يرى الخضر، وقرأ الحسن، والزهري، وأبو بحرية، وابن محيصن، وابن مناذر، ويعقوب، وأبو عبيد، واليزيدي ﴿رَشَداً﴾ بفتحتين، وهي قراءة أبي عمرو من السبعة، وقرأ باقي السبعة بضم الراء، وإسكان الشين، وهما لغتان: كالبُخل والبَخَل. وفي الآية دليل على أن الْمُتَعَلّم تبع للعالم، وإن تفاوتت المراتب، وليس في ذلك ما يدل على أن الْخَضِرَ أفضل من موسى، فقد يأخذ الفاضل عن المفضول، وقد يأخذ الفاضل عن الفاضل إذا اختص أحدهما بعلم لا يعلمه الآخر، فَقَدْ كان علم مُوسى علم الأحكام الشرعية والقضاء بظاهرها، وكان علم الخضر علم بعض الغيب، ومعرفة البواطن.

﴿قَالَ﴾ الخضر لموسى: ﴿إِنَّكَ﴾ يا موسى ﴿لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾؛ أي: لا تُطيق أن تصبِرَ على ما تراه من علمي؛ لأن الظواهر التي هي علمك لا توافق ذلك، فإني على علم من الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من الله علمكه لا أعلمه أنا، ثم أكد ذلك مشيراً إلى علة عدم الاستطاعة، فقال: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾ يا موسى، وتسكت ﴿عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾؛ أي: علماً و﴿خُبْرًا﴾ تمييز محول عن الفاعل؛ أي: لم يحط به خبرك؛ أي: علمك، والخبر: العلم

---

(١) البحر المحيط.

بالشيء، والخبير بالأمور: هو العالم بخفاياها، وبما يحتاج إلى الاختبار منها، والاستفهام فيه إنكاري، بمعنى النفي، وقرأ الحسن، وابن هرمز ﴿خبرا﴾ بضم الباء؛ أي: وكيف[1] تصبر وأنت نبي على ما أتولى من أمور، ظواهرها منكرةٌ، وبواطنها مجهولةٌ، والرجل الصالح العالم لا يتمالك أن يصبر إذا رأى ذَٰلِكَ، بل يبادر بالإنكار، ﴿قال﴾ موسى للخضر ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿صَابِرًا﴾ معك ملتزماً طاعتَك، ﴿و﴾ ستجدني ﴿لا أعصي لك أمرا﴾؛ أي: لا أخالف أمراً لك تأمرني به غير مخالف لظاهر أمر الله وشرعه، فجملة: ﴿وَلَآ أَعْصِى﴾ معطوفة على ﴿صَابِرًا﴾ فَيَكُونُ التقييد بقوله: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ شاملاً للصبر ونفي المعصية، كما أشرنا إليه في الحل؛ أي: ستجدني صابراً وغير عاص؛ أي: لا أخالفك في شيء، ولا أترك أمركَ فيما أمرتني به.

وتعليق الوعد بالمشيئة[2]: إما طلباً لتوفيقه في الصبر ومعونته، أو تيمناً به، أو علماً منه بشدة الأمر وصعوبته، فإن الصَّبْرَ من مثله عند مشاهدة الفسادِ شديد جدّاً، لا يكون إلا بتأييد الله تعالى.

وقيل: إنما استثنى؛ لأنه لم يكن على ثقة فيما التزمَ من الصبر، وهذه عادة الصالحين، فإن قلت ما معنى قول موسى للخضر: ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾ الآية، ولم يصبرْ، وقول إسماعيل عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ فصبر؟ قَالَ بعض العلماء: لأن موسى جاء صحبة الخضر بصورة التعلم، والمتعلم لا يصبر إذا رأى شيئاً حتى يفهمه، بل يعترض على أستاذه كما هو دأب المتعلمين، وإسماعيل لم يكن كذلك، بل كان في معرض التسليم والتفويض إلى الله تعالى، وكلاهما في مقامهما واقفان، وقيل: كَانَ موسى في مقام الغيرة والحدة، والذبيح في مقام الحكم والصبر، قال بعض العارفين: قال الذبيح من الصابرينَ: أدخل نفسه في عداد الصابرين، فدخل، وموسى عليه السلام تفرد بنفسه، وقال: صابراً، فخرج، والتفويض من التفرد أسلم وأوفق لتحصيل المقام ووصول المرام. ﴿قَالَ﴾ الخضر لموسى: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى﴾؛ أي: فإن صحبتني لأخذ العلم، وهو إذن له في

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

الاتباع، والفاء لتفريع الشرطية، على ما مر من التزامه للصبر والطاعة. ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ﴾ تشاهده من أفعالي وتنكره مني في نفسك؛ أي: تفاتحني بالسؤال عن حكمته، فضلاً عن المناقشة والاعتراض، ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾؛ أي: حتى أبتدىء لك ببيانه، وفيه إيذان بأن كل ما صدر منه فله حكمة، وغاية حميدةٌ ألبتة، وهذا من آداب المُتَعلم مع العالم، والتابع مع المتبوع، وهذه[1] الجمل المعنونة بـ﴿قال﴾ و﴿قال﴾: مستأنفة، لأنها جوابات عن سؤالات مقدرة، كل واحدة ينشأ السؤال عنها مما قبلها.

والمعنى: أي قَال لَه الخضرُ: إن سرت معي فلا تفاتحن في شيء أنكرته علي حتى أبتدىء بذكره، فأبين لك وجه صوابه، فإني لا أقدمُ على شيء إلا وهو صواب جائز في نفس الأمر، وإن كَانَ ظاهرهُ غير ذلك، فقبل موسى شرطه، رِعايَةً لأدب المتعلم مع العالم.

وقرأ ابن كثير[2]، وأبو عَمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى﴾ ساكنة اللام مخففة النون، وقرأ نافع، وابن عامر، ﴿فلا تسألني﴾ مفتوحة اللام مشددة النون، قال أبو علي: كلهم بياء في الحالين. انتهى. وقرأ ابن عامر، في رواية الداجونيّ ﴿فلا تسألنِّ عن شيء﴾ بتحريك اللام من غير ياء، والنون مكسورة مشددة.

والفاء في قوله: ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ فاء الفصيحة، كما في «روح البيان»؛ أي: ذهب موسى والخضر عليهما السلام على ساحل البحر، يطلبان السفينة، وأَمَّا يُوشَعُ فقد صرفَه موسى إلى بني إسرائيل، أو كان معهما، وإنما لم يُذكر في الآية لأنه تابع لموسى، فاكتفى بذكر المتبوع من التابع، فالمقصود ذكر موسى والخضر، فمرت بهم سفينة، فكلموهم أنْ يحملوهم، فحملوهم. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا﴾؛ أي: دخلا ﴿فِى ٱلسَّفِينَةِ﴾ والألف واللام ﴿في السفينة﴾ لتعريف الجنس إذ لم يتقدم عهدٌ في

---

(١) الشوكاني.

(٢) زاد المسير والبحر المحيط.

سفينة مخصوصة، كما ذكره في «البحر»، وقال في «الإرشاد»: في سورة هود، معنى الركوب العلو على شيء له حركة، إما إراديةٌ كالحيوان، أو قسرية كالسفينة والعجلة، ونحوهما، فإذا استعمل في الأول، يوفر له حظ الأصل، فيقال: ركبت الفرس، وإن استُعمل في الثاني، يلوح بمحلية المفعول بكلمة ﴿في﴾ فيقال: ركبت في السفينة، وفي «الجلالين»: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا﴾ البحر ﴿فِي ٱلسَّفِينَةِ﴾ ﴿خَرَقَهَا﴾؛ أي: ثقبها[1] الخضر وشقها لمَّا بلغوا اللج؛ أي: معظم الماء، حيث أخذ فأساً، فقلع بغتة؛ أي: على غفلة من القوم من ألواحها لوحين مما يلي الماء، فجعل موسى يسد الخرق بثيابه، وأخذ الخضر قدحاً من زجاج، ورقع به خرق السفينة، أو سده بخرقة.

روي أنه لما خَرقَ السَّفينَةَ لم يدخلها الماء.

وقال الإمام في «تفسيره»: والظاهر أنه خرق جدارها، لتكون ظاهرة العيب، ولا يتسارع إلى أهلها الغرق، فعند ذلك ﴿قَالَ﴾ موسى مُنْكِراً عليه: ﴿أَخَرَقْتَهَا﴾ يا خضر، والاستفهام فيه للإنكار المضمن للتوبيخ. ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾؛ أي: لتهلك ركابها بالماء، فإن خرقها سبب لدخول الماء فيها، المفضي إلى غرق أهلها، وهم قد أحسنوا بِنَا حَيْثُ حملونا بغير أجرة، وليس هذا جزاءَهم، فاللام للعاقبة، وقيل: لام العلة.

وقرأ زيد بن علي[2]، والأعمش، وطلحة، وابن أبي ليلى، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو عبيد، وابن سعدان، وابن عيسى الأصبهاني: ﴿ليغرق﴾ بفتح الياء والراء، وسكون الغين ﴿أهلها﴾ بالرفع، وقرأ باقي السبعة بضم تاء الخطاب، وإسكان الغين، وكسر الراء، ونصب لام أهلها، وقرأ الحسن، وأبو رجاء كذلك، إلا أنهما فتحا الغين، وشددا الراء ﴿لَقَدْ جِئْتَ﴾؛ أي: والله لقد: أتيت وفعلت يا خضر ﴿شَيْـًٔا إِمْرًا﴾؛ أي: شيئاً عجيباً عظيماً شديداً على القوم، قال في «القاموس»: أمرٌ إمرٌ، منكرٌ عجب: يقال: أمر الأمر إذا كبر، والإمر

---

(١) روح البيان.
(٢) البحر المحيط.

الاسم منه، وقال أبو عبيدة: الإمر: الداهية العظيمة. ﴿قَالَ﴾ الخضر لموسى: ﴿أَلَمْ أَقُلْ﴾ الاستفهام للتقرير؛ أي: قد قلت لك: ﴿إِنَّكَ﴾ يا موسى ﴿لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾؛ أي: لا تقدر صبراً معي فيما ترى مما أفعل، وهو تذكير لما قاله من قبل متضمن للإنكار على عدم الوفاء بوعد فـ﴿قال﴾ موسى للخضر ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾؛ أي: بنسياني وصيَّتك بعدم السؤال عن حكمة الأفعال قبل البيان، فإنه لا مؤاخذة على الناسي فـ﴿ما﴾ مصدرية، ويحتمل كونها موصولة؛ أي: لا تؤاخذني بالذي نسيته، وهو قول الخضر ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ وقيل[1]: هذا من التورية، وإيهام خلاف المراد، فالمراد بما نسيه شيء آخر غير الوصية؛ لكنه أوهَمَ أنها المنسية، ليتقي بها من الكذب مع التوصل إلى المقصود، وهو بسط عذره في الإنكار، ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى﴾؛ أي: لا تكلفني يا خضر، ولا تحملني ﴿مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾؛ أي: في أمر صحبتي إياك مشقة وشدة وصعوبةً، وقرأ أبو جعفر ﴿عسرا﴾ بضم السين حَيْثُ وقع، والمعنى: قال موسى[2] للخضر: لا تؤاخذني بما غفلت عن التسليم لك، وترك الإنكار عليك، ولا تكلفني مَشَقَّةً، ولا تضيِّق عليَّ أمري؛ ولا تعسر عليَّ متابعتَك، بل يسرها بالإغضاءِ، وترك المناقشة، فإني أريد صحبتك، ولا سبيل لي إليها إلا بذلك.

والفاء في قوله: ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ فصيحة، والانطلاق: الذهاب؛ أي: فقبل الخضر عذر موسى عليه السلام، فخرجا من السفينة، فانطلقا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا﴾ بين قريتين لم يبلغ الحنث يلعب مع عشر صبيان، كان وضيء الوجه اسمه جيشور ـ بالجيم، أو بالخاء، أو بالحاء ـ أو حينون، قال السهيلي: فأخذه الخضر من بينهم ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ عطف[3] على الشرط، بالفاء، أي: فقتله عقيب اللقاء؛ أي: فقتله بذبحه مضطجعاً بالسكين، أو بفتل عنقه، وقيل: معنى قتله أشار بأصابعه الثلاث: الإبهام، والسبابة، والوسطى، وقلع رأسه، كما قال رسول الله ﷺ: «ثم خرجا من السفينة، فَبَيْنَما يمشيان على الساحل، إذ أبصر الخَضِرُ غلاماً يلعب مع

---

(١) شهاب.

(٢) المراغي.

(٣) روح البيان.

الغلمان، فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله» كذا في «الصحيحين» برواية أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ.

أي[1]: فانطلقا بعد نزولهما من السفينة وسلامتهما من الغرق والعطبِ يمشيان على الساحل، فأبصر الخضر غلاماً يلعب مع لداته وأترابه، فقتله، ولم يبين القرآن كيف قتله، أحز رأسه، أم ضرب رأسه بالجدار، أم بطريق آخر؟ وعلينا أن لا نهتم بذلك، إذ لو علم الله فيه خيراً لنا.. لذكره، ولكن بيَّنته السنة كما مر آنفاً. ﴿قَالَ﴾ موسى للخضر، والجملة جواب الشرط ﴿أَقَتَلْتَ﴾ يا خضر، والاستفهام فيه للتوبيخ المضمن للإنكار ﴿نَفْسًا زَكِيَّةً﴾؛ أي: طاهرة من الذنوب، لأنها صغيرةً لم تبلغ الحنث؛ أي: الإثم والذنب، وهو قول الأكثرين، ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾؛ أي: بغير قتل نفس محرمة، يعني لم تقتل نفساً فيقتص منها، وخص[2] هذا من بين مبيحات القتل، كالكفر بعد الإيمان، والزنا بعد الإحصان؛ لأنه أقرب إلى الوقوع، بالنظر إلى حال الغلام، وقرأ ابن عباس[3]، والأعرج، وأبو جعفر، وشيبة، وابن محيصن، وحميد، والزهري، ونافع، واليزيدي، وابن مسلم، وزيد، وابن بكير، عن يعقوب، والتمار، عن رويس عنه، وأبو عبيد، وابن جبير، الأنطاكي وابن كثير، وأبو عمرو ﴿زَاكِيَةً﴾ بالألف، وقرأ زيد بن علي، والحسن، والجحدري، وابن عامر، والكوفيون ﴿زكية﴾ بغير ألف وبتشديد الياء وهي أبلغ من زاكية، لأن فعيلا المحول من فاعل يدل على المبالغة، وعن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغلامَ الذي قتله الخضر طبعَ كَافِراً، ولو عاش لأرهق أَبَوْيهِ طغياناً، وكفراً» متفق عليه وهذا لفظ مسلم.

والله ﴿لَقَدْ جِئْتَ﴾، وفعلت يا خضر ﴿شَيْئًا نُكْرًا﴾؛ أي: شَيْئاً منكراً، أنكر من الأول؛ لأن ذلك كَانَ خَرْقاً يمكن تَدَارُكه بالسد، وهذا لا سبيل إلى تداركه،

---

(١) المراغي. (٣) البحر المحيط.

(٢) المراغي.

وقيل: الآمر: أعظم من المنكر، لأن قتل نفس واحدة، أهون من إغراق أهل السفينة.

والمعنى: أي[1] والله لَقَدْ فعلت شيئاً تنكره العقول، وتنفر منه النفوس، وَأَتى هنا بقوله: ﴿نُّكْرًا﴾ وهناك بقوله: ﴿إِمْرًا﴾ لأن قتل الْغلامِ أقبح من خرق السفينة؛ لأن ذلك لَمْ يَكُن إهلاكاً لنفس، إذ ربما لا يحصل الغرق، وفي هذا إتلاف النفس قَطْعاً فكان أنكر.

وقرأ الجمهور: ﴿نُّكْرًا﴾ بإسكان الكاف، وقرأ نافع، وأبو بكر، وابن ذكوان، وأبو جعفر، وشيبة، وطلحة، ويعقوب، وأبو حاتم، بضم الكاف حيث كان منصوباً.

قال جَمَاعة من القراء[2]: نصف القرآن عند قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾.

الإعراب

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾.

﴿وَإِذْ﴾ (الواو) استئنافية ﴿إِذْ﴾ ظرف لما مضى من الزمان متعلق بمحذوف تقديره: واذكر يا محمد قصةَ إذ قال موسى لفتاه، والجملة المحذوفة مستأنفة، ﴿قَالَ مُوسَىٰ﴾ فعل وفاعل ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ متعلق به، والجملة في محل الجر، مضاف إليه، لـ﴿إِذْ﴾ ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ إلى آخر الآية، مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾ وإن شئت قلت: ﴿لَآ﴾ نافية ﴿أَبْرَحُ﴾ فعل مضارع ناقص، واسمه ضمير يعود على موسى، والخبر محذوف تقديره: لا أبرح ماشياً حتى أبلغ، ويحتمل إنها تامة، فلا تستدعي خبراً، بمعنى لا أزول عما أنا عليه من السير، والطلب، ولا أفارقه، وجملة ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿حَتَّىٰٓ﴾حتى حرف جَرّ

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.

وغاية، بمعنى إلى كما قاله أبو البقاء، أو بمعنى لام التعليل، كما قاله غيره ﴿أَبْلُغَ﴾ منصوب بأن مضمرةً وجوباً بعد حتى بمعنى إلى، وفاعله ضمير يعود على موسى، ﴿مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ مفعول به، ﴿أَوْ﴾ حرف عطف ﴿أَمْضِيَ﴾ معطوف على ﴿أَبْلُغَ﴾ وفاعله ضمير يعود على موسى ﴿حُقُبًا﴾ ظرف زمان متعلق بـ﴿أَمْضِيَ﴾، وجملة ﴿أَبْلُغَ﴾ صلة ﴿أن﴾ المضمرة أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى إلى، الجار والمجرور متعلق بـ﴿أَبْرَحُ﴾، والتقدير: لا أبرح ماشياً إلى بلوغي مجمع البحرين، أو مُضِيِّي حقباً.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾.

﴿فَلَمَّا﴾ (الفاء) عاطفة على محذوف، تقديره: فذهبا يمشيان، فلما بَلَغا الخ ﴿لِمَا﴾ حرف شرط غير جازم، ﴿بَلَغَا﴾ فعل وفاعل، والجملة فعل شرط لـ﴿لما﴾ لاَ مَحَلَّ لها من الإعراب، ﴿مَجْمَعَ﴾ مفعول به، وهو مضاف ﴿بَيْنِهِمَا﴾ ظرف أضيف إليه على الاتساع، أو بمعنى الوصل؛ أي: مجمع وصلهما ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة جواب ﴿لما﴾ لاَ مَحَلَّ لَهَا من الإعراب. وجملة ﴿لما﴾ معطوفة على تلك الجملة المحذوفة، ﴿فَٱتَّخَذَ﴾ الفاء عاطفة ﴿ٱتَّخَذَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على الحوت ﴿سَبِيلَهُۥ﴾ مفعول أول ﴿سَرَبًا﴾ مفعول ثان ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾ متعلق بمحذوف حال من ﴿سَرَبًا﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿نسي﴾.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾.

﴿فَلَمَّا﴾ (الفاء) عاطفة ﴿لما﴾ حرف شرط، ﴿جَاوَزَا﴾ فعل وفاعل ﴿قَالَ﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على موسى ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿قَالَ﴾، وجملة ﴿قَالَ﴾ جواب لما، وجملة ﴿لما﴾ معطوفة على محذوف تقديره: فذهبا يمشيان، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ...﴾ إلخ ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ إلى آخر الآية، مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ فعل ومفعولان، وفاعله ضمير يعود على الفتى، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿لَقَدْ﴾ ﴿اللام﴾ موطئة للقسم ﴿قد﴾ حرف تحقيق ﴿لَقِينَا﴾ فعل وفاعل ﴿مِن سَفَرِنَا﴾ متعلق به،

﴿هَٰذَا﴾ بدل من ﴿سَفَرِنَا﴾ أو صفة له ﴿نَصَبًا﴾ مفعول به لـ﴿لَقِينَا﴾ والجملة الفعلية جواب القسم، لاَ مَحَلَّ لها من الإعراب، وجملة القسم في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على الفتى، والجملة مستأنفة ﴿أَرَءَيْتَ﴾ إلى آخر الآية، مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ فعل وفاعل يتعدى إلى مفعولين، وهو بمعنى أخبرني، ومفعولاه محذوف، والتقدير: رأيت أمرنا ما عاقبته، وفي «البيضاوي» أرأيت ما دهاني؛ أي: أخبرني ما دهاني، ونابني إذ أوينا إلى الصخرة، وجملة ﴿أَرَءَيْتَ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿إذ﴾ ظرف لما مضى من الزمان، متعلق بمعمول ﴿أَرَءَيْتَ﴾ المحذوف ﴿أَوَيْنَآ﴾ فعل وفاعل ﴿إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ متعلق به، والجملة الفعلية، في محل الجر مضاف إليه، لـ﴿إذ﴾ الظرفية ﴿فَإِنِّى﴾ (الفاء) تعليلية لتعليل الدهشة التي اعترتهما مما نابهما، ﴿إني﴾ ناصب واسمه ﴿نَسِيتُ﴾ فعل وفاعل ومفعول، ﴿ٱلْحُوتَ﴾: مفعول به منصوب والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ﴾ (الواو) اعتراضية ﴿ما﴾ نافية ﴿أنساني﴾ فعل ماض والنون للوقاية، والياء ضمير المتكلم مفعول به، و(الهاء) ضمير للمفرد المذكر الغائب في محل النصب مفعول ثان، مبني على الضم، على قراءة حفص، رجوعاً إلى الأصل في حركة بناء هاء الضمير، وإن كان الكسر مناسباً للياء، المذكورة قبله، كما هو قراءة الجمهور ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرَّغ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فاعل ﴿أنساني﴾، والجملة الفعلية معترضة لاعتراضها بين المعطوف، والمعطوف عليه، ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ ناصب وفعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الفتى، والجملة الفعلية مع أن المصدرية، في تأويل مصدر منصوب على كونه بدل اشتمال من (الهاء) في ﴿نَسِيتُ﴾ والتقدير: وما أنساني ذكره إلا الشيطان. ﴿وَٱتَّخَذَ﴾ (الواو) عاطفة ﴿اتخذ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على الحوت ﴿سَبِيلَهُۥ﴾ مفعول أول ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾ إما متعلق بـ﴿اتخذ﴾ أو حال من ﴿عَجَبًا﴾ ﴿عَجَبًا﴾ مفعول ثان، وجملة

﴿ٱتَّخَذَ﴾ في محل النصب معطوفة على جملة قوله، ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ على كونها مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على موسى، والجملة الفعلية مستأنفة استئنافاً بيانياً، ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ ﴿مَا﴾ اسم موصول في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿كُنَّا﴾ فعل ناقص، واسمه ﴿نَبْغِۚ﴾ فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، المحذوفة، اتباعاً لرسم المصحف العثماني، لأنه فعل معتل بالياء، وفاعله ضمير يعود على موسى، وفتاه وجملة ﴿نَبْغِۚ﴾ في محل النصب خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ صلة لما الموصولة، والعائد محذوف، تقديره: ما كنا نبغيه ﴿فَٱرْتَدَّا﴾ الفاء عاطفة ﴿ارتدا﴾ فعل وفاعل ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ متعلق بـ﴿ارتدا﴾ والجملة معطوفة على جملة ﴿قَالَ﴾ ﴿قَصَصًا﴾ مفعول مطلق معنوي لـ﴿ارتدا﴾ أو مفعول مطلق لمحذوف تقديره: يقصان قصصاً، والجملة المحذوفة حال من فاعل ﴿ارتدا﴾؛ أي: ارتدا حالَةَ كونهما يقصان قصصاً، ﴿فَوَجَدَا﴾ (الفاء) عاطفة ﴿وجدا عَبْدًا﴾ فعل وفاعل ومفعول به، لأن وجد هنا بمعنى: أصاب يتعدى إلى مفعول واحد ﴿مِّنْ عِبَادِنَا﴾ صفة أولى لـ﴿عَبْدًا﴾، وجملة ﴿وجدا﴾ معطوفة على ارتدا ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً﴾ فعل وفاعل ومفعولان ﴿مِّنْ عِندِنَا﴾ صفة لـ﴿رَحْمَةً﴾، وجملة ﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾ في محل النصب صفة ثانية لـ﴿عَبْدًا﴾ ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾ فعل وفاعل ومفعول أول، والجملة معطوفة على جملة ﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾ ﴿مِن لَّدُنَّآ﴾ حال من ﴿عِلْمًا﴾ لأنه صفة نَكِرَةٍ قدمت عليها، ﴿عِلْمًا﴾ مفعول ثانٍ لـ﴿علمنا﴾ لا مفعول مطلق، ولو كان مفعولاً مطلقاً.. لقال تَعليماً، لأن فعله من باب فعل الرباعي.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض ﴿لَهُۥ﴾ متعلق به، ﴿مُوسَىٰ﴾ فاعل، والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿هَلْ﴾ حرف

استفهام واستئذان ﴿أَتَّبِعُكَ﴾ فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على موسى، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿عَلَىٰٓ﴾ حرف جر ﴿أن﴾ حرف نصب ﴿تُعَلِّمَنِ﴾ فعل مضارع منصوب بـ﴿أن﴾، و(النون) للوقاية، و(الياء) مفعول أول، وفاعله ضمير يعود على الخضر، والجملة الفعلية مع أن المصدرية في تأويل مصدر مجرور بـ﴿عَلَىٰٓ﴾ تقديره: على تعليمك إياي، الجار والمجرور حال من (الكاف) في ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾، أي: أتبعك حَالَ كونك معَلّماً لي ﴿مِمَّا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿تُعَلِّمَنِ﴾ أو حال من ﴿رُشْدًا﴾ ﴿عُلِّمْتَ﴾ فعل ونائب فاعل، والجملة صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: مما علمته ﴿رُشْدًا﴾، مفعول ثان لـ﴿تُعَلِّمَنِ﴾.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على الخضر، والجملة مستأنفة ﴿إِنَّكَ﴾ ناصب واسمه ﴿لَن تَسْتَطِيعَ﴾ ناصب وفعل منصوب، وفاعله ضمير يعود على موسى ﴿مَعِيَ﴾ ظرف ومضاف إليه، حال من فاعل ﴿تَسْتَطِيعَ﴾؛ أي: حال كونك معي ﴿صَبْرًا﴾ مفعول به، وجملة ﴿تَسْتَطِيعَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَكَيْفَ﴾ (الواو) عاطفة ﴿كيف﴾ اسم استفهام للاستفهام الإنكاري التعجبي في محل نصب على التشبيه بالحال، من فاعل ﴿تَصْبِرُ﴾، ﴿تَصْبِرُ﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على موسى، ﴿عَلَىٰ مَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿تَصْبِرُ﴾، والجملة الفعلية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿إِنَّكَ﴾ على كونها مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿لَمْ تُحِطْ﴾ جازم وفعل مجزوم، وفاعله ضمير يعود على موسى ﴿بِهِۦ﴾ متعلق بـ﴿تُحِطْ﴾، والجملة صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة، والعائد ضمير به ﴿خُبْرًا﴾ مفعول مطلق معنوي لـ﴿تحط﴾ لأن معنى ﴿لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ لم تخبر، وأعربها الزمخشري تمييزاً محولاً عن الفاعل، أي: لم يحط به خبرك، وليس ببعيد.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على موسى، والجملة مستأنفة ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾ فعل، ومفعول أول، والنون للوقاية، وفاعله ضمير يعود على موسى، والجملة في محل النصب، مقول ﴿قَالَ﴾، وجملة ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ معترضة ﴿صَابِرًا﴾ مفعول ثان لـ﴿تجدني﴾ ﴿وَلَآ﴾ (الواو) عاطفة ﴿لَآ﴾ نافية ﴿أَعۡصِى﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على موسى ﴿لَكَ﴾ جار ومجرور حال من ﴿أَمۡرًا﴾ ﴿أَمۡرًا﴾ مفعول به، وجملة ﴿لا أعصي﴾ في محل النصب معطوفة على ﴿صَابِرًا﴾، والتقدير: ستجدني صابراً غير عاص لك، أو معطوفة على قوله: ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾ كونها مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على الخضر، والجملة مستأنفة، ﴿فَإِنِ﴾ (الفاء) لتفريع الجملة الشرطية، على ما مر من التزامه للصبر، والطاعة، كما في «روح البيان» ﴿إِن﴾ حرف شرط ﴿ٱتَّبَعۡتَنِي﴾ فعل وفاعل ونون وقاية، ومفعول به في محل الجزم، بـ﴿إِن﴾ الشرطية، على كونه فعل شرط لها، ﴿فَلَا﴾ (الفاء) رابطة لجواب إن الشرطية، ﴿لا﴾ ناهية جازمة، ﴿تَسۡـَٔلۡنِي﴾ فعل مضارع مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، وفاعله ضمير يعود على موسى، والنون للوقاية، والياء مفعول به ﴿عَن شَيۡءٍ﴾ متعلق بـ﴿تَسۡـَٔلۡنِي﴾، والجملة في محل الجزم بإن الشرطية، على كونها جواباً لها، وجملة ﴿إِن﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قال﴾ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ حرف جر وغاية ﴿أُحۡدِثَ﴾ فعل مضارع منصوب بـ﴿أن﴾ مضمرةً بعد حتى، وفاعله ضمير يعود على الخضر؛ ﴿لَكَ﴾ متعلق بـ﴿أُحۡدِثَ﴾ ﴿مِنۡهُ﴾ حال من ﴿ذِكۡرًا﴾ ﴿ذِكۡرًا﴾ مفعول به، ولا بد من تقدير صفة محذوفة بعد شيء؛ أي: عن شيء خفي عليك سره، وغبي أمره، وجملة ﴿أُحۡدِثَ﴾ مع أنِ المضمرة في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حَتَّىٰٓ﴾ تقديره: إلى إحداثي لك منه ﴿ذِكۡرًا﴾ الجار والمجرور متعلق بـ﴿تَسۡـَٔلۡنِي﴾.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ﴾.

﴿فَٱنطَلَقَا﴾ (الفاء) فاء الفصيحة كما في «روح البيان»؛ لأنَّها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت ما تقاولا، وأردت بيان حالهما بعد ذلك، فأقول لك: ﴿انطلقا﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول لجواب، إذا

المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة، ﴿حَتَّىٰٓ﴾ حرف جر وغاية ﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان ﴿رَكِبَا﴾ فعل وفاعل ﴿فِي ٱلسَّفِينَةِ﴾ متعلق به، والجملة في محل الخفض بإضافة إذا إليها، على كونها فِعْلَ شرط لها، والظرف متعلق بالجواب الآتي ﴿خَرَقَهَا﴾ فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الخضر، وجملة ﴿إِذَا﴾ من فعل شرطها، وجوابُها في محل الجر بـ﴿حَتَّىٰٓ﴾ بمعنى إلى، والتقدير: فانطلق إلى خرقه السفينة وقتَ ركوبهما إياها، الجار والمجرور متعلق بـ﴿انطلقا﴾.

﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على موسى، والجملة مستأنفةٌ ﴿أَخَرَقْتَهَا﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿أَخَرَقْتَهَا﴾ (الهمزة) للاستفهام الإنكاري، ﴿خرقتها﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿لِتُغْرِقَ﴾ (اللام) حرف جر وتعليل ﴿تغرق أَهْلَهَا﴾ فعل ومفعول منصوب بأن مضمرةً، وفاعله ضمير يعود على الخضر، والجملة في تأويل مصدر مجرور بـ(اللام) تقديره: لغرقك أهلها، الجار والمجرور متعلق بـ﴿خرقتها﴾ ﴿لَقَدْ﴾ جئت (اللام) موطئة للقسم، ﴿قد﴾ حرف تحقيق ﴿جِئْتَ شَيْـًٔا﴾ فعل وفاعل ومفعول ﴿إِمْرًا﴾ صفة لـ﴿شَيْـًٔا﴾، والجملة الفعلية جوابُ القسم لاَ مَحلَّ لها من الإعراب، وجملة القسم في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على الخضر، والجملة مستأنفة ﴿أَلَمْ أَقُلْ...﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿أَلَمْ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري ﴿لم أقل﴾ جازم ومجزوم وفاعله ضمير يعود على الخضر، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنَّكَ﴾ ناصب واسمه ﴿لَن تَسْتَطِيعَ﴾ ناصب ومنصوب وفاعله ضمير يعود على موسى ﴿مَعِيَ﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل ﴿تَسْتَطِيعَ﴾ ﴿صَبْرًا﴾ مفعول به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إن﴾

وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿أَقُلْ﴾ ﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على موسى، والجملة مستأنفة ﴿لَا﴾ ناهية جازمة ﴿تُؤَاخِذْنِي﴾ فعل مضارع مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، وفاعله ضمير يعود على الخضر، والنون للوقاية الياء مفعول به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿بِمَا﴾ (الباء) حرف جر ﴿ما﴾ مصدرية أو موصولة أو موصوفة ﴿نَسِيتُ﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة ﴿ما﴾ المصدرية، أو الموصولة ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بالباء، تقديره: بنسياني أو بالذي نسيته، أو بشيء، نسيته، الجار والمجرور متعلق بـ﴿تُؤَاخِذْنِي﴾ ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ جازم وفعل مجزوم ونون وقاية ومفعول به، وفاعله ضمير يعود على الخضر، والجملة معطوفة على جملة ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي﴾ ﴿مِنْ أَمْرِي﴾ حال من ﴿عُسْرًا﴾ ﴿عُسْرًا﴾ مفعول به.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾.

﴿فَانطَلَقَا﴾ (الفاء) فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت ما تَقَاولا، وأردت بيانَ ما جَرَى بينهما بعد ذلك.. فأقول لك: ﴿انطلقا﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول لجواب ﴿إِذَا﴾ المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة، ﴿حَتَّىٰٓ﴾ حرف جر وغاية ﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل في الزمان ﴿لَقِيَا غُلَٰمًا﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل الخفض بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على كونها فعلَ شرط لها، والظرف متعلق بالجواب الآتي، ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ (الفاء) عاطفة ﴿قتله﴾ فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الخضر، والجملة معطوفة على جملة ﴿لَقِيَا﴾ ﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على موسى، والجملة جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إِذَا﴾ في محل جر بـ﴿حَتَّىٰٓ﴾ تقديره: فانطلقا إلى قول موسى، وقت لقائهما غلاماً فقتله إياه الجار والمجرور متعلق بـ﴿انطلقا﴾ ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ إلى آخر الآية مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿أَقَتَلْتَ﴾ (الهمزة) للاستفهام الإنكاري، ﴿قتلت﴾ ﴿نَفْسًا﴾ فعل وفاعل ومفعول ﴿زَكِيَّةً﴾ صفة لـ﴿نَفْسًا﴾، والجملة في محل النصب

مقول ﴿قال﴾ ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿قتلت﴾ أو في محل نصب على الحال من الفاعل، أو المفعول؛ أي: قتلته ظالماً، أو مظلوماً ﴿لَّقَدْ﴾ (اللام) موطئة للقسم ﴿قد﴾ حرف تحقيق ﴿جِئْتَ شَيْـًٔا﴾ فعل وفاعل ومفعول ﴿نُّكْرًا﴾ صفة ﴿شَيْـًٔا﴾ والجملة جواب القسم لاَ مَحَلَّ لها من الإعراب.

التصريف ومفردات اللغة

﴿مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: اسم مكان من جمع يجمع من باب فَتَح فالقياس في مصدره: ومكانه وزمانه الفتح، وهو ملتقى بحر الروم، وبحر فارس، مما يلي المشرق، وملتقاهما عند البحر المحيط، وقيل: ملتقى البحرين هو بحر الأردن، وبحر القلزم، وقيل: غير ذلك مما هو مذكور في الْمُطَوَّلاَتِ ﴿أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾؛ أي: زمناً طويلاً، والحقب ثمانون سنة وقيل: سبعون سنة، وقيل: سنة واحدة. بلغة قريش، ويُجمع على أحقاب كعنق، وأعناق، وفي معناه الحقبة بالكسر، وبالضم، وتجمع الأولى: على حقب كقربة، وقرب، والثانية: على حقب كغرفة وغرف ذكره في «الفتوحات». ﴿سَرَبًا﴾؛ أي: مسلكا كالسرب، وهو: النفق، فصار الماء عليه كالقنطرة، وفي معاجم اللغة: السرب: بفتحتين الحفيرة، تحت الأرض، والقناة يدخل منها الماء، ويقال: طريق سرب؛ أي: يتتابع فيه الناس. ﴿غَدَآءَنَا﴾، والغداء الطعام الذي يؤكل أولَ النهار، والمراد به هنا الحوت ﴿نَصَبًا﴾؛ أي: تعباً وإعياءً ﴿إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾؛ أي: التجأنا، والصخرة معروفة، وهي حجر كبير ﴿نَبْغِ﴾؛ أي: نطلب ﴿فَٱرْتَدَّا﴾؛ أي: رجعا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾؛ أي: على طريقهما الذي جاءا منه ﴿قَصَصًا﴾؛ أي: اتباعاً من قولهم أثره إذا تبعه ﴿مِّن لَّدُنَّآ﴾ ﴿مِّنْ عِندِنَا﴾ لدن، وهي بمعنى عند، فتكون اسماً لزمان الحضور ومكانه، كما أن عند كذلك إلا أن لدن تختص بستة أمور:

١ ـ أنها ملازمة لمبدأ الغايات الزمانية والمكانية، و﴿عند﴾ غير ملازمة فمن ثم يتعاقبان في نحو: جئت من عنده من لدنه، وفي الآية الكريمة.

٢ ـ أن الغالب في لدن استعمالها مجرورة بمن، ونصبها قليل، وجر عند بمن دون جر لدن في الكثرة.

٣ ـ أنها مبنية على السكون بخلاف عند فإنها مُعْرَبَةٌ دائماً.

٤ ـ جواز إضافتها إلى الجمل.

٥ ـ جواز إفرادها قبل غدوة.

٦ ـ أنها لاَ تَقَعُ إلاَّ فَضْلة بخلاف عند، فإنها قد تقع عمدة، وقال بعضهم: إنَّ ﴿عند﴾ في لسان العرب لما ظهر، ولدن، لما بطن، فيكون المراد بالرحمة: ما ظهر من كراماته، وبالعلم الباطن الخفي المعلومُ قَطْعاً بأنَّه خاص.

﴿فِي ٱلسَّفِينَةِ﴾ السفينةُ معروفة، وتجمع على سفن، وعلى سفائن، وتحذف التاء فيقال: سفينة، وسفينٌ، وهو مما بينه وبين مفرده تاء التأنيث، وهو كثير في المَخْلُوق، نادر في المصنوع نحو عمامة وعمام، وقال الشاعر:

مَتَىٰ تَأْتِهِ تَأْتِ لُجَّ بَحْرٍ   تَقَاذَفَ فِيْ غَوَارِبِهُ ٱلسَّفِيْنُ

ذكره في «البحر المحيط».

﴿الرشد﴾ ـ بضم فسكون وبفتحتين ـ إصابةُ الخير والإحاطة بالشيء مَعْرِفَتهُ معرفة تامة، والخبر المعرفة ﴿ذِكْرًا﴾؛ أي: بَيَاناً ﴿إِمْرًا﴾ بكسر الهمزة؛ أي: مُنْكَراً من أمر الأمر إذا أنكر أو من أمر بمعنى كثر ﴿لا ترهقني﴾؛ أي: لا تحملني ﴿عُسْرًا﴾، والعسر: ضد اليسر، وهو المشقة ﴿زَكِيَّةً﴾؛ أي: طاهرة من الذنوب، ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾؛ أي: بغير حق قصاص لك عليها، ﴿نُّكْرًا﴾ والنكر: المنكر الذي تنكره العقول، وتنفرُ منه النفوس.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: إطلاق الفتى على الخادم في قوله: ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ لأنه حقيقة في الرجل الشابّ، أو العبد.

ومنها: الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ لأن فيه حذف خَبر برح الناقصة اعتماداً على قرينة الحال؛ تقديره: لا أبرح سائراً.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ لأن مضى حقيقة في نفوذ الأمر، فاستعَارَهُ للسير والذهاب.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ لأن الرؤيةَ هنا مستعارة للمعرفة التامة، والمشاهدة الكاملة، فهي استعارة تصريحيةٌ تبعية؛ لأنها أجريت في فعل، وقد حذف المشبه، وأقيم المشبه به مقامه، شبهت المعرفة التامة، بالرؤية، فاستعير اسم المشبه به الذي هو الرؤية للمشبه الذي هو المعرفة التامة، ثم اشتُق من الرؤية بمعنى المعرفة ﴿أَرَءَيْتَ﴾ بمعنى أعرفت، وشاهدت على طريق الاستعارة، التصريحية التبعية.

ومنها: الاستعارة في قوله: ﴿سَرَبًا﴾ لأنه حقيقة في الحفيرة تحت الأرض، ثمَّ استُعير لمسلك الحوت في الماء، بجامع النفوذ في كل.

ومنها: الطباق بين ﴿نَسِيتُ﴾ ﴿وَٱذْكُر﴾.

ومنها: التنكير للتفخيم في قوله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا﴾.

ومنها: الإضافة للتشريف في قوله: ﴿مِّنْ عِبَادِنَآ﴾.

ومنها: الاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾، والتقريري في قوله: ﴿أَلَمْ أَقُل﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً[1].

---

(١) وكان الفراغ من تسويد هذا المجلد السادس عشر ـ ولله الحمد ـ أوائل ليلة الخميس الليلة الخامسة من شهر صفر من شهور سنة اثنتي عشرة وأربع مئة وألف من سني الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة، وأزكى التحية، ويتلوه المجلد السابع عشر بحول الله تعالى وقوته، وتيسيره نسأل الله تعالى الإعانة لنا على التمام والإكمال، كما أعان على الابتداء والافتتاح، والحمد لله أولاً وآخراً حمداً يوافِي نعمهُ ويكافىء مزيده، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

قد تم تصحيحه بيد مؤلفه في تاريخ ١٣/٥/١٤١٦ هـ.

شعر

سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمِ لَنَا   إِلاَّ مَا أَلْهَمْتَنَا إِلْهَامَا

وَإِنِّيْ إِذَا مَا خَتَمْتُ خَتْمَاً   أَقُوْلُ ٱللَّهُمَّ يَا ٱللَّهُمَّا

لَكَ ٱلْحَمْدُ حَمْدَاً يُوَافِيْ   وَلَكَ ٱلشُّكْرُ شُكْرَاً يُكَافِيْ

الفهرس